

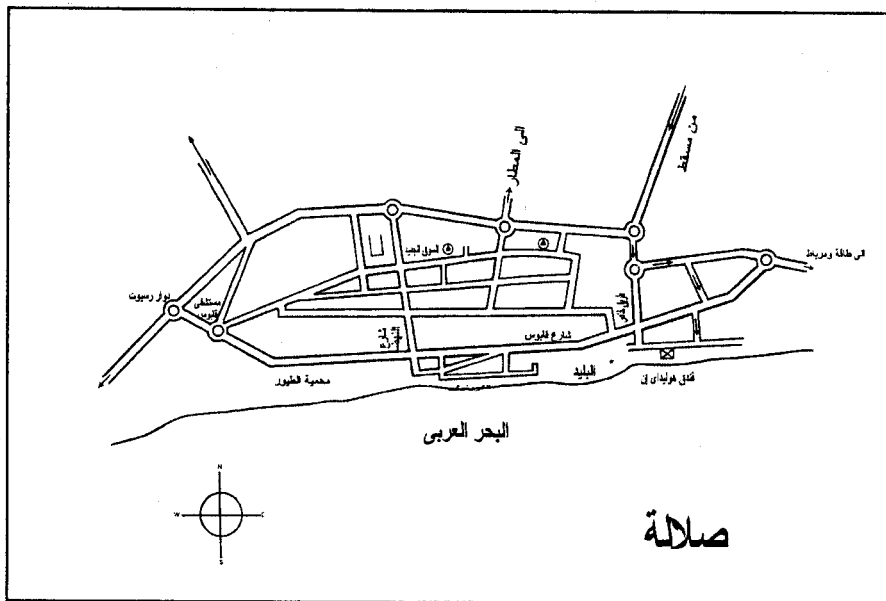
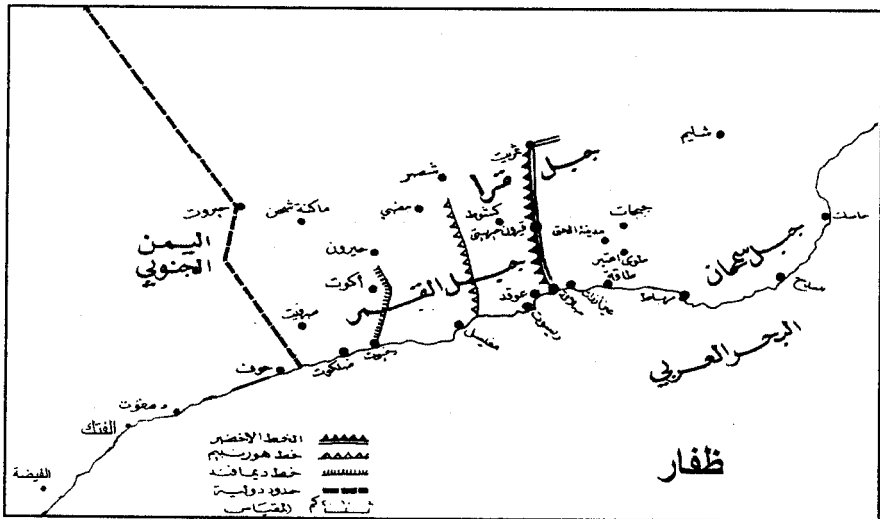
ولادة

بقوله صنع الله ابراهيم



مصر من سيطرة الرأسالية
لتتقيد الجماهير

من قبل حكمايات
اشتراكية



بعض الأشخاص والوقائع في الصفحات التالية من صميم الواقع. والبعض الآخر من نسج الخيال.. لهذا من الأفضل أن تقرأ على أنها... رواية!

ص. ١.

القاهرة

سبتمبر ١٩٩٢

عندما أزمعت السفر، كفت عن المجيء إلى أحلامي . وكانت تتردد على بصفة مستمرة في الآونة الأخيرة . ودوما ألقاها وسط حشد من الناس، مضطجعين فوق الأرائك، كما في الصور الرومانية، أو الجنة. أحيانا في قاعة ممتدة وأحيانا أخرى فوق ظهر سفينة. وفي كل مرة تلتفت نحوي وفي عينيها نظرة غامضة، تجمع بين التساؤل والتواطؤ، والإغواء . أقترب منها مندهشا من استجابتها حتى أصبح إلى جوارها. وتشجعتني بابتسامة خفيفة من شفيتها. فأزداد اقترابا حتى ألمسها. ويصبح ساقى لصق ساقها . عندئذ تواجهني بكل جسمها . ودون أن نعبأ بمن حولنا تجذبنى إليها، حتى أشعروفق جسمى المتوتر، بالتفاصيل الدقيقة لثنايا جسدها وطياته الدفينة . وبيننا أتلصص النظر للآخرين خشية أن يتبين أحدهم ما يجرى، تتصاعد نشوتى حتى تبدأ فى الفوران . وقبل أن تصل إلى مداها، يتغير المشهد على نحو مفاجئ . مرات معدودة فحسب، كانت فيها عاطفتى من الحدة بحيث اجتاحت كل السدود وخلفتنى عند اليقظة، بعدها مباشرة، مبللا، متوهجا، راضيا .

كان تجليها دائما قويا، فائق الوضوح، بالغ التأثير، يلاحقنى بعد اليقظة، فأظل تحت تأثير حضورها الفعال، وأفقد كل حس بالواقع، فلا أعود قادرا على التمييز بينهما، وأظل لبعض الوقت تحت وهم انى كنت استرجع ذكرى وقعت بالفعل فى الماضى. وأعجب للملابسات التى جعلتها هى بالذات، تطفو فوق سطح ما مربى من أحداث ونساء منذ آخر مرة رأيتها فيها، فعلا، قبل أكثر من ثلاثين سنة، على الرغم من أن معرفتى بها لم تكن وثيقة بل عابرة، لم تتوطد أبدا بالصورة التى تراءت لى فى الحلم . ولماذا اختارت، أو اخترت أنا فى حقيقة الأمر، أن تتجلى فجأة وبقوة فى هذا الوقت بالذات، الذى أخطو فيه حثيثا إلى العقد السادس من عمرى، الذى ربما سيكون الأخير ؟

مسقط

ديسمبر ١٩٩٢

* * ١

قال فتحى وهو يشد حزام الأمان حول صدره :

- ضع الحزام يا بنى وإلا ضعنا . المرورهننا صارم وليس كما فى بلدكم .
أردت أن أقول بأنها لم تعد بلدنا لكننى لم أشأ أن أكون البادئ بنقاش عقيم .
انصعت لطلبه بينما كان ينطلق من ساحة المطار . وتعثرت فى محاولة تثبيت
الحزام فأعطيته فرصة للسخرية منى .

كان أكبر منى فى السن قليلا ، وأكثر بدانة ، وأكثر مرحا بالتأكيد ، لا
يتوقف عن الدندنة بجمل موسيقية متنوعة من الموسيقى العربية أو الكلاسيكيات
الغربية والأوبرات وبعضها من تأليفه ، فقد كانت هذه صناعته . وكان يرتدى
قميصا بأكمام قصيرة فبدوت غريبا إلى جواره بملابسى الكاملة . هممت بخلع
سترتى فاستوقفنى قائلا :

- خليها . السيارة مكيفة .

قلت إنى لم أتوقع هذا الطقس ولهذا فكل ملابسى شتوية .
قال : ليست مشكلة . غدا نشترى لك كل ما تحتاج اليه .

قاد السيارة اليابانية فوق طريق ممهدة مرصوفة جيدا مثل الحرير تضيئوها
المصابيح العالية ، تخلو من أى أثر للحياة وتعترضها مطبات بارزة واضحة كان
يتمهل عندها ثم يلوى السيارة قليلا ليغيرها بزاوية كما تنص القواعد تماما . وبعد
عدة ميادين بدأت المنازل الحديثة تظهر على الجانبين وأغلبها لا يتجاوز ارتفاعه
طابقا واحدا .

قال : تذكر هذا الطريق دائما . فهو الرئيسى . إسمه شارع قابوس . وهو أطول
شارع هنا وينتهى بالميناء . ميناء قابوس .

أضاف بعد برهة : سنمر حالا بمدينة قابوس الجديدة على اليمين .

قلت : كل حاجة باسمه ؟

قال : زينا بالضبط . على أى حال حقه . فهذه البلد لم تكن شيئا قبل أن يتولى الحكم .

لحظت أنه يقود السيارة بحرص رغم أن السيارات المارة كانت معدودة . وكنت أعرفه فى القاهرة سائقا متهورا . توقف أمام إشارة حمراء رغم أن سيارتنا كانت الوحيدة عند جانبي التقاطع . ولم يكن هناك أثر لعابر . ثم أدركت السر عندما ظهرت سيارة شرطة الى جوارنا .

قال وهو يستأنف السير : اذا أردت القيادة هنا لا بد أن تستخرج رخصة جديدة بامتحان جدى . هم لا يعترفون بالرخصة المصرية .

قلت : معى رخصة دولية .

قال : ولو . لا بد من رخصة عمانية . إنهم يعرفون طريقة استخراج الرخص عندنا .

بدأ يدندن أحدث أغانى المطرب الفرنسى الجزائرى الشاب خالد وتوقف لحظة ليقول :

- لم أستغرب أن يستغرق إعطاءك التأشيرة عدة شهور . فهذا عادى هنا . لكن الغريب أنهم أعطوها لك فى النهاية .

لم يكن الأمر غريبا لهذه الدرجة . فقد جرت مياه كثيرة فى الأنهار منذ وقت طويل .

تأملت كتل الظلام المحيطة بنا ولم نلبث أن أشرفنا على منطقة سكنية حديثة ، مضاءة ومنظمة ، يرتفع فى مدخلها فندق شيراتون عتيذ . - وصلنا .

كانت الشوارع هادئة تصطف على جانبيها السيارات المركونة ، وتطل عليها الواجهات الزجاجية المضاءة لحوانيت عامرة بالأجهزة الكهربائية والملابس والنظارات ولعب الأطفال . تنقلنا بينها طويلا الى أن وجدنا مكانا لسيارتنا .

تحررت من حزام المقعد وعاوننى فى إخراج حقيبتى من الشنطة الخلفية . ثم استمهلنى حتى قام بتشغيل جهاز الإنذار المثبت داخلها .

سألته : الحرامية كثير ؟
قال : نادرا ما يجروا أحد على السرقة فالشرطة حازمة . مجرد شبهة السرقة
تؤدى إلى ترحيل السارق فورا .
استغربت : ترحيله إلى أين ؟

أجاب : إلى بلده . السارق لا يمكن أن يكون عُمانيا لأنهم لا يحتاجون .
هو إذن لا بد أن يكون من العمالة الأجنبية . هندي أو باكستاني أو فيلبيني . فهم
الذين يتولون الأعمال ذات الأجر المنخفض .

كانت حقيقتي من النوع المزود بمقبضين على الجانبين فأمسك كل منا
بمقبض وحملناها بينما عبر عدة شوارع . ولجنا عمارة حديثة من أربعة طوابق يحتل
الطابق الأرضي منها مكتب للسفريات والشحن . وأقلنا المصعد إلى الطابق الثالث .

أخرج مفتاحا من جيبه وهو يقول : شقيقة نامت من ساعتين .
فتح الباب فى هدوء وولجنا صالة صغيرة تتوسطها مائدة طعام . اتجهنا
يمينا إلى قاعة مضاءة تتصدرها خزانة تضم بعض الكتب والأواني الخزفية
وجهاز تليفزيون ضخم .

ارتيمت فى مقعد بينما أدار جهاز التليفزيون بواسطة المفتاح المتنقل .
وطالعنا صورة السلطان المعلقة خلف ظهر مذيع يقرأ نشرة الأخبار الأخيرة . كان
يتحدث عن معرض للزهور فى مكان ما من أوروبا عرضت فيه واحدة حمراء
تحمل اسمه . أراد فتحى أن يحول القناة فاستمهلته .

تحدث المذيع عن تاريخ الزهرة وكيف أن جمعية الزهور الهولندية هى التى
استنبتتها بعد سنتين من الجهد والتجارب ، وأنها تتميز بهاء لونها وزكاء رائحتها
وطول ساقها . وقد أطلقت اسم قابوس عليها تقديرا لإسهامه الشخصى فى تنمية
العلاقات الدولية . وتسلم السلطان المعظم الزهرة التى ستحمل اسمه الى الأبد فى
احتفالات العيد العشرين للسلطنة .

انتقل المذيع إلى أخبار الرياضة ، فأغلق فتحى الجهاز وهو يندندن احدى
الالحان الأمريكية محركا جسمه البدين مع الايقاع فى رشاقة حسدته عليها :
- تعال أريك حجرتك .

حملت حقيقتي وتبعته إلى غرفة فى نهاية طرقة طويلة ، تضم كنبه تكومت

الأغطية والوسائد فوقها، ومكتبا صغيرا يحمل كومبيوتر وجهاز ستريو ضخم . وفى الصدر، أسفل نافذة عريضة، استقر بيانو الى جوار مقعد بمسندين.

قال : للأسف ليست هناك خزانة للملابس .

قلت : لا يهم . سأترك كل شئ فى الحقيبة .

قال : تصبح على خير.

قلت : وانت من أهله .

وضعت حقيبة يدي فوق المكتب . واستخرجت من حقيبة السفر بيجامة وخفا ومنشفة وأدوات التواليت . اكتشفت انى أضعت شالا من الصوف أحضرته معى تحرزا من تيارات الهواء وخوفا من تقلبات الجو. وتذكرت انى كنت أضعه حول رقبتى فى الطائرة . ولم أخلعه عندما توقفنا فى مطار الدوحة الكوزموبيليتانى لنستبدل الطائرة. وكنت أحمله فى يدي عندما دخلت صالة الترانزيت واستخدمت حمامها الفخم. لكنى لا أتذكره بعد ذلك. فهل نسيتة فى الحمام؟

استعرضت شريط الرحلة من لحظة صعودى الى الطائرة فى مطار القاهرة. كررت ذلك عدة مرات. وفى كل مرة كان الشريط يتمهل عند حمام مطار الدوحة عندما وقفت أغسل يدي الى جوار شاب ممتلىء القامة ذى ملامح بدوية سمراء ورأس حليقة، فى قميص حريرى وبنطلون واسع على المودة . كان منهمكا فى حلاقة ذقنه وقد تناثرت أمامه فوق حافة الحوض العريضة، فى فوضى تامة، مجموعة من أنابيب المعاجين والقنانى والرشاشات المختلفة الأحجام والألوان فبدا الحوض كمائدة زينة لإحدى الغوانى . وكان لا يفتأ ينحنى فوق حقيبة يد مفتوحة بجوار قدميه ليستخرج منها دهانا أو رشاشا معطرا أو مرطبا أو مزيلا للرائحة .

أدركت فجأة لماذا التصقت صورة الشاب فى ذاكرتى . فقد ذكرتنى حركاته الهوجاء بـ «يعرب» الذى كان فى نفس السن عندما تعرفت عليه منذ أكثر من ثلاثين عاما . وكان يشغل دائما مساحة كبيرة من حوله تتناثر فيها، لا المعاجين وأدوات الزينة، وإنما الكتب والسجائر والفواكه، بينما لا يكف عن التلويح بيديه وهو يردد بانفعال : تصوروا !

استبدلت ملابسى وحملت حافظة أدوات التواليت الصغيرة الى الحمام فاغتسلت و دعت أسنانى . ثم عدت الى الغرفة وارتميت فى المقعد المجاور

للبيانو وأنا أثناءب . تناولت الصحف الخليجية التي جمعتها خلال الرحلة ولم أقرأ منها غير العناوين . قرأت افتتاحية تشكو من ان الكويت خرجت من كارثة الاحتلال العراقي إلى برائن حرب استنزاف أشق وأدهى ، تمتص دماءها قطرة قطرة. فهي تدفع مليارات الدولارات باسم الأمن والتنسيق والتسليح والتدريب. ونقلت الصحيفة عن الايكونومست البريطانية مساعى بريطانيا لأن تبيع للسعودية ٤٨ قاذفة مقاتلة من طراز تورنادو قيمتها حوالى ٧ مليار دولار وهى ثانى أكبر صفقة للأسلحة من نوعها. وبلغت قيمة الصفقة الأولى ١٥ مليار دولار أى ٣٣ ألف وظيفة للبريطانيين فى البلدين . أما الصفقة الجديدة فتتيح الحفاظ على وظائف ١٩ ألف بريطانى فى المصانع التى تخلصت من آلاف العمال فى بداية العام .

تشاءبت مرة أخرى فوضعت الصحيفة جانبها. وقمت الى النافذة ففتحت مصراعها الزجاجى. شعرت على الفور بسخونة الهواء فى الخارج . تأملت الشوارع الهادئة الخالية من كل حركة أو صوت فيما عدا طنين أجهزة التكييف. وكانت أضواء المصابيح تتلاشى بعد مسافة قريبة وتبدو خلفها كتلة من الظلام الكثيف . وعندما ألفت عيناي الظلام تبينت فيها سلسلة من الجبال السامقة الموحشة.

٢ * *

بدت المدينة فى ضوء النهار مجموعة من الطرق السريعة والكبارى العلوية والمنازل الحديثة التى تشترك فى طراز موحد، تتخللها الخضرة وتحيط بها الجبال الجرداء .

قال فتحى وهو يقود السيارة فى اتجاه الميناء : هذا المشوار الذى نقطعه فى دقائق كان يستغرق نصف يوم فى الماضى. كانت الجبال تفصل بين مناطق العاصمة فصلا تاما . ثم شق قابوس هذا الطريق الذى ربط بينها.

ما ان اقتربنا من البحر حتى ضاقت الطرقات وظهر البشر. اتجهنا يسارا على الكورنيش فتزايد الزحام الذى طغى عليه العنصر الهندى . أتننا رائحة السمك قوية نفاذة، ومررنا من أمام مبنى صغير على البحر تجمع أمامه الناس.

- سأتى بك مرة إلى هنا لترى أنواع الاسماك العجيبة وتسمع الأهازيح

التي يرددها الباعة أثناء تنظيفها. ستجد بينهم من عاصر الاستعمار الانجليزي في أفريقيا وربما من شهد حملة جوردون باشا في السودان .

أوماً الى بوابة ضخمة بجوار سوبر ماركت على الناحية المقابلة تبدو من خلالها أزقة ضيقة مظلمة وقال : هذا حي اللواتية .

علق عندما رأى التعبير الذي ظهر على وجهي : لا تتسرع . هؤلاء من الشيعة الذين جاءوا من حيدر أباد في قديم الزمان . أغلقوا عليهم الحي زمنا طويلا ولم يكونوا يسمعون لأحد غيرهم بدخوله .

أراد أن يريني يخت السلطان الفاخر الرابض في الميناء ، لكن بصرى تعلق بمشهد أكثر سحرا . ففيما يشبه الميدان الصغير، وقفت امرأة في جوبة داكنة طويلة تبلغ القدمين تملؤها بلوزة سماوية اللون بنصف كم تزين الأشرطة السوداء كتفيها . كانت تضع على رأسها، الملفوف بطرحة بيضاء ، قبعة صغيرة زرقاء ، وتحمل في خاصرتها مسدسا، بينما تنظم المرور بحركات رياضية من ساعديها .

دخلنا باحة مخصصة للانتظار، وانطلقنا سيرا على الأقدام فوق رصيف أعدت حوافه بدقة متناهية كما هو الأمر في أرقى العواصم الاوروبية .

كنا في شبه خليج تشرف عليه قمم الجبال ، وأسفلها دائرة من المنازل الصغيرة ذات الطابع القديم رغم حداثة طلائها. لم يكن أغلبها يزيد عن طابقين تتألف واجهاتها البيضاء من عدة نوافذ طويلة متجاورة، زرقاء اللون ، يعلو كل منها قوس مزخرف تتجه فتحته إلى أسفل.

اجتزنا فرجة ضيقة بين منزلين فأصبحنا كأننا في سوق الحميدية بدمشق وأوخان الخليلي في القاهرة .

قال: أنت طبعا لن تشتري قميصا بمائة جنيه أو مائتين ! لهذا لم آخذك إلى حوانيت بنيتون ولاكوست وجوفيال. هنا سنجد لك قميصا بريال أو ريالين .

ضاعفت الريال ثمانية مرات لاتبين الثمن بالجنيه المصري وهززت رأسى موافقا.

مضينا في حوارى نظيفة مسقوفة على جانبيها دكاكين متلاصقة مرتفعة عن الأرض بدرجة أوائنتين. كانت لبعضها واجهات زجاجية بينما احتفظ البعض

الآخر بطابعه القديم فاقعد أصحابه حشيات وثيرة فوق مصاطب ملتصقة بالجدران الى جوار السلع المرصوفة.

تصاعدت أرواح العطور والتوابل ونحن ننتقل من حارة الى أخرى متجنبين المنعطفات الدائمة التي يمكن أن تعود بنا الى نقطة البداية . مررنا بدكاكين للعصي والخيزران والخناجر وأواني القهوة ومشغولات الذهب والفضة ومجامر البخور والآنية الخزفية والنحاسية والملابس المستوردة والأجهزة الكهربائية والحلوى العمانية . ولاحظت انتشار حوانيت الحياكة الهندية.

قال فتحى ونحن نتأمل البدلات الرجالية الأوروبية المعروضة فى واجهة

إحداها :

- لا تظن أنها للبيع . إنها مجرد كتالوج . تختار منها النموذج الذى يعجبك بعد أن تشتري القماش . ويفصلها لك الهنذى فى أيام قليلة تفصيلا متقنا. أبدلت بضع دولارات بسعرالبنك من صراف يمارس عمله فى الطريق أمام مائدة صغيرة واشترت عدة قمصان صيفية بأكمام قصيرة ، بينما ولج ابن عمى حانوتا للمشغولات الفضية .

وقفت فى الخارج أتأمل أصحاب الحوانيت الذين تكاد وجوههم تختفى وراء لحاهم بينما تبرق عيونهم دهاء . سهمت متخيلا حالهم فى الماضى السحيق: الواحد منهم يقضى اليوم كله فى ركنه المعهود بالدكان جالسا فوق وسادة مريحة، رافعا ساقه اليمنى ومستندا إليها بساعده ، متأملا الزبائن والمارة وجيرانه من أصحاب الدكاكين وباعتها ، مسجلا ملاحظاته فى أرشيف رأسه لتسغهف عند الحاجة فى منازل المهنة وصراعاتها ، متوقفا ببصره عند إحدى المارات، مطلقا العنان لمخيلته كى يتصور جسمها تحت العباءة التى تسربت بها، جاذبا أنفاس النرجيلة، محتسبا أكواب الشاى والقهوة التى يعدها أحد الصبية، مشتريا بعض الفواكه أو الأسماك أو ماشاء من أغراض يأتيه بها باعتها خصيصا، لا يغادر مكانه إلا للصلاة فى المسجد القريب أو لقضاء بعض الأمور، عائدا إلى منزله فى نهاية اليوم والصبى يحمل له مشترياته، ينتظره عشاء ساخن وحرime (من زوجات وجوار) وأولاده . صورة توحى بالاستقرار والطمأنينة أم هى لا تعدو أن تكون طمأنينة القلة من الشبعانيين بينما يعيش حولهم الوسخ والذباب والكلاب الجوعى والمرض والفقير؟

اشترى فتحى إبريقا صغيرا من الفضة ، فى حجم الإصبع ، اشتغله صانعه بمهارة ودقة . وعدنا أدرأجنا فأخذنا السيارة وانطلقنا فى الطريق الذى جئنا منه . وبدلا من أن ننحنى فى طريق قابوس المؤدى إلى المنزل ، واصلنا السير بحذاء الكورنيش ثم تركناه الى طريق شق بين الجبال . وسرعان ما صرنا وسط شوارع صغيرة ضيقة تطل عليها مبان حديثة. أشار إلى صف من البيوت القديمة ، المؤلفة من طابق واحد ، ويبدو كأنها بنيت من اللبن أو الحجارة وقال : هكذا كانوا يسكنون زمان .

ليس كلهم . ففيما يمكن اعتباره مركز المدينة القديمة كانت البيوت الباقية تنطق بالثراء والفخامة .

تركنا السيارة ومضينا على أقدامنا ونحن نتأمل البيوت التى بدت أشبه بالقلع : واجهات لا تكشف عن شئ فليست بها شرفات وإنما نوافذ ضيقة طويلة ، يشرف عليها القوس العربى التقليدى ، تعلوه كوات دائرية صغيرة مثل فتحات المدافع . أما الباب الخارجى فثقيل يعلوه بروز مزخرف على شكل قوس متدرج وتغطى سطحه الخشبي نقوش دقيقة بعضها يوحى بالطابع الهندى تتخلله كتل حديدية مدببة الرؤوس .

قال وهو يشير إلى عمودين من الحجر يعترضان الشارع :

- هذا الحى الصغير كان يمثل العاصمة قبل عشرين عاما فقط ويغلق من هنا عند الغروب فتقطع صلته بالعالم حتى الصباح التالى . ولا تفتح البوابة لأى سبب من الأسباب . وكثيرا ما مات المرضى القادمون من أقصى الشمال لزيارة المستشفى الوحيد بالمنطقة لأنهم وصلوا بعد الغروب .

تذكرت يعرب وقصصه التى كانت تبدأ دائما بهذه الكلمة : تصوروا ! تصوروا أن ارتداء النظارات الطبية ممنوع عندنا ! والتدخين أيضا ! تصوروا أن من يدخل مسقط عليه أن يخلع حذاه ويتركه عند البوابة . تصوروا أنه فى الوقت الذى يتعلم فيه أبناء الشعوب الأخرى فى المدارس يعمل أبناؤنا فى الخليج خدما فى المنازل !

عقبت على النظافة الشديدة حولنا : حتى الآن لم أر ورقة صغيرة أو كوم زباله كما هو الحال لدينا.

قال : لاحظ أولاً أن عدد السكان ليس كبيراً . عُمان بمساحتها التي تبلغ ٣٠٠ ألف كيلومتر لا يتجاوز عدد سكانها المليونين . أى أقل من نصف حى من أحياء القاهرة . ثانياً الهنود هم الذين يتولون النظافة .

- ماذا تعنى ؟

ضحك ساخراً ونحن نقترّب من مبنى حديث من طابقيين :

- إياك أن تكون ظننت أن العماني ينظف بنفسه . الهنود متوفرون على قفا من يشيل وهم الذين يقومون بكل الأعمال الوضيعة .

لمحت هندياً فى أوفرول أصفر يجرعربة صغيرة لجمع القمامة فتساءلت :

- ولماذا لا يجلبون عمالاً من العرب ؟ العاطلون عندنا بالكوم .

- الهنود ينامون فى العراء . وإذا فصل الهنذى لا يشكو وإنما يبحث فى

هدوء عن عمل آخر . أما العربى فإنه يحب الشكوى ويشير المشاكل .

- أى نوع من المشاكل ؟

- كأن يطالب مثلاً بحقوقه !

ولجنا فيلاً صغيرة . وتقدمنى وهو يدندن إحدى التواشيح الدينية . التقينا

شاباً فى الملابس التقليدية يرتدى نظارة طبية ويغطفى رأسه بالعمة التى يدعونها

بـ «المصرة» ، فحيانا فى تحفظ . قدمه فتحى لى على أنه من أبناء أول دفعة من

خريجي الجامعة التى تأسست منذ ست سنوات .

قلت : الظاهر أن الزى موحد .

قال : الخنجر هو الذى يميز الناس . فالجميع يرتدون الجلباب والعمامة أو

الطاقية ويضيف أصحاب المناصب الهامة الخنجر . وبالمناسبة هناك قرار من قابوس

يحظر على الموظفين خلع العمامة أثناء ساعات العمل . والظاهر أنه فعل ذلك

لإنقاذ فئة واسعة من التجار والحرفيين الذين يعيشون على صنع الطاقية أو الكمة .

قلت : قرار ديموقراطى . فلا يمكن بذلك التمييز بين الغنى والفقير .

قال : الخبير يتبين على الفور مكانة الشخص من ملابسه . نوع القماش

مثلاً . فالعمامة تصنع من الأقطان الرخيصة أو الصوف أو الحرير الثمين وقد يصل ثمن

الواحدة إلى عدة آلاف من الجنيهات ثم هناك العباءة التى لا يرتديها غير كبار

الشخصيات وهى تصنع من أرقى أنواع وبر الجمال فينسج حتى يصير شفافا ثم تطرز حوافه بخيوط الفضة أوالذهب .

أطل على غرفة ضمت رفوفا من الأشرطة الموسيقية والتليفزيونية ووجه التحية الى شاب بالملابس التقليدية أمام جهازكمبيوتر. وفي الغرفة المجاورة انهمك شاب آخر فى الكتابة وقد وضع فوق أذنيه سماعات كبيرة متصلة بجهازتسجيل ضخم . نزع السماعات وانضم الينا مع زميل له يرتدى نظارة طبية ذات عدستين داكنتين. وفقا يتطلعان الىّ فى فضول فقال فتحى وهويشيرإلى صورة السلطان المعلقة: نحن الآن أربعة. وقتتنا سوداء .

أوضح لى ونحن نصعد الدرج الى الطابق الثانى أن هناك قانونا من أيام الثورة الشيوعية فى الجنوب يحرم أى تجمع يزيد عن ثلاثة أشخاص .
- ألم تنته هذه الثورة من زمان ؟
- لكن القانون بقى .

لمحت عُمانيا بلحية سوداء كثة تكاد تغطى وجهه فقلت : يبدو أن عندكم نصيبكم من الأخوة .
قال : لكنهم قلة.

ولجنا غرفة امتلأت بالالات الموسيقية . فبالإضافة إلى بيانو عادى، كان ثمة عدة طبول مختلفة الاحجام ، بعضها من خشب والبعض الآخرمن صفيح أو بلاستيك، بالإضافة إلى أبواق من قرون الحيوانات والأصداف البحرية الضخمة وآلات أخرى صغيرة من نحاس وفضة أوصفيح مثل الصنوج .

جلست فى مقعد بجوار المكتب . ومضى هو يجمع عددا من شرائط الفيديو من خزانة تكدست الأشرطة فوق رفوفها .
أحضر لى شاب هندى طبقا من مادة بيضاء أشبه بالمهلبية وملعقة صغيرة . ولحظت أن شفتيه مصبوغتان باللون الأحمر .

علق فتحى على تعجيبى فقال :

- إنه لبان أحمر يمضغه الهنود طول الوقت فيلون شفاههم وأسنانهم وهم يصقون لعابهم الملون فى أى مكان .

انصرف الهندي ثم عاد بفناجين القهوة . استفسر منه فتحي عن المدير واذا كان موجودا فبدرت منه حركة غريبة لم أدرك مغزاها على الفور . فقد هبط برأسه قليلا إلى أسفل ثم حركها إلى اليسار ثم أعلى . كانت حركة تعطي معنى الإيجاب ثم لا تلبث أن تشفعه بالنفي .

ضحكت وقلت : هل لاحظت هذه الحركة ؟

قال : معناها أن المدير لم يحضر بعد .

- عندنا في مصر شيء مماثل . عندما يجيب أحد على سؤال لك بكلمة

تقريبا .

تناولت جانبا من الحلوى بالملعقة فتبينت طعم الهيل والسمن . جذبت صحيفة محلية من فوق مكتبه . كان إطار الصحيفة يحمل اسم وزير الإعلام بصفته رئيسا لها . وتصدرتها صورة ملونة للسلطان وهو يستعرض القوات العمانية التي اشتركت في تحرير الكويت : مدرعات السلطان وكتيبة مظلات السلطان وسلاح الجو السلطاني . وظهر الى جواره يوسف بن علوي وزير الخارجية . ثم صورة أخرى للسلطان وهو يستقبل وفود القبائل . وأسفلها أفردت الصفحة الأولى مكانا بارزا لأنباء العنف الطائفي في الهند . وجواره نبأ الفلسطينيين الذين صادرت السلطات الاسرائيلية بيوتهم وأراضيهم ثم طردتهم الى الحدود اللبنانية ولم تسمح لهم السلطات اللبنانية بالدخول فأقاموا في مخيمات على الحدود .

كانت أغلب الصفحات ملونة وتزدحم بإعلانات عن السيارات وعن عطور أرماني وباكو رابان وفهرنهيت للرجال . ولفت نظري عدة إعلانات بصيغة واحدة: نوفر الشغالات الفلبينيات بسعر ٢٥٠ ريالاً والسيرلانكيات بسعر ١٢٥ ريالاً .

هممت بوضع الصحيفة جانبا عندما لمحت بصفحتها الأخيرة إعلانا عن عرض مسرحي في الجامعة باسم «باغى اتزوج» . وأبرز الإعلان أن جل ممثلي المسرحية من الرجال وأنها ستقدم في عرضين يقتصر الأول على الطلبة ويخصص الثاني للطالبات .

ظهر في فرجة الباب شاب نحيف ذو عينين دامعتين . حياني فدعاه فتحي للدخول . احتل المقعد الذي يواجهني ونظر إلى باسم . خاطبني فتحي وهو يكوم الأشرطة على مكتبه :

- قابوس مهووس بالموسيقى الكلاسيكية. كون فرقة للأوركستر السيمفوني من الشباب العماني ليعزفوا له السيمفونيات التي يعشقها. وبعد أن انتهينا تقريبا في هذا المركز من جمع آلاف الشرائط الصوتية والتليفزيونية للأغاني والرقصات الشعبية، طلب أن نضع له سيمفونية.

تساءلت وأنا أرتشف القهوة المرة : له ؟

ضحك : هل تظن ان أحدا غيره هنا يعبأ بهذا النوع من الموسيقى ؟

- وهل أنجزت السيمفونية ؟

تجهم وجهه : ليس بعد . تظن المسألة سهلة ؟

هزرت كتفى : لا أعرف .

- الموسيقى العربية موسيقى لحنية تعتمد على الصوت الواحد الذي يؤديه المطرب بمصاحبة الآلات. أما الموسيقى السيمفونية فتقوم على تضارب النغمات وتنافرها . كيف نحقق هذا بالألحان والإيقاعات التقليدية ؟ هذه كانت الصعوبة. خصوصا في بلد كهذه غنية بالتراث الموسيقى من رقصات وأغان . لحسن الحظ أن قابوس فكر في جمع وتسجيل هذا التراث قبل أن يندثر أمام زحف الفيديو والتليفزيون . وهي عملية ليست سهلة بسبب اختلاف لهجات القبائل. إنها الشئ الوحيد الذي أخذه من الدول الشيوعية .

نهض الشاب ذو العينين الدامعتين فجأة واقفا واستأذن منصرفا وهو يبتسم ابتسامة ملتوية. تطلعت الي فتحي وأشرت بيدي متسائلا.

قال باقتضاب : سأشرح لك فيما بعد .

حمل الأشرطة التي انتقاها إلى سطح المكتب و جلس خلفه.

سألته : هل وجدت الألحان المناسبة ؟

قال وهو يعبث بالأشرطة :

- مازلت أبحث . أنا أريد ألحانا جميلة وبسيطة وفي نفس الوقت قادرة على توليد ألحان أخرى يمكن تطويرها للتأليف الموسيقى . سأعطيك مثلا . آلات النقر مثل الطبل والدف أساسية في الموسيقى الشعبية العمانية ولهذا تجد أنواعا وأحجاما مختلفة من الطبول . لا بد إذن أن أعطيها فرصة تسيد الآلات الأخرى في الأوركستر. ومن ناحية أخرى الإسراف فيها قد يحجب شاعرية بعض الجمل اللحنية الجميلة .

نهض واقفا وحمل الأشرطة تحت ساعده .

قال : سنقوم بعملية تسجيل قريبا في قرية بالداخل . تأتي معنا؟

قلت : طبعاً . فليس لدى ما أعمله . غادرنا المبنى فصرنا فوراً أسفل الشمس

الحارقة . قال ونحن نركب السيارة :

- زكريا الذى دخل علينا يريد الزواج من هبة . رآها عندما كانت هنا فى

الصيف . لم يعجبها بالطبع .

قلت : بسبب عينيه الدامعتين ؟

- لأ . بسبب أفكاره العتيقة . وهو يظن أنى قادر على إرغامها فلا يكف

عن ملاحظتى .

ضحكت . فلم يخلق بعد من يستطيع إرغام هبة -ابنته- على شئ .

تردد لحظة ثم أضاف :

- أنا لا أستريح له . فهو يجاهر بعدائه لكل مظاهر التحديث التى حققها

قابوس . وهذا يجعلنا نخاف منه . فربما يفعل هذا عن قصد .

- تقصد أنه ...

أوماً برأسه ونحن ننطلق فى الطريق المؤدى الى الميناء . انحرفنا فى شارع

قابوس حتى دوار الفلج واتجهنا يسارا وسط المنازل الحديثة لحي روى .

سألنى : ألم تلاحظ شيئا على هذه المنازل ؟

أدرت البصر بينها دون أن أتبين ما يقصده .

قال : هناك محافظة على الطابع العربى التقليدى من ناحية المبدأ مع

مراعاة الخطوط الحديثة . والمزيج لا يحدث التنافر ولا يثير الغربة . درس للشعوب

العربية فى حل مشكلة الأصالة والمعاصرة . هو نفس ما أحاول عمله فى

الموسيقى . لحسن الحظ أن قابوس يدرك هذه المسألة جيدا . مرة أقام أحد الناس

عمارة عالية من ذلك النوع الذى تراه فى أبوظبي أو الكويت أوحى مصر : الزجاج

الفيصميه والألوميتال . وعندما شاهدها أمر بهدمها وبألا يبنى أحد منزلا إلا فى إطار

القواعد التى حددتها البلدية . والنتيجة ذلك التناقص الذى يريح العين ولا يصدم

الوجدان ... نفس ما كان أصحابك يدعون إليه .

استقبلتنا روائح المطبخ . ومدت شفيقة يدها إلى بالطريقة المتحفظة التي انتشرت بين نساء الطبقات المتوسطة في مصر ، إذ تضع الواحدة منهن في يدك أطراف أصابعها مضمومة متخشبة وعلى أهبة سحبها في الحال كأنما تخشى أن تقبض على كفها وتقودها منه إلى الفراش.

قبضت على يدها براحتي وضغطت عليها محتفظا بها رغم محاولتها الفكاك . وبابتسامة متكلفة فاهت بالكلمات التي توقعتها منها بالضبط :
- حمد الله على السلامة . تذكرتنا أخيرا .

قلت بنفس لهجتها المفعمة باللوم : أنتم بخلتم طويلا ببطاقة الطائرة . كانت بدينة مثل زوجها ، وأصفرمنه بعدة أعوام . وكان وجهها يخلو من كل أثر للزينة وتحيط به لفاعه بيضاء غطت رأسها، تطل منه عينان كعيون الصقور . هناك في العلاقات العائلية عداوات غير مفهومة السبب أو ربما بلا أسباب كافية . وعلاقتي بشفيقة من هذا النوع . فطالما أجهدت نفسي في محاولة تبين السبب بلا جدوى . ظننت فترة انه احساس بالتفوق مبعثه بشرتها البيضاء في حين أننا ننتمي الى الجنس الأسمر . ثم أرجعت الأمر الى إحساس بالنقص لأنها فشلت في إنجاب الولد بينما لدى منه اثنان . وأخيرا اعتبرت عداوتنا من حقائق الوجود التي يستحيل تفسيرها .

كانت قد أعدت مائدة عامرة بالمأكولات المصرية التقليدية : البامية والمسقعة ومحشى ورق العنب وكباب الحلة .

قلت لها مشاكسا : كنت أتوقع أكلة عُمانية :

قالت : ليس عندهم غير البرياني بالدجاج أو السمك أو اللحم .

كنت أشعر بالعطش فتطلعت الى إبريق من المياه المثلجة ثم تجاوزته

بيصرى .

سألتنى :

- عاوز حاجة ؟ أجيب لك عصير ؟

نظرت إلى فتحي فابتسم بخبث وظل صامتا .

قلت أخيرا : لا أظن عندكم ...

سارعت ترد بحسم : لا . مطلقا .
تبرع ابن عمى بإضافة : بعدين نحل المشكلة .
قالت بنفس الحسم : لا بعدين ولا قبلين .
أردت المهادنة فأطريت طعامها قائلا إنها صارت تجيد الأكلات الصعبة .
قالت فى تواضع مصطنع : أعمل ايه ؟ ليس هنا من تسلية غير الطهى والأكل .

سألتها : كيف ؟ ألا توجد سينما مثلا ؟
- توجد عدة دور لا تعرض غير الأفلام الهندية .
تذكرت أنني أطريت طهيها فأرادت أن تتخلص من الدين فى الحال . قالت :
- كيف حال الكتابة ؟
قلت مغلقا باب الحديث فى هذا الموضوع : متفكرنيش . أنا هنا فى عطلة . انت عاملة ايه فى الإذاعة ؟
- ماشى الحال .

انهمكت فى الأكل وأنا أرد على أسئلتها عن الأحوال فى مصر وأعيد عليها ما تعرفه جيدا من أخبارابنتها التى تدرس فى الولايات المتحدة . وتجنبت الإشارة إلى الموضوع الذى يهمها إلى أن اضطرت أن تسألنى مباشرة :
- أليس هناك جديد بالنسبة للشركات ؟

غالبت الابتسام . كانت قد وقعت فى براثن شركة لتوظيف الأموال أسسها أحد القادة السابقين لجماعة الإخوان المسلمين ، وأودعت لديه كل مدخراتها . ثم وقع ما وقع وطارت المدخرات .

قلت : لا جديد سوى أنه زوج ابنته فى ليلة من ليالى ألف ليلة بالهيلتون . تنهدت ثم غيرت الموضوع : وما قصة استقالة رئيس الوزراء أم هو أقييل ؟

قلت : الإشاعات كثيرة . إحدى الروايات تقول أن الأمر مدير لابعاده لأنه تحدث فى أحد مجالسه عن اقتسامه عمولات السلاح مع شخصية هامة . وتقول رواية أخرى إن له صلة وثيقة بكبارضباط الشرطة الذين افتضحت علاقتهم بتجارة المخدرات .

تركز الحديث على رئيس الوزراء والنكت الرائجة عنه . ورويت لهما نكتة الميزانية التي تبدأ بكيفية توزيعها في السعودية وسوريا ثم يأتي دور رئيس الوزراء المصري فيقف في ميدان التحرير ويقذف بها الى أعلى فما يقع منها على الأرض يأخذة لنفسه والباقي يذهب الى الشعب. ثم رويت لهما حادثة واقعية سمعتها من بطلها وهو مترجم فوري في الأمم المتحدة . فقد التقى به رئيس الوزراء في نيويورك وسأله عما إذا كان مستريحا فقال الشاب أنه يشاق للعودة إلى مصر فصاح فيه رئيس الوزراء : إوعى ! . انت تجوع لو رجعت. ده أنا أتمنى ألاقي عقد هنا.

عيس وجه شفيقة فظننت أن مشاعرها الوطنية جرحت لكنها وضعت يدها على رأسها متألمة.

قال فتحى : الصداق لا يفارقها أبدا .

تأملتها فى صمت وقارنت بين ملابس الحجاب التى تتلفع بها وبين صورتها منذ سنوات قليلة أوفى بداية السبعينيات عندما كانت هى وغيرها يزهون بالجوبة القصيرة التى تكشف عن الركبتين دون أن يثير ذلك امتعاض أحد . ولم تلبث عدوى الصداق ان انتقلت إلى أنا الآخر.

ساعدتها فى إخلاء المائدة وفى وضع الآنية فى غسالة الأطباق . سألتها عما إذا كانت تستعين بشغالة فأبدت استهجانها :

- أدفع نصف راتبى لواحدة فيليبينية أوهندية ؟ أبدا. ثم أنا اثنان فقط . أنا كما تعرف لا أحب إشراك يد غريبة .

أضافت وهى تضع إبريق المياه على النار :

- لا تتصور الثراء هنا . الأسرة قد يكون لديها خادمة لكل واحد من ثمانية أطفال . الفلبينيات بالذات يتفانين فى الخدمة . واحدة أمريكية أعرفها تصر خادماتها على أن تخلع لها حذاءها. الجوع كافر.

شربنا الشاي أمام التليفزيون . ورأتنى مهتما بمتابعة إحدى الأغاني الغربية

المصورة التى تتمايل فيها فتيات على إيقاع جيتار فسألتنى :

- ألم تفكر فى الزواج بعد ؟

قلت : مرة واحدة تكفى .

قالت : لكن حياتك هكذا غير مريحة .

- وهل اشتكيت لك ؟

اكتشفت أن الفتيات المتمايلات روسيات وعلقت شفيقة على الفور :

- إنهن يملأن الأسواق والأرصفة فى دى ويتاجرن فى أى شئ حتى

أجسامهن.

تدخل فتحى : الروس يشترون أى شئ . وخصوصا الأجهزة الكهربائية

ليبيعوها بعد عودتهم .

قالت فى شماتة : بلدهم فى مجاعة ..هذه هى نتيجة الشيوعية.

تظاهرت بأنى لم أسمع . وخف فتحى إلى نجدتى قائلا :

- ألا تريد أن تتمشى قليلا ؟ هيا بنا أفرجك على البلد .

رافقتنا زوجته حتى الباب وظلت واقفة الى أن دخلنا المصعد واستدرنا

ناحيتها فهتفت :

- لا إله إلا الله.

سارع فتحى بالرد قبل أن ينغلق الباب تماما :

- محمد رسول الله .

نظرت اليه مدهوشا فلم يكن هذا الإشهار من عادة أسرنا.

قال : الغربة لها أفعالها .

تأملته بإمعان : وأنت ؟

شرع فى الدندنة مترنما بأغنية فائزة أحمد : انا زى ما أنا ..

قلت : الظاهر انك مبسوط هنا.

تجاهل أن يجيب بالإيجاب أو النفى أو حتى بتقريبا . قال ونحن نخطو الى

الطريق :

- الحياة هنا لا تطاق ابتداء من مايو حتى منتصف سبتمبر . وقتها تصبح

الرطوبة خانقة .

أخذنا السيارة ووضعنا الأحزمة وقادها فى الطريق الى الكورنيش .

- المصرية هنا تعانى الأمرين . فهى بسبب تعليمها وتحررها موضع إعجاب

الرجال وغيره وحسد النساء . لهذا لا بد أن تبالغ فى إظهار تدينها . شفيقة تتعرض

لمكائد يومية من جانب زملائها العمانيين . تكفى كلمة واحدة من رئيسها كى تجد نفسها فى القاهرة .

- هكذا ببساطة ؟

- لى صديق مصرى يعمل فى أحد البنوك . شاء سوء حظه أن يكتشف خطأ لرئيسه فأبلغه لمديرالبنك دون أن يعلم بصلة القرابة التى تربط الاثنين . وفى اليوم التالى أبلغوه أن مقعده محجوزعلى طائرة الغد . هكذا دون إنذار. .. كانت له بالطبع شقة وعفش ومعاملات ومصالح وقمنا نحن بانجازها له بعد ذلك بصعوبة شديدة .

وجه السيارة الى ساحة انتظار ملاصقة لفندق يطل على الميناء . وتناهى الى سمعى صوت عواء مألوف . التفت خلفى لأرى مرسيدس سوداء تقترب منا ويحيط بها موتوسيكلان. تمهل الموكب عندما مر أمامنا فتطلعت الى ركاب السيارة متوقعا أن أجد الستائر مسدلة على نوافذها كما هى عادة هذه المواكب فى مصر. لكن هذا الراكب كان حريصا على الشفافية. اتجهت عيناي الى المقعد الخلفى فلمحت شخصا كأنما خرج من ألف ليلة وليلة . كانت رقبة دشداشته موشاة بالقصب وفوق رأسه لفافة بيضاء معقدة التكوين وحول وسطه حزام عريض يتدلى منه خنجر ذو مقبض فضى فى غمد موسى بالزخارف.

انطلقنا على أقدامنا فوق الكورنيش وسط مارة من الأسيويين فى القمصان والبنطلونات يسهل التعرف على الهنود بينهم من رائحتهم النفاذة المميزة. مرت بنا شاحنات محملة بالأسمنت تبعثها سيارة لاندروفر وبيك أب تويوتا ثم باص مكس بركاب أسيويين . سألته عن المصريين فقال ان هناك كثيرا منهم : أطباء ومدرسون ومهندسون. وأنه على علاقة طيبة بعدد منهم .

أضاف : كثيرا ما أستقل السيارة مع احدهم وننطلق إلى المطار ثم نعود أو نذهب إلى منطقة جديدة اسمها القمر لنجلس فى كافيتريا أو فى محل واحد سورى على الشاطئ .

- والنساء ؟

- زى ما انت شايف .

- هو أنا شفت حاجة ؟

- خذها قاعدة . الحلاق الفليبيني هنا قواد ويستخدم فيلبينيات ممن يعملن فى الحوانيت أو من العاطلات . الواحدة تتقاضى بين عشرين وخمسين ريالاً .

كان الظلام قد حل فقلنا عائدين . أخذنا السيارة وعدنا الى روى حيث تركها بالقرب من منزله قائلاً إن الشرطة حازمة مع السائق الذى تفوح منه رائحة الخمر .

استوقف سيارة أجرة يغلب عليها اللون البرتقالى فذكرتنى بالاسكندرية . كان السائق عمانيا ولم يفه بكلمة الى أن أنزلنا أمام فندق الفلج . وأعطاه فتحي ورقتين مائيتين بقيمة مائتى بيسة .

تقدمنى الى بارفسيح تألف من أركان وزوايا متجاورة على مستويات متعددة وتقوم بالخدمة فيه فتيات فيلبينيات عاديات الملامح . أحضرت لنا إحداهن كوبين من البيرة وطبقاً صغيراً من الزيتون الأخضر . ولمست أن أغلب الجالسين من العمانيين ، فيما عدا اثنين من الأوروبيين بادلهما فتحي التحية .

قال وهو يرتشف بيرته : الجالس ناحية اليمين من الـ «بى دى أو» . شركة النفط . والثانى هو المستشار الأنجليزى لوزارة البيئة وهو يجيد الحديث بالعربية وباللهجات المحلية أيضاً .

كان الشاربون يرتشفون كؤوسهم فى هدوء وعيونهم تسقط بين الحين والآخر على ظهور الفتيات الفلبينيات وسيقانهن ثم تنداح بعيداً . بينما الفتيات يتحركن فى توتر مكتوم . وخالجنى شعور بأنه هدوء مضلل وان هناك انفعالات صاخبة يموج بها المكان دون أن تظهر على السطح .

سألته : هل تعرف أحداً من أعضاء الجبهة ؟

تغيرت ملامحه وبدت عليه الصرامة : اسمع . كل ما له علاقة بالسياسة له حساسية شديدة هنا . السلطان وأعوانه يحتكرون العمل السياسى والتفكير والتجارة والنفط وكل شئ . والمخابرات قوية وبها خبراء انجليز وامريكان .

قلت : أنا سألتك سؤالاً بسيطاً .

مضى يرتشف بيرته ثم أضاف بصوت فقد حدثه وبلهجة من يسوس طفلاً

: عنيدا

- لم تعد هناك جبهة أو يحزنون . الاشتراكية ليست غير حلم لأن المال هو كل شئ فى الحياة . المال والبنون زينة الحياة الدنيا .

قلت : موافق معك . ولهذا السبب بالتحديد يتعين توزيعهما بالعدل كى يتمتع الجميع بزينة الحياة .

أنقذنا من نقاش مريـر ومألوف شاب فى دسداشة بيضاء حريرية تخلو من الشرشابة العمانية ، يغطى رأسه بالغترة السعودية ، اقترب منا وخاطبنا قائلا :

- الأخوان من مصر ؟

أومأنا بالإيجاب . قدم نفسه على أساس أنه صحفى من الرياض فدعاه فتحنى للجلوس معنا .

سألته : تقيم فى عمان ؟

قال : لا . جئت منذ أسبوع لتغطية الاكتشافات الأثرية الأخيرة .

شرح لى فتحنى أن البعثات الأجنبية اكتشفت مائة هيكل عظمى بشرى على بعد كيلومترين من الفندق يعود زمنها إلى أربعة الاف سنة قبل الميلاد .

أضاف السعودى : وجدوا أيضا فى ولاية هـيما شجرة صنوبر متحجرة من ست وعشرين مليون سنة .

طلب كأسا من الـويسكى واستطرد : أنا الآن مهتم بالسياسة الخارجية للسلطنة .

تساءلت : وما علاقة السياسة الخارجية بالاكتشافات الأثرية ؟

قال : لى أصدقاء كثيرون هنا واقترح على رئيس التحرير هذا الموضوع . المطلوب معرفة رأى الناس .

تدخل فتحنى : وما هو رأيهم ؟

قال : لم أتبينه بعد . إنهم فريقان : واحد لا ينبس بشئ والثانى يؤيد سياسة السلطان على طول الخط .

ضحكت : مثلما هو الأمر عندكم .

شاركنى الضحك : بالضبط .

قلت : هل تنوى البقاء طويلا ؟

قال : أنا فى الانتظار . طلبت مقابلة وزير الإعلام ووزير الخارجية . لم يرد على أحد حتى الآن . العلاقات متوترة قليلا .
تساءلت : بين السعودية وعمان ؟

قال : السلطنة تحاول انتهاج خط سياسى محايد بين كل الأطراف .
قال فتحى : وجهة نظرهم أن لكل بلد عربى الحق فى اتخاذ السياسة التى يراها وبالتالي فهم لا يتدخلون فى اختيارات الآخرين كما يفضلون عدم التورط فى المغامرات والتشنجات .

قال السعودى : أو قل إنها سياسة اللعب على الحبال . فى حرب الخليج رفضوا اتخاذ سياسة متشنجة ضد العراق ، واكتفوا بإرسال قوات رمزية إلى حفر الباطن .

قاطعته : رمزية ؟ القاذفات الأمريكية كانت تقوم من قواعد هنا .
قال فتحى : هذه سياسة تاريخية فى عمان . من أيام الخلاف بين سيدنا على ومعاوية . فهم يدينون بالمذهب الأباضى . وهو مذهب المعتدلين الذين رفضوا الانضمام إلى أى جانب .

قلت : ربما هو الموقع الجغرافى .. ايران من ناحية وأنتم واليمن فى الناحية الأخرى . ثم مضى هرمز الذى يتحكم فى مرور النفط .
وجه حديثه الى : هل رأيت الخرائط العمانية ؟ لن تجد أى إشارة للحدود مع الامارات .

هز فتحى كتفيه وقال : كل هذه الإمارات كانت جزءا من عُمان .
قال السعودى : المشكلة أن أحدا لا يعرف ماذا يريد قابوس بالضبط .
قال فتحى : ربما لا أكثر من أن يترك فى سلام لإنجاز مشروعات التحديث .
رفعت عينى الى صورة السلطان المعلقة فوق البار . والى عينيه السوداوين اللامعتين ولحيته المشدبة البيضاء . فى هذه المرة كان يضع على رأسه غطاء أزرق اللون .

جاءتنا النادلة الفلبينية تسأل إذا كنا نريد شيئا آخر لأن موعد الإغلاق يقترب . طلبنا كوين من البيرة وطلب السعودى كأسا مزدوجة من الويسكى .

قررت فى الصباح استكشاف المنطقة المحيطة بالمنزل على قدمى . فغادرت المبنى ومشيت حتى الطريق الرئيسى الذى يمتد حتى مطرح . سرت فى الاتجاه العكسى المؤدى الى الشيراتون . وبلغت الناصية التى تحتلها وزارة الدفاع فدرت الى اليسار وقطعت شارع سعيد بن سلطان حتى ناصية الشارع المؤدى الى المنزل . مررت من أمام مطعم هندى رخيص وآخر لبنانى يبيع ساندوتش الفلافل بمائتى بيسة . أشرفت على سوپرماركت كبيرفاتجهت الى مدخله . كدت أصطدم بفتاتين حدست من لهجة حديثهما أنهما عمانيتان . وكانت إحدهما سوداء البشرة ، سافرة الوجه عارية الرأس وترتدى بلوزة وبنطلون من الجينز .

وجدت السوق السوبر عامرة بالسلع المستوردة من كافة الأنحاء . اشترت علبة من الفول المدمس وأخرى من الجبن الأبيض الذى صنع فى هولنדה على الطريقة المصرية ويضع معلبات أخرى . ثم عدت من حيث جئت .

التقيت بالبواب الباكستانى فى مدخل المنزل . سألته عن ابن عمى وزوجته فعرفت ان أحدا منهما لم يعد بعد . ووقفت أثرثر معه بلغة هى خليط من العربية والأوردية وإيماءات الأيدى .

كان فتحى قد ذكر لى أن هناك حوانيت خاصة فى منطقة القرم تبيع الخمور للأجانب المزودين بتصاريح وهم فى العادة من الأوروبيين أو الهنود والفلبينيين ذوى الأجور المعقولة مثل سائقى البلدوزرات . وأن هؤلاء كثيرا ما يبيعونها بعد ذلك فى السوق السوداء لمن يرغب من العمانيين ويكسبون جيدا من وراء ذلك . فزجاجة الجن مثلا يشترونها بثلاثة ريالات ثم يبيعونها بخمسة .

كان عم جوهر ضخم الجثة بلحية كثة وملامح طيبة . وسرعان ما كنت أشاركه دكته الخشبية وأقود الحديث فى الاتجاه الذى أسعى وراءه . علمت منه أن الشقة المغلقة المجاورة لشقة ابن عمى مؤجرة لعمانى يعيش فى المنطقة الداخلية ويتردد عليها بين الحين والآخر . وبعبارة أخرى كما نقول فى مصر: يستخدمها لمزاجه .

لم يكن من الصعب وقد وصل حديثنا إلى المزاج أن أطلب منه حلا

لمشكلتى . وأبدى الرجل تفهما وتعاطفا فوعد بأن يأتينى بعلب البيرة. كان ثمنها لا يزيد عن سبعمائة بيسة لكنى قبلت عن طيب خاطر أن أدفع فى الواحدة ريالاً كاملاً مقابل خدمة إضافية : أن يضعها فى براده ويزودنى بها عندما أطلب ويخفى الأمر عن زوجة ابن عمى .

تركته سعيداً بدهائى وصعدت إلى المسكن . فتحت الباب وذهبت إلى المطبخ فوضعت مشترياتى فى مكان ظاهر لتكتشفها شفيقة بسهولة عند عودتها من المدرسة وتطمئن على أن وجودى لن يؤثر فى عدد الريالات التى تجمعها واحداً فوق الآخر فى حرص شديد .

لم أكد أعود إلى الصلاة وأهم بتشغيل التليفزيون حتى دق جرس الباب ففتحت لأجد جوهر أمامى . ظننت للوهلة الأولى انه أحضر لى طلبى لكنه مد يده إلى بمظروف سميك يحمل اسمى قائلاً أن شخصاً أحضره فى التو.

تناولت المظروف ومزقت طرفه بعد أن أغلقت الباب خلفه . استخرجت كراسة محفوظة بين دفتى غلاف سميك من الورق المصقول الملون . جذبت الغلاف فاستجاب لى وانفصل عن الكراسة . بسطت جانبيه فطالعتى طبق محاط بالشوكه والسكين والملعقة وكأس نبيذ يعلوه رمز الموسيقى وبيانو مائل .

عدت الى الصلاة فوضعت الورقة جانباً ثم بسطت الكراسة . وجدتها مجلة صغيرة الحجم ، متواضعة الإخراج ، طبعتها السرية بطابعها ، يحمل غلافها السميك اسم «صوت الثورة» وتاريخ يونيو ١٩٩٢ . قلبت صفحاتها ثم عدت إلى الصفحة الأولى التى حملت عنواناً غريباً يعلن أن المجلة قررت التوقف عن الصدور نهائياً ، بعد «مسيرة نضالية» عمرها عشرون سنة ، كى تفسح المجال لصوت آخر غيرها يعبر عن «المرحلة الجديدة» من النضال . كان قسم كبير من المجلة مخصصاً لما أسمته «المؤتمر الرابع للجهة الشعبية لتحرير «عمان» الذى عقد فى أوائل شهر يونيو أى منذ ما يربو على نصف العام ، فى أعقاب ما أسمته بـ «لصعوبات والخلافات التى شهدتها السنوات الأربع الأخيرة» ، وافتتحه الأمين العام الرفيق عبد العزيز القاضى . وقالت إنه انتهى بإقرار برنامج سياسى جديد وانتحال اسم جديد هو «الجهة الشعبية الديمقراطية العمانية» .

استعرضت المجلة أعمال المؤتمر وقراراته مستهلة بتحليل عوامل

الخلافات التي شهدتها «الجبهة» وهي : الإخفاقات العسكرية، انهيار المعسكر الاشتراكي، سياسة التحديث الواسعة التي قام بها قابوس وسحبت كثيرا من الكوادر، والسياسة الواقعية التي سار عليها في السنوات الأخيرة على الصعيدين الداخلي والخارجي، مرونة التعامل مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومع الدول العربية التي رفضت الغزو الأميركي في أزمة الخليج كاليمن والأردن. وأخيرا السياسة التدريجية في مجال المشاركة الشعبية وتمثلت في تحويل المجلس الاستشاري العماني إلى مجلس للشورى لا يختار السلطان أعضائه مباشرة وإنما يقوم «وجهاء» كل منطقة باقتراح ثلاثة مرشحين يختار منهم السلطان واحدا.

استخلص العرض من ذلك أن المهمة المركزية لم تعد هي إسقاط النظام لأن ذلك لم يعد ممكنا بالنسبة لإمكانات الجبهة ورؤيتها ولا مرغوبا من جانب الشعب. وبالتالي فهي تدعو النظام إلى المصالحة على أرضية الاستجابة للمطالب الشعبية بأن يتخلى هو الآخر عن العنف. وشدد العرض على أن قضية السيادة الوطنية تنصدر المطالب الشعبية ودعا إلى الغاء الانفاقية المبرمة مع الولايات المتحدة في سنة ١٩٨٠ والتي وفرت للولايات المتحدة تسهيلات عسكرية واسعة وجددت لمدة عشر سنوات أخرى في عام ١٩٩٠، كما دعا إلى العمل بالوسائل السلمية على تحقيق وحدة عمان الطبيعية المقسمة حاليا إلى دولتين هما سلطنة عمان ودولة الإمارات العربية المتحدة.

هذه اللهجة المسالمة لم تمنع المجلة من التنديد في إطار مستقل بمأسمة «استمرار الحكم العشائري والفردى»، و«استمرار انتهاك حقوق الانسان العماني». قالت إن المعارضة تتعرض للملاحقات والاعتقالات ويتعرض المعتقلون للتعذيب الجسدي والنفسي ويحرمون من الضمانات القانونية لعدم وجود محاكم عصرية. وهاجمت استمرار الحصار المفروض على قرى ومدن الجبل الأخضر ومدينتي رخيوت وضلكوت في ظفار. إذ يطلب من سكان هذه المناطق تقديم ما يثبت أنهم من أبنائها ليحصلوا على ترخيص بالدخول والخروج.

وضعت المجلة جانبا وأنا أفكر. كنت معتادا على أمثال هذه النشرات التي تصلني في القاهرة. بعضها علني بالبريد والبعض الآخر سرى باليد. لكن السؤال الذي عرض لي هو كيف عرف المرسل بعنواني بل بوجودي أصلا ولم تمض عليه سوى ثلاثة أيام؟

عدت إلى الغلاف الملون وقرأت السطور القليلة التي حملها باللغتين العربية والانجليزية: اشراح الصدر تدعوكم لكي تنسوا همومكم كل يوم سبت وذلك عندما نقدم لكم التشكيلة الرائعة من المأكولات وأفضل أنواع النبيذ والألحان المألوفة من عهد جلين ميلر في مطعم القرم بفندق انتر كونتيننتال .

لم أكن سمعت عن هذا الجلين ميلر من قبل . لا بأس . لكن ما العلاقة بينه وبين الجبهة؟ هل هي مجرد ورقة أراد المرسل ان يغلف بها المجلة وحسب أم هي رسالة أخرى؟ ثم كيف عرف أنني سأكون موجودا في هذا الوقت بالذات بمفردى؟ أم لا يهمه إن وقعت في يد أصحاب المسكن الأصليين؟ وقادنى السؤال الأخير الى سؤال آخر: ماذا أفعل بها؟ هل أتخلص منها أم أحتفظ بها؟ لم أكن لأنسى المرة التي التجأت فيها الى منزل فتحي في القاهرة هربا من الاعتقال وكيف كانت شفيقة تفتش كل شعرة من حاجياتي ثم دفعت ابنتها لتمزيق زراير قمصاني لتجبرني على الرحيل.

مضيت الى غرفتي فدسست المجلة بين طيات ملابسى فى حقيبة السفر. انتقلت الى المطبخ وأشعلت الفرن ثم استخرجت بقايا طعام الأمس من البراد.

كانت فى انتظارنا سيارة فان أمريكية تحمل أجهزة التسجيل والتصوير واثنين من الفنيين . وخلفها سيارة جيب يابانية بها شابان بالملابس التقليدية أحدهما صاحب النظارة الطبية الداكنة الذى التقيته من قبل .

صعدت إلى جوار فتحي فى السيارة الأولى ومررنا بمسجد قابوس الفخم ثم خرجنا إلى شارع قابوس قرب مقر قيادة شرطة عمان السلطانية. أشار فتحي إلى مساحة خضراء كثيفة خلفها فقلت :

- حديقة قابوس .

ضحك : فعلا . لكنها مشروع رائع يرمى إلى تكوين محمية طبيعية للنباتات

والحيوانات .

لزمنا شارع قابوس ثم تركنا مدينة قابوس على يسارنا وواصلنا السير مروراً
بمعرض سيارات قرأت لقب أحد الوزراء فوق لافتته . علق فتحي على استفساري
قائلاً :

- هنا لا يجدون عيباً في أن تكون وزيراً وتاجراً في نفس الوقت .
أوشكت أن أعلق مستنكراً ثم تذكرت وزراءنا الذين يتاجرون سرا .

أشرفنا على الدوار المؤدى إلى المطار وتوقفنا لتزود بالوقود من محطة تابعة
لشركة النفط الانجليزية ثم اتجهنا يساراً في طريق مرصوف ظهرت مداخلها بعض
المصانع على يساره .

مررنا بمجموعة من المنازل الحجرية الصغيرة ذات طراز موحد يتألف من
طابق واحد مستقل بحديقة صغيرة وسور يفصله عن المنزل المجاور . ومن الجدران
برزت أجهزة التكييف كما ظهرت خزانات المياه فوق الأسطح .

قال فتحي إنها مساكن شعبية تبنيتها الدولة ويختار المواطن بينها وبين هبة
مقدارها ٦٠٠٠ ريال إذا فضل أن يقوم بترميم مسكنه القديم .

بلغنا مدينة سمائل بعد حوالي مائة كيلومتر فتوقفنا للراحة . ترحلنا وخرجنا
من الطريق الأسفلتي إلى ميدان مترب ، أقيمت به سوق صاخبة تمتد معروضاتها
من قلوب النخيل وعسل النحل وشمعه والجبن والزبد الى أغنام وأبقار بعضها
حديث الولادة . لاحظت غلبة العنصر النسائي بين الباعة وكان البعض منهن يغطين
وجوههن بأقنعة جلدية حادة الزوايا مثل الأقنعة الحديدية التي كان يضعها فرسان
العصور الوسطى تبدو منها عيون واسعة عسلية قوية وأحياناً تبدو أيضاً الشفاه .
والبعض الآخر كمن سافرات تماماً .

استأنفنا السير بعد قليل ووصلنا مدينة نزوى بعد ساعة . أخذني فتحي إلى
سوقها المسقوف الذي خصص له مبنى حديث مسور يشرف عليه السجن والقلعة
الدائرية الضخمة . ولجنا من أحد المداخل ومررنا بحوانيت حديثة متلاصقة تضم
كل شيء من الملابس والسجاد والصناديق الخشبية الى الحلوى المسقطية
والعطور الواردة من الهند وآسيا .

توقف فتحي كعادته أمام المشغولات المعدنية : أساور وخواتم وحلقات
وخلخيل ذات زخارف دقيقة من أشكال الزهور وأوراق الشجر . لم تكن بعض

الأساور كاملة التدوير وزخرف أكثرها بكريات بارزة مثل التي رأيتها فوق الأبواب الخشبية العتيقة . أما العقود الفضية والذهبية فتنتهى بميداليات مرصعة بالآيات القرآنية وأوبريال ماريا تريزا الفضى الذى كان العملة السائدة فى بداية القرن .

علق على الأشكال السائدة التى تتميز بفجاجتها :

- كل هذه الحلى التى تراها جديدة فى الصياغة وفى النقش . فالناس يحضرون ما لديهم من قطع قديمة ليعاد صهرها وصياغتها . تأثير الخليج .

تطلع فى ساعته وغادرنا السوق . وفى هذه المرة ركبنا السيارة الجيب وتولى الشاب ذوالعوينات الطبية قيادتها فى طرقات متعرجة بين بيوت تطل الأشجار من فوق أسوارها الحجرية . وتبعتنا السيارة الأخرى الى الطريق الرئيسى . قال فتحى : سالم درس التصوير التلفزيونى عند أصحابك .

التفت الى صاحب النظارة الداكنة مستفسرا . ظل وجهه خاليا من أى تعبير مستغرقا فى القيادة . نقلت البصر الى فتحى فقال لى : تعلم فى بلغاريا . ولهذا السبب لم يعين فى التلفزيون وجاء من نصيبنا .

كنا نسير فى منطقة صخرية تحف بنا الجبال شاهقة الارتفاع تكسوها الخضرة الكثيفة فى بعض المناطق . انحنى الطريق قليلا الى اليسار ومررنا بطريق جانبي مرصوف .

أشار فتحى بالتوقف قائلا : تعال نريك تنوف .

عدنا الى الورا ثم انحرفنا فى الطريق الجانبى ومضينا فيه ما يقرب من ربع الساعة إلى أن أشرفنا على بضعة مبان قديمة .

غادرنا السيارة وقادنا سالم وسط منطقة مهجورة تناثرت فيها الأحجار والأعشاب حتى اقتربنا من جدران قائمة بلا سقوف أو أجزاء من سقوف . أشار سالم الى الثقوب المنتشرة فوقها وقال :

- الانجليز قصفوا القرية بالطائرات سنة ٥٦ ودمروها عن آخرها وقضوا على كل أهلها . هذا هو كل ما تبقى منها .

تطلعت حولى فى حيرة :

- أليس المفروض أن تذكر هذه المعلومات فى لافتة . ليس هناك ما

يشير حتى إلى اسم المكان .

أطرق برأسه إلى الأرض وقال : السلطات لا تحب نبش الماضي .
قلت : نحن اذن قرب الجبل الأخضر .
- هو فوقنا تماما .

لم يكن هناك ما نفعله سوى أن نعود أدراجنا . ولحقنا بالسيارة الأخرى عند مشارف مدينة بهلا . ثم واصلنا السير مسافة مماثلة لنزور حصن جبرين .
أشرفنا على جدران صخرية عالية تتوسطها بوابة ضخمة موصدة . ترجلنا في باحة ضيقة واقتربنا من بوابة في أسفلها فتحة صغيرة تشكل بابا خشبيا وقف أمامه حارس بالزى المألوف يمسك ببندقية قديمة . أفصح لنا فولجنا ممرا مسقوفا قادنا الى باحة داخلية .

كان ثمة صف من المباني الواطئة الى اليسار ضمت في الماضي اصطبلات الخيل ومخازن المؤن ومساكن العبيد و ثكنات الجنود وأجنحة الخدم . ارتقىنا سلما طويلا عموديا الى سطح تتخلل سياجه فتحات ضيقة تبرز منها فوهات مدافع قديمة صدئة والى جوارها القذائف المعدنية المستديرة .

أشار سالم الى فتحة عند حافة السطح وقال :

- هذه الفتحة تطل مباشرة على مقدمة المدخل . وهناك سبع فتحات عند كل مستوى من مستويات الحصن تطل من خلال بئر كهذه على فتحة المدخل وعلى الفتحات التى تسبقها . وبهذا فكل من يقتحم المدخل معرض للقتل عدة مرات فان نجا عند باب لن ينجو عند الأبواب الأخرى التى تحرسها الفتحات الموجودة عند الأبواب التالية لها .

قادنا الى فتحة أخرى لها غطاء خشبي . رفعه فظهرت شبكة من القضبان الحديدية الأفقية وأسفلها غرفة عميقة الغور ملساء الجوانب .

قال : من يحكم عليهم بالاعدام يرمى بهم هنا بعد تعذيبهم ولا ينفذ فيهم الحكم إلا بعد أن يعترفوا .

أعاد الغطاء الثقيل إلى مكانه فى صعوبة ثم دفع المزلاج بقوة . وقال كأنما يفسر الأمر أو يعتذر عنه :

- تاريخ عمان ملئ بالقلقل والأطماع والغزوات . كل قبيلة تريد الإمامة التى تتم بالانتخاب . وكل أسرة من كل قبيلة تريد أن تسود هى باقى الأسر .

هبطنا الى الباحة وولجنا القصر. ألفينا أنفسنا فى غرف واسعة رحبة جيدة الاضاءة والتهوية رغم سمك الجدران الصخرية خصص بعضها للسلطان والبعض الآخر لجلسات الحكم والقضاء . وكانت السقوف محلاة بزخارف مستوحاة من الزهور والنباتات ، ظهر فيها تأثيرالفنين الفارسى والأفريقى. وفى السقف الخشبى المزخرف علقت المروحة : قضيب نحاسى تتدلى منه شرائط من القماش . وكان ثمة حجرات صغيرة بين كل طابق أعدت لتكون بمثابة حمامات فزودت بفتحات يرفع الماء خلالها من بئر القلعة . وفى زاوية السلم العريض لكل طابق حجرة ضيقة ذات باب قصير سميك من الخشب مخصصة لسجن الرجال تقابلها فى الطابق التالى حجرة مماثلة مخصصة لسجن النساء .

تخيلت الحياة تدب فى المكان . الرجال المشغولون بأسلحتهم ونزاعاتهم والنساء اللاتى لا يرين العالم الخارجى الا فيما ندر ويمثل القصر كل شئ فى حياتهن . يتنقلن بين أرجائه ويتبادلن الزيارات والشجارات الصغيرة . ويتوافد الخدم والعبيد من المساكن المخصصة لهم أو من خارج الحصن . يتولى بعضهم تحريك قضبان المراوح بالساعات . فاذا تهاون أو أخطأ تعرض للعقاب.

هبطنا السلم الى ما تحت مستوى الأرض . وقفنا فى مدخل حجرة معتمنة فى قاعها قبر السلطان يلعب الذى حكى سالم قصته : أبوه هو الذى بنى القصر فى اثنى عشرة سنة منذ ثلاثة قرون ونصف وترك لابنه دولة مزدهرة . لكن الابن كان كريما طيب القلب ، فالتف حوله الرعاى وخرج عليه أخوه سيف الذى انحازله الفقهاء والمشايخ . دارت معارك متعددة بين الأخوين راح ضحيتها الكثيرون . وجرت آخر هذه المعارك فى الشمال من نزوى هزم فيها يلعب فارتد محتميا بمدينته لكن أعيانها منعه من دخولها فالتجأ إلى هذا الحصن وانزوى فيه . حاصره أخوه وظل يهاجمه محاولا اقتحامه ودافع يلعب مع حاشيته وزوجاته وحرسه عن الحصن حتى يئس فالتجأ إلى هذه الغرفة وحفر قبره وركد فيه ثم ودع أهله وابتهل إلى الله أن يموت فاجابه الله إلى طلبه .

علقت قائلا : قصة مأساوية .

قال بوجه خلا من كل تعبير: المأساة الحقيقية ان القاتل وهو سيف دخل تاريخ عمان بل التاريخ العربى كله من أوسع الأبواب . فقد تمكن من توحيد البلد

كلها تحت سلطانه وحقق السلام والعدالة فى ربوعها وانتزع من البرتغاليين ممباسا وزنجبار، وكون اسطولا قويا مزودا بأقوى المدافع فرض به سيطرته على البحار من حوله . التاريخ لا يهتم إلا بالنتائج .

فكرت فى عبارة سالم الأخيرة ونحن نغادر الحصن ونستقل السيارة .
انتظرت حتى دار بالسيارة لنعود من حيث جئنا ثم سألته : كيف ذهبت الى بلغاريا ؟

ظل صامتا برهة ثم قال : بعثة .

أبدت دهشتى : هل كان قابوس يرسل بعثات الى الدول الشيوعية ؟

قطب جبينه وقال : الجبهة هى التى أرسلتني .

قلت وما زلت مدهوشا : جبهة ظفار ؟

قال بلهجة المدافع عن نفسه :

- كان لى ابن عم بها فساعدنى على الذهاب الى عدن وهناك حصلت

سنة ٧٤ على منحة دراسية فى بلغاريا.

سألته : ومتى عدت الى عمان ؟

قال : منذ ثمانية أعوام تقريبا.

حسبت المدة وقلت : يعنى بقيت هناك عشر سنوات . ولم تواجه أية

مشاكل عند عودتك ؟

قال : أبدا . الثورة كانت انتهت وأصدر السلطان عفوا عاما.

قلت : وماذا حدث للجبهة ؟ هل انتهت هى الأخرى ؟

قال : لم يعد أحد يسمع بها.

- ألا تعرف أحد من أعضائها ..هل يمكن مقابلة أحدهم ؟

هز رأسه نفيا.

غيرت مجرى الحديث وسألته اذا كان متزوجا فأجاب بالإيجاب وأن لديه

ثلاثة أطفال ، ولدين وبنتا.

توقفت السيارة فى سهل فسيح منبسط تناثرت فيه الأشجار شديدة الخضرة.

نزلنا نحرك سيقاننا. وأشار سالم إلى مجرى مائى يمتد مسافة طويلة وتلمع مياهه

الصفافية تحت أشعة الشمس .

- الفلج . إحدى العجائب العمانية أو قل إحدى عجائب التاريخ والحضارات . مثل الأهرامات عندكم .
- ما وجه العجائية ؟
- ليست مجرد قناة للمياه الجوفية . انها نظام متكامل من قنوات معقدة التكوين .
- انضم الينا سائق الفنان ووقف يتأمل المياه . كان قصير القامة ضامر الجسد تكاد رأسه تختفى أسفل مصرّته .
- سألت : من الذى بناها ؟
- تطوع السائق للإجابة : القديمة بناها النبي سليمان . وبعد ذلك قلده الناس .
- النبي سليمان جاء إلى هنا ؟
- الله يسلمك . جاء فى موكب على أجنحة الريح .
- لكن من الذى قام بالبناء ؟
- الجان . أقام سليمان عشرة أيام وفى كل يوم كان الجان يحفرون ألف قناة .
- معقول . ألم يكلم النمل . والجديدة حفرها الجان أيضا ؟
- ضحك سالم وقال : لا . هناك الآن متخصصون فى حفر الآبار والأفلاج . بل قبيلة كاملة اسمها العوامر . لديهم خبراء بمواقع الماء تحت الأرض . يلقب الواحد منهم بالباصير . وهو يتفحص التربة ويحدد وجود الماء وعمقه . بعد ذلك يحفرون مجرى الفلج ويمدونه تحت الأرض فى نفق ، ولمسافة تمتد عدة كيلومترات .
- علق فتحنى : هناك فلج حديث بالإمارات استغرق حفره بطول كيلومتر ونصف كيلومتر حوالى ثمانية عشر عاما من العمل المستمر .
- قال سالم : الفرس هم الذين ابتدعوا الأفلاج عندما كانوا يحتلون المنطقة فى عهد الساسانيين . وكلمة فلج مستمدة من جذور سامية تعنى تقسيم الملكية إلى أنصبة والمقصود عملية تنظيم وتوزيع المياه بين من ساهموا فى بنائها وصيانتها .

- عين العدل.

- ليس تماما . فالأغنياء هم الذين استفادوا منها إذ تولى كبار الإقطاعيين بنائها وإدارتها واحتكروا مياهاها. المفروض أن تكون سقاية الماء من الأفلاج حرة مشاعة للجميع.

لم يعلق أحد ومشينا فى صمت إلى السيارتين . توقف سائقنا ليحرق فى سيارة شيرووكى بألوان مبهرجة وكشافات إضافية وهوائيات متعددة . تابعها ببصره مدة طويلة إلى أن اختفت ثم قال : سأشتري واحدة لى .

سألته عما إذا كان راتبه من الوزارة يمكنه من ذلك فقال :

- سأترك العمل بالوزارة قريبا وأعود إلى التجارة .

- وبماذا ستاجر ؟

- العمال .

- لم أفهم .

- أحضرهم من الخارج وأؤجرهم لمن يشاء مقابل عشرين ريال فى الشهر

عن كل رأس .

- كيفيل يعنى ؟

- نعم .

واصلنا السير حتى بهلا فتوقفنا عند الفندق الذى سنقضى به الليلة . واجتمعنا لتناول طعام الغذاء حول مائدة كبيرة قرب مسبح مستدير . وتولى خدمتنا طاقم من الهنود .

جاء مكان السائق إلى جوارى . سألته عن عمره فضحك وقال إنه لم يتجاوز بعد الخامسة والثلاثين . أمعنت النظر فى الغضون التى تملأ وجهه وفمه الذى أوشك أن يخلو من الأسنان ثم سألته عما إذا كان متزوجا .

قال : اثنتين ، واحدة عمانية والثانية هندية .

علق على دهشتى : الرجال عندكم فى مصر يتزوجون أيضا اثنتين . أليس

كذلك ؟

قلت : أربعة .

أضفت : هذا كان فيما مضى . فمن يقدر الآن على واحدة ؟

أمن على حديثي مبتسما وقال : خصوصا المصرية .

قلت : لكن لماذا هندية ؟

قال : إرادة ربنا . كنت أتردد على الهند كل سنة . أنا في الأصل تاجر أقمشة قبل أن التحق بالوزارة . وفي الهند أقيم شهرا . وهناك يمكن تقريبا أن تشتري الهندية .

- والعمانية تعرف أنك متزوج في الهند ؟

- طبعا تعرف . لأننا نعيش سويا الآن .

- هنا في عمان ؟

- أجل . فالسلطان أصدر قانونا يحرم الزواج من أجنبيات . لأن الرجال انصرفوا عن البنت العمانية وصاروا يتطلعون إلى الزواج من بنات متعلمات أو متحررات . وأعطى السلطان مهلة اشترط خلالها إجراءات معينة لتقنين الزيجات القائمة فعلا . كان لا بد من إحضار الهندية . فلم أرد التخلي عنها بعد أن صارت أما لأولادي .

- الاثنتان في بيت واحد ؟

- طبعا . العلاقات بينهما على أحسن ما تكون .

قلت وأنا ألتقط حبات الجمبري : لا بد أنك تعدل بينهما .

قال بثقة مطلقة : لا أترك لهما فرصة للشكوى .

- ألا تفكر في واحدة تالفة ؟ مصرية مثلا ؟

قال بجدية شديدة : ليس الآن . ربما في المستقبل .

- بس خلى بالك . المصرية صعبة للغاية . لن تقبل الحياة مع ضرتين .

لم تهتز ثقته بنفسه .

أجلت النظر حولي وعلقت على فخامة الفندق فقال فتحي : انتظر حتى

تري قصر البستان .

سألت : أهو فندق ؟

قال السائق : تكلف ٢٨٠ مليون ريال واستغرق بناؤه سنتين .

ضربت الرقم كعادتي في ٨ وأطلقت صفيرا : ٢٢٤٠ مليون جنيه . ملياران

وربع مليار جنيه أو ٧٥٠ مليون دولار !

قال فتحي كأنما يلتمس تبريرا لهذا السفه :
- أقيم لتعقد به قمة مجلس التعاون الخليجي .

قال السائق بصوت محايد :

- بعد افتتاح الفندق بمدة لاحظ جلاله السلطان أن شعار الفندق قريب
الشبه من شعار السلطنة فأمر بتغييره . وتكلف ذلك فقط ٣ مليون ريال .
صفرت مرة أخرى : ٢٤ مليون جنيه لتغيير الشعار !
استطرد بنفس الصوت المحايد : تطلب الأمر تغيير كل الأطباق والشوك
والسكاكين والأكواب والمفارش والملاءات والستائر إلخ .

صبيت لنفسى كوبا من المياه المعدنية . وتبينت أن الزجاجاة تحمل اسم
القرية التي دمرها الانجليز وزرناها منذ قليل .

قلت لسالم وأنا أعيد الزجاجاة الى مكانها بحيث تواجهه اللوحة الملونة التي
تحمل اسمها باللغتين العربية والانجليزية :
- التاريخ أيضا لا ينسى .

تأمل الزجاجاة باستغراق ثم التفت الى قائلا :

- ألا تحب الصعود إلى الجبل ؟

نهضت على الفور واستمهلتته حتى غسلت يدي ثم أخذنا السيارة الجيب
وخرجنا مرة أخرى الى الطريق الرئيسي وانطلقنا فى اتجاه نزوى .

قلت : كان لى صديق عمانى من هذه النواحي . كان يتحدث عن الجبل
الأخضر ونزوى . اسمع .. أتذكرانه تحدث عن قرية لها اسم له علاقة باليسار .
وكنا نتندر بذلك .. يعنى مثلا اليسرى أوالتقدم أو نجمة .. حاجة زى كده ..
- توجد هنا قرية مشهورة اسمها الحمرا .. ربما تكون هى .

- هل يمكن أن نسأل عنه ؟

قال : سنرى .

انعطفنا بعد مسافة قصيرة فى طريق جانبي الى اليسار يميل الى أعلى .
واصلنا الصعود مسافة تربو على عشرة كيلومترات . ولحظت أن التربة تكتسب لونا
أحمر بالتدرج .

توقفنا أمام تليفون عمومى على الطريق ، ثم عبرنا الطريق وولجنا القرية .

سألني: ما لقب صديقك ؟

قلت : لا أذكر ..

التفت الى مستغربا فأضفت : هذا كان من زمن بعيد . من أكثر من ثلاثين سنة.

- بالكاد كنت ولدت .

- أي سنة ؟

- سنة ٥٧

- هذا هو تقريبا الوقت الذي تعرفت فيه بيعرب .

- هذا اسمه ؟

- لست متأكدا .

- كيف ؟

اخترت كلماتي بعناية :

- تعرفت عليه في ظروف خاصة بالقاهرة . كان مضطرا لاختفاء اسمه

الحقيقي . ربما كان هو يعرب . لا أذكر .

- ولم تره من وقتها ؟

- ولا مرة .

قال : كيف سنستدل عليه اذا كنت لا تعرف لقبه ؟ الناس هنا عائلات

وقبائل .

اخترقنا طرقات نظيفة يلعب بها الأطفال إلى ساحة مركزية تحيط بها عدة

مبان حديثة البناء متواضعة الشكل تتألف من بقالة ومدرسة وعيادة طبية ومقر

إداري .

تركنا السيارة في الساحة وانطلقنا في طرقات ضيقة حتى بلغنا مسجدا

صغيرا . اقترب سالم من المدخل وأطل داخله دون أن يجتاز عتبه بقدميه . ثم هز

رأسه وكرر راجعا .

اتجه إلى منزل صغير ملاصق للمسجد ومكون من طابق واحد وطرق بابا

خشيبا حديث الدهان بألوان فاقعة .

كانت واجهة المنزل مؤلفة من نوافذ خشبية مغلقة خلف قضبان أفقية من

الحديد . كسر الطرق ، فانفجر مصراع نافذة عن رجل أصلع في حوالى الأربعين من عمره . ألقى عليه سالم السلام ثم سأله عن أبيه .

ظل الرجل يتطلع إلينا صامتا ثم اختفى في الداخل وأغلق مصراعى النافذة خلفه . مضت دقائق . وكنت سأقترح عليه أن يطرق الباب مرة أخرى عندما انفتح فجأة وظهر في فتحته عجوز ضئيل الحجم ذو عينين يقظتين ولحية بيضاء كثة تنسدل فوق صدره . تأملنى بامعان ثم تحول إلى سالم وصافحه فى تحفظ قائلا : كيف الحال ؟

قال سالم : الحمد لله .

قال الشيخ : كيف الجماعة ؟

قال سالم : بخير والحمد لله .

قال الشيخ : كيف الأهل والأولاد؟

قال سالم : الحمد لله . طيبين . بخير .

صمت الشيخ . وانتظرنا إلى أن قال بعد فترة :

- من هين الأخ ؟

أجاب سالم : من العاصمة .

قال الشيخ : تفضلوا عندنا .

قال سالم : أحسنت . مشكور .

قال الشيخ : كيف الأحوال فى العاصمة ؟

قال سالم : بخير . الأخ من مصر . وهو يسأل عن صديق .

رفع الشيخ حاجبيه وتأملنى من جديد فى إمعان .

استطرد سالم : كان له صديق عُمانى فى القاهرة . من ثلاثين سنة . وليس

متأكدا من اسمه .

قلت معذرا : الذاكرة أصبحت ضعيفة . ربما كان اسمه يعرب .

قال الشيخ : من هنا ؟ من الحمرا ؟

قلت : نعم .

فكر الشيخ قليلا ثم قال : هناك كثيرون بهذا الاسم .

قلت فى لهفة : عمره الآن لا بد يقترب من الستين . كان يتعلم فى الجامعة فى مصر .

هز الشيخ رأسه ببطء : من أى عائلة ؟

تدخل سالم : للأسف لا نعرف .

قلت فجأة : كانت معه اخته . وكانت تدرس أيضا فى الجامعة .

سألنى الشيخ : هل تذكر اسمها ؟

هل أذكره ؟ قلت : أظن أنه شهلا .

التفت سالم فى حدة نحوى وفتح فمه ثم أغلقه دون أن ينبس بحرف .

أطرق الشيخ برأسه إلى الأرض وقال فى حسم : ليسا من هنا . لا أعرف

أحدا يهذين الاسمين . تفضلوا عندنا .

قال سالم : أحسنت . لا بد أن نذهب .

استدار الشيخ ودخل المنزل قائلا : مع السلامة .

وقبل أن نتحرك كان قد أغلق الباب فى وجهينا .

سألت ونحن نخطو بعيدا عن المنزل : تعرفه من قبل ؟

قال : أبدا . هو شيخ المسجد . وإذا كان لا يعرف فلن يوجد من يعرف

غيره .

- والمجلس البلدى ؟

- لن نحصل على شئ منهم . فكلهم شبان يعملون فى النظافة ورش

المنازل بالمبيدات والتفتيش على المتاجر .

سألت : ألا يوجد هنا أو فى مسقط ناس من الذين شاركوا فى الثورة ؟

توقف عن السير واستدار نحوى : أى ثورة ؟

قلت : ثورة ١٩٥٧ التى قادها إمام لا أذكر اسمه .

قال : الإمام غالب . يوجد بالطبع لكنى لا أعرف أحدا منهم .

استأنف السير وعدنا إلى السيارة وهو يسبقنى بخطوة كأنما يضع حاجزا غير

مرئى بيننا .

قال : سنبدل محاولة أخيرة فى القرية التالية .

انطلقت السيارة صاعدة إلى الجبل . ولم يعد الطريق مرصوفا وإنما ممهدا

تتخلله مناطق وعرة . ودار بنا عدة دورات وضعتنا على حافة هاوية سحيقة أو واد . وانتشرت أمامنا خضرة كثيفة ومسطحات خضراء . تعلقت بباب السيارة ونحن ندور فى طريق ضيق يطل على هوتين . وأخيرا توقفنا فى ساحة صغيرة بين عدة منازل إلى جوار شاحنة بيك أب . وغادرنا السيارة .

كان ثمة عدة رجال متجمعين فيما بدا أنه مدخل القرية . وجلس بعضهم فوق سور حجرى بينما ظل الآخرون وقوا . ومن أول نظرة استوقفتنى وجوههم . كان يبدو عليها القدم والمتحفية رغم ان أغلبهم كان فى أواسط العمر . القدم وشئ ما من التشويه أو الخلل . كأن يكون الوجه أكثر طولاً من المألوف أو مائلاً إلى إحدى الجهتين أو نحيلاً بشكل غير عادى أو تكون الجبهة ضيقة للغاية أو عريضة للغاية . كانوا يرتدون الجلابيب المألوفة وارتدى احدهم فوقها سترة أوروبية قصيرة . واصلوا حديثهم فى لهجة لم أستطع تمييزها بينما كانوا يلاحظوننا خلسة .

اقتربنا منهم ووجهنا إليهم التحية فاستقام الجالسون وقوا وتصافحنا . وجرت طقوس التحية المألوف : كيف الحال وكيف الجماعة والأهل والأولاد ثم الدعوة التقليدية : تفضلوا عندنا .

ورد سالم بالطريقة المنتظرة : أحسنت ، متمشيين .

عندئذ أطرقوا برؤوسهم كأنما يدركون ما يدفع الأعراب لزيارة قريتهم النائية .

سألت سالم ونحن نخطو فى طرقه ضيقة بين منازل مغلقة الأبواب :

- هل يعرفونك ؟

- أبدا .

مررنا بخزان مياه كبير الحجم طبعت عليه عبارة وزارة الكهرباء والمياه تمتد منه أنابيب رفيعة بحذاء الجدران الى حوض أسمنتى به حنفية عمومية . وعبرنا نفقا مظلماً أسفل أحد المنازل ، وأوشكت أن أفقد توازنى فوق درجات حجرية ضيقة نحتتها الأقدام عبر الأعوام .

بدت القرية كأنها أقيمت بصورة عمودية على سطح الجبل بعدة مستويات وبصورة عشوائية فتراكمت البيوت الصغيرة فوق بعضها دون نظام ، وتخللتها حقول صغيرة منحدره . وقفت أمام بيت أقيم فوق صخرة مائلة ، فبدا موشكاً على السقوط

واعتمد عليه منزل آخر يتألف من مستويين علقت في نوافذه قلل الماء الفخارية لتبرد .

مر بنا صبي وفتاة على أعتاب المراهقة . كانا يجريان ضاحكين ولاحظت شحوب وجهيهما وهزال جسديهما . ولمحت في نهاية الدرجات وبين الأوراق الخضراء العريضة لأشجار الموز، ركنا واراف الظلال يتردد فيه صوت انسياب المياه من مكان ما وزقزقة العصافير . وكان ثمة عجوزان يتبادلان الحديث دون أن يأبها لنا .

اتجه سالم اليهما وبقيت مكاني . ترامت الي سمعي التحيات المتبادلة ثم مرت لحظة من الصمت هز الاثنان بعدها رأسيهما بالنفي . وتردد أذان المغرب في قوة بين الأشجار والنخيل .

انضم سالم اليّ فقلت وأنا أفكر في المنحنيات الضيقة التي تشرف على الهاوية :

- الأفضل أن نعود قبل أن يسود الظلام .
وأخذنا خطواتنا عائدين إلى السيارة .

* * ٦

غادرنا الفندق بعد الإفطار وخرجنا إلى ساحة واسعة في ظاهرا البلدة تجمع بها حشد من الرجال في الملابس التقليدية يحملون السيوف اليمينية المقوسة والبنادق والأعلام العمانية ذات الألوان الحمراء والبيضاء والخضراء .

كانوا يشكلون صفوفًا مستعرضة يضم كل صف منها عددا صغيرا من الأفراد، وبينه وبين الصف الآخر مسافة تسمح لأفراده بأن يحمل كل منهم بندقيته أو سيفه مشرعا في الهواء وفي وضع مائل إلى الأمام . وتصدر الصفوف طبالان يحمل كل منهما نوعا مختلفا من الطبول وإلى جوارهما نافخ البوق .

نصب سالم ومساعداه آلات التصوير وشرع يقيس المسافات ثم انفرد باثنين

من حاملى السيوف وتحدث اليهما بصوت منخفض وهو يلتفت ناحيتى بين الحين والآخر.

اتخذ مكانه أخيرا خلف الكاميرا. وبدأ صاحب البوق فى النفخ وهو يطلق صيحات متقطعة تنبه أهل العشيرة وتدعوهم للأنضمام إلى المسيرة . وتحرك الحشد والطبالان يدقان فى إيقاع ثنائي نشط .

تقدمت المسيرة فى خطى سريعة ثابتة تتوافق وسرعة الإيقاع وتوحى بالشجاعة والاقدام . وترددت أهازيج لم أفهمها فى البداية إلى أن تكررت فميزت بعض الكلمات وإن غاب عنى معناها فى أكثر الأحيان .

وصلوا إلى الساحة فانقسموا إلى صفيين متقابلين . وأخذ الطبالان يتنقلان بين الصفيين وهما يدقان بإيقاع سريع بينما تبادل الصفان الغناء بأبيات واحدة :

أول سلامى على الديرة

وانتو عليكو سلام الله

الحصن ناشل بناديره

خسران لى يخون عهد الله

غير سالم موضع آلات التصوير وأدركت السبب عندما نزل الساحة رجلا شاهرا سيفيهما وفى اليد اليسرى لكل منهما قطعة معدنية مخروطية الشكل أشبه بدرع صغير . وبدأت المباراة بينهما.

أخذا يدوران حول بعضهما وأبديا مهارة فائقة فى توحيه الطعنات وتفاديها . وبعد أن ظلا يتحركان فى حذروكل منهما يتلمس نقاط قوة وضعف الآخر، تسارعت حركاتهما وعنفت، وتردد صليل احتكاك السيوف مختلطا بإيقاع الطبول الذى تسارع هو الآخر.

كان صراعهما حادا عنيفا . وخلت فى لحظة أنهما لا يمثلان وأن المباراة جادة وان كل منهما يسعى لإصابة الآخر ولن يتوقف إلا بعد أن يغمد سيفه فى صدر خصمه.

لحظت أن سالم يوجه عدسة الكاميرا نحوى بين الحين والآخر كأنما يسجل انفعالات وجهى . وشعرت بالانفعال يسرى بين المتفرجين وهم يتطلعون

فى تركيز إلى المتبارزين كأنما يتلهفون على النتيجة : هزيمة أحدهما ومصرعه؟
وبدأ الغناء يعلو تدريجيا . وتصاعد الغبار من حولنا . وميزت من الغناء الشطرين
الأخيرين :

الحصن ناشل بناديره

خسران لى يخون عهد الله

قدرت ان الشطر الأول يشير الى الرايات المرفوعة أو المدافع المنصوبة وان
الثانى يهدد من يخون العهد.

إزداد صراع المتبارزين عنفا ، وتفصد العرق على وجهيهما . وتسارع دق
الطبول . واقتصر المغنون على الشطر الأخير خسران لى يخون عهد الله يرددونه
فى ايقاع لاهث.

كان المتبارزان قد دارا فى أنحاء الحلقة حتى أصبحتا أمامى مباشرة .
وجاءتنى رائحة عرقهما . ودارا مرة أخرى بحيث أصبح ظهر أحدهما لى والتحم
سيفاهما وجسداهما فجأة ثم انفصلا مرة واحدة . تراجع المبارز الذى أعطانى
ظهره خطوة جعلت الفاصل بينى وبينه قدما واحدة . ثم قفز فجأة جانبا بينما كان
الثانى يستعد ليوجه له طعنة نافذة . ارتفع دق الطبول وتردد الشطران الأخيران من
الغناء فى عنف بينما خطف بصرى لمعان الشمس فوق سيف المتبارز الآخر .
تعلقت عيناي بالسيف وهو يندفع نحوى ولم أشعر به إلا وقد صار أمام وجهى
واستقر طرفه الحاد على مسافة شعرة من ذقنى .

توقف دق الطبول والغناء مرة واحدة وساد السكون . وخف فتحنى إلى
جانبى بادى الانزعاج . لمحت السيف يتعد عن وجهى . وانحنى فتحنى فوقى
مستفسرا عما اذا كنت أصبت بشئ .

مسحت وجهى بيدي اليمنى ورفعتها أمام عينى متوقعا رؤية الدماء رغم أن
طرف السيف لم يلمسنى . ثم نهضت واقفا وتراجعت إلى الوراء وأنا أقول : بخير .
لم يحدث شئ .

تحول فتحنى إلى المبارز غاضبا . وشرع هذا يعتذر .

كررت : لم يحدث شئ .

بحثت بعيني عن سالم فوجدته خلف كاميرته التي أخفت ملامح وجهه.
سمعتة يسأل : هل سنعيد التصوير ؟
رد فتحي : لا . صعب أن نمسك بنفس الإيقاع مرة أخرى .
وأضاف وهو يفتصب ابتسامة : على الأقل حصلنا على نهاية درامية.
وماذا عن البداية ؟

القاهرة

١٩٥٩-١٩٥٧

كان ذلك بعد العدوان الثلاثى بعدة شهور وبعد أن أتممت عامى التاسع عشر. كنت غارقا إلى أذنى فى خضم عملية التمرد التقليديية . وقد انقطعت عن الذهاب إلى الجامعة ، وكرست وقتى كله للنشاط السياسى معتبرا نفسى واحدا من هؤلاء المكافحين الذين يتخلون عن حياتهم البرجوازية فى سبيل هدف أسمى. وكنت أظننى قد عثرت على الطريقة المثلى للحياة : السبيل لتصحيح كافة أشكال الظلم والقهر المحيطة بى ، نظرة واضحة للعالم تستند إلى تفسير علمى للتاريخ والاقتصاد، (دون أن أدرك وقتها أن هذا التفسير العلمى بالذات يتطلب خبرة واسعة بالعالم) ، ودور متفرد يضعنى على الفور فى مستوى أعلى بكثير من أقرانى ومن الكبار الغارقين فى حياتهم الضيقة المبتذلة.

لكن ما بدأ كمغامرة مثيرة تقوم على لقاءات سرية بأشخاص مجهولين ، بينهم فتيات من طراز غير مألوف ، وعلى التفنن فى اكتشاف الشرطة السرية وتضليلها، وفى سبل توصيل الشعارات والمفاهيم الثورية للجماهير، سرعان ما فقد الكثير من بهائه وجاذبيته. فالدكتاتورية العسكرية التى كان الشيوعيون يسعون إلى إسقاطها بدعوى عمالتها للأمريكان وعدائها للطبقة العاملة (الذى كشفت عنه باعدام خميس والبقرى) ، قد تحولت بالتدرج إلى طليعة للحركة الوطنية العربية واشتبكت مع القوى الاستعمارية فى مواجهات عدة بلغت ذروتها بتأميم قناة السويس وماتلاه من عدوان مشترك من جانب القوتين الاستعمارييتين التقليديتين واسرائيل . وعندما أقدم عبد الناصر على تمصير الاقتصاد وتحريره من سيطرة الأجانب وإنشاء القطاع العام ، مغلقا الطريق فى وجه تشكل رأسمالية تابعة للغرب، وممهدا لخطة تنمية شاملة تستند إلى مصالح الجماهير الشعبية، لم يكن أمام كل وطنى مخلص إلا أن يقف إلى جانبه ويدافع عنه.

هكذا صار يومى يتألف من الطواف بأقدام متشاكلة على مراكز التجمعات

بحى الدقى الذى أقطن به : مصنع تعبئة الكوكاكولا ومصنع تعبئة البيرة ووزارة الزراعة ومعمل المصل واللقاح ومركز البحوث، سعيًا وراء تجنيد العناصر المناسبة للعمل السرى من خلال تعبئتها للدفاع عن سياسة الحكم ! لم يكن تناقلى نابعا من كراهيتى للمهمة وإنما من صعوبتها فقد كان من العسير إيضاح الالتباس الحادث بين الوضع السرى للحركة الشيوعية وموقفها السياسى .

فلم يكن عبد الناصر راغبًا فى التعاون مع جماعة من المثقفين الذين يتميزون بوعى مرتفع لا يمكنه الضباط وقدرة فائقة على التنظيم والعمل وسط الناس، واستعداد للتضحية دون مقابل (أبدوه فى أكثر من مناسبة من مقاومة الأحتلال الانجليزى والاستغلال الطبقي ووباء الكوليرا فى الأربعينيات إلى المقاومة المسلحة أثناء العدوان الثلاثى). ومن ناحية أخرى فهذه الجماعة المسلحة بالوعى كانت غير قادرة على تجاوز الخلافات فيما بينها فتوزع أفرادها على عدة تنظيمات متناحرة، وأبدى بعضهم سذاجة مطلقة فى تطبيق المفاهيم العلمية. لهذا استمروضعنا السرى وخلق هذا الوضع عقبات جمّة لكفاحنا ومصادقية خطابنا. فكم من مرة وجدتنى أنجح فى تجنيد شخص ثم اكتشف أنه آخر من يصلح لأنه لم ينضم إلينا إلا لتصوره أننا بحكم وضعنا السرى نعمل على اسقاط النظام الذى يهدد مصالحه. ولا أنسى يوم قمت بتوزيع أحد منشوراتنا السرية بصورة علنية عندما رأيت أنه لا يحمل ما يستوجب السرية أو التجريم طالما أنه يدعو الى حماية النظام والدفاع عنه حتى الموت . واستوقف الأمر أحد المتفذلكين فصاح بأعلى صوته: شيوعى . وسارع الناس الذين لم يفهموا شيئًا من الأمر كله إلى المساعدة فى القبض على وتسليمى للشرطة .

لم يكن الذنب ذنبنا لأن عبد الناصر فى سعيه للانفراد بالسلطة المطلقة ألغى كل التنظيمات السياسية فيما عدا التنظيم الذى أنشأه فى أعقاب الثورة باسم هيئة التحرير وكان مثار التندر والسخرية. أما نحن فقد احتفظنا بتنظيمنا السرى اذ كنا مصرين على المشاركة . إنها بلادنا جميعًا فلماذا يكون من حق أحد دون غيره أن ينفرد بالتفكير والعمل من أجلها ؟ بل كنا نعتبر أننا بتفكيرنا المستند إلى نظرية علمية أكثر الناس وعيا بمستقبل البلاد واستعدادا للتضحية فى سبيلها . كما أننا كنا نؤمن بأهمية تنشيط العمل السياسى للجماهير ونعارض محاولة وضعها على

الرف ونعى الأخطار المترتبة على ذلك والتي اتضحت بعد ذلك فى تطور الأحداث .

وفى يوم لا أنساه - بعد انتظار طويل أمام مصنع تعبئة الكوكاكولا للقاء أحد عماله - مضيت للقاء الضابط المنوط بفرع هيئة التحرير والذى أصبح فيما بعد من أكبر تجار شرائط الفيديو. كنت قد تعرفت إليه أثناء العدوان الثلاثى إذ ذهبت إليه قائلاً إني أضع نفسى تحت تصرفه ولم أخف عنه هويتى السياسية. وفيما بعد حرصت على محاولة إيجاد سبل للعمل المشترك بيننا.

فى ذلك اليوم أخذنى فى سيارته الفيات الصغيرة ومضى يطوف بى فى شوارع الدقى الهادئة وهو يوجه لى أسئلة عديدة متنوعة هدفها معرفة عدد أعضاء تنظيمنا المحلى. وكدت أضحك من سذاجته عندما سألتنى بشكل مباشر : انتم خمسين ؟ فلم نكن فى الواقع نتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة . وعندما يس منى قال لى فى اقتضاب إنه لا يرى أية حاجة للاتفاق على أى نشاط مشترك فكل شئ على مايرام و الفائدة الوحيدة التى يمكننا تقديمها هى أن نلزم بيوتنا ونترك الثورة تعمل .

تركته شاعرا بالإحباط واتجهت إلى مقهى فى الميدان ينتظرنى به أحد الزملاء الذى صار فيما بعد شاعرا كبيرا. وجدته برفقة شاب قصيرالقامة ممتلئ الجسم ذى وجه أسمر عريض وملامح بدوية. ولمحت أمامه فوق المنضدة كتابا عن القومية العربية لساطع الحصرى بجوار علبة سجائر مارلبورو فأدركت أنه ليس مصريا. وكانت الدقى وقتها - ولعلها ما زالت بسبب قربها من الجامعة - مركزا لسكنى الطلاب العرب، فضلا عن الثوريين واللاجئين السياسيين من يمنيين ومغاربة وفلسطينيين وسودانيين . وكنا نتعرف عليهم بسهولة من الكتب السياسية والأدبية التى يحملونها دائما بالإضافة إلى علب السجائر الأجنبية .

قدم لى صديقى الشاب العربى على أنه طالب من البحرين يدعى خليفة . ولم يلبث الخلاف أن نشب بيننا إذ شن حملة شعواء على الشيوعيين متتهما اياهم بالعمالة للاتحاد السوفيتى وخيانة قضية فلسطين. قلت له إن لينين أدان المشروع الصهيونى منذ البداية ثم غيرت الدولة السوفيتية موقفها عندما قبلت التقسيم وهو ما بدا حلا معقولا وقتها لأن البديل وهو الحرب صب فى صالح الأنظمة العربية

الرجعية والحركة الصهيونية. وذكرت بأن الحكام العرب حاصروا الحاج أمين الحسيني وأجبطوا دعوته الى إعلان الدولة الفلسطينية. وتصالحنا فى النهاية على مسؤولية الحكام العرب عن الكارثة. وعندما فارقناه أعطانا عنوان مسكنه مؤكدا علينا أن نزره .

ذهبنا فى اليوم التالى الى العنوان فى منطقة العجوزة الهادئة التى تملؤها الأشجار، وتبدأ إيجارات مساكنها من ثمانية جنيهات وهو مبلغ كبير فى تلك الأيام. سرنا حتى المتحف الزراعى ثم انحنينا فى شارع نوال حتى منتصفه . اتجهنا يسارا وواصلنا السير حتى عبرنا شارع الدرى وبلغنا أطراف الأراضى الزراعية . توقفنا أمام بناية حديثة من أربعة طوابق . خرج الينا البواب وأنكر وجود شخص باسم خليفة . ثم ذكر أن هناك ساكنا من إحدى البلدان العربية فى الطابق الثانى . فتح لنا خليفة الباب وأفسح لنا لندخل وهو يعتذر بأنه نسى أن يذكر لنا اسمه الحقيقى - يعرب - وبلده أيضا فهو ليس من البحرين وإنما من عمان . وأسر الينا بالسبب الذى جعله يخفى عنا هويته فى البداية وهو خوفه من أن يصل أمر لقائه بنا إلى المخابرات المصرية التى أشرفت على إحضاره هو وأخته وعدد آخر من الشبان العمانيين واليمنيين ليتعلموا ويشعلوا الثورة ضد الانجليز.

لم نجد فى الأمر غرابة إذ كان لكل شاب تقريبا فى تلك الفترة اسم سرى بل وأحيانا اسمان . كما أن أخته ظهرت فى تلك اللحظة .

كانت شهلا أضال منه حجما لكن سمرتها كانت خمرية ولها عينان جميلتان وشفتان رقيقتان ، وصدر ممتلىء . رحبت بنا وقدمت لنا الفاكهة والشاى بينما إنطلق أخوها فى حديث متواصل عن عمان مرددا بين الحين والآخر: هل تتصوروا؟

لم نكن . فما حكاه عن ظروف الحياة فى بلاده فوق كل خيال . زوى لنا كيف حفظ القرآن فى طفولته وكيف تعلم القراءة والكتابة أسفل شجرة هو وبقية الأطفال من بنين وبنات. كانوا يجلسون وفى أيديهم كتب مطبوعة فى مصر وأمامهم المعلم بلحيته الكبيرة ورأسه العارية يكتب بقطعة من البوص على شكل القلم فوق عظمة حيوان، بعد أن يغمسها فى سائل ملون وقد رشق قلما آخر بين إصبعين فى قدمه اليمنى الممددة أمامه.

- تصوروا ! قائمة الممنوعات التي وضعها السلطان سعيد: التدخين، ركوب الدراجا، كرة القدم، فتح مطعم، قص الشعر، ارتداء الحذاء، إمتلاك راديو، الهجرة. حكى لنا كيف بدأ أبوه التجارة في عمان ثم أفلس فانتقل بتجارته إلى عدن. وفي أثناء الحرب بين أندونيسيا واليابان سمع عن ثمانية آلاف طن سكر معروضة للبيع في سومطرة بثمان مائة وخمسة فاشترها واتفق مع مركب صيني من هونج كونج على نقلها. ومرت ثلاثة شهور دون أن يظهر السكر الذي انعدم تماما من السوق اليمنى . ثم وصل المركب في أحد الأيام وتم تفريغ شحنته في الليل وفي الصباح كانت قد بيعت عن آخرها وحقق منها مكسبا خياليا .

تدخلت أخته في الحديث لتصف لنا كيف تضاعفت أرباح أبيها بعد ذلك عندما احتكر شراء الجلود والبن من المزارعين الصغار لينقلها إلى الحديدية فوق الجمال وبيعها إلى تجارها كى يصدروها عبر الميناء .

ولا زلت أذكر كيف توقفت عن الحديث ونظرت الى باستنكار قائلة :
- هل تعرف كم يكسب أبي ؟ انه يشتري من المزارعين المائة كيلو من البن بعشرين ريالاً ثم يبيعها لتجار الحديدية بمئة .

سألت في سداجة : وماذا يجبر المزارعين على أن يبيعوا له ؟

ضحكت : الواحد منهم لا يستطيع الانتقال بنفسه إلى الحديدية ليبيع محصوله وهو أيضا مدين لأبي من قبل . ولهذا يضطر إلى البيع بهذا السعر البخس. القصة نفسها في عمان. كل انسان مجبر على أن يشتري من دائنه ولأن صاحب الأرض مدين لتاجر الجملة تجده يبيع له بخسارة فادحة. والتاجر الصغير مدين للتاجر الكبير وكذلك تاجر التجزئة مدين لتاجر الجملة أما المواطن العادي فهو مدين لهم جميعا.

لم أعجب للهجة العداء لأبيها التي ظهرت في أحاديثها . فقد كنا كلنا نتبارى في السخرية بآبائنا وتخلفهم أو جهلهم أو قسوتهم وعدم إنسانيتهم . وكثيرا ما شاركت في هذه الأحاديث مستنكرا الحب المفرط الذي يحمله أبي لى منتهزا الفرصة لأحكي كيف قضى ليلة شتوية كاملة خارج مركز الشرطة الذي حجزت به عندما اشتركت في إحدى المظاهرات المعادية . أو كيف اكتشف المخبأ الذي

أودعت به نسخة من البيان الشيوعي وأخرى من « كتيب كيف تكون شيوعيا حقا » لفيلسوف الثورة الصينية ليوتشاو شى، وأراد أن يحرقهما فهددته بالقتل إن فعل .

غادرت المنزل تلك الليلة فى حالة غريبة من السعادة. وتذرعت بأمر ما لأذهب إليهما بعد يومين حيث وجدت صديقى قد سبقنى .

فى منزل يعرب وجدت الجو الأسرى الذى حرمت نفسى منه : كان مسكنا نظيفا مرتبا عامرا بأصناف الطعام البيتى التى تتولى أمره شغالة مصرية، وبالفاكهة وعلب السجائر الأجنبية . وكان كل منهما يحصل على منحة شهرية من الحكومة المصرية مقدارها تسعة جنيهات فى الشهر ويتلقيان مبالغ إضافية من أبيهما، ولهذا كانا فى مصاف الأثرياء بالنسبة لنا . وعلى الرغم من بساطة مسكنهما فإنه كان لا يقارن بالمنزل الذى قضيت فيه طفولتى والذى ظلت محتوياته تتناقص بالتدرج حتى لم يتبق به فى النهاية غير فراشى المعدنى الصغير الذى تفككت ملته وهبطت فى المنتصف حتى أوشتك أن تلمس الأرض بالإضافة إلى فراش أبى الحديدى الكبير وخزانة رخيصة يتعسر إغلاق مصراعها وكنبة خشبية تمرح الصراصير فى جنباتها وعدة مقاعد متهالكة.

على أن أهم ما كان يميز مسكن يعرب هو بالطبع أخته . كانت تصغره بعامين لكنها كانت أكثر منه وعيا . وعندما تعلق على قول ما كان ينصت إليها فى اهتمام . وقبل أن يبدى رأيه فى أمر من الأمور ينظر ناحيتها بشكل تلقائى وان كانت نظراته تستقر دائما على صدرها. وكنت أنا وزميلى الذى عرفنى به تتظاهر بأننا مهتمان بالمناقشات السياسية والفكرية معه بينما كان اهتمامنا الحقيقى منصبا على أخته . ولعلها كانت أول فتاة فى حياتنا نجالسها بجرية وحميمية. وكانت البهجة تشع فى كيانى عندما يقع نظرى عليها ويجتاحنى اليأس إذا لم أجدها. وكانت من جانبها ترحب بنا وتستحثنا على الزيارة . ولم نكن وحدنا اللذين نتردد عليهما . فقد التقينا لديهما بالعديد من الطلاب العرب الذين لم يخفوا اهتمامهم بها.

كان شتاء ذلك العام قاسيا فكنا نتردد عليهما تقريبا كل ليلة ونجلس حول المدفأة الكهربائية فى الصالة فوق فوتيات حديثة ذات أرجل انسيابية وقماش مزركش أو نحملها إلى غرفة يعرب ونتجمع فوق فراشه العريض أسفل الأغطية

نشرب الشاي ونستمع الى الموسيقى الكلاسيكية أو نشتبك فى نقاش نحرص على إبعاده عن نقاط الاختلاف فنسخرمن حزب البعث وحديثه عن الرسالة الخالدة للأمة العربية التى تظهر بأشكال متجددة فى مراحل التاريخ وترمى الى تجديد القيم الإنسانية، ومن زعيمه ميشيل عفلق الذى استكتبه الدكتور السورى حسنى الزعيم تحت ضغط المسدس تعهدا بالتوقف عن النشاط السياسى.

خلال ذلك كنت أرهف كل جوارحى لإيماءاتها وخلجاتها، متلمسا أى إشارة لعلاقة خاصة بينها وبين أحد المترددين على المنزل، متمعنا فى تلك النظرة الغامضة التى تطل من عينيها والتى كانت تبدو أحيانا متسائلة وأحيانا أخرى ساخرة وأحيانا ثالثة متحدية وقد أتلتع رأسها وتضرجت وجنتاها سواء بفعل الحرارة المنبعثة من المدفأة أو بفعل النظرات المسلطة عليها، فإذا ما التقت عيوننا تدافعت الدماء إلى وجهى وحولت نظرى عنها. وفى نهاية السهرة أعود إلى غرفتى حاملا طيفها معى إلى أن أوى إلى فراشى، وعندئذ أنحيها جانبا وأغرق فى طوفان من الحمى الجنسية لا مكان لها فيه.

كانت فترة كالحلم وككل الأحلام انتهت .

ففى أحد الأيام وجدت لديهما شابا أردنيا قادما لتوه من بيروت يدعى شهاب. كان وسيما بالغ الاعتناء بملبسه. كان يدرس بالجامعة الأمريكية ويتردد عليهما باستمرار عندما يزور القاهرة. كشف عن انتمائه لجماعة القوميين العرب وعرض علينا أفكارها التى بدت لى غامضة وساذجة مصاغة فى كلمات فخمة وفضفاضة، تحت شعار وحدة، تحرر، ثأر. انبريت لمناقشته لكنى لاحظت أنهما يصغيان اليه فى احترام. كان هذا وحده كافيا لأن يثير قلقى . ثم تزايد القلق عندما لاحظت أنه يشترك معها فى الحرف الأول من اسمها. وبدالى ذلك نذيرا بالشؤم . لكنى لم أكن مستعدا لما حدث بعد قليل . إذ انسحب الاثنان، شهلا وشهاب، إلى غرفة أخرى.

بدت على يعرب علامات التوتر وواصل الحديث بذهن شارد. وكنت متوترا مثله وقد تركزاهتمامى على تلك الغرفة . كنت أعرف أن بها مكتبا خشبيا ومقعدين وكنبة صغيرة. وكان بابها مواربا لكنى لم ألتقط صوتا يمكننى من تبين ما يجرى داخلها.

أشعلت سيجارة بأصابع مرتجفة. ودخنت عدة سجائر على مدى أكثر من ساعة قبل أن يظهر الاثنان. بدا شهاب كما لو كان مستيقظا لتوه من إغفاءة هنيئة وفي عينيه نظرة حالمة وعلى شفثيه ابتسامة رضاء. نقلت البصر إلى شهلا التي جاءت في أعقابها. كان وجهها موردا ويدها مضمومتين أمامها. وعندما غادرتهم في تلك الليلة كنت موشكا على البكاء.

تكرر ذلك المشهد عدة مرات . في البداية عللت الأمر لنفسى بأن هناك عملا سياسيا ما بين الاثنين . وبالتدرج أيقنت أن ما يربط بينهما لا علاقة له بالسياسة .

كنت أعانى فى صمت . وأتابع فى تلذذ شرير مظاهر العلاقة بينهما : كيف تستقبله عندما يصل فى وجودى . وكيف تودعه إذا انصرف قبلى ، وأحيانا كنت أتعمد الذهاب فى مواعيد مختلفة أثناء النهار متذرا بأى حجة لأتبين وجوده من عدمه . كنت محاصرا لا أدرى ماذا أفعل ، سعيدا فقط بأن أراها دون أن أجرؤ على مفاتها بحقيقة مشاعرى .

وذات يوم استقبلنا يعرب منفِعلا :

- تصوروا ! بدأت الثورة فى عمان !

كان ربيع ٥٧ ساخنا للغاية . فى مصر كان يجرى الاستعداد لأول انتخابات ديموقراطية بعد الثورة . وفى الجزائر كانت المقاومة ضد الفرنسيين تدخل مرحلة حاسمة. وفى الأردن اضطر الملك حسين تحت الضغط الشعبى والقومى إلى طرد الجنرال جلوب باشا الحاكم الفعلى الانجليزى و جرت انتخابات ديموقراطية أتت بحكومة وطنية لم يلبث أن انقلب عليها. وكان رد فعل حركة القوميين العرب عنيقا بتنفيذ سلسلة من عمليات تفجير القنابل.

ولم تكد حرارة الصيف تشتعل حتى تلقى العمانيون رسالة من الإمام غالب تعلن الجهاد وتدعوهم إلى العودة إلى الوطن لتحريره من سلطان مسقط والنفوذ الانجليزى .

وما لبثت دعوة الامام غالب ان انتشرت وسلمت له المدن الرئيسية وعلى رأسها نزوى وحوصر السلطان فى مسقط فاستنجد بالانجليز. دخل هؤلاء المعركة وهاجموا قلعة نزوى وقصفوها بالطائرات فاضطر المجاهدون - كما كانوا يسمون

أنفسهم - إلى مغادرتها والالتجاء إلى الجبل الأخضر. وأبلغنا يعرب بسقوط نزوى وهو يكاد يبكي واتخذ قراره بالسفر فانهار الحلم. إذ تقرر أن تنتقل شهلا إلى بيت الطالبات .

طار أولا إلى البحرين ومنها إلى دبي ثم واصل الرحلة بالسيارة حتى مسقط حاملا معه كمية من الأدوية التي يحتاج إليها المحاصرون . وظللنا نتابع أنباءه من خلال رسائل متقطعة يبعث بها إلى أخته التي كنت ألتقى بها في انتظام رغم الصعوبات. إذ كانت هناك قيود على الزيارات وعلى خروجها من بيت الطالبات في المساء. كنا نلتقى في العصاري بميدان المساحة القريب ونفترش حديقته الواسعة المرتبة. وأحيانا لا تأتي إذا كان شهاب في القاهرة . لم أسألها أبدا عنه كأنما أردت إلغاء وجوده بالتجاهل التام . وكانت تطلعني على رسائل يعرب التي تروى أخبار المعارك والبطولات . ولم تغب عن ذاكرتي قصة رواها عن امرأة عمانية قبض على زوجها بتهمة مساعدة الوطنيين وفي الليل فوجئت بدخول ضابط انجليزى عليها فهجمت عليه بسكين وصرعته بطعنتين ثم هربت في الظلام.

وفي إحدى الرسائل ذكر لنا ما تردد من إن صلاح سالم - أحد زملاء عبد الناصر الذي اشتهر باسم الصاغ الراقص عندما زار جنوب السودان ورقص شبه عار مع قبائله - قد وصل إلى الجبل الأخضر ليقود الثورة. وقال إن الإنجليز صدقوا الإشاعة وبحثوا عنه في كل مكان .

كانت الرسائل غير منتظمة يحملها المسافرون أو تنظم وصولها المخابرات المصرية. لكننا كنا نجد وسيلة لمتابعة الأخبار عن طريق إذاعة صوت العرب التي كانت تخصص ركنا لعمان مساء كل خميس . وكنا نشعر بالنشوة عندما نتخيل الجالسين في جبال عمان وهم يستمعون إلى نداءات أحمد سعيد الحماسية التي تنادى العرب من المحيط إلى الخليج. وكان يعرب قد أكد لنا في رسائله أن هذه الإذاعة تسمع جيدا في قمم الجبال وكثيرا ما تحمل اليهم أنباء المعارك الدائرة في أطرافها.

كانت شهلا تستمع معي وقد توردد وجهها وشردت عيناها والتمعتا بضوء غريب. وعندما ينتهى البرنامج العماني كنا نستمر في جلستنا وتحدثني عن

طفولتها. ومن هذه الأحاديث تكونت لدى صورة عن مدينة صنعاء التي نزع إليها أبوها وشبت بها: الأسوار الطينية التي تزينها الأبراج من كل جانب وتتخللها أبواب تقفل في الليل. البيوت الشاهقة المتلاصقة المغطاة بالزخارف والنقوش البيضاء وتعلوها المنارات. النوافذ الواسعة العالية المكونة من مصاريع خشبية يعقود من الزجاج الملون الثابت الذي يعكس أشعة الشمس. الأسواق التي تحوى كل شيء من ترامس يابانية وأقمشة هندية وسورية وخزف تشيكي وأدوية إيطالية. الميدان الكبير الذي تنصدره صورة الملك أحمد محاطة بأنوار النيون. أصحاب الحوانيت الذين يتركونها مفتوحة في الظهيرة وينطلقون للصلاة في المسجد وقد سربلوا أكمامهم الطويلة لوقاية أيديهم التي طهروها للتو. وبعد الصلاة يتأخرون في المساجد لأن المقاهى ممنوعة فيتبادلون الأخبار ثم يذهب الأغنياء لشراء القات ويؤوبون إلى منازلهم من أجل التقييلة وتخلو الشوارع.

وذات مرة شرحت لى حكاية القات وكيف أنه شجرة صغيرة ذات أوراق خضراء لها خاصية منبهة ويقبل اليمنيون على مضغها وتخزينها في جوانات أفواههم ساعات كاملة في مجالس خاصة بالرجال يشعرون خلالها بالسعادة. سألتها إن كانت قد ذاقته فضحكت قائلة :

- طبعاً. النساء أيضاً لهن مجالس يذهبن إليها في كامل زينتهن. الأحمر للشفاه والخدود والأظافر والكحل للحواجب والجباه وتحت الفم أما اليدان والقدمان فتزينهما جدائل سوداء في شكل أكاليل من الزهور. تخلع كل قادمة ملاءتها وحذاءها ثم تدخل وتتبادل تقبيل الأيدي مع الجالسات. وتكون النوافذ مغلقة بالستائر والعقود الزجاجية تضىء الحجر. ثم يبدأن بالتدخين وتخزين القات وبعد ذلك يأتى دورالرقص. فيفسحن المجال في الوسط لمغنية تحمل دفا وتنهض إحدى النساء وتمد يدها إلى أخرى تدعوها إلى الرقص معها.

قلت : أنتم إذن شعب سعيد .

ضحكت ساخرة : أنت لم ترأحد المناظر المألوفة في المدن : رجل يجرالأصفاذ في قدميه ويسير فى الشوارع. فيكفى أن يكون لأى انسان نفوذ ما ليأمر بتكبير من لا يعجبه بالقيود الحديدية أياما أو شهورا يواصل الأخير أثناءها أعماله العادية. وفى معظم الأحيان يكون عبدا يعاقبه سيده.

كان ذكر العبيد أمرا مثيرا لشخص مثلى لم يصادفهم فى حياته القصيرة فاستوضحتها. قالت إن فى حرض بشمال اليمن سوقا للرقيق يمكن أن يشتري فيه الواحد آدميا بألف ريال . وروت لى كيف أن سفيرالسعودية طلب من أبيها أن يساعده فى شراء جارية بيضاء من أحد أمراءصنعاء ليقدمها هدية لسيده. ونجحت وساطة أبيها وجرى التنفيذ فى منزله. وشاهدت شهلا من خصائص الباب كيف أجرت طبيبة أجنبية فحصا للجارية التى لم تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها وكيف قاومت الفتاة الفحص الطبى إلى أن أخضعها الأمير.

لاحظت أنها تتجنب الإشارة إلى أمها فسألتها عنها وإذا بملامحها تتبدل وتقسو. أجابتنى فى اقتضاب إنها ماتت. ثم أضافت بعد لحظة :

- كانت حاملا للمرة العاشرة. المرة الأولى كانت عقب زواجها مباشرة فى الرابعة عشرة من عمرها. كانت تشكو من متاعب فى منطقة الحوض منذ ولدتنى وحذرنا الطبيب من الحمل والولادة لكن أبى لم يعبأ. ظلت تحمل ثم تلد جنينا ميتا وفى المرة العاشرة أحضر أبى طبيبا ايطاليا من عزلةرؤيتها. كان يجب أن تشهد هذا المنظر: الطبيب يصعد الدرج وخلفه المترجم وأمامه شاب يردد : الله .. الله .. تنبيهها للنساء حتى يتبعدن . . أبى فوق إلى جوار أمى وباب الغرفة موارب ويقف خلفه مترجم . ثم تبدأ الأسئلة بصوت خافت إذ لا يجوز للمرأة الفاضلة أن تسمع إلا صوت زوجها والا يسمع صوتها غير زوجها : ينطق الطبيب بالاطالية ويترجم المترجم لأبى الذى يهمس بالسؤال فى أذن زوجته ويتلقى منها الجواب ويبلغه للمترجم الذى ينقله للطبيب . وبعد قليل أفتى الطبيب بضرورة الجراحة وفعلا أجريت العملية وولد الطفل وسعد الجميع إلا أمى التى قضت الأيام التالية مستقلة غير مكترثة إلى أن توفاه الله.

كنت بعد أن أتركها أمشى طويلا على شاطئ النيل دون أن أعبأبالشقوق المنتشرة فى حذائى وأنا أستعيد كلماتها وايماءاتها، مفتشا بينها عما قد يكشف عن عاطفة خاصة ازائى. ويغشاني الأسى العميق عندما تنهأى إلى سمعى أغنية لعبد الوهاب أو عبد الحليم حافظ . كم من السجائر دخنت فى استغراق وأنا أستمع إلى أغنيات «ظلموه» و «أهواك» و «أسمر يا أسمرانى»، أوأنا أشكو لأحد أصدقائى حبا بغير أمل.

في هذه الأثناء تكلفت مباحثات الوحدة بين المنظمات الشيوعية المصرية بالنجاح وأعلن مولد الحزب الواحد في ٨ يناير ٥٨. وبعد شهر واحد أعلنت وحدة مصر وسوريا وطار عبد الناصر إلى دمشق حيث حملت الجماهير سيارته. وتلاحقت الأحداث: في شهر يوليو سقط النظام الملكي في العراق وانهار حلف بغداد في ثوان بعد ان استولى عبد الكريم قاسم على السلطة. وبدا حلم الدولة العربية الكبرى على وشك التحقق. كان عبد الناصر في عرض البحر عائدا من زيارة ليوغوسلافيا، فعاد أدراجه إليها وطار منها إلى موسكو وقد أدرك خطورة الموقف الذي وصل إلى درجة الانفجار. وبالفعل قام الأمريكيون في اليوم التالي بانزال مشاة بحريتهم إلى لبنان.

لكن الخطورة الحقيقية جاءت من ناحية أخرى.

فقد أدارت الانتصارات المتلاحقة رأس عبد الناصر خاصة بعد أن نجح في أن يفرض على سوريا مفهومه عن الديمقراطية وتمكن من تصفية التحالف المؤلف من البعثيين و الشيوعيين. وبدوره أمن عبد الكريم قاسم بأنه الزعيم الأوحده. وتخاصم الزعيمان فانطلقت اذاعة صوت العرب تدعوه بقاسم العراق. واستغل الانجليز والأمريكان الفرصة بذكاء من خلال أنصارهم من المستشارين المحيطين بالزعيمين والصحفيين المغامرين (أمثال مصطفى وعلى أمين) في الحيلولة دون أى محاولة للمصالحة.

وانجرف الشيوعيون إلى المعركة.

في العراق أشفق الشيوعيون الذين قاموا بدور رئيسي في إسقاط النظام الملكي أن يحرموا من حقهم في الوجود الشرعي، إذا نجح عبد الناصر في فرض مفهومه للوحدة على العراق وهو المفهوم الذي يقوم على اعتباره هو شخصيا القوة السياسية الوحيدة الفاعلة. لذلك ساندوا عبد الكريم قاسم وانجرفوا إلى الحملات الموجهة ضد عبد الناصر وعقليته الانفرادية. ووجد هذا الموقف صدى له في صفوف الحزب الشيوعي المصري الذي لم تمض على توحيدده سوى بضعة شهور.

كان شيعي مثل الذي فعله عبد الناصر عندما تحالف مع البعثيين ضد الشيوعيين السوريين توطئة للتفرغ بعد ذلك للأولين، يجرى داخل صفوف الحزب

الوليد. فلم يتمكن المتحدون من إزالة العداوات الشخصية التي ولدتها صراعات دامت منذ الأربعينيات ولا تمكنوا من الاتفاق على خط سياسي واحد. لهذا تكتل تياران رئيسيان من أجل تصفية التيار الثالث . وبسرعة صار الموقف من عبد الناصر محل الخلاف السياسي. ولم يلبث الحزب الوليد أن انقسم من جديد إلى حزبين، واحد يساند القوى الديمقراطية في العراق وسورية دون تحفظ، والثاني يؤيد عبد الناصر ويدعو إلى المصالحة بين القوى الوطنية لمواجهة المخاطر الاستعمارية .
في هذا الجو عاد يعرب فجأة من عمان .

وعندما التقينا في الشقة التي استأجرها من جديد مع أخته راعني التغيير الذي طرأ عليه . وجدته جالسا في الشرفة وأمامه زجاجة بيرة وبجوارها علبة المارلبورو العتيقة . بدا واجما عازفا عن الحديث. ولم يلبث أن حدثنا عن صعوبة الحياة في الجبل الأخضر وانتشار الأمراض وعدم وجود طبيب أو دخترا كما يسمى هناك . قال :

- تصوروا أننا نخرج الرصاصة من جسم المصاب بالجبال!
وأضاف مبتسما بمرارة :

- نضع الجبل مكان الجرح ونمرره داخله حتى يصل إلى الرصاصة ثم نسجه فيخرج بها. وطبعاً ينجم تسمم عن ذلك .

روى لنا في تلك الأمسية قصصاً لا تصدق عن سداجة المجاهدين . كان بعضها أقرب إلى النكتة. مثل ما حدث عندما ترددت إشاعة بأن الميجور ووترفيلد القائد الانجليزي لقلعة نزوى صرح بما معناه : إذا كان الشوار جدعانا فلماذا يتحصنون بالجبال. لماذا لا يأتون إلى نزوى ويواجهونه؟ وعندما بلغ هذا التصريح أسماع المجاهدين سارع خمسة من زعمائهم بمغادرة الجبل وانطلقوا إلى القلعة عازمين علي اقتحامها والوقوف أمام الميجور الانجليزي ليقولوا له : ها نحن قد جئنا يا ميجر فافتح الباب! فاذا فعل قضا عليه وإذا لم يفعل سجلوا عليه جنبه وجبن حرسه !!

وعاد المجاهدون الخمسة من رحلتهم ليرووا أنهم طرقتوا باب القلعة فلم يستجب لهم أحد فضاغفوا الطرق وهنا وصل إلى سمهم صوت الميجور يصرخ في الحرس : لا تفتحوا البوابة لأى انسان . مادامت مغلقة فنحن فى أمان . وأخيرا قرر

المجاهدون الخمسة الانصراف فصاح أحدهم مخاطبا البوابة المغلقة : يا عقيد
القلعة قل لسيدك إننا جئنا فلم يخرج لنا!

تمالكت نفسى كى لا أنفجر ضاحكا بينما مضى يعرب فى حزن :

- الانجليز هاجموا البيوت والطائرات خزقت (أى أقلت قنابلها) فوق كل
مكان . حتى منابع المياه قصفت بالقنابل . والتجأ الجميع إلى الكهوف . لكن
الانجليز تمكنوا من إسقاط جنودهم فوق الجبل ونجحوا فى احتلال قسم منه
بإرشاد جندى كان مع جيشهم فى كينيا وانضم إلى المجاهدين . وتمكنوا من
اعتقال بعض الزعماء فوضعوهم فى زنازين تحت الأرض بقلعة الجلالى وأحرقوا
بساتين الآخرين ونسفوا منازلهم وصادروا أملاكهم .

أذكر أنه صمت طويلا ولم نجرؤ على مخاطبته بينما كانت شهلاتحدق فى
الفضاء ، ثم تحولت إليه وقالت فى سخرية :

- وهرب الباقون .

شعرت أنها تواصل حديثا سابقا معه . وقال هو فى اضطراب :

- لم يبق الا القليل من المجاهدين فى الجبال فقد نجا كثيرون بأنفسهم
وفروا إلى الدمام والكويت والبحرين .

قاطعته شهلا : أو جاءوا إلى القاهرة .

أضاف فى حمية مفاجئة : أنا لم أهرب . لقد جئت برسالة إلى السلطات
المصرية طلبا لدعم عسكري كما أنى مكلف باعادة تنظيم المجاهدين .

لكن ماشاهدته من سلوكه فى الأيام التالية كان يكذب ذلك . فقد كان
يقضى معظم الوقت جالسا فى الشرفة مع زجاجات البيرة . التمسث له وقتها
الأعذار فقد كانت الأنباء تتوالى من عمان مؤكدة حتمية الهزيمة . ودب الخلاف
بين زعماء المجاهدين وانقلب رؤساء القبائل مؤثرين السلامة بل قام بعضهم
بالإرشاد عن مخابرة الثوار وأسلحتهم . وعقب يعرب على ذلك بأن الثورة لم تخضع
عن وعى وفهم وكانت أقرب إلى القبيلية فاذا سكت رئيس القبيلة سكت الجميع .

وما لبث أن انخرط فى الصراع الدائريين الشيوعيين المصريين . كان
القوميون العرب يؤيدون عبد الناصر على طول الخط بل ويدعون له لسحق من أطلق
عليهم لقب الشعبويون أى أعداء الوحدة الفورية مع العراق . ورحبوا بحل كافة

الأحزاب السياسية في سوريا. وشكلوا في الكويت لجانا لمقاومة الشيوعية. ومن الطبيعي أنى توقعت أن يكون موقفه متسقا مع موقفهم بحكم علاقته الوثيقة بشهاب . لكنى فوجئت به يأخذ جانب من كنا نسميهم باليساريين الذين رفعوا شعارات تساند عبد الكريم قاسم وتدعو عبد الناصر إلى الاقتداء به. ولم تفرق أقفال الحديد التي لوح بها هيكل مهردا في مقاله الأسبوعي بين يمين ويسار. ففي الساعات الأولى من أول أيام العام الجديد - ٥٩ - كان الجميع، بما فيهم أنا، مقبوضا عليهم وفي الطريق إلى السجون والمعتقلات . وكان ذلك آخر عهدى بيعرب وأخته.

مسقط

ديسمبر ١٩٩٢

* * *

«إن الخلاص الكامل والأبدى لكافة كائنات الكون أجمع، سيتم إذا ما أنشئت البشرية جميعا بقوة: نام - مياو- هو - رن- جي - كيو .
ان النمو الروحي السلس واللامحدود لكافة الكائنات في الكون أجمع، الظاهر واللامرئي، لن يتحقق إلا إذا تلقت البشرية كلها ال نوكو- دو أمام تيان تان، الخادم المقدس لتيان تاو» .

انتهى الإعلان التليفزيوني بأن رفع المذيع كتابا يحمل هذا العنوان: «أربع خطوات نحو السلام التام ، المؤلفات المختارة للبروفسور الدكتور هيلساتوكي كوماكي» .

أعجبنى ايحاء الكلمات الأسيوية وذكرنى بالإعلانات التى ألفناها فى السبعينيات للزعيم العظيم كيم ايل سونج، «الشمس المشرقة فوق كوريا الشمالية» .
فتحت علبة البيرة التى زودنى بها جوهر وتخيلت شقيقة أمامى لكى أقول لها وأنا أجرع المنكر: مياو.

كنت منفردا بالمنزل أنتظر عودتها مع فتحى لتتناول طعام الغذاء الذى تبرعت بالمساهمة فى إعداده .

انتهيت من طهى الأرز ووضعت صينية بطاطس بالطماطم والبصل فى الفرن ثم عدت الى الصالة فاسترخيت فى المقعد التليفزيونى وأمامى علبة البيرة. أدت التليفزيون ومضيت أنتقل بين القنوات. واحدة عربية أخرى من الإمارات، ثم بى بى سى وأخرى انجليزية من هونج كونج. وانتهى بى المطاف عند قناة غربية تقتصر على الأغاني .

دق جرس التليفون فرفعت السماعه المتنقلة الى أذنى . كررت كلمة آلو

دون أن يرد على أحد . أنصت لصوت أشبه بالتنفس ثم انقطع الخط فأعدت السماعه مكانها .

تناولت إحدى مجلدات «موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب» المصنوفة في خزانة التليفزيون . قرأت الكلمات المدونة على ظهر الغلاف والتي تصف الموسوعة بأنها «تجربة فريدة لم يسبق لها مثيل في التاريخ العربي الحديث» وتمثل في جمع وتوثيق تسجيل الأسماء العربية المتداولة وتحقيق أصولها ونشأتها وتطورها. وتعرضت الكلمة الموجزة إلى الفائدة العملية للموسوعة بالنسبة للمواطن العادي . فقالت أنه سيعرف بفضلها لماذا يسمى ابنه زيد أو عمرو.

قلبت صفحات المجلد الذى يضم حرف ش بحثا عن اسم شفيقة ولم يقدر لى أن أتوصل إلى أصل اسمها إذ دق جرس التليفون فرفعت السماعه . تكرر ما حدث معى فى المرة الأولى فأعدتها الى مكانها . وبعد قليل دق مرة ثانية فتأملتها دون أن أحرك يدى . استمر الرنين مدة طويلة وأخيرا رفعتها فجاءنى صوت غريب :

- السيد رشدى ؟

- أنا هو . من يبغيه ؟

- أنت لا تعرفنى . هناك موضوع هام أريد أن أراك بشأنه.

كان المتحدث عمانيا فى الأغلب رغم محاولته تقليد اللهجة المصرية .

قلت : أى موضوع ؟

- لا أستطيع الحديث فى التليفون. الأفضل أن نلتقى .

فكرت لحظة ثم قلت : تفضل عندى .

- لا . أفضل أن نلتقى فى الخارج .

قلت : أين ؟ أنا لا أعرف البلد .

قال : يمكن أن نلتقى أمام المدخل الرئيسى لمسجد قابوس . فهو ليس

بعيدا عن منزلك . عشر دقائق على الأقدام .

قلت : متى ؟

قال : عند صلاة الظهر .

قلت : وكيف سأعرف عليك ؟

قال : أنا الذى سأفعل . ما رأيك ؟

ترددت في الإجابة فقال : الموضوع يهكم .

قلت : أوكى .

قال : هناك شئ مهم . أرجوك ألا تخبر أحدا بهذا الموعد . ولا حتى

قريبك .

ترددت مرة ثانية فأضاف : الظهر إذن .

انقطع الخط ووضعت السماعة في بطةء. تناولت علبة البيرة فأتيت على رشفتها الأخيرة ثم وضعتها في كيس بلاستيكي ودستها أسفل المقعد وعدت الى الموسوعة. واصلت البحث عن اسم شفيقة دون جدوى .

نهضت بمجرد أن ترامى الى سمعى صوت الأذان فجدبت الكيس وغادرت المسكن . ألقيت به في أول صندوق قمامة صادفنى . وسرت حتى مبنى الغرفة التجارية الذى يقع على ناصية شارعين . انحدرت فى الشارع الذى يمر فوق الوادى حتى بلغت سينما بلازا ومطعم كنتاكي . واصلت السير حتى أول ناصية فانحرفت يمينا ورأيت المسجد على مقربة.

كان المصلون مازالوا يتوافدون وبينهم كثير من الهنود والباكستانيين . ولم يعبا بى أحد منهم . وتذكرت ضجة القاهرة عندما سمعت سائق ميكروباص ينادى بأعلى صوته : بوشر . بوشر .

انتظرت مدة أمام المدخل دون أن يقترب منى أحد . وعندما انصرمت نصف ساعة قررت الانصراف . مضيت فى الشارع حتى نهايته، فمررت بعدة مبان حكومية تلتها السفارة اليمنية الى أن بلغت تقاطعا رئيسيا فاتجهت يمينا . وقمت بجولة واسعة حول المنطقة قبل أن أعود الى المنزل .

وصل رنين جرس التليفون الى سمعى وأنا أضغ المفتاح فى قفل الباب . وتوقف بمجرد دخولى ولم يلبث أن تكرر بعد لحظات .

جاءنى صوته معتذرا :

- جئت لكنى لم أتمكن من الحديث اليك . سأشرح لك الأمر عندما

نلتقى .

قلت : ليس عندى وقت لهذه الألاعيب .

قال : معلهش . تحملنى قليلا .

قلت : ألا تظن أن المسألة زادت عن حدها ؟ إذا كنت تريد أن ترانى
تعال البيت .

قال : جربنى هذه المرة . إنها الأخيرة . ولن تندم .

تنهدت فى استسلام فسألنى :

- هل ستخرج غدا ؟

قلت : ربما .

سأل : متى ستخرج لو فعلت ؟

- ليس قبل العاشرة صباحا .

- سأكلمك قبلها .

ووضع السماعة .

شممت رائحة غريبة فتذكرت صينية البطاطس . أسرعت الى المطبخ
وأخرجتها من الفرن . تأملت الكتلة السوداء التى طالعتنى ولعنت المتحدث
التليفونى والموسوعة وشفيفة والبيرة .

ألقيت محتويات الصينية فى صندوق القمامة ثم وضعتها أسفل مياه
الحنفية . وشغلت هوية المطبخ وفتحت نافذته ثم عكفت على إعداد صينية
جديدة .

اعتنيت بعملى هذه المرة فلم أعادر المطبخ حتى نضجت الصينية . وبينما
كنت أكشف غطاءها لأتأكد من درجة ملوحتها سمعت صوت ابن عمى وزوجته .
حملت حلة الأرز الى المائدة . وفوجئت بسيدة غريبة ترتدى ثوبا عصريا يكشف
عن ساعديها حتى المرفقين . والأهم من ذلك أن شعرها كان عاريا تم تصفيفه
عند الكوافير كما كان هناك أثر مكياج خفيف على وجهها .

سألتها عما حدث فلم تعن بالرد على و تبرع فتحى بالإيضاح :

- قال لها طبيب باكستانى إن الحجاب مسئول عن الصداع . وخيرها بين
أن ترتديه طول الوقت ولا تخلعه عند النوم كما تفعل أو تتخلى عنه نهائيا كى لا
تتعرض لتأثير الهواء المكيف على جيوبها الأنفية .

قالت فى تحد : اخترت الحل الأخير . فالإسلام الصحيح لا يشترط حجاب

المرأة .

قلت : يا شيخة . من قال هذا ؟
قال فتحى : الأرسقراطيات هن اللاتى يتغطين كاملا أما اللاتى من أصل
زنجبارى فلا يغطين حتى رؤوسهن .

أحضرت صينية البطاطس وجلسنا حول المائدة وأنا مستغرق فى محاولة
فهم فلسفة الأزياء. وانتزعنى فتحى من تأملاتى قائلا إن الفنذى، مدير المركز
الموسيقى، ينوى دعوتنا للعشاء.

استفسرت شفيقة : فى بيته ؟

قال : لا . فى فندق الانشراح أونادى الجولف .

قالت : هل سيحضر زوجته معه ؟

قال : لا أعرف . لا أظن .

قالت : اذها انتما. أنا على أى حال أنوى الصيام .

لم يبد عليه الحماس . قال : هذه دعوة ستكلف كثيرا .

قلت : أليس هو الذى سيدفع ؟

قال : لكن لا بد من ردها . وبشكل أفضل . العمانيون كرماء لكنهم
يحتقرون من لا يبادلهم الكرم بنفس المستوى أو أكثر قليلا .

قالت : نصف دخلنا يضيع فى الهدايا والمجاملات .

تدخلت فى الحديث : ألا يمكن الاعتذار ؟

- لا. الفنذى لا يعتذر أحد عن دعوته . ثم إنها من أجلك فهو يريد أن
يتعرف بك.

*** ٢

تلفن فى الصباح كما وعد .

قال : ما رأيك فى أن نلتقى بعد نصف ساعة ؟

قلت : أين ؟

قال : فى المتحف الوطنى .

قلت : أنت نسيت أنى لا أعرف البلد جيدا .

قال : المتحف لا يتوه . أنت تعرف مسجد قابوس ومطعم كنتاكي .
التقاطع التالي هو دوار روى ويمر به شارع قابوس متجها الى المطار . المتحف ليس
بعيدا . ستبينه بعد أربعة دوارات . خذ تاكسى الى هناك . وعندما يسألك السائق
« انجاج » قل له نعم . لتضمن ألا يشاركك أحد .

استفسرت : ماذا سيقول ؟

- انجاج . كلمة انجليزية قمنا بتعمينها . وضحك .
قلت : بعد نصف ساعة إذن .

أنزلنى تاكسى انفردت به « انجاج » أمام مبنى متواضع للغاية . ولجت قاعة
واسعة بها تصديرها نموذج لسفينة شراعية قديمة وتحمل جدرانها لوحات للمراحل
التاريخية . وأكملت خزانات الصخور وبقايا الأواني الخزفية والملابس والأسلحة
صورة مثيرة لتاريخ يمتد الى ماقبل التاريخ .

خالجنى انطباع بأن الخطوة الأولى للحضارة بدأت هنا وان عمان ربما
كانت البوابة التى عبر منها الإنسان الأول .

قادما من وسط أفريقيا الى آسيا ؟
حقائق أم مبالغات ؟

ما ثبت هو أن الجزيرة العربية تعرضت للجفاف قبل الميلاد بعدة قرون
فهاجرت قبائلها الى عمان . وعندما انهارسدمأرب انضمت اليهم قبيلة الأزد
اليمنية . وأقام زعيمها مالك بن فهم مملكة قوية ربما كانت أول مملكة عربية
عرفها التاريخ . واستمرت قائمة الى أن بعث اليها النبي بعمرور بن العاص يحمل
رسالة مكتوبة تدعو أهلها الى الإسلام فلبوا الدعوة .

كانت الرسالة التاريخية محفوظة فى صندوق زجاجى محكم . وبدا الخط -
الذى سطره أحد الصحابة - أشبه بالطلاسم . لكن خاتم النبي كان واضحا :
محمد رسول الله .

انقضت نصف ساعة بسرعة دون أن يظهر متحدثى الغامض فاتجهت الى
الباب وغادرت المبنى . وقفت فوق الرصيف أتطلع حولى بحثا عن سيارة تاكسى
وإذا بسيارة يابانية زرقاء اللون تقترب منى وتقف أمامى مباشرة . كان القائد رجلا

قصير القامة فى الملابس التقليدية له وجه حليق شديد السمرة تغلب عليه الملامح الأفريقية . مال على النافذة القريبة منى وفتح لى الباب قائلا : تفضل .

تعرفت على الصوت لكنى لم أتحرك فابتسم كاشفا عن أسنان ناصعة البياض :

- أعتذر مرة أخرى على تأخرى . تفضل بالركوب .

- الى أين ؟

- لن نذهب إلى أى مكان . سنتجول قليلا لتحدث .

وأضاف عندما لاحظ ترددى : لا تخف . لن تتعرض لأى أذى .

ركبت إلى جواره . وبحركة أوتوماتيكية وضعت حزام الأمان حول

صدرى .

قال وهو ينطلق بالسيارة فى حركة رعناء : على كل حال أعطيتك فرصة

لمعرفة التاريخ العماني .

خرج إلى شارع قابوس واتجه فى عكس الاتجاه الذى جئت منه وهو

يستطرد :

- هناك خاصية غريبة فى هذا التاريخ . ربما بسبب الموقع . فنحن دائما

مطمع لكل أجنبى .

ألسنا جميعا ؟

- الأهم من هذا هو ان الأئمة الضعاف كانوا يستعينون دائما بالأجنبى ضد

منافسيهم ولو كانوا عربا مثلهم . استعان أحدهم بالفرس فاحتلوا البلاد . هذا فى

الماضى البعيد . وفى العصر الحديث برزت قبيلة القواسم فى رأس الخيمة

وأصبحت قوة بحرية . وخشاهم السلطان السيد سعيد فتقرب من الفرنسيين ثم

الانجليز وأخيرا انتبه لقوة الولايات المتحدة النامية فعقد معها معاهدة فى عام

١٨٣٣ وحاول أن يستعين بها للسيطرة على مباسا .

توقف أمام اشارة مرور فلزم الصمت الى أن استأنف السير .

- خاصية أخرى هى قتل الأب . ابن السيد سعيد هذا وخليفته كان اسمه

ثوينى . فرض ضرائب أثارت استياء السكان وتذمرهم فاجتذبوا إليهم أكبر أبنائه

سالم . وذهب هذا الى أبيه فى الظهرية وكان الأب وحيدا فى غرفته مستلقيا فوق

فراشه. طلب منه سالم إلغاء الرسوم الجديدة لكن الأب تمسك بموقفه وبدأ يشرح موجبات وضعها فما كان من الابن إلا أن شهرمسدسه وأطلق رصاصة على أبيه فقتله ... هل رأيت لوحة مالك بن فهم في المتحف؟ هل تعرف أنه لقي صرعه على يد ابنه؟

لم أكن قد انتهيت لهذه التفصيـلة فانطلق يرويها.

- تقول الأسطورة ان أولاد مالك كانوا يتناوبون الحراسة بالليل. وكان سليمة أحبهم اليه فعلمه الرماية منذ الصغر حتى برع فيها. وأثار هذا الحب حسد بقية الأخوة فسدوا عليه لدى أبيهم. وزعموا له أنه ينام أثناء الحراسة. ماذا فعل مالك؟ قرران يختبر دعواهم بنفسه فخرج متخفيا ووجده نائما على ظهرفرسه. وعندما شعرالفرس باقتراب مالك صهل فانتبه سليمة من نومه مذعورا ووضع السهم في الوتر ويممه نحو أبيه وسمع مالك صوت السهم وهو خارج من القوس فهتف به: يا بنى لا ترم أنا أبوك، فقال الولد: يا أبت ملك السهم قصده. قولة مشهورة تعرفها ولا شك. أصاب السهم مالكا فإى قلبه فوقع صريعا وهو يردد قولة أخرى شهيرة: أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى. تعرفها طبعاً.

قصة مؤثرة تدعو الى التفلسف. قلت:

- الحياة لا تستمر إلا بقتل الأب.

هز رأسه بشئ من الاستهانة: فرويد.

بلغنا أول دوّار فى طريقنا فانحرف يسارا. وبعدها لم أعد أعرف أين أنا. ولحظت أنه لايكف عن التطلع فى المرأة إلى السيارات القادمة خلفنا.

أوشكت أن أبتسم. فمن المؤكد أنه لن يكتشف شيئا إذا كانت هناك مراقبة ما سواء من جانب السلطان أوغيره. فعملية التحديث التى قام بها السلطان لا بد أنها شملت أيضا فنون التنصت والتتبع والمراقبة.

قلت: ما رأيك فى أن نتعارف؟ أنت تعرف اسمى ورقم تليفونى وربما أشياء كثيرة عنى، بينما أنا لا أعرف عنك شيئا.

قال: عفوا إذا كنت لن أذكر لك اسمى. هذا أفضل. ثم إنه لا أهمية له. بوسعى أن أذكر لك أى اسم. وسوف تدرك بعد قليل سر الاحتياطات التى أتخذها. أنا كنت أمس بالقرب منك كما أخبرتك لكنى لم أغامر بالحديث اليك.

كنت أريد أن أتأكد أولا مما اذا كان هناك من يراقبك . واليوم أيضا فأنا موجود منذ ساعة هنا.

تذكرت موسوعة السلطان . قلت : سأسميك زيد أم تفضل عمرو؟
ضحك : زيد أفضل . فهو الأكثر انتشارا فى جنوب الجزيرة .
استطرد : كل ما أبغيه هو أن أساعدك فى العثور على صديقك .
فوجئت : أى صديق ؟

- ذلك الذى تبحث عنه وعن أخته .

- كيف عرفت أنى أبحث عن أحد ؟ كيف عرفت أساسا بوجودى ؟
ضحك : هذه مدينة صغيرة لا يخفى فيها شئ .
لم أدر ماذا أقول فسألته : ولماذا تبغى مساعدتى ؟
- لأكسب ثوابا .

- أتظن هذه إجابة مقنعة ؟

- طبعاً لا . لا تقلق . سأذكر لك كل شئ . اسمح لى أولاً بسؤال : ما
هى آخر مرة رأيت فيها صديقك هذا أو أخته ؟
ترددت لحظة ثم قلت : منذ ثلاثين سنة فى القاهرة .
قال وهو يتأملنى بإمعان : أليس هذا غريباً ؟ أن تبحث عن شخص لم تره
منذ ثلاثين سنة ؟

فعلاً غريبة ، معه حق .

- هل تذكر اسمه الكامل ؟

- لا .

- ألا ترى أن هناك غرابة فى الأمر؟

- أنت نفسك قلت إن الأسماء لا أهمية لها .

كنا قد اخترقنا عديدا من الشوارع الجانبية وهولا يكف عن التطلع خلفه .
ولحظت أننا نتحرك فى دائرة واسعة حول الطريق الرئيسى السريع .

- وأخته ؟

- لم أرها أيضا أو أسمع عنها طول هذه الفترة .

- والآن ؟

- أريد أن أعثر عليها .

تفحصنى بدقة : لماذا؟ لا بد أنها الآن فى مثل عمرك ؟

لزمت الصمت برهة ثم قلت : ربما كنت أبحث عن موضوع للكتابة.

مد يده الى درج تابلوه السيارة وتناول كيسا من البلاستيك دفعه الى .

كان الكيس خفيفا ويحمل شارة محلات «بنيتون، الألوان المتحدة» .

هممت بفتحه فاستوقفتنى :

- ليس الآن . اقرأها فى المنزل .

- مجلة أخرى ؟

نظر الى متسائلا : ماذا تعنى ؟

قلت : هل أنت الذى تركت لى مجلة «صوت الثورة» مع البواب ؟

أطلق من فمه صفارة طويلة : وصلوا اليك إذن .

- من هم ؟

- ستعرف فى الوقت المناسب . ستجد هنا نسخة مصورة من أوراق

تهمك . ستجد اسمك فيها . اقرأ ثم نلتقى وأحكى لك كل شئ .

ثم أضاف : لست فى حاجة لأن أذكرك من وقوعها فى يد السلطة .

كنا قد بلغنا دوار روى فدار يمينا وأنزلنى قبل ناصية كنتاكي . غادرت

السيارة فانطلق على الفور . سرت فى اتجاه منزلى وأنا أهز الكيس فى يدى اليمنى .

تذكرت أيام المنشورات السرية . كانت مطبعة التنظيم قد وقعت فى يد الشرطة

فاستأجرنا غرفة فوق سطح أحد البنايات فى منطقة القبة . وأقمنا فيها مطبعة مؤقتة

عبارة عن لوحين من الخشب فى حجم مجلد من مجلدات «تاريخ الحضارة» تغطى

أحدهما قطعة من القماش الشفاف . وطبعنا أول منشور يعلن التأييد لعبد الناصر بعد

عودته من باندونج . ووصف المنشور حكومته ب «الرشيدة» وهو وصف أثار التندر

طويلا . ثم توليت توزيعه على أعضاء التنظيم وكنت دائم الابتكار فى طريقة اللف .

فكنت أجمع أكياس البقالة الورقية السميقة وأضع فيها المنشورات وأحملها فى

الطريق ضامًا إياها الى صدرى كما يفعل موظف الحكومة عند عودته الى منزله

بعد أن اشترى احتياجات اليوم من خضراوات وفاكهة . فلم تكن الأكياس

البلاستيكية قد عرفت بعد، ولا «بنيتون» وألوانه أيضا .

هزرت الكيس فى وجه جوهر، فأعطانى نصيب اليوم من البيرة . ووضعتها فى البراد بمجرد دخولى المسكن وجلست فى مقعد التليفزيون وأخرجت محتويات الكيس . كانت عبارة عن مجموعتين من أوراق التصوير ثبتت كل منهما بالدبابيس على هيئة كراس . تصفحتها بسرعة فتبينت أنى أمام يوميات بخط واضح جرى، طمست كلماته فى بعض المواقع . وحملت كل مجموعة تاريخا باللون الأحمر على صفحتها الأولى . وأشار تاريخ إحداهما وأصغرها حجما الى عامى ١٩٦٠ و ١٩٦٥ فقررت أن أبدأ بها.

أعدت المجموعة الثانية الى الكيس البلاستيكى وحملته الى غرفتى فدسسته بين طيات قميص فى حقيبة السفر. وعدت الى مقعدى فى الصالة . لم تكن الساعة قد تجاوزت منتصف النهار وقدرت أن أمامى وقتا يسمح لى بقراءة المجموعة الأولى قبل عودة شقيقة من عملها. فلم يكن عندى شك فى ان ما بها قمين بأن تصادره السلطة التى أعيش فى ظلها .

بيروت

١٩٦٥-١٩٦٠

٥ سبتمبر ٦٠

.. أعشق هذه المدينة . هل لأنى أشعر فيها بأنى حرة ؟ حتى الآن لا أفهم كيف استطاع يعرب اقناع أبى بأن يتخلى عن فكرة زواجى من ابن عمى ويلحقنا نحن الاثنين بالجامعة الأمريكية ويدفع لكل منا ألف دولار فى السنة . لعلها صحوه ضمير . أو ربما اتخذ القرار فى إحدى فترات شروده عندما لا يكاد يحس بوجودنا . أعتقد أنه سعيد بفكرة التخلص منا لبضع سنوات . زوجته الجديدة أصغر منى سنا .

٦ سبتمبر

.. أقمت فى بيت الطالبات داخل «الكامبوس» . اشترك يعرب مع طالبين أحدهما عراقى والثانى بحرينى فى شقة قرب الجامعة . يدفع كل منهم ٣٠٠ ليرة فى الشهر .
.. شريكى فى الغرفة مـى . عربيتها ضعيفة رغم أنها ابنة أديب لبنانى معروف . لا يغادر بيته فى الجبل .

.. بعد عشرين دقيقة على الأقدام نكون فى الحمراء . ذهبنا الى مقهى أليساى فى شارع بليس . يسميه الطلبة مقهى اليسار . تعشينا فى مطعم فيصل . كنا مجموعة كبيرة بها طلبة من أفغانستان وأثيوبيا وانجلترا فضلا عن العرب . أراد شهاب أن أرافقه الى مسكنه لكنى اضطررت للعودة الى البيت . لا يسمح لنا بأن نتأخر بعد الثامنة مساء .

٧ سبتمبر

.. رغم أن بيروت مرتع لأجهزة المخابرات الغربية إلا أن فيها حركة ثورية نشطة . تقريبا كل شخص منضم لجماعة ما . ما أحبه فيها هو المقاهى الأنيقة فى الحمراء . والتجمعات الكبيرة التى يناقش فيها كل شئ . حركة الترجمة النشطة .

أشعار ناظم حكمت ومايكوفسكى. موسيقى الروك والفيس بريسلى. أفلام تروفو وجودار. تبدو القاهرة رغم ضخامتها كالقريّة إلى جوار بيروت. الرفاق اللبنانيون أكثر وضوحاً فيما يتعلق بمساواة المرأة بالرجل.

٩ سبتمبر

.. أوصلنا شهاب بأحد رفاقه. انتظمتنا في خلية تقودها طالبة لبنانية تسكن بناية عالية بشارع الحمرا. رغم الجو الديمقراطي إلا أننا ملتزمون بالسرية التامة. عدد كبير من الرفاق من عائلات ثرية ويملكون شركات كبيرة وسيارات. منظمة الجامعة تدعى الرابطة.

١٠ سبتمبر

.. أرانى شهاب قاعة بليارد كانت تتم فيها الاجتماعات الأولى لـ «القوميين العرب» بعد نكبة ٤٨ وسط الأعلام والسيوف. أغلبهم كانوا طلبة يرتدون القمصان السوداء وبمارسون طقوساً غريبة في قهر النفس وتطهيرها. يعادون الماركسية والشيوعية. تشكلت منهم كتائب الفداء العربى (جهاد ضاحى وقسطنطين زريق). ثم انفصل جورج حبش مكوناً منظمة الشباب القومى العربى من عناصر من طلبة الجامعة الأمريكية منهم وديع حداد الفلسطينى ، أحمد الخطيب الكويتى ، هانى الهندى السورى ، حامد الجبورى العراقى .

....ذاعت التفاصيل الخاصة بمقتل شهيدى عطية أحد قادة الشيوعيين المصريين فى السجن وأول سجين شيوعى يقيد بالأغلال الحديدية أيام الملك . ظلوا يضربونه حتى سقط ميتا . قيل إنه كان يهتف بحياة عبد الناصر أثناء التعذيب. هناك ارتياح بين قادة المنظمة لتصفية الشيوعيين المصريين . أفكر فى مصير رشدى. لم أراه أو أسمع عنه منذ بدأت الاعتقالات فى فجر أول يوم من السنة الماضية.

..المعركة مستمرة بين قاسم وناصر.

١١ سبتمبر

.. ذكرنى الترام بالقاهرة . عربتان مفتوحتان مثل ترام السيدة زينب . درجتان : بريمو بمقاعد مبطنه وسكندو بمقاعد خشبية. ركبته من شارع بليس حتى نهاية الخط فى راس بيروت.

.. اشترت حذاء جديدا بكعب مرتفع من شارع سوق الطويلة .

١٢ سبتمبر

.. فيلم سايكو لهيتشكوك. مثير. أتطلع الى رؤية فيلم دولشا فيتا لفيلليني .
.. تزلت أنا ومي البحر أمام الجامعة .

١٥ سبتمبر

.. قرر يعرب شراء راديو ترانزستور. سنحاول ارسال واحد لأبي.

١٩ سبتمبر

.. زيارة لساحة البرج . سوق الشرايط . يحصلن على اذن عمل من الحكومة ورقابة طبية . من ٥ لغاية عشرين ليرة . مركز الشرطة في أول السوق . لافتات منورة بأحمر . ماريكا، سونيا، اللهلوبة . في شارع الحمرا نفسه مومسات يمكن طلبهن على التليفون . لا بد ان تتحررنساء من الحاجة الى بيع أجسادهن .

٢٢ سبتمبر

.. نظمنا مظاهرة كبيرة تأييدا لنضال الشعب الجزائري . عندما مررنا بشارع جان دارك وضعنا اسم جميلة بوحرید فوق لافتته .

٣٠ سبتمبر

.. الناس تفهم الوجودية بصورة خاطئة . الوجودي في عرفهم إنسان بلا قيم أو أخلاق وبوهيمي . لكن النقطة الجوهرية في فلسفة سارتر مثلا هي مسؤولية الانسان عن أعماله أمام نفسه وأمام مجتمعه . يعجبني موقفه من المجتمع ومواقفه المبدئية . رفض مثلا جائزة نوبل لأنها أعطيت له من قبل هيئة محافظة . يعيش هو وسيمون دي بوفوار علاقة حرة مهاجما الزواج البرجوازي والمؤسسة كلها بما فيها إنجاب الاطفال . اتفقا على أن الحب الذي يجمع بينهما لا يجب أن يقيد حرية كل منهما في إقامة علاقات جانبية . فلا أحد يملك جسد الآخر أو روحه .

أول اكتوبر

.. حادث بشع في البناية التي يسكنها يعرب. قتل الحارس أخته عندما اكتشف أنها حامل بغير زواج .

٧ اكتوبر

.. أهديت افتتاحي بالازدهار الاقتصادي فشرح لي أحد الرفاق اللبنانيين

أنه ازدهار مفتعل من أساسه. الاقتصاد اللبناني لا يعتمد على وجود قطاعات منتجة بل على الخدمات التي يقدمها إلى أفواج السياح أو البلدان المجاورة مثل تجارة الترانزيت ووكالة البيوت المالية والبنوك الغربية. كما أن هذا الازدهار المزعوم لا يستفيد منه سوى أربعة في المئة من السكان يسيطرون على ثلث الدخل القومي.

.. قال يعرب إن الصحافة اللبنانية وطنية وحررة فضحك رفيقنا اللبناني وقال إن أغلب الصحف الوطنية هنا ممولة من السفارة المصرية وتتلقى الصحف الأخرى تمويلها إما من شيوخ البترول أو الاستخبارات الأجنبية.

١٢ أكتوبر

.. قررنا أن نمتنع عن تدخين السجائر الأمريكية احتجاجا على السياسة الإستعمارية للولايات المتحدة وعلاقة شركاتها بالنظام العنصرى فى جنوب أفريقيا. تحولنا الى سيجارة بفرة اللبنانية.

٣٠ أكتوبر

.. فى لبنان عشرون طائفة . لأدرى كيف يتعايشون .
.. أبلغتنا المسؤولة بحضور ندوة هامة عن الوحدة العربية فى النادى الثقافى العربى . أعطوا الميكروفون لشاب دون أن يذكروا اسمه. بدأ يتحدث فى هدوء ثم تدفق كشلال مياه . ركز على أهمية نكران الذات والعمل للوطن وللأمة العربية. الهبنا. عندما ينفعل يطوى يده على شكل قبضة .

٤ نوفمبر

.. استفسرت من المسؤولة عن اسم المتحدث. رفضت أن تذكره لى قائلة إنه عنصر سرى . قال لى شهاب إنه جورج حبش . لم أصدق أنى رأيتة بعينى .
.. حولت من الطب الى كلية العلوم السياسية ففيتها اقتصاد وفلسفة.

١٨ نوفمبر

.. غريب أمر الرجل الشرقى . أنا الذى قررت أن الوقت قد حان لأنال حريتى . وبدا هو مترددا . أثارتنى الرغبة البادية فى عينيه وهو يتطلع إلى جسمى العارى. لكننى لم أستمتع بالشكل الذى كنت أتصوره . رغم أنى لم أتألم . كنت أستمتع أكثر فى القاهرة عندما كنا نكتفى بالقبل . وفيما بعد أخذ يعتذر لى .

لماذا؟ لا أدري . ثم قال إنه على استعداد لأن يتزوجني فوراً . كأنما ارتكب شيئاً في حقي . ضحكت .

.. تأملت نفسي طويلاً في المرأة . لم يبد على أى تغيير . ما زلت عاجزة عن التألف مع صورتى . كتفاى أعرض مما يجب . صدرى أيضاً أكبر مما يجب . .. أتذكر كثيراً منزلنا فى الدقى ورشدى الذى كان يتطلع إلى دائماً بعيون والهة . لم يجد الجرأة على مصارحتى بمشاعره . غريب هو الآخر . .. قرأت رواية ليلى بعلبكى . لم أتصور أن توجد كاتبة عربية بهذه الجرأة .

٢٥ نوفمبر

.. ما زلت عاجزة عن الاستمتاع . تأخرت أمس عند شهاب . وصلت الهوستل فى التاسعة مساء . قررت الإدارة حرمانى من الخروج فى الوبك اند التالى .

٣ ديسمبر

.. الجامعة الأمريكية مركز لنشاط ثقافى حيوى . هناك أساتذة قوميون مثل يوسف صايغ وقسطنطين زريق وحناء بطاطوو وليد الخالدى . لا يتورعون عن مهاجمة السياسة الأمريكية أمام أعضاء السفارة الذين يحضرون العروض السينمائية . .. اكتشفت منطقة شديدة الحساسية فى ظهرى . عندما يلمسها شهاب أذوب تماماً . أصبح هناك منافس لصدرى .

٦ ديسمبر

.. علاقة يعرب بشهاب متوترة .. أكون ذلك بسببى ؟ أتذكر مواقف معينة . لا أستطيع تفسير سلوك يعرب ازائى . مى أيضاً لا تطيق شهاب .

٢٨ ديسمبر

.. مررت بأيام صعبة عندما تأخرت الدورة . أصبحت أخاف من الانتركورس . شهاب لا يحب استخدام الواقى الذكرى ولا أنا . قرأت اليوم عدة كتب فى الموضوع . شرحت له كيفية حساب أيام الأمان .

أول يناير ٦١

.. حفلة رأس السنة فى الجامعة . رقصت الروك مع شاب انجليزى لأنعلمها . غضب شهاب فتوقفت . رقصت مع مى .

.. تشاجرت أنا وشهاب حول أغنية أم كلثوم الجديدة : أنت عمري . قلت له إنها نموذج لفن الإقطاع وللتطريب الرجعي وإن الكلمات لا معنى لها . وإن استمتاعه بها يتناقض مع قناعاته الأخرى . أعتقد أنني كنت أحاول استفزازه . هناك شيء ما تغير في علاقتنا .

.. قرأت رواية الحى اللاتينى لسهيل إدريس . فاتنة .

١٣ فبراير

.. اغتالوا لومومبا .

.. ناقشنا علاقتنا . أكد لى أنه يحبني . لا يتحدث عن طفولته كثيرا رغم أنه يحب الحديث عن نفسه .

.. هل ينجح قرار وزراء الخارجية العرب فى منع اسرائيل من تحويل نهر الأردن؟

٢٢ فبراير

.. احتفلنا بعيد الوحدة المصرية السورية . مصادمات مع الكتاب . لاحقتنا السلطات العسكرية . اعتقلونائهم أفرجوا عنافى نهاية اليوم . .. الحركة تحتاج الى مساهمات مالية . قررنا تخفيف تفتقاتنا . يكفى الواحد أن ينفق ٢٠٠ ليرة فى الشهر . اقترحت أن نرتدى بنطلونات الجينز الرخيصة . رفض شهاب ويعرب إذ اعتبرها غير لائقة .

٢٨ فبراير

.. تشاجرت مع شهاب مرة أخرى . اشترى حذاء أسود لموسم الشتاء رغم أن لديه حذاء رماديا من السنة الماضية فضلا عن حذائين آخرين بألوان فاتحة للضيف . كان من الأجدر أن يتبرع بثمان الحذاء الجديد للحركة . قال إن الحذاء الرمادى لا يصلح لفصل الشتاء . اتهمته بالجدلقة .

أول مارس

.. اسبوع حافل بالمؤتمرات والمظاهرات فى بيروت و طرابلس وصيدا . .. زرنا مخيمات النازحين الفلسطينيين . تطوعت مع عدة رفيقات لتدريس اللغة الانجليزية لتلاميذهم .

٢ مارس

..أمس يوم تاريخى ! كنا معا. كان فى مزاج رائق بعد عدة كؤوس .
شاركته بعض الشراب رغم نفورى من الخمر .ركبت فوقه واستسلم لى . شعرت
بلذة غريبة . همس لى أنه يعبدنى . فجأة ضعت . لم أعد أعرف أين أنا . أظن أنى
فقدت الوعى عدة ثوان . لا أحب هذا الشعور . يذكرنى بالمرّة الوحيدة التى سكرت
فيها و فقدت توازنى .

٢ أبريل

.. يرفض أن يكون تحتى . يصر على أن يكون فوق . فكرته عن وضع
الرجل وكرامته ؟ أما أنا فلا أحب أن أشعر بنفسى مقيدة بين ساعديه القويين .
أستمتع أكثر عندما أكون فوق .

١٢ أبريل

.. انتصار عظيم للإنسانية . دار جاجارين حول الأرض فى ساعة و٤٨
دقيقة .
.. رُشح يعرب لمستوى أعلى .

١٩ أبريل

.. الثورة الكويتية قوية وصامدة . فشل الإنزال الأمريكى فى خليج الخنازير .

مايو

.. أول عيد ميلاد لى وأنا امرأة كاملة .
.. رفضت فكرة يعرب بأن نقضى الصيف فى اليمن . خفت ألا تتمكن
من الخروج ثانية لأى سبب . فربما غير أبى رأيه أو أصدر الملك أمرا بمنع السفر .
دعتنى مى ل قضاء الصيف فى بيت أبيها .
.. أعتقد أن يعرب مهتم براندة .

يونيو

.. رسالة تهديد غامضة تطالب يعرب بالابتعاد عن راندة . يعتقد أنها من
أهلها المسيحيين .
.. احتفلنا بإعلان استقلال الكويت وانتهاء الحماية البريطانية .

أول يوليو

.. الكويت تستنجد ببريطانيا ضد التهديد العراقي .

.. دورة في صوفر بالجبل . رشحوني لعضوية لجنة الفكر . تم تنزيل يعرب

الى عضو حلقة بسبب ما بدا عليه من حب للظهور.

٥ يوليو

.. عبد الناصر يطالب بجلاء القوات البريطانية عن الكويت .

١٨ يوليو

.. امتنعت راندة عن لقاء يعرب.

٢٠ يوليو

.. تأميمات ناصر تثير الحيرة والتساؤلات . شهاب يقول أنها نتيجة منطقية

لرغبة ناصر في توظيف الممتلكات الأجنبية في خطة تنمية شاملة للبلاد .

.. أكتب هذا في اللجنة . بيت مئى فى شتورة . شهاب فى عمّان لدى

أهله . أظن أن نظرتة لى تغيرت بعد ما حدث بيننا . رغم قناعاته النظرية بالمساواة

بين الجنسين فى كل شئ لا يستطيع أن يتخلص من ميراث القرون . الغيرة تفترسه

ويظن أنى يمكن أن أسلم نفسى لأى رجل كما فعلت معه . أعتقد أنى نزلت من

عينه كما يقول المصريون .

.. قرأت كتاب سارتر الجديد : نقد العقل الديالكتيكي . محاولة لعقد

زواج بين الوجودية والماركسية . يقول أن الفلسفة التى تصلح للدفاع عن الطبقة

الصاعدة فى أى عصر هى فلسفة هذا العصر . هى فلسفة حية بالضرورة ولهذا

فالماركسية هى فلسفة القرن العشرين . قال ماركس إن التطور الديالكتيكي أى لولبي

يجمع بين الدائرة والخط ، فيتخذ من الدائرة الإيحاء بالحركة الدائمة ومن الخط

الإيحاء بالتقدم . لكن الصراع هو السمة المميزة للتطور ، للحركة التاريخية ، أى

للحركة الديالكتيكية . هو الذى يمنعها من التججر . من ناحية أخرى يرفض سارتر

مبدأ الحتمية التاريخية الذى تنادى به الماركسية لأنه يتعارض مع الطبيعة

الديالكتيكية للتاريخ .

٢٩ يوليو

.. مفاعل ذرى عربى فى مصر .

أغسطس

.. لم أتصور يعرب بهذا الضعف .. إنه يبكى لأن راندة تركته . ومع ذلك أعتقد أن عاطفته ناحيتها لم تكن قوية .

١٤ سبتمبر

.. شجار جديد مع شهاب . منذ عودته من عمّان وهو يلاحقني بالأسئلة . إذا رأيت أبادل التحية مع شخص يسألني : كيف عرفته ؟ هل قبلك ؟ هل نام معك ؟

٢٨ سبتمبر

.. انهيار الوحدة المصرية السورية على يد الانفصاليين .

أكتوبر

.. مناقشات واسعة حول ترتيب المهام الثورية . أيهما الأول : الوحدة أم الحرية أم الاشتراكية ؟ خلافات حادة وانقسامات .
.. ملابسى الداخلية تختفى بانتظام . لا أعرف كيف .

أول نوفمبر

.. تخفيض إيجارات المساكن في مصر .

١٠ نوفمبر

.. اكتشفت أن مىّ تستولى على ملابسى الداخلية أولا بأول وتستهملها . واجهتها فبكت . قالت إنها تحبني . لم أدر بماذا أجيب . أخيرا قلت لها إنى أحبها أيضا لكن ليس بهذا الشكل . رجتنى ألا أقول لأحد .

٢٨ نوفمبر

.. الجو متوتر في الغرفة . تحرص على تجنبى . تقرأ دروسها في القاعة العامة . هل أنتقل الى غرفة أخرى ؟

ديسمبر

.. أريد أن أكون جميلة بوحريد الجزيرة العربية .
.. فيلمان رائعان : العام الماضى فى مارينباد لآلان رينيه و المتحدلقون لكلود شابرول .

.. لم تشترك فى حفلة رأس السنة . ذهبت الى بيتها وبقت هناك عدة أيام .
تعاملنى منذ عودتها بجفاء . هل بدأت تكرهنى ؟

فبراير

.. لا نكاد نتبادل كلمة واحدة .

.. قرأت ملخصا لكتاب رأس المال لكارل ماركس . إنه يؤكد حتمية القضاء على نظام الرأسمالية وحتمية الانتقال إلى الاشتراكية بوصفها وريثة الرأسمالية : النظام الرأسمالى ليس سوى نظام استغلال طبقى تمارسه طبقة البرجوازية . وهو ينمى الطبقة التى تستطيع وحدها أن تضع حدا له وأن تنهى معه كل استغلال طبقى ألا وهى البروليتاريا . إنها الطبقة التى لا تملك أى وسيلة إنتاج وتنتج عن طريق بيع قوة عملها فائض القيمة الذى تتكون منه ثروات الرأسماليين . وجدت صعوبة فى فهم موضوع فائض القيمة واكتشفت أن يعرب وشهاب لا يفهمانه أيضا .

شرح لى عماد الموضوع : فائض القيمة هو الفرق بين ما يحصل عليه العامل من أجر وما انتجه من قيمة لأنه لا يأخذ أبدا المقابل الحقيقى لما أنتجه . لم يكن من الممكن الوصول الى هذا القانون الرأسمالى بغير المنهج المادى الجدلى : المنهج الذى يدرس الظاهرة كحقيقة موضوعية مستقلة عن وعينا وإرادتنا ، فى اكتمالها ، فى حركتها ، فى تناقضاتها ، فى صيرورتها . أعطانى مؤلفات هنرى لوفافر عن الماركسية . عماد ذو ثقافة واسعة فضلا عن أنه شاعر ويبدو انه شيوعى . شهاب يسخر من أنفه الضخم والبثور التى تملأ وجهه . هل يغير منه ؟

أول مارس

.. أصادف عماد كثيرا هذه الأيام . أكثر من مرة أجده أمامى عندما أغادر

البيت .

٩ مارس

.. أعطيت عماد اليوم موعدا أمام الجامعة . تأخرت عليه ثلاث ساعات وعندما خرجت وجدته ما زال واقفا ينتظرنى . شعرت بالنشوة .

.. شن كاسترو هجوما عنيفا على الشيوعيين بعد أن اتحد معهم فى حزب

واحد .

٢ مايو

..القاهرة تحتفل لأول مرة بعيد العمال العالمى .

.. احتفلت بعيد ميلادى فى بيت شهاب . عندما انصرف الجميع كان قد

ثمل . مزق لى ملاسى . رأيت فى عينيه نظرة غريبة أخافتنى . حاولت دفعه عنى .
لكنه قيدنى بقوة . لأول مرة يستمتع وحده دون مشاركة منى .

يونيو

.. قرر شهاب أن يقضى الصيف الى جوارى فى بيروت .

يوليو

.. الرفيق سامر مسئول جديد لمجموعتنا .. شخصية جادة . ماهر فى عرض

أفكاره . لا يخلو من وسامة .

..انتصرت الثورة فى الجزائر. إعلان الاستقلال بعد ١٣٢ سنة من

الاستعمار .

.. الجدلية كما يقول انجلز هى علم القوانين العامة لحركة وتطور الطبيعة

والمجتمع البشرى والتفكير .

.. ما من شئ أو ظاهرة فى الدنيا ثابتة لا تتغير . ويدرس الديالكتيك العالم

فى حركته وتغيره وتطوره المستمر . فالقديم يندثر ويترك مكانه للجديد باستمرار .

الجديد المقصود هو التقدمى . الأتقن والأكثر قدرة على الحياة . الذى ينمو ويتطور

باستمرار . وهو ينتصر عندما يستجيب لمتطلبات الحياة الاقتصادية .

.. القوانين الأساسية للمادية الجدلية : (١) قانون وحدة وصراع الأضداد :

فى كل الأشياء والظواهر جوانب متناقضة لا يمكن أن يوجد أحدها دون الآخر

وهى موجودة جميعا فى حالة صراع . هذا الصراع هو العامل الحاسم فى التطور .

(٢) قانون تحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية : العالم يتغير بطفرات

وبصورة ثورية .

(٣) قانون نفى النفى : يصف الطابع التقدمى الحلزونى للتطور . تطور أى

ظاهرة لا بد ينفي أشكال وجودها السابقة وفي نفس الوقت يحتفظ بما هو ايجابي في الوجود السابق.

..الجدلية هي مذهب الترابط الشامل والتبعية المتبادلة بين الأشياء والظواهر. من الضروري لفهم أى ظاهرة، كما يقول لينين، دراسة كل جوانبها وترابطاتها.

٧ سبتمبر

.. اختارت مئىّ غرفة أخرى . تسكن معى طالبة أمريكية. مغرمة بشاب كردى.

٢٦ سبتمبر

.. يوم تاريخى . يا لروعة الدنيا . قامت الثورة أخيرا فى اليمن . ذهب الإمام وأسرة حميد الدين . أود لو كنت هناك لأعانق السلال البطل . أوشكت أن أخضع لرغبة يعرب فى الذهاب إلى صنعاء لكنى خفت ألا يسمح لى أبى بالعودة إلى بيروت .

.. رأيت الإمام أحمد مرة فى تعز التى لا يغادرها . كان يرتدى قميصا أحمر اللون وعمة بيضاء تتدلى منها عذبتان هما إشارة الإمامة . جفناه مخضبان باللون الأزرق ولحيته مصبوغة باللون الأسود . يبتسم ابتسامة مفزعة تكشف عن أسنانه الذهبية . كان يقيم مع اثنتين من زوجاته الأربع ويتسلى باللعب بقطار كهربائى . إذا استدعى المهندس إلى تعز فذلك لتنظيم مواصلات قطار صاحب الجلالة .

الغريب أن الناس كانت تؤمن بقدراته الخارقة . هناك من أقسم أنه رآه يلقي على الأرض بحزمة حطب فتتحول إلى ثعابين . يقال إنه كان يختلى فى غرفة ليلا ويطفئ الأنوار ثم يجمع الجن ويصدر إليهم أوامره . هو وأسرته وطبقة الأشراف الزيدية مسئولون عن تخلف اليمن وعزله عن العالم . منذ نهاية القرن التاسع الميلادى وهم يسيرون على قاعدة إمام يقتل إماما ثم يظهر واحد ليقتله ثارا للأول .

١٢ نوفمبر

..خمسة من الطيارين السعوديين يهربون بطائراتهم إلى القاهرة . رفضوا الاشتراك فى ضرب الثورة اليمنية . تبعهما طياران أردنيان وأخيرا قائد الطيران الأردنى نفسه. التيار القومى يزحف وينتصر.

.. مفاجأة صاعقة . ذهبت إلى اجتماع في منزل الرفيق سامر . استقبلني بالبيجاما ووجدته بمفرده . قال إنه أبلغ الآخرين بتأجيل موعد الاجتماع . سألته لماذا لم يبلغني أنا أيضا . قال إنه أراد أن يتحدث إلى في أمر خاص . سألتني عن علاقتي بشهاب وقال أنه غير واضح . ثم قال لي بالحرف : ما رأيك في ممارسة الجنس معي ؟

.. تطلعت إليه مذهولة . لم أتوقع أبدا أن أكون محل اعجابيه . فهو ذو شخصية جذابة والنساء يعجبين به . أنا نفسي كنت فعلا معجبة به . عندما استوعبت الموقف شعرت بالإهانة . قال بابتسامة ملتوية إنه يعرف كيف يبسطني وأنى سأبسط تماما وأن النساء يستمتعن معه جيدا وسيريني ما لا يقدر عليه صديقي الأردني . هممت بالانصراف ثم غيرت رأى . خلعت حذائي وأنزلت الكولون والكيلوت . رقدت فوق الأريكة وقلت له في هدوء : تفضل . بدا عليه الارتباك ثم خلع ملابسه وانضم الى . ظللت أتأمله بجمود وهو يحاول معي . بالطبع لم يتمكن من شيء . فقد كنت جافة للغاية . وفجأة قذف مني فوق فخذي . سألته وأنا أرثدي ملابسي : أنا لم أنبسط فهل انبسطت أنت ؟ لم يرد . قلت : ألم يكن من الأفضل أن تأتي بعاهرة من ساحة البرج ؟ كنت ستستمع أكثر .

٣ ديسمبر

.. اختفى سامر تماما وجاءوا لمجموعتنا برفيق آخر بدلا منه . لم أفه بكلمة لأحد .

.. تفكير في تكوين لجنة مسعولة عن النشاط في عُمان . اجتمع بنا الرفيق أحمد علي (إسم حركي) . عمانى من نفس منطقتنا عند سفح «الجبل الأخضر» . أسرته من العمال الزراعيين . يقوم هنا بنشاط واسع بين العمال الزراعيين في سهل عكار . يتحدث بصعوبة ويتأنيء معظم الوقت . هناك تحرك في المنطقة الجبلية الواقعة بين عمان واليمن وتسمى ظفار . تشكلت جماعة باسم الجمعية الخيرية الظفارية . ربما كانت المخابرات المصرية أو السعودية وراءها . أعضاؤها يجمعون المال تحت ستار بناء المساجد ومساعدة الفقراء . غرضهم الحقيقي هو تنظيم معارضة مسلحة ضد سلطان عمان .

.. لأول مرة نتفق أنا وشهاب ويعرب في الرأي .أجمعنا على أن الميثاق الذى أعلنه عبد الناصر وضع حركتنا أمام مفترق طرق . لم يعد شعار «دم، حديد، نار - وحدة، تحرر، ثأر» يتماشى مع العصر والأحداث . عماد يتحدث بإعجاب عن جورج حبش وكيف أنه يميل إلى الاشتراكية .

.. تشكلت «الجهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل» من مجموعة من التنظيمات السرية. كونها قحطان الشعبى من العمال العائدين من الخليج والطلاب والمدرسين والعاملين فى القاعدة البريطانية بعدن .

يناير ٦٣

..الرجعية السعودية تخشى تأثير ثورة اليمن ولهذا تجهد للقضاء عليها . أثبت ناصر قوميته بارسال ٣٠ ألف جندى لمساندة الثورة.

.. عرفنا أن الجمعية الخيرية الظفارية كونها مسلم بن نوفل. من مشايخ بيت كثير فى قبيلة القرا الظفارية وهرب إلى السعودية فى العام الماضى . جمعية انزالية انفصالية فشعارها هو «ظفار للظفارين» .

٨ فبراير

..مصراع عبد الكريم قاسم على يد انقلاب عسكري . هل ناصر وراء الانقلاب ؟

.. شكلت المخابرات المصرية جبهة مناوئة للجهة القومية فى عدن . أسموها جبهة التحرير.

..لا بد من مواجهة الأمر: لم أعد أستمتع مع شهاب . شجاراتنا مستمرة حول كل شىء . إذا قلت شرق قال غرب . يريد أن يؤكد شخصيته باستمرار . ثم هناك غيرته الشديدة التى تنغص على حياتى . طلب منى أن أكف عن رؤية عماد. قلت أن ليس من حقه مصادرة حريتى فى لقاء من أشاء . وهل طلبت منه أن يمتنع عن لقاء أحد ؟
تعبت .

٢٥ فبراير

..صراع بعثى فى بغداد بين على صالح السعدى والبكر. يعتمد الأخير على صدام حسين المعروف باسم جلاذ قصر النهاية ..

مارس

.. متظمة فتح تتوسع . هاجمنا اتجاهاتها الانعزالية فى نشرة الكادح

الثورى.

مايو

.. تقرر ادخال العنصر الطلابى للحركة فى العمل الشعبى . وضعنا خطة

لتجنيد حلقات فى الشياح وفى المخيمات الفلسطينية .

أغسطس

.. التأميمات مستمرة فى مصر .

.. محسن ابراهيم ومجلة الحرية يدعوان الى الالتحام بالناصرية وتبنى

الاشتراكية العربية . صراع مع القيادة . هناك روح جديدة بيننا . طرح للقضايا
الطبقية .

١٤ أكتوبر

.. اندلع الكفاح المسلح فى الجنوب اليمنى بقيادة الجبهة القومية . كانت

قبائل بن راجح بن غالب قد حاربت فى اليمن إلى جوارالقوات المصرية . عند
عودتها إلى موطنها فى جبال ردفان حاصرتها القوات البريطانية وطالبتها بتسليم
سلاحها . نشب قتال سقط فيه شيخ القبيلة فانفجرت الشرارة الأولى فى المنطقة .
حولت الجبهة القومية التمرد إلى ثورة مسلحة وفتحت العديد من الجبهات داخل
ولايات الجنوب .

.. فيصل عبد اللطيف الشعبى وعدد آخرمن قادة الجبهة لا يتحمسون

للكفاح المسلح ويفضلون الكفاح السياسى بدعوى أن شعبنا فى الجنوب عبارة
عن قبائل مرتزقة يهملها المال والسلاح . طبيعى أن يكون ذلك هو موقف فيصل
طالما أنه وزير فى الحكومة التى عينها الانجليز .

١٨ نوفمبر

.. سقط النظام البعثى فى العراق . انقلاب عبد السلام عارف بدعم من

حركاتنا والناصرين .

ديسمبر

.. طلبت الذهاب إلى عدن للاشتراك فى الكفاح المسلح .

.. فيلم توم جونس لتونى ريتشاردسون أكثر من رائع .
.. ثلاث اجتماعات فى الاسبوع. توليت مسئولية خلايا فى الجامعة اللبنانية.
أيضا فرع جامعة الاسكندرية .

يناير ٦٤

.. احتفلنا بالعام الجديد فى قصر فخم لوالد أحد الرفاق . رقص شهاب
طويلا مع صحفية لبنانية تدعى نهلة. بيضاء ولها شفايف ممتلئة.
.. أعلن البعث السورى تبينه للماركسية كمرجع أساسى . يتحدثون عن
الطريق العربى الى الاشتراكية بعد ان كانوا ينادون بالاشتراكية العربية. تكتل
عسكرى من عمران وصلاح جديد والأسد وعبد الكريم الجندى.

فبراير

.. قرأت مقالا لنهلة فى مجلة اسبوعية تافهة .

٢٣ مارس

.. تعيين عبد الحكيم عامر نائبا أول لناصر . هل هو انقلاب صامت ؟
البعض يقول أنه يمثل الجناح التقدمى فى الحكم .

١٤ أبريل

.. اشتركت فى مؤتمر القوميين العرب . كان الرفيق سامر موجودا وتجاهلنى .
حضر وفد من الجبهة القومية العدينية برئاسة قحطان الشعبى. أصبح واضحا أن
هناك اتجاهين. اللبنانيون ثوريون بالتمام . طرحوا التوجه الطبقي للحركة وتعيين
الموقف من الصراع الطبقي بالبلدان العربية والموقف من البورجوازية الصغيرة.
دعوا إلى خوض حرب شعبية فى سبيل تحرير فلسطين وضرورة اقتباس
أفكار الاشتراكية العلمية . اضطرت القيادة إلى تبنى وجهة نظر الثوريين . قال لنا
أحد القادة بمرارة : ناصر سرق الأرض من تحتنا خصوصا بعد التأميمات والجميع
الآن يتنافسون لكى يقفوا على يساره .

١٧ أبريل

.. شرح لنا الرفيق قحطان الشعبى فى اجتماع خاص (حضره الرفيق سامر)
تجربة الكفاح المسلح فى الجنوب اليمنى . كانت الأمور صعبة فى البداية. عدن
أشبه بشبه جزيرة صغيرة أو عنق زجاجة يمكن السيطرة عليها بسهولة بقوة صغيرة

وإغلاق كافة منافذها خلال دقائق . الانجليز ضربوا حصارا حولها بنقاط تفتيش وأميل من الأسلاك الشائكة . وفوق ذلك فإن قواتنا لم تتدرب على قتال المدن . تمكنوا من إدخال السلاح إلى المدينة مع الجمال التي كانت تنقل العلف والخضراوات . داخل المدينة نفسها قام المناضلون بصناعة القنابل البلاستيكية . بعد شهر قليلة من انتفاضة ردفان بدأوا يلقون القنابل اليدوية على منازل الضباط الأنجليز ونوادهم ويطلقون عليهم نيران البازوكا .

وصف لنا عملية الهجوم على المطار العسكري بقذائف الهاون . أثناء العودة طاردتهم الهيلوكوبتر فواجهوها برصاص الرشاشات حتى دخلوا أحد الشوارع . تتبعتهم الطائرات على علو منخفض . ومع ذلك تمكنوا من الإخفاء وإخفاء مدفع الهاون الثقيل .

.. كنت أعرف ان سامر يمى لكنى لم أعرف ان له صلة بالعمل المسلح . استمعت اليه غير مصدقة وهو يروى كيف قاد مجموعة الهجوم فى منطقة تواهى حيث مقر القيادة العامة الانجليزية للشرق الأوسط . تسلقوا تلا يشرف على محطة الإذاعة الانجليزية ومن هناك أطلقوا البازوكا . دمروا المبنى وقتلوا عددا من الجنود الانجليز . ثم عادوا إلى المدينة سيرا على الأقدام خلال التلال واختلطوا بالناس فى الشوارع ليتعرفوا على رد الفعل الشعبى .

كان يتحدث وهو ينظر نحوى بين الحين والآخر وعلى شفثيه ابتسامة زهو واستخفاف .

١٨ أبريل

.. تم الاتفاق على صيغة توفيقية بين التيارين . اعتبر المؤتمر مرحلة فى طريق بناء الحركة الاشتراكية العربية الواحدة تحت قيادة عبد الناصر . .. بدأ الإفراج عن الشيوعيين فى مصر .

١٩ أبريل

.. حدث غريب . قتل الحراس معتقلا شيوعيا فى سجن الواحات المصرى . هل هى محاولة من جهة ما لاشعال الفتنة من جديد بين ناصر والشيوعيين ؟ .. ترى ماذا حدث لرشدى ؟

أول مايو

.. أفكر كثيرا فى القاهرة وبيتنا فى العجوزة . والأمسيات التى كنا نقضيها مع الأصدقاء . وزيارات شهاب أيضا.

٢٠ مايو

.. أفرج عن كل المعتقلين والمسجونين الشيوعيين فى مصر بعد اعتقال استمراراً أكثر من خمس سنوات . خرجوا جميعاً قبل أيام من وصول خروشوف ليحضر الاحتفال بتحويل مجرى النيل وانهاء المرحلة الأولى من بناء السد العالى . اشتعلت المناقشات هنا من جديد بعد تصريح خروشوف . قال إن مصر تسير فى طريق التطور غير الرأسمالى . اعتبر الناصريون هذا التصريح آخر مسمار فى نعش الشيوعيين . اليمين رأى فيه دليلاً جديداً على ارتداء ناصر فى أحضان الشيوعية .

يونيو

.. احتفلنا بتخرجى بدرجة امتياز . صفت شعرى عند الكوافير . لم يدعونى شهاب الى منزله كما كنت أتوقع .

يوليو

.. تحالف يعرب وشهاب ضدى مرتين : الأولى عندما ارتديت المينى جوب والثانية عندما قررت الانضمام للتنظيم العسكرى . لكنى تغلبت على معارضة يعرب كالعادة .
.. جفوة بينى وبين شهاب .

٣ أغسطس

.. مجموعتنا مؤلفة من ١٦ عنصراً . هناك ثلاث فتيات غيرى . واحدة لبنانية واثنان فلسطينيتان . ذهبتنا للتدريب فى مزرعة نائية فى البقاع .
.. المدرب عسكرى قديم . خرج من الجيش الأردنى فى ٥٧ بعد إقالة حكومة النابلسى . أقام مدرسة للرياضة البدنية . التدريب قاس وصارم فهو يطلب منا أقصى انضباط ولباقة بدنية وحياة شبه ناسكة . يدرينا من الفجر حتى الغروب ، ويفرض علينا مواعيد منظمة فى النوم والاستيقاظ . رآنى مرة فى الصباح أحمل فرشاة أسنانى وفوطه فى طريقى إلى الحمام المشترك . أمرنى بالعودة قائلاً إنى يجب أن أعود على الحياة بدون حمام وبدون فرشاة أسنان . تعلمنا كيف نطلق النار ونقرأ

الخراط ونستخدم التنكر ونتحرك بلا صوت ونصنع المتفجرات ونرمى القنابل ونقوم بالدوريات وكيف نعالج كسور العظام ونضمد الجراح . قمنا بمسيرات طويلة في كافة الظروف الجوية.

٥ أغسطس

..تدربنا على الكلاشينكوف . يمكنه أن يطلق طلقات مفردة أو رشات أوتوماتيكية . صممه سنة ١٩١٩ ضابط في الجيش الأحمر السوفييتي يحمل نفس الاسم . سلاح ممتاز . من النادر أن يتعطل ويمكن أن يرميه المرء في التراب ويقف فوقه بينما يستمر في الإطلاق .

.. المقال الثوري في حرب العصابات : « يصل كالإعصار فيهدم كل شيء ، لا رحمة لديه إلا حسب الظروف ، يقتل عند الاقتضاء ويعامل المهزومين بالحسنى ويحترم الموتى . الجريح حرام وينبغي معالجته . لا يأخذ أسرى . يجازف بحياته كلما لزم ذلك . مقدم ، يحلل الخطر وامكانات العمل ببرود . يبرز قدرة كافية على التكيف . لا يترك رفيقا جريحا إلى رحمة جنود الأعداء .. لا يشكو . يستطيع تحمل الألم من العطش إلى الجراح ، وغالبا ما ينبغي أن تندمل الجراح دون تدخل الجراح بفعل الطبيعة وحدها .. لا يحمل معه إلا ما لا غنى عنه . يراعى عدم ابتلال الرصاص ويحرص على ألا يفقد منه واحدة . يأكل متى استطاع وكل ما يستطيع ويمكن أن يصوم يومين أوثلاثة . السماء هي سقفه وبينه وبينها رق من النايلون مضاد للمياه ..» جيفارا .

.. اعتبر جيفارا السلوك البطولي أمرا عاديا وأى ابتعاد عنه يستحق الرفض .

١١ سبتمبر

.. مؤتمر القمة العربية بقرрьء العمل الفوري في مشروعات تحويل نهر الأردن والتأهب لحمايتها بالقوة المسلحة . الهدف هو قطع الطريق على المحاولات الاسرائيلية للسيطرة على مصادر المياه .

٢٥ سبتمبر

.. حضر الرفيق سامر ليعطينا شهادة التخرج . لم تصدر عنه بادرة بأنه يعرفني . عندما جاء دوري طلب مني أن أقدم عرضا للزحف في الطين وأنا أحمل بندقية وأحرص على عدم ابتلالها . تمرغت في الطين أمامه ثم وقفت ولحظت شبه ابتسامة ظافرة على وجهه . سألتني : ماذا تفعلين إذا وجدت العدو فجأة أمامك وليس

هناك وقت لتصويب سلاحك نحوه ؟ قلت : أهجم على عنقه بيدي . ابتسم وقال : لكن يدك تحمل سلاحا . لا أظن أنك قادرة على عمل شيء . أنت امرأة . هيا . أريني ما يمكن أن تفعل . افترضى أنى أنا العدو . دون أن أفكر رفعت ساقى وبكل ما أملك من قوة صوت طرف قدمى إلى مابين فخذيه . سقط على الأرض يتلوى ويده على مكان الضربة . كدت أرقص من الفرح .

٢٦ سبتمبر

.. ذهبت الى بيت شهاب بمجرد وصولى الى بيروت . لم أجد رغبم أنى كتبت له من قبل بموعد وصولى . تركت له ورقة .

٢٨ سبتمبر

.. التقينا . ذهبت معه الى منزله . خلع ملابسه بمجرد وصولنا . فعلت مثله . ماجرى بعد ذلك تم بلا حماس .

أول اكتوبر

..بدأ تطبيق نظام للتأمين الصحى بمصر .

٢٩ اكتوبر

.. تدريب مرهق ودورات سياسية : الشفرات وإشارات الراديو وقواعد العمل السرى .

.. أعطيت حياتى للنضال من أجل تحرير البشرية .

.. قرأت فونتمارا (سيلونى) ، الأم (جوركى) ، فارس الأمل (جورج أمادو) .

.. الثورى يتفانى فى التضحية بلا أى قدر من الأنانية ولا يطبق الاستعراض والتفاخر والمبالغة والادعاء ، جيفارا .

١٠ نوفمبر

.. الانفجارات تتابع ضد الانجليز فى عدن . الأصنج يكشف عن وجهه

الحقيقى . قال إن هناك بلدانا حصلت على استقلالها دون حروب مثل زامبيا ومالوى والسودان .

٢٦ نوفمبر

.. قادت مسيرة تضامن مع مظاهرات القاهرة التي أحرقت مكتبة السفارة الأمريكية احتجاجا على عدوان القوات الأمريكية والبلجيكية الجديد على الكونجو.

٢٤ ديسمبر

.. شن ناصراًمس هجوما عنيفا على الولايات المتحدة ردا على سلوك السفير الأمريكي فى مقابلة مع وزيرالتموين المصرى . قال إنه دخل مقموصا وأعلن فى لهجة تهديدية أنه لا يستطيع الكلام فى شىء مما جاء من أجله لأن سلوك الجمهورية العربية المتحدة لايعجبه . وجه ناصر حديثه الى الولايات المتحدة قائلا: إذا لم يعجبكم فاشربوا من البحر .

.. ليفى اشكول: اسرائيل تعتبرالمياه بمثابة الدماء التى تجرى فى عروقنا وستصرف على هذا الأساس.

.. حتى الآن قدمت ألمانيا الغربية لاسرائيل تعويضات وهدايا قيمتها عشرة مليارات دولار .

٢٦ ديسمبر

.. قتل فدائيو الجبهة القومية فى عدن ضابطا عربيا فى المخابرات البريطانية . جرت العملية بالنهار وفى حى كريتير المزدحم . قاد العملية عبد الفتاح اسماعيل (عامل بمصفاة النفط صار معلما بمدرسة) ومحمد صالح مطيع وعلى سالم البيض .

.. تشكلت جبهة تحرير ظفار . على رأسهاالجنة خماسية مشتركة لتحضير الكفاح المسلح تتألف من القوميين العرب (الذين عملوا فى الكويت) والجمعية الخيرية الظفارية ومنظمة الجنود الظفاريين السرية . مسلم بن نوفل هو همزة الوصل بين الجبهة وقبائل الداخل العماني . مصر ضغطت من أجل هذه الوحدة كشرط لتقديم أية مساعدة .

٢٨ ديسمبر

.. بن بيلا يحاول السيطرة على إنتاج البترول الذى تتحكم فيه الشركات الفرنسية .

.. كتاب المدارس الاشتراكية فى أفريقيا لسكرتير الحزب الشيوعى

السودانى عبد الخالق محجوب. يقول إنه يمكن بناء الاشتراكية فى بعض المجتمعات دون حزب شيوعى ويعلن تأييده التام للناصرية والطريق غير الرأسمالى. أصبح الحزب الشيوعى السودانى فى الشهر الماضى حزبا علنيا بعد ١٨ سنة من السرية .

يناير ٦٥

.. تأكدت من أمرشهاب . لمحته أمس جالسا فى الحمرا مع نهلة وقد احتضن كفيها بين كفيه. واجهته اليوم فقال ببرود إن علاقتنا حرة .
..لم أنم .

٥ يناير

.. الجبهة الظفارية الجديدة تتكون من فئتين رئيسيتين : المهاجرين الظفاريين فى الخليج والعناصر القبيلة من الرعاة ذوى التاريخ الطويل فى التمرد على سلاطين مسقط. تزايدت نقمة هؤلاء على السلطان سعيد بن تيمور بعد إعلان نبأ اكتشاف النفط فى ظفار وتصميمه على حرمانهم من أية فائدة من عائداته . أصدر قانونا يمنع سكان ظفار من العمل فى شركات البترول الأجنبية.

٨ يناير

..هناك احتياج لعمل سياسى وعسكرى كبير فى ظفار وخصوصا بين النساء.

.. أهمية ظفار أنها تقع على حدودٍ ثلثى إحتياطيات الغرب من النفط الطبيعى . تعاني استغلالا مركبا فاذا كانت عمان مستعمرة بريطانية فإن ظفار مستعمرة عمانية . الضرائب : عنزة واحدة سنويا مقابل كل خمس عنزات وكذلك الجمال ، بقرة لكل عشر بقرات . الصياد يدفع ١٢٠ ريالاً لوالى المدينة مقابل حق الصيد خلال موسم يتألف من ثلاثة شهور. ضرائب الواردات ٣٠٠٪ أعلى من باقى عمان .

..أمريكا جنت . أصدر جونسون أوامره للطائرات بالإغارة على حدود فيتنام الشمالية . تسيطر الفيت كونج على ثلثى مساحة فيتنام الجنوبية وتقود حرب عصابات ناجحة ضد الحكومة وسادتها الأمريكان الذين جلبوا ٢٧ ألف جندى .

.. اتفقت أنا وشهاب على انهاء علاقتنا . سنبقى أصدقاء.

٣ فبراير

..مناقشات اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي المصري حول خطة العمل للتنظيم السياسى تثير الضحك . عبد الحكيم عامر يقول إن التنظيم هو النقطة الرئيسية . يرد نور الدين طراف بأنه موجود لكن لا يتحرك . يعارضه ناصر بأن التنظيم موجود على الورق فقط . يقول حسين خلاف : كيف نعمل ؟ إذا عملنا لا بد من الأشخاص فكيف نأتى بهم ؟ اعترف عبد المجيد شديد بأن عدد الوحدات الرئيسية سبعة آلاف وحدة والمشكلة أن أمناءها لا يعرفون المطلوب منهم . قال ناصر إنه لا بد من وجود حزب اشتراكي داخل الاتحاد الاشتراكي .

٢٤ فبراير

.. عامر يعلن أن مصر خسرت فى عمليات اليمن ١٠٥ شهيد من الضباط و ١٥٠٢ من الجنود وتكلفت ٣ مليون جنيه استرليني و ١٣ مليون جنيه مصرى فى سنتين .

.. ذكر لنا الرفيق م عند عودته من القاهرة أن عبد الناصر بصدد تكوين تنظيم سرى يسميه بالتنظيم الطليعى . قال إنه شعر بالحاجة إلى هذا التنظيم أثناء العدوان الثلاثى فى ٥٦ عندما بدت القاهرة مهددة بالاحتلال ثم بدأ يفكر فى انشائه بعد الانفصال السورى . ناصر يشترط فى أعضاء هذا التنظيم الطليعى ألا يكونوا من أصحاب الملكيات الخاصة ليظل الواحد منهم قادرا على العمل من أجل ازالة الفوارق بين الطبقات . يشترط أيضا سرية ليكون أشبه برقيب جديد على بقية التنظيمات .

علق الرفيق م على ذلك قائلاً إنه شعر من لقائه بناصر أنه لا يؤمن فى أعماقه بالحاجة إلى هذا التنظيم . فهو قادر على تعبئة الناس وإخراجهم إلى الشارع بمجرد كلمة عن طريق التليفزيون . والدليل على ذلك تصوره لدور أعضاء هذا التنظيم كما شرحه للرفيق م . فهو يراهم مجرد شبكة من الاسلاك تصل بين القاعدة والقيادة و تنقل جميع المعلومات من القاعدة وما يدور فيها من مشاكل وأزمات بسرعة وأمانة وكفاءة حتى لا يصبح هناك شئ يجرى فيها خافيا عن القيادة .

.. جيفارا فى القاهرة . تمنيت لو كنت هناك لأراه. قرأت حوارا بينه وبين عدد من المثقفين المصريين . تحدث عن التجربة الكوبية فى توحيد التنظيمات الثورية الخمسة وعلى رأسها تنظيم كاسترو الذى انبثقت قيادته من صفوف البرجوازية الصغيرة الثورية. كان به جناحان : الجبل والسهل . فى الجبل كان الحديث عن الحرب الثورية التى تعتمد على جماهير الفلاحين بينما كان السهل يتحدث عن إضراب عام ثورى . لكن الجبل هو الذى تمكن من الاستيلاء على الحكم والإطاحة بباتستا. القوة الثانية هى الشيوعيون الذين يملكون خبرة طويلة فى الكفاح لأكثر من ٤٠ سنة . ارتكبوا أخطاء هامة . بسبب عزلتهم عن الجماهير الواسعة نتيجة لما تعرضوا له من قمع سابق عجزوا عن التعمق فى إدراك مدى انتشار الحركة الثورية لهذا ظلوا متخلفين عن الحركة الكبيرة التى قامت بقيادة فيدل كاسترو ثم تبينوا بعد ذلك شرعية قيادته . قال : بدأنا نعمل سويا .. وعهدنا لاسكلانتى أحد قادة الشيوعيين بتنظيم الحزب الموحد . اختار بالطبع رفاقه القدامى لشغل المراكز القيادية فوصل عدد كبير منهم إلى قيادة المؤسسات الإنتاجية . لم يتكون حزب للطلعية وانما حزب للإدارة واستولى اسكلانتى على كل السلطات بمفهوم انزالى لايسمح ببناء حزب جماهيرى . وارتكب رجاله أخطاء عديدة بسبب انزالهم وكان كثيرون منهم قد لاقوا متاعب كثيرة بسبب نضالهم وإذا بهم أصبحوا على رأس مؤسسات وتمتعوا بامتيازات عديدة : سكرتيرات وسيارات كاديلاك وتكييف هواء... هكذا ظهرت العناصر الانتهازية... كان فى مكتب سكالانتى ١٧ جهاز تليفون وهذا لا يعنى أنه كان خائنا . لقد كان رجلا ذكيا وثوريا لكنه ارتكب أخطاء خطيرة واستفاد أيضا من وضعه .. إنه ليس خائنا لكنه لم يكن قديسا . واضطر فيدل أن يقوم بحركة كشف له فى مارس ٦٢ وكونا الحزب الجديد .

.. استوقفنى فى الحوار تعريفه للشيوعى فقد تساءل : هل يجب أن يكون ملحدا أو هل يمكن أن يكون مؤمنا ؟ هل يجب أن نطالبه بمجهود فى العمل يعادل مجهود العامل العادى أو أكثر ؟ هل يجب أن يظل فى المؤخرة وإذا خضنا معركة فى الجبهة هل نحميه أم يتعين وضعه فى المقدمة ليوافق الأخطار .. أسئلة مازالت تنتظر ردا . لكنه فى رأى آخر من ينام وآخر من يأكل وأول من يستشهد .

أول أبريل

.. كتب عماد قصيدة جديدة . يقول إننى ألهمته إياها . عرض على الزواج أسفل شجرة دفلى . يا للرومانسية ! قلت له إنى سعيدة بعرضه وإنه انسان ممتاز لكنى لست بعدمستعدة للزواج من أى انسان . هناك أشياء أخرى كثيرة أريد أن أقوم بها أولا . الحب هو آخر شئ أفكر فيه الآن . لا أريد أية قيود فى هذه المرحلة من حياتى .

.. عماد شديد الرقة إلى درجة الأنوثة . أستريح له كثيرا . لكنى لست متعلقة

به .

• أبريل

... قرر الحزبان الشيوعيان المصريان الرئيسيان حل تنظيميهما والتقدم كأفراد بطلب عضوية الاتحاد الاشتراكى باعتباره التنظيم الثورى الوحيد لتحالف قوى الشعب العاملة.

.. الشيخ عبد الله الطريقي يدعو إلى تأميم البترول : شركات البترول تحصل فى الولايات المتحدة على ربح قدره ٧ بالمائة وفى فنزويلا على ١٨ بالمئة وفى المنطقة العربية على ٨١ بالمئة . وهى النسبة التى حصلت عليها أرامكو فى السعودية حتى سنة ٦١ .

٧ أبريل

.. التقينا لدى رفيق عراقى بصحفى مصرى يسارى فى زيارة عابرة للبنان . لم يتحمس يعرب لهذا اللقاء . قال إن أحدا لا يستطيع الخروج من مصر الا إذا كان قريبا من السلطة أولا علاقة بالمخابرات . حدثنا عن الوضع فى مصر : هناك صراعات مكتومة فى قمة السلطة . سألناه عن التنظيم الطليعى وهل يمثل هيكلا الجناح الرجعى فى مواجهة على صبرى ؟ وموقف عبد الحكيم عامر من التحول الاشتراكى . هاجم الشيوعيين قائلا إنهم انتهوا وأنهم لا يملكون رؤية . يتكلم بحذر وهو يتطلع حوله . فيما بعد أسر إلينا الرفيق العراقى أن ضيفنا نموذج لما أصطلح على تسميته بـ «الذعر المصرى» .

بعد نصف زجاجة من العرقى بدأ يسترخى ويتحدث بطلاقة . علمنا منه أن التنظيم الطليعى المصرى يقوم على أساس غريب . هناك قلة من المعاونين الذين

يثق فيهم ناصر شخصيا مثل هيكل وعلى صبرى وسامى شرف. يقوم كل واحد منهم بتجنيد عشرة أشخاص من الذين يثق فيهم وكل واحد يجند عشرة وهكذا . اشترط عبد الناصر أن يتم ذلك بعيدا عن عيون المباحث والمخابرات . أبدينا دهشتنا واستنكارنا فضحك وقال إنه شخصيا عضو فى التنظيم وروى لنا كيف قام بتجنيد عدد من الصحفيين . يواعد الواحد منهم فى مكان منعزل ويقول له إنه مرسل من قبل الرئيس عبد الناصر الذى يثق فيه ويريده أن ينضم لتنظيم سرى هدفه الدفاع عن المكاسب الاشتراكية . كل ذلك وهو خائف من عيون المباحث والمخابرات .

انفكت عقدة لسانه تماما بعد قليل . قال إن هيكل كون مجموعة من العاملين فى الاهرام وكون أحمد فؤاد وأحمد حمروش معا مجموعة ضمت عددا من الشيوعيين السابقين الذين هجروا العمل السياسى فى بداية الخمسينيات أمام الضربات البوليسية المتلاحقة . عادوا الآن يرفعون رؤوسهم ليشتبعوا رغبتهم فى الوجود داخل تنظيم يشبه التنظيم الذى وجدوا فيه فى شبابهم دون التعرض لأى مخاطر ويشبعون إحساسهم بالأهمية ويطمئنون ضمائرهم المعذبة بأنهم كانوا على حق طول الوقت وانهم لم يتخاذلوا، وفيما بعد كون كل وزير مجموعة من كبار الموظفين الذين معه بالتسلسل الوظيفى : وكلاء الوزارة ثم مديرى العموم وهكذا . وكون شيخ الأزهر مجموعة من الإخوان المسلمين السابقين .

سألناه عن قصة حل الحزبين الشيوعيين فقال إنهم أخذوا «مقلبا» ذكيا . قيل لهم فى البداية إن عبد الناصر موافق على عقد وحدة تنظيمية بينهم وبين التنظيم الطليعى . وبالفعل أعدت خريطة كاملة لدمج أعضاء التنظيمات الثلاثة . فى آخر لحظة قيل لهم أن ينضموا كأفراد إلى الاتحاد الاشتراكى دون أن يكون هناك التزام بضمهم إلى التنظيم الطليعى . ثم جرى اختيار عدد محدود منهم يعد على أطراف الأصابع استبعد منهم العمال . فى نفس الوقت بدأت المباحث العامة تستدعى الشيوعيين وتوجه إليهم الاستفسارات التهديدية عن نشاطهم وتساءلهم عن معلوماتهم عن التنظيم الطليعى !

١٠ أبريل

.. شئ مايجرى بالنسبة لجيفارا .. صحف العالم تتحدث عن اختفائه .. هل اغتالته المخابرات الأمريكية ؟ ..

.. حلمت بالأمس أنى مع جيفارا وسط الجبال .

١٢ أبريل

.. تقرر أن نساغر إلى ظفار لبدأ الكفاح المسلح .

.. مواد لا غنى عنها : الزيت، علب المحفوظات، الحليب المركز، السكر والملح والبصل والثوم والبن والشاى . ملعقة وسكين متعدد النصال . شحوم خاصة لصيانة البندقية ويمكن الاستعانة بزيت آلة الخياطة . خرق لتلميع السلاح باستمرار . مطرقة (زمزية) . الأدوية مثل البنسلين ومسكنات واسبرين وحبوب ضد البرد والإسهال والطفيليات وأمصال للحيوانات السامة وحقائب الإسعاف الأولى . السجاير والثقاب والقداحة . بطاريات للراديو . الصابون لتنظيف الأواني قبل الجسم . كتب، قنينة بنزين صغيرة لإشعال النار عندما يكون الحطب مبلولا . حلوى إذا أمكن . مفكرة أو كراسة . قلم . خيط وإبر وأزرار . حبل . لا غنى عن البطانية لأن ليل الجبال شديد البرودة .

.. ترددت أمام حبوب منع الحمل ثم قررت أن آخذها . كم آخذ منها ؟ لأول مرة تنبهت إلى أنى لا أعرف متى سأعود أو إلى متى تستمر هذه المغامرة . عام ؟ اثنان ؟

.. قصصت شعر وأظافرى . وداعا للأظافر المصبوغة .

.. المستقبل لنا ..

يجب ألا أنسى حبوب « الدرامامين » لدوار البحر .

.. اخترت اسما سرىا جديدا هو « وردة » .

مسقط

ديسمبر ١٩٩٢

أنزلى التاكسى «انجاج» أمام فندق انتركونتينتال. مضيت من أمام فتاة أفريقية فى بلوزة وجوب تحتل مائدة صغيرة فى مواجهة المدخل . ألفت نفسى فى ساحة رحبة غير مسقوفة تحف بها من مختلف الجوانب طوابق الفندق . مضيت أستكشف البهو فاستوقفتنى صانع قهوة افترش وسادة على الأرض . صب لى فنجانا صغيرا من دلة نحاسية. ارتشفت القهوة المرة ثم واصلت تجوالى . لمحت شابا فى الرداء العمانى والكمة يتطلع الى باسما. بدا وجهه مألوفاً لى ورأيت على صدره شارة تعريف. اتجهت نحوه وانحيت أقرأ ما هو مكتوب على صدره: «وزارة البيئة» . قال : هيا بنا .

قلت : إلى أين ؟

بدا عليه الارتباك وقال : الست مشتركا فى المؤتمر؟

اتسعت ابتسامته عندما اكتشف الخطأ الذى وقع فيه . وتركته دون أن أدرك ما هو مقدر لى .

كان ثمة مصعد زجاجى مثبت فى الباحة غير المسقوفة. ورأيته يهبط على مهل مقلا فتاة أوروبية ذات شعرنافش و ثوب قصير. وشيئا فشيئا تجلى فخذاها فى كامل بهائهما: ممتلئتين فى تناسق ومتلامستين تماما.

مضيت الى نهاية البهو بحثا عن مطعم القرم والسيد جين ميلر. وجدته مغلقا وأمامه لافتة تحدد موعد العمل فى المساء . واصلت السير فألفت نفسى بعد لحظات أمام حمام للسباحة انتشرت حوله الأجساد شبه العارية ، الأوروبية بالطبع .

كنت ماأزال تحت تأثير الفخذين المتناسقتين المتلامستين اللتين غطتهما الجوبة إلى منتصفهما ، فلم تجذب انتباهى أى من تلك الأفخاذ التى تعرت تماما دون أن تترك شيئا للمخيلة . ولهذا لم أنتبه إلى المرأة التى اتجهت نحوى فجأة هاتفه باسمى .

كانت جوليا واحدة من الأجانب الذين يترددون على القاهرة بانتظام و يقيمون فيها بعض الوقت بذرائع شتى (مثل البحث العلمى والتحقيقات الصحفية والاشتراك فى المؤتمرات) ثم يختفون ويعودون الى الظهور بعد فترة . كانت تحمل جواز سفر دنمر كيا وتعرفت عليها لدى صديق لى من الكتاب . أهلت علينا فى جلابية بلدية ملطخة بالبقع وطفل رضيع على كتفها. خلعت صندلها عند الباب ثم انضمت الينا حافية القدمين . بهرتنا بشرتها اللبنية وعيناها الزرقاوان وجسدها الفارع واجادتها للعربية فصحى وعامية. وبينما نحن نتحدث بكى طفلها فأخذته فى صدرها وأخذت تهدده لكنه واصل البكاء. ففكت أزرار الجلالية وأخرجت ثديا بضا مثل الكمشرى الناضجة ألقمته فم الطفل دون أن تكف عن الحديث ودون أن تحول نظرها عنا كما تفعل أى بائعة خضار فى باب الشعرية.

سألتها وأنا أتفحص الغضون الخفيفة التى أحاطت بعينيها الجميلتين :

- ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

قالت : ما الذى جاء بك أنت ؟

أضافت بلهجتها السريعة وهى تتجنب التقاء عيوننا كعادتها مع كل من تتحدث معه ، أنها زارت مقبرة يهودية قديمة على بعد ميل ونصف من صحار ، إلى الشمال من مسقط.

علقت متعجبا : يهود فى صحار!

قالت : ويلستد سجل وجود عشرين أسرة يهودية بها فى العقد الأول من القرن التاسع عشر. يبدو أنهم عراقيون لجأوا إلى هذا المكان خوفا من بطش داود باشا حاكم بغداد فى ذلك الوقت .

سألت : وهل ما زال أحد منهم هناك ؟

- ولا واحد . لم يبق من أثر لهم سوى المدفن . لقد رأيت بنفسى على جداره أسماء يهودية كثيرة مثل موسى ويوسف ويعقوب مكتوبة بلغة عبرية . جذبتنى من ذراعى قائلة : ألا تريد أن تتثقف قليلا ؟ تعال .

قادتنى عبر عدة ممرات الى قاعة تتصدر مدخلها لافتة تعلن عن مؤتمر دولى لمناقشة أزمة المياه فى الشرق الأوسط . كان المؤتمر الذى تقاعست عن حضوره قد بدأ . وجلس حوالى ثلاثين شخصا أمام منصة اصطف خلفها عدد من

المتحدثين بينهم اثنان بالملابس العمانية وأوروبيان فضلا عن واحد شعرت من ملامحه أنه مصرى .

لمحت فى الصف الأول الصحفى السعودى يعبث بأزرار جهاز تسجيل صغير الحجم. كان المتحدث يستعرض بالانجليزية الأبعاد المختلفة لمشكلة المياه . وقدرت من لهجته أنه من أبناء الجزيرة التى غربت عنها الشمس :

- الشرق الأوسط ككل يحتاج إلى ضعفى ما لديه من المياه لإطعام سكانه، وهذا يسرى على مصر أيضا حيث أنها تستورد نصف ما تحتاجه من الغذاء. هناك أزمة إذن لكن حلها بسيط فى نظرى ويكمن فى شراء الحبوب زهيدة الثمن من السوق الدولية وليس زراعتها. إنك مثلا تحتاج ألف طن من المياه لرى طن واحد من القمح. إلا أنه من السهل عليك نقل طن من القمح أكثر من نقل طن من المياه .

رفع السعودى يده طالبا التعليق فابتسم البروفسور الانجليزى واستطرد :

- إن البلدان التى قررت زراعة الحبوب لتأمين نفسها ضد ارتفاع الأسعار مثل المملكة السعودية لم تؤثر فى الأسعار. هناك مبالغة وانفعالية فى النظر للأمر. لبنان مثلا يريد الاستفادة من مياه نهر الليطانى لتطوير الإنتاج الزراعى . واسرائيل تريد من جهتها شراء جزء من مياه لبنان. لكن الوضع النفسى والسياسى السائد يدفع بيروت للتفكير فى كيفية استخدام المياه وليس بيعها على الرغم من أن الطرح الأخير مفيد اقتصاديا لـ لبنان خاصة أن الوكالات الدولية قد لا تتحمس لإقراضها فى الحالة الأولى .

لم يتمسك السعودى بالتعليق ولزم الصمت . وخيل الى أن أحدا لم يستوعب حديث البروفسور الانجليزى وما به من مغالطة . ومضى المؤتمر على هذه الوتيرة فى جو هادئ الى أن تكهرب فجأة عندما عرض العضو المصرى بالمنصة مشروعا لتحلية مياه البحر يتكلف عدة مليارات ويتطلب اشتراك دول الشرق الأوسط جميعا فى تنفيذه بما فيهم اسرائيل. كان يدرك الأलगام التى يسير عليها فختم كلمته بهذه العبارة :

- التعاون وليس التسوية السياسية هو طريق السلام.

طلب أحد الحاضرين من القاعة الكلمة بانفعال وقال بلهجة شامية :

- حرب ٦٧ وقعت أساسا حين أرادت إسرائيل تحويل مياه نهر الليطاني . وأسفرت هذه الحرب عن زيادة مصادر المياه العذبة لإسرائيل بمقدار ٢٥ بالمائة من أنهار الأراضي التي احتلتها. وهي تؤكد الآن باستمرار أن أنهارها هي الأردن والليطاني واليرموك، أى أنهار جيرانها. وتطالب فى مباحثات السلام بعدم الحديث عما أسمته بحقوق الماضى أى المياه التى اغتصبته فضلا عن الأراضي، ويأن ينطلق أى حديث من الأمور الواقع .

سكت برهة ليهدئ من انفعاله ثم أنهى كلمته بقوله :

- إن تجربة نصف قرن من التواجد الإسرائيلى لا تترك مجالاً للثقة فى العود والاتفاقات واقتناعى أن أى تعاون لا بد أن تسبقه تسوية سلمية عادلة وليس العكس .

ويبدو ان هذه الانفجارية شجعت الحضور فعقب شاب عُماني قائلا:

- هناك نوع من الإجحاف فى توزيع المياه واستهلاكها فى المنطقة. الفرد فى إسرائيل يستهلك من المياه خمسة أضعاف مايستهلكه أى فرد من جيرانها والمستوطنون يملؤون حمامات السباحة بالمياه العذبة المسروقة من البلاد العربية المجاورة.

وقف أحد الحاضرين معلنا أنه أستاذ جيولوجيا المياه فى هيئة الطاقة الذرية المصرية ووجه سؤالاً الى المنصة:

- إسرائيل حصلت على مليار متر مكعب من المياه الجوفية فى سيناء بقيمة ٢ مليار جنيه وحفرت ٢٠٠ بئر على الحدود المصرية لسحب مليون متر مكعب يوميا من مياه خزان وادى الجراض. فما موقف القانون الدولى من ذلك؟

تولى الإجابة خبير هولندى فى القانون الدولى فقال باقتضاب :

- إسرائيل بحاجة إلى كميات من المياه أكثر من تلك التى تمتلكها .

رفعت هذه الإجابة من درجة حرارة الجلسة ولوح كثيرون بأصابعهم رغبة فى التعليق. لكن منظمى المؤتمر العمانيين سارعوا برفع الجلسة لاستراحة قصيرة. وتقدمت أنا وجوليا إلى مائدة صفت فوقها أصناف البسكويت والمشروبات الساخنة والباردة .

انضم لنا الأستاذ الهولندي الذى يعرف جوليا وقال عندما قدمتنى اليه :

- المصريون حكماء وعرفوا كيف يتبعون سياسة سليمة .

أدركت انه يقصد ماسمى بـ «سياسة السلام» فقلت : تقصد النظام المصرى .

فكر برهة فى إجابتي ثم استطرد بلهجة تقطر حكمة :

- الحضور فى التاريخ شرطه الاعتراف بالأمر الواقع . إنه القانون الذى لم يدركه الهنود الحمر مثلاً .

قاطعته متسائلاً: من هو الذى اغتصب أرض الآخرولا زال يحتلها

ويرفض ...

استوقفنى بحركة من يده :

- الأمر الواقع الآن فى صالح اسرائيل . يجب أن تتقبلوا ذلك وإلا كنتم

غير علميين وغير واقعيين وخرجتم من التاريخ تماماً .

فكرت وأنا أتطلع اليه أنى لو كشطت جلده الأبيض المدهن لقطر عنصرية .

ويبدو أنه التقط أفكارى إذ تجاهلنى وطلب عنوانها عارضا عليها عنوانه . أخرجت

من حقيبة يد منتفخة مفكرة ضخمة امتلأت صفحاتها بالعناوين . قلبت صفحاتها

بسرعة ثم سجلت عنوانه وأعطته بطاقتها فتناولها وابتعد .

حملنا فنجانى قهوة وتنحينا عن المائدة . سألتها عن مشروعاتها القادمة

فقلت :

- ماذا تعرف عن سيف بن ذى يزن ؟

قلت : أظن أنه من أبطال الأساطير اليمينية .

تطلعت إلى فى خبث وابتسمت : هل تعرف أنه يهودى ؟

قلت : يا أطف الله . ربما أكتشف غدا أنى أيضا يهودى .

ضحكت : اسمع القصة . قبل الميلاد بخمسة قرون تدهورت مملكة سبأ

وقامت مكانها الإمبراطورية الحميرية التى استمر عهدها عشرة قرون حتى القرن

الخامس الميلادى . وعندما انهار سد مأرب فرض آخر حكامهم الدين اليهودى على

المسيحيين الذين كانوا يتعايشون مع اليهود والوثنيين فقامت حرب أهلية استنجد

فيها المسيحيون بإخوانهم في الحبشة التي تمكنت من فرض سيطرتها على البلاد لمدة نصف قرن. إلى ان التجأ سيف بن ذى يزن إلى ملك فارس طالبا العون في تحرير بلاده. وبالفعل هبطت جيوش الفرس في عدن وطردت الأحباش من اليمن. واقتسم ملك الفرس السلطة مع سيف لفترة قصيرة ثم انقلب عليه وانفرد بالحكم .

- وهل يعنى هذا أن سيف كان يهوديا ؟

- ما يهمنى هو أنه كانت هناك دولة يهودية فى الجنوب اليمنى فى بداية

التقويم الميلادى.

- لو ثبت هذا تقع كارثة.

- لماذا ؟

- ستطالب اسرائيل بضم اليمن وعمان إلى أراضيها.

ضحكت وقالت : نكتة. بس ممكن والله . هل تعرف أن جزيرة سوقطرة

اليمنية كانت مرشحة فى سنة ١٩٣٩ لتكون وطننا لليهود بدلا من فلسطين ؟ من حسن الحظ أن هذا لم يحدث.

قلت : حسن حظ اليمنيين وسوء حظ الفلسطينيين. يمكن لمصر أيضا أن

تطالب بالكعبة أويضم السعودية.

قالت : كيف ؟

- هناك من يزعمون أن عائلة عبد مناف أتت من مدينة منف المصرية .

وبذلك يكون الرسول من نسل الفراعنة.

- ولم لا ؟

نهضت واقفة وهى تقول: أشعر أنى ملزقة . سأصعد لأخذ حماما.

- والمؤتمر؟

مدت يدها وتأبطت ذراعى : تعال . أريد أن أتكلم معك .

سألته عن طفلها فقالت إنه لم يعد طفلا فهو فى العاشرة من عمره الآن .

- معك هنا ؟

- لا . مع أبيه فى لندن.

أقلنا المصعد الزجاجى الى الطابق الثالث. وتقدمتنى الى غرفتها بخطوات

سريعة وهى تخرج المفتاح من حقيبتها. كان ثمة شئ ملفت فى تكوين جسمها ومشيئها وتصلب قامتها يذكر بالعسكر . فتحت الباب وتحت جانبا .

قالت : تفضل.

قلت : ليديز فيرست .

أصرت أن أتقدمها وانتظرت حتى تجاوزت المدخل ثم تبعتنى وأغلقت الباب خلفها.

استدرت اليها ورأيت عينيها تجولان فى أرجاء الغرفة بسرعة وتركيز. ثم خطت نحو الفراش وألقت بحقيبة يدها فوقه ثم تهالكت على حافته. أشارت الى المقعد المجاور فاتجهت اليه وجلست بعد أن وضعت حافظتى الجلدية على الأرض.

سألتنى : ماذا تحب أن تشرب. سكوتش؟

قلت : نحن ما زلنا فى بداية النهار.

قالت : وهل هذا يهمك ؟ على العموم عندك المينى بار، سأدخل أنا

لاستحم .

فتحت خزانة الملابس بحركة سريعة ثم أغلقتها. ودارت بعينيها فى أرجاء الغرفة الى ان استقرتا على حقيبة يدها فانحنت وتناولتها ومضت الى الحمام . ولحظت أنها لم تهتم بإغلاق بابه جيدا.

مددت ساقى ورفعت عيني الى النافذة التى كانت ستائرنا نصف مسدلة.

خرجت بعد لحظات مرتدية روبا من الكشمير الأبيض أحكمت إغلاقه بحزام الخصر. وكان شعرها ملفوفا بمنشفة من نفس القماش على شكل عمامة .

جلست الى جوارى على حافة الفراش وطلبت أن أشعل لها سيجارة . جذبت نفسا عميقا ثم وضعت السيجارة فى المطفأة ورفعت يديها الى العمامة وفكتها وشرعت تجفف بها جدائل شعرها.

قالت : قل لى ماذا تفعل هنا حقا.

لم أتمالك نفسي من الضحك . كان رويها قد انحسر عن ركبتها واستقرت عيناي على فخذيها ثم رفعتهما الى وجهها فرأيتها تتأملنى فى ترقب . كان الفضول وليس الرغبة هو ما دفعنى الى ان أمد يدى وأضع راحتى فوق ركبتها ثم أحركها ببطء الى أعلى دون أن أحول عينى عن عينيها.

وضعت يدها فوق يدى واحتوتها بأصابع حديدية ثم جذبتها بعيدا وهى تقول فى حزم:

- من فضلك .

لمحت فى عينيها نظرة ظفرفنهضت واقفا وأنا أتناول حقيبة يدى:

- يجب أن أذهب .

وضعت ساقا فوق ساق فانحسرالروب تماما عن فخذيها. قالت :

- ألن تواصل جلسات المؤتمر؟

قلت وأنا أتجه الى الباب: ليس عندى وقت .. الى متى أنت هنا ؟

قالت وهى تلقى بالمنشفة جانبا : بضعة أيام .

قلت وأنا أفتح الباب: سأراك إذن . باى .

غادرت الغرفة وهبطت الى البهو. أدت البصر حولى بحثا عن الـ « كوفى شوب » فوجدته إلى يسار المدخل. كان خاليا إلا من أوروبى يقرأ صحيفة انجليزية باهتمام. أدركت أن فتحي صدقنى القول عندما نصحنى بالالتجاء إلى هذا المكان إذا شئت الانفراد بنفسى أو الهروب من شفيقة التى لزمنا المنزل بسبب إصابة برد. اخترت مقعدا فى ركن منزو وأخرجت من حقيبة يدى المجموعة الثانية من اليوميات.

جبال ظفار

١٩٦٥-١٩٦٨

أول مايو ٦٥

.. كل شيء جرى بسهولة شديدة رغم أن الرحلة كانت شاقة وخصوصا الجزء الذى تم بالسيارة فالطريق غير معبدة . كنا أربعة غير يعرب . أنا وغزال الكويتى ورفيق من البحرين وآخر عمانى . أخذنا زورقا من البصرة وغادرناه قرب دبنى بعد أربعة أيام . أرهقنى دوار البحر لكن يعرب عانى أكثر منى وكان يتقيأ طول الوقت .

٥ مايو

.. أقمنا يومين فى الجبل الأخضر . تركنا يعرب والرفيقيين البحرينى والعمانى . انضم البنا فى الطريق رفيق ظفارى هو عمّار . جدى وصارم . يبدو كبيرا فى السن رغم أنه فى منتصف العشرينيات . غزال على نقيضه . سريع الانفعال لكن طيب القلب . يدخن كثيرا ويستخف دمه . واصلنا الرحلة بعد أن استخدمنا الطريق الذى يربط نزوى بصلالة فى أقصى الجنوب ويمتد قرابة ألف ميل . وجدنا بعض الصعوبة فى دخول صلالة إذ كانت البوابة الرئيسية محروسة جيدا . نجحنا فى اجتيازها مع دزينة جمال محملة بالحطب . امتدت الدروب مستقيمة ومررنا بعنقود من المبانى الطينية ذات الطابق الواحد . منطقة كبيرة من النخيل ثم مبان عديدة احدها هو السجن . به مدنى انجليزى صدم شخصا بسيارته وهو ثمل فقتله وسيظل فى السجن إلى أن يتحدد المبلغ الذى سيدفعه لأسرة القتيل . توزعنا على عدة بيوت . جاء نصيبى فى بيت أخت عمار . تؤيد كفاحنا هى وزوجها الذى يعمل فى مكتب الوالى .

١٠ مايو

.. اجتمعنا برفيقيين ظفاريين . فهد (٣٦ سنة) عريف سابق فى الجيش . قبض عليه بعد محاولة اعتداء فاشلة على السلطان . هرب من سجن الحصن فى مغامرة بطولية . متين البنية . حاد الطباع لدرجة الشراسة أحيانا . يعتنى بشارب كثيف

يمسده بإصبعه طول الوقت. قليل الكلام . أشك في أنه يخفى خلف حدته وعدوانيته خجلا شديدا وخصوصا بالنسبة للنساء. رافع (٢٨) سنة أسود البشرة ذو ملامح أفريقية . كان عبدا.

.. أعطيتهما الرسائل الخاصة بهما. اقتسمنا الريالات التي أحضرتها معي. بسطا خريطة وانحنيت فوقها. القياسات بالأميال . حولتها الى كيلومترات كي أتمكن من استيعابها. امتدت ظفار أمامي بطول ٢٣٠ كم وبمساحة حوالي ٥٨ ألف كم مربع . تنقسم إلى ثلاثة أقسام طبيعية : سهل ساحلي يتراوح عرضه بين البحر والجبل بين ١٢ الى ١٦ كم. منطقة جبلية تمتد على شكل هلال يطوق السهل الساحلي وتتألف من ثلاثة جبال : سمهان في الشرق، وجبل القمر في الغرب ، وفي الوسط جبال القرأ وهي أعلاها إذ يتراوح ارتفاعها بين ٩٠٠ و ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر. القسم الثالث هو النجد وهو هضبة حجرية وراء الجبال تفصلها عن رمال الربع الخالي التي تقبع السعودية خلفها .

.. يعيش بالإقليم قرابة ٦٠ ألف نسمة. يتألفون من ثلاث مجموعات . البدو الرحل في المناطق الصحراوية في الشمال. تنتشر قبائلهم مثل الرواشيد والعوامر حتى الربع الخالي. ثم سكان الجبال الذين يربون الماشية ويزرعون على الأمطار الموسمية. ينحدرون من جماعات ائنة عديدة ومتشابهة يشار اليها عادة بالجباليين. ينتمون أساسا الى قبائل القرأ والمهرة والشحرة. المجموعة الثالثة هي سكان الشواطئ ويقومون بالزراعة وتربية الماشية فضلا عن صيد السمك والتجارة .

.. ينقسم السكان إلى من يعملون ومن يعيشون على عمل الآخرين . ويشمل القسم الأخير التجار والمديرين وبعض الشيوخ الأكثر غنى أما العاملون فهم الرعاة والعبيد والصيادون والمزارعون والحمالون . وتقوم الطوائف الاجتماعية على نفس النسق . فتؤلف طائفة صغيرة من السعدة -الذين ينتسبون إلى الرسول- قمة البناء الطبقي، ويأتى بعدهم القبائل الارستقراطية وهم قرأ و كثير والمهرة، وأسفلهم القبائل الضعاف مثل الشحرة. وفي القاع عبيد السلطان. تلعب ملكية الماشية رغم أنها عائلية أ أكثر منها فردية دورها في التمييز في المكانة بين بطون القبائل. يجرى الحفاظ على التمييز الاجتماعي بالحيلولة دون الزواج من نساء ينتمين إلى عائلات أعلى مكانة .

.. العلاقات القبلية هي التي تحكم الحياة اليومية هنا. وهي معقدة وشديدة الحساسية. بعض القبائل تمارس الحماية على قبائل أخرى تعتبر في وضع الضعيف كما تفعل القرا مع الشحرة. يترتب على ذلك نتائج اقتصادية هامة لقبيلة المهرة مثلاً حصلت على حق مطلق في استخدام المياه في أراضي قبيلة البطارحة مقابل خنجر مقوس و ١١ عنزة! وتشكو الجنابة من احتلال الحراسيس لأراضيها.

.. يقوم شيوخ القبائل بدور حلقة الاتصال بين المواطنين والسلطة وفي الآونة الأخيرة أصبحوا سمسرة توريد العمال لشركة البترول .

.. اتفقنا على تقسيم المنطقة بطريقة تكسر حدة التقسيم القبلي . سيتولى فهد مسئولية الإقليم الشرقي (جبل سمهان) و غزال الإقليم الغربي (جبل القمر) وأنا الإقليم الأوسط (جبل القرا) . سيبقى رافع وعمار في صلالة لقيادة النشاط السرى ودعم العمل المسلح والتنسيق بين الأقاليم المختلفة.

١٣ مايو

.. حلمت بالأمس أنى أحلق بجسدى فوق ظفار.
.. المرأة في الجبال تتمتع بوضع متميز عن أختها في المدن. تحتفظ ببعض استقلاليتها لأنها تشارك في الإنتاج . المتزوجات يملكن ماشية ويرثن . بوسعهن أن يحصلن على الطلاق بسهولة ويتزوجن ثانية دون أن يتأثر وضعهن الاجتماعى بذلك. يسافرن بحرية دون أزواجهن . الرجل يشارك فى الطهى والعناية بالأطفال ولا يفصل المجتمع بينهن وبين الرجال . لا توجد أفضلية لابن العم فى الزواج ولا تقاليد عذرية . شئ يشبه العادات السائدة لدى قبائل دهم اليمانية . إذا وضعت الزوجة عندهم قطعة من القماش الأحمر على باب مسكنها فان الزوج لا يجرؤ على الدخول ولو فعل جلب العار على نفسه وأهله .

لكنهن ما يزلن محرومات من التعليم . ويتم الاتفاق على الزواج الأول (عكس اللاحق) بين الأب والعريس . ويتم تزويج الفتيات من كهول . وما يزال تعدد الزوجات سائداً . بالمثل الختان العنيف بإزالة البظر .

.. فصل الربيع من ١٢ مارس حتى ٢١ يونيو يسمونه هنا فصل القيظ .

.. فقدنا عنصر المفاجأة . أعلنت القيادة الخماسية فى بيان لوكالات الأنباء وزع فى بيروت عن بدء الكفاح المسلح فى ظفار قبل أن تكتمل استعداداتنا . النتيجة أن داورية إيرانية احتجرت زورقا كان ينقل السلاح والرجال ووثائق من العراق وسلمته للسلطات البريطانية فى مسقط .

.. اعتقلت السلطة فى صلالة أربعين مناضلا قادمين من دهبى بمجرد وصولهم إلى المدينة .

.. ضربة أخرى على يد العميل سعيد بن جيج . كان قد تلقى أسلحة من السعودية فسلمها للمخابرات البريطانية . وأبلغها بأمر سيارات قادمة من السعودية يقودها مسلم بن نوفل فقامت الطائرات البريطانية بقصفها .

.. انتفاخ فى صدرى . العلامات المألوفة . أكره اللزوجة وضرورة تغيير ملابسى باستمرار . ليتنى كنت رجلا .

.. أعددت قائمة بمحطات الراديو ومواعيد نشرات أخبارها و الموجات التى تذيع عليها .

.. تسللنا فى الظلام إلى الجبال . تلقانا عدد من المناضلين . قادونا الى موقع مؤقت . هناك كهف كبير يتسع للرجال أحطنا بمدخله بجذوع الأشجار . وعلى بعد خطوات وجدت فجوة وسط الصخور خصصتها لنفسى . علقنت ستارة من الخيش فوق مدخلها . علقنت أيضا مرآة صغيرة فى الداخل . وضعت الراديو أسفلها . صنعت وسادة من القش .

.. دهشت لعدد الضفادع المتواثبة فى الصحراء دون أن تكون ثمة برك مياه . ارتعبت عندما دخلت كيس النوم فى الظلام وفضز أحدها مستقرا فوق صدرى . نقيق الضفادع يجعل النوم مستحيلا . المياه عكرة وتحتوى على حشرات صغيرة بعضها فى حجم يرقات الضفادع . الذباب رهيب لا يكل . بصقت واحدة . هناك أنواع عديدة من الخنافس أحدها كبير الحجم ثقيل الوزن يطير حول الخيم وأماكن الاغتسال . لأن أجنحته قصيرة يئأس بعد قليل ويسقط على أى شىء . النمل أسود

وآخر أحمر يعرض عضه لاسعة. الزنابير الضخمة تظهر فجأة حول الرأس فأغوص
لأتجنبها . هناك أيضا العناكب والعقارب .

.. فى الصباح تجولت بمفردى حول المكان إلى أن وجدت ما أبحث عنه
عند فم الوادى: منخفض صغير يحميه حاجز طبيعى من الصخور. عندما اقترب
الغسق تسللت قابضة على بندقيتى وورقة من صحيفة . توقفت عند حاجز الصخور
. حدثت فى المنخفض الصغير مذهولة . فقد سبقنى أحدلنفس الغرض . توجهت إلى
مكان آخر وبعد أن أنزلت بنطلونى أقعيت فوق عقبى . لمحت عقربا على مبعده .
قبضت بشده على رشاش أرماليت وأخذت أتطلع حولى خوفا من البشر والعقارب .
.. اجتمعت بفهد ورافع فى «غرفتى» قبل أن يغادرا. اتفقنا على طرق
الاتصال.

.. سأتولى قيادة خمسة وعشرين مناظلا مقسمين إلى خمس مجموعات .
لدينا عشرون بندقية بلجيكية تعطى طلقة طلقة وخمس سيمنوف روسية نصف
أوتوماتيكية وقليل من الرصاص . ونحن نتحدث سمعت صوتا غريبا . قفز فهدواقفا
وأسرع الى الركن . انحنى فوق الأرض ثم اعتدل . رأيت فى يده ثعبانا
طويلا(حوالى نصف متر). أمسك به من ذيله بإحدى يديه مدليا رأسه المفلطحة إلى
أسفل . ثم مر بيده الأخرى على جسمه فى خفة حتى قبض على عنقه وضغط
عليها حتى فارق الحياة . نظر الى فى زهو وقال: العدو هنا ليس بريطانيا العظمى
وإنما الثعبان العظيم . قال رافع مبتسما إن الثعبان من النوع الأفريقى الفحاح وهو
بطيء الحركة وذو سم قاتل.

.. لم يمكننى الرعب من النوم . شغلت نفسى بالراديو. هناك أكثر من
ثلاثين محطة باللغة العربية . من بكين الى صوفيا وتيرانا وبي بي سى وصوت العرب
وصوت عمان من القاهرة. سجلت أهم الأخبار لاستخدمها فى الدرس السياسى.
أخيرا أشعلت نارا ونمت فوق كيسى دون أن أخلع البوط . تخيلت أن المكان
المهدد من جسمى هو قدمى . رفعتهما فوق النارونمت . حرقت النار البوط.

٢١ مايو

..كنت الوحيدة فى ملابس عسكرية .أمرت بجمع الوحدة فاصطفوا
كيفما اتفق وفى تكاسل ودون حماس . لم يكونوا يرتدون ملابس عسكرية وهذا

مفهوم . أغلبهم شبان صغار السن عراة الصدور تماما. لا يستر بدن الواحد منهم سوى المعوز أو الازار الملون الذى يمتد من الخصر الى القدمين . الأقدام عارية . القليل منهم يعلق السلاح فى كتفه . وجوههم متشابهة . كثير منها أسود البشرة تماما . السواد الأفريقى . الأسنان صفراء ومتأكلة . خرج صوتى ضعيفا : انتباه . تطلعوا إلى ولحظت فى النظرات استهانة . اعتدل بعضهم فى وقفتهم . أبعد ما تكون عن الوقفة التى تعلمناها فى سهول البقاع . نظر البعض الآخر مباشرة إلى صدرى فى محاولة لقياس حجمه لكنى كنت قد أخفيتة جيدا . فكرت أنى أواجه امتحانا حاسما ليس له ملحق .

استجمعت إرادتى وقلت بصوت وضعت فيه كل ما استطعت من حزم :
إننا جميعا أعضاء فى منظمة ديموقراطية هى جبهة تحريرظفار ، لكن منذ اليوم كلكم جنود فى جيش التحرير الشعبى وأنا قائدتكم . انتظرت لحظة متوقعة أن يعلق أحد رغم أنى ماكنت سأسمح له بالاستطراد . لم ينطق أحد بكلمة .
ارتفع صوتى : جيش التحرير جيش متطوعين ومتطوعات بدون رتب أو رواتب ، لكن كل واحد منكم سينفذ ما أمر به . وليس لأحدكم الحق فى المناقشة . النظام العسكرى قاس لكنه الطريقة الوحيدة المجربة لصيانة قواتنا وتحقيق النصر .

تحدثت بعد ذلك عن الموقف السياسى وطبيعة العدو وميزان القوى وتساءلت : هل يمكن أن نخسر الحرب ؟ أكدت أننا سنربح الحرب لامحالة ، فالهزيمة مستحيلة ، ومصيرنا محتوم . إما أن نموت هنا حتى آخر ناثر أو نتغلب على الصعاب التى تنتظرنا .

قلت إننا ضد الأعمال الإرهابية التافهة التى يقوم بها أشخاص مندفعون . فهى تترك حصيلة مفعجة من القتلى والضحايا دون أن تحقق أية فائدة لقضية الثورة .

أصدرت الأمر بأن يتقدم إلى الأمام ذوو الخبرة بالقتال والأسلحة . قفز أغلبهم أمامى . استبعدت من لا يحمل سلاحا ثم تفحصت الباقين . من طريقة حملهم للبنادقية ميزت ذوى الخبرة الحقيقية . اخترت منهم قادة المجموعات

وجمعتهم جانبا. أوقفتهم أمامى وأنا أحاول أن أخفى توتري وأضغط على نفسى
كى لا أهرب من النظر إلى صدورهم العارية .

صبى صغير أسود يدعى مسرف. عمره بالكاد ١٢ سنة. تتدلى من وسطه
أربع قنابل يدوية ويحمل رشاشا فى طول جسمه . واحد منهم على الأقل كان فى
سن أبى أو أكبر قليلا . له لحية قصيرة بيضاء وجسد نحيل برزت عظام صدره
العارى حتى الخصر . انتشرت على صدره ندوب غريبة الشكل . كان يمسك
ماسورة البندقية بيده اليسرى مسندا قاعدتها إلى الأرض وينظر إلى الأمام متحاشيا
النظر إلى . لكنى كنت أشعر أنه يراقبنى بطرف عينه . كان يشد قامته ليبدو فى
هيئة عسكرية ويترك فى انطبعا بلياقتة. سألته عن اسمه . لم يبد عليه أنه سمعنى أو
فهم كلامى . كررت السؤال فهتف : علسيس .

إلى جواره وقف شاب قصير الجسم قدرت سنه بين العشرين والثلاثين
بسبب صلعته. كان هناك تناقض واضح بين صدره العريض وحوضه الضيق . علق
بندقيته فى كتفه الأيسر وحزام الطلقات فى كتفه الأيمن ونظر إلى بحدة . ردد
اسمه : بخيت. نزعت نظراتى فى صعوبة عن صدره القوى العريض الذى يغطيه
الشعر. خيل الى أن هناك ظل ابتسامة فى عينيه . كأنما يزهو بمظاهر رجولته . شعرت
بالنفور منه .

معوزا الاثنين من لون أحمر باهت وتزينهما زخارف موزعة فى مربعات
متساوية. بخيت يرتدى حزاما للخراطيش حول خصره . خطرلى خاطر أزعجنى :
ماذا لوسقط المعوزان فجأة؟ كنت واثقة أنه لا يوجد أسفلهما لباس من أى نوع .
شعرت بالدماء تندفع إلى وجهى .

الثالث - حمد - أصغر سنا بالتأكيد بسبب شعره الكثيف الذى أحاط
بوجهه . كان أطول من بخيت لكنه لم يكن مفتول العضلات مثله . علق بندقية
فى كتفه الأيمن وأراحها خلف ساعده . أحاط رقبته بكنزة صوفيه و لف حول
خصره حزام الطلقات . كانت جوبته زرقاء اللون بمربعات مزرکشة وتمتد من
خصره حتى قدميه بعكس رفيق آخر وقف فى طرف المجموعة. جوبته تنتهى عند
ركبتيه وتذكرنى بتنوراتى القصيرة . انتبهت إلى أن الأخير (عبد الله) هو الوحيد
الذى يرتدى قميصا كاكيا مفتوح الصدر يكشف عن جسم هزيل مجرد من الشعر.

عروق رقبتة بارزة . يبدو وادعا مستكينا. لم أتمكن من تحديد سنه وكان يقف ملتصقا بالرفيق الأخير . أطول الخمسة بل أطول الموجودين. متين البناء فى معوز أسود يتدلى من خصره أسفل السرة حتى يكاد يلمس الأرض . ساعده الأيسر القوى الذى لفحته الشمس مثنى فوق صدره ليستقر على البندقية التى حملها بساعده الأيمن . عضلات قوية نافرة . الوحيد الذى يحمل ساعة فى معصمه. لحيته خفيفة لا تتصل بشاربه الأسود . شعرات بيضاء فى فوديه. قدرت سنه فوق الأربعين . كان ينظر الى أعلى فوق رأسى متجنباً النظر إلى مباشرة كأنما يريد أن يقول إنه لا يعبأ بهذه الشكليات وأنه يعرف كيف يقاتل عندما يحين الجد وهو شئ يشك فى أنى - قائدتهم - أعرفه . اسمه سويد.

قلت إن المهمة الأولى أمامنا هى النظافة ومكافحة الذباب والبعوض أو النامس كما يسمونه وإقامة مرحاض مؤقت لاستخدامى من جذوع الأشجار والأعشاب بعيداً عن الكهفين ويكون معرضاً لتيار الهواء . أما الآخرون فيجب أن يبحثوا دائماً عن أماكن بعيدة ثم يحرسوا على دفن المخلفات جيداً. أمرت بإطفاء أى نيران وتغطية الجمر المتقد بالتراب كى لا يستدل العدو على مكاننا.

٢٢ مايو

.. تركت جماعة من ستة رفاق للحراسة تحت قيادة سويد وقدت الباقين فى مسيرة تدريبية وسط الجبال هدفها اختبار قوة تحملهم وانضباطهم . وأيضاً استكشاف المنطقة .

فرضت على رجالى الصمت التام أثناء السير. يتم نقل الأوامر بالإيماء أو الهمس . حسب القواعد كنت أسير فى الوسط. كنت أرتدى البوط المحروق. ومع ذلك كنت أتحرك بصعوبة وسط الصخور أما هم الحفاة فكانوا يتنقلون فى رشاقة ويسر.

سرنا بلا توقف عدة ساعات عانينا خلالها من حرارة الشمس . مررنا ببضعة بيوت مبنية من الحجر تستعمل كحظائر للماشية عندما يغادرها أصحابها فى الشتاء للسكنى فى الكهوف هرباً من الرياح الشمالية اللاذعة . تركنا الوادى وتسلقنا ٥٠٠ قدم إلى منطقة صخرية عالية وشديدة الانحدار. مروج صفراء يصل فيها ارتفاع القش الى خصر الإنسان . أجسام متناثرة من أشجار عملاقة سقطت

أوراقها. خلفنا وتحتنا البحر الأزرق وحولنا تتدرج الصخور المغطاة بالغابات. الفراشات والنطاط والجراد. فجأة واد جميل يتخلله نبع. شجرتان من التين البرى.

ثلاث ساعات من التسلق جعلتنا عطشى. التقينا بعدد من الرعاة مع أغنام غريبة الشكل تتميز بإليات رفيعة تشبه الذنب وصوف قصير أقرب إلى الشعر، ورؤوس دقيقة تشبه رؤوس الغزلان في تكوينها وفي جمال عيونها والتفاتاتها. وجهنا التحية الى الرعاة بسؤالهم عن الأخبار: خبور؟ ردوا علينا : خبور خير. لم يبد عليهم أنهم استغربوا وجودنا . لكنهم أيضا لم يرحبوا بنا . كانت هناك بضع خيام استلقت الى جوارها عشرات الجمال تحت الشمس وتركت للطيور التقاط ما فى جلودها من حشرات.

استرحنا إلى جوار عجوز سافرة الوجه صبغت وجهها بطلاء أصفر وأخضر وضعت أيضا فوق ساعديها وعنقها. ارتدت ثوبا فضفاضاً أسود وعصبت رأسها بقطعة قماش تدلى طرفها فوق كتفيها. قدمت لنا وعاء من الخبز امتلاً لحافته بلبين ناقة ذى رغو. جاء شاب فقبلها فوق خدها الأيمن ثم الأيسر ثم فوق رأسها وعلى صدرها وتطلع إلينا فى جمود. لمحت زريبة لا يزيد قطرها عن قامة إنسان ولها فتحة ضيقة لن يمر منها إلا زحف فوق بطنه. أرضيتها مفروشة بالقش وليس بها موقد للطبخ انما بعض الأوعية المصنوعة من عيدان القصب لحفظ اللبن والعسل أو الزبد .

سرنا مرحلة تحت أشجار السقام الوارفة الظل التى تنبت دون زراعة. ثمرها يصلح للأكل عندما تنفد المون .

عدنا فى نهاية اليوم . كان بعضهم متهاكاً من شدة التعب . شعرت بالنشوة لأنى كنت فى حالة جيدة . عينت مجموعة للطهى انهمكت فى إعداد وجبتنا اليومية الوحيدة المكونة من الأرز واللوبيا . منعت إشعال النيران قبل أن يحل الظلام كى لا يكشف الدخان موقعنا.

عندما دخلت غرفتى فوجئت باختفاء الراديو . وجدته فى الكهف الكبير مع سويد. قضت مجموعة الحراسة الوقت فى الاستماع الى الاغانى. عنفتهم بشدة. أكدت على ان الراديو هو وسيلتنا الوحيدة لمعرفة ما يجرى بالعالم . شرحت أهمية الاقتصاد فى استعماله للحفاظ على البطاريات . وعدت بتخصيص ساعات معينة للاستماع الى الاغانى عندما يتوفر لنا احتياطي من البطاريات.

. عضلات فخذي تؤلمني من أثر مسيرة أمس. مرت بي ليلة صعبة. استعصى النوم علي. أخذت أستعرض وجوه المقاتلين وأستعيد ما جرى بيني وبينهم من أحداث. وبين اللحظة والأخرى يتراءى لي صدر بيخيت العارى ووجه سويد المستخف .

خرجت من كيسى فهاجمنى البعوض بشدة. أشعلت شمعة فهاجمنى الذباب . أخرجت كتاب حرب العصابات لماو تسي تونج وكتابا مماثلا لشى جيفارا و«حرب الشعب وجيش الشعب» للجنرال جياب . أخذت أتصفحها وأنا أهش الذباب بينما يدور سؤال وحيد فى رأسى : كيف يمكن تحويل هؤلاء البدو المتحمسين إلى مقاتلين ثوريين ؟ كيف يمكن إقناع هؤلاء الذين لم يعرفوا نظاما فى حياتهم بمعنى النظام والدقة والوقت والانضباط ؟ كيف يمكن إقناعهم بضرورة غلى الحليب ؟ والأهم من كل ذلك إقناعهم بأن ينقادوا لأمرأة . وكيف يمكن النفاذ إلى قلوب أهل الجبل .

.. اصطاد احد المقاتلين تيسا جبليا عجوزا . طعم لحمه كرهه كرائحته . سلقناه وتركت لسويد مهمة توزيعه . قسمته الى خمس حصص متساوية. أخذت كل مجموعة حصتها وبدأ توزيع جديد. ثارت مشكلة فى المجموعة التى يرأسها مسرف. أكد أحد أفرادها أنه غبن فى حجم نصيبه. تدخل سويد لفض الخلاف وتولى بنفسه التوزيع . تناول خمسة عيدان من القش وأطلق اسمامن أسماء أفراد المجموعة على كل عود . أدار ظهره ووضع عودا على كومة لحم وقال هذه لأفضل واحد فيكم. وضع عودا ثانيا على كومة أخرى وقال هذه للأسوأ. ووضع ثالثا وقال هذه لمن لا يستيقظ مبكرا . ضحك الجميع وخف التوتر. انضمت الى هذه المجموعة وتحلقنا حول طبق الأرز وأمام كل منا حصته من اللحم. ما زلت أجد صعوبة فى تناول الأرز بالطريقة السائدة رغم أنى كنت أجيدها فى طفولتى . أمد يدي اليمنى مداورة وأكور كمية فى راحتى ثم أرفعها الى فمى وأدفعها داخله بأصابعى . ألقىت محاضرة سياسية بعد الطعام عن الاستعمار والاستعمار الجديد . تحدثت عن نضال الشعوب وانتصاراتها. ذكرت مسيرة بريستوس (فارس الأمل) فى البرازيل وماوتسى تونج فى الصين . سألتهم اذا كانوا سمعوا عن الصين . قال علسيس إنها بلاد الواق واق. سألته عن السبب فى هذا الاسم قال لان بها شجر

تشبه ثمرته صورة الإنسان. فاذا اقتطفت الثمرة قالت: واق. لم أشأ أن أجادله وواصلت حديثي. تحدثت عن النظام ومخاطر عدم التقيد به. وعن واجب العناية بالسلاح الشخصي وتنظيفه باستمرار وعدد الطلقات النارية والحرص على ألا تضيع منها واحدة وعدم التفريط فى السلاح . وعن احترام الأخلاق الثورية . ثم ركزت على مكافحة الذباب بأن ندفن فضلاتنا فى أماكن بعيدة ونحرقها أولا بأول. شددت على أن التمرد والفرار والانهازامية جرائم عقوبتها الإعدام . قلت إن تناول القات ممنوع .

تفقدت المهمات والمواد الضرورية الكافية لحياتنا وكل ما يلزم للنوم والأشغال والطبخ . وجدت المياه شحيحة فأصدرت أمرى بأن تخصص للشرب فقط وألا تستخدم فى النظافة أو الاستحمام إلى أن نحصل على المزيد من أقرب بئر . لاحظت أيضا أن الملح قليل وتأكدت من وجود كفاية من السكر. وأخيرا صرفتهم بعد أن انتقيت جماعة خاصة بالحراسة على أساس ساهر واحد لكل خمسة نائمين. التجأت إلى الكهف المخصص لى . أسدلت الستارة وأدرت الراديو. أشعلت شمعة. أز النامس فى أذنى . كنت أشم رائحة عرقى وأشعر بالتصاق ملابسى بجسدى. تمنيت لو كان بإمكانى الاستحمام وغسل شعرى ثم التعطر بشائيل ٥. التقطت بى بى سى وبدأت أدون أخبارها.

سمعت صوت حديث فأطفأت الشمعة وأغلقت الراديو وغادرت كهفى . كنت قد نبهت على ضرورة الهجوع والنهوض بساعات محددة وأصدرت إشارة النوم . ثار غضبى عندما رأيت عددا من المقاتلين قد أشعلوا نارا عند مدخل الكهف الكبير وتحلقوا حول بخيت ينصتون اليه وهو يروى لهم شيئا بلهجة لم أتبينها. كفوا عن الحديث وتطلعوا إلى فى صمت . لم يتحركوا من أماكنهم ولم يفكروا فى الوقوف . حاولت أن أتبين اللغة . ليست الحميرية التى أعرف بعض ألفاظها (على الأقل أعرف كيف أعد من طاد أى واحد إلى تسعيت وعشروت) أو الأمهرية القريبة الشبه منها والتى يتكلمها أهل حضرموت ولا البطحرية التى يتكلمها أبناء قبيلة البطاحرة. سألتنى بخيت عما إذا كنت فى حاجة إلى شىء . هزرت رأسى نفياء. قال : لا بد أن الأمور صعبة عليك . قلت : لأنى فتاة؟ لم يرد واستقرت عيناه الحادثان على صدرى . شعرت بالدماء تندفع إلى وجهى وأنا أتأمل

انعكاس وهج النيران على صدورهم العارية. هبت نسمة باردة فسرت في جسدى
قشعريرة وضممت ساعدى فوق صدرى . قلت بصوت محايد: إلى النوم يا رفاق.
انتظرت حتى نهضوا متكاسلين ثم مضيت إلى كهفى. خلعت حذائى وأنا أتجنب
التقاط رائحة قدمى ثم نزعت القميص العسكرى وأنا أرتجف من البرد . بسطت
كيس النوم البلاستيكى فوق الأرض وتكورت داخله.

٢٤ مايو

.. ثارت اليوم زوبعة مفاجئة . تغطى السهل بالأترية . رأيت بخيت يتأمل
العاصفة واجما. قال إنها معارك الجن التى تحدث هذه الزوابع . أبدت استنكارى .
قال: انظرى إلى شكلها. تأملت الزوبعة . مخروطية الشكل تتثنى وتتوى كالراقصة .
قلت له إن هذه خرافات من ابتداع الرجعيين . وإن العلم الخ . امتعض من حديثى
ولزم الصمت . حاولت أن أغير الحديث . سألته عما كانوا يتحدثون فيه بالأمس
حول النار . قال : عن الساحرات وكيف يتقمصن الانسان والنساء بالذات . روى
قصة شخص يعرفه كانت أمه وشقيقاته يكرهنه . اتفقن على أن تغير إحداهن شكلها
إلى ثعبان وتعضه . ودار هذا الحديث أمام قطة كانت فى الحقيقة جنية متكرة تحب
الرجل . فقامت بقتل الثعبان المسحور . لم أعلق . أيتصورنى ثعبانا أم قطة ؟
.. اثنان من المقاتلين كانا يخدمان فى الجيوش الانجليزية بالخليج . أحدهما
كان شرطيا فى قطر وساهم فى قمع انتفاضة ١٩٦٣ بها .

.. البعض من صلالة نفسها . الأغلبية من أهل الجبال وبعضهم من قرى
قرية من موقعنا . بين هؤلاء كثير من المتزوجين على عكس القادمين من المدينة .

٢٥ مايو

.. استيقظت مع ضوء الفجر . نهضت فى صعوبة . إسهال . هل أصببت
بميكروب ما ؟ هل نغلى المياه ؟ أخذت حبتين انتروفورم . قررت أن أغسل أسنانى
خفية بمعجون وفرشاة ثم تراجع . لا يعقل أن أحل لنفسى ما أحرمه على
الآخرين . عندما خرجت من كهفى لمحنى أحد المقاتلين ذوى الملامح الأفريقية .
فوجئت به يرفع يده إلى رأسه بتحية عسكرية عنيفة ويصيح : جود مورنج سير .
ظننت أنه يسخر منى ثم تبينت أنه يعبر لى عن أقصى درجات الاحترام والتقدير .
كان يعمل فى ميس الضباط الانجليز بالقاعدة الجوية .

..أقمنا أهدافا قريبة وبعيدة تمثل الجنود الانجليز. أجرينا عليها تمرينات رماية. ثم أريتهم كيفية إسناد زجاجة مولوتوف إلى البندقية ولم يكن أحد منهم يعرف هذه الطريقة . استمتعت بذلك .

.. أرسلت دوريتين للاستكشاف وجمع الأخبار وتحديد الأماكن الصالحة لعمل كمائن. أرسلت أيضا دورية خاصة لإحضار الماء فى قرب .

.. لا بد من تدريب دقيق : مسيرات مضمية ليلا ونهارا تزداد فيها المسافة كل مرة حتى تصل بهم إلى حافة الانهيار.

.. تعرضت لموقف سخيف اليوم . كنت عائدة من زيارة كسك المرحاض الذى أقمناه على مبعدة نصف كيلومتر وبدأت أطوى كيس النوم لأضعه فى حقيبتي بعد أن تمت تهويته . ما ان فتحت الحقيبة حتى قفز شئ فى وجهى . صرخت فرعة وتبينت بعد لحظة ضفدعا يقفز هاربا . شككت أن واحدا من الشباب هو الذى فعلها . خطر لى بخيت فهو يلاحقنى بنظرات غريبة لا أستطيع تفسيرها . هل غضب من حديثى عن الجن ؟ قررت أن أتجنب الحديث اليه مباشرة أو على انفراد ..

.. ما زال سويد ينظر الى بنفس الطريقة المتعالية .

.. عند عودة الدورية الأولى وجدت قدم أحد أفرادها غارقة فى الدماء . تورمت نتيجة لدغة ما فغمسها فى دم عنزة ذبحتها جماعة من الرعاة . رفض أن أقوم بتطهيرها كما رفض أن يتناول أى دواء قائلا إن دم الغنم يشفى كل الأورام .

٢٧ مايو

.. لم تتحسن قدم المقاتل . أفنعتة بأن يأخذ مضادا حيويا وقمت بتطهير مكان الورم.

.. يتألف سلاح الجو السلطانى من أربع فرق تتميز بألوان أغطية الرأس : بيرييه أحمر لفرقة مسقط وأخضر ورملى لفرقة الصحراء ورمادى لفرقة الجبل . لكن الجميع يرتدون أثناء العمليات غطاء رأس من القماش بألوان الأخضر والأسود والماروون . أغلب الجنود من بلوخستان وأغلب الضباط من الانجليز مع بعض الأسيويين والعرب .

.. سمعت مقاتلا يشجع رفيقا له بكلمة غريبة : شوباش. اكتشفت أن بيننا عددا من البلوش ذوى الأصل الهندي أغلبهم من العمال : جمعة الذى لا يتجاوز عشرين سنة وماتت زوجته الأولى أثناء الولادة وهو فى سن ١٥ ، تزوج أخرى وأنجب ولدين . محمد الذى تزوج أيضا فى الخامسة عشرة . خميس الذى ولد عبدا من ٣٠ سنة وهرب فى الرابعة عشر من عمره الى مسقط حيث تم تحريره . تزوج منذ ست سنوات وله ولد وبنت .

٢٨ مايو

.. أمرت بتجريد واحد من سلاحه لعدم اطاعة الأوامر.

.. ليس بوسعنا أن نعاقب أحدا بالسجن . عندما يكون الذنب خطيرا يمنع الطعام عن المذنب يوما أو يومين . ممنوع بتاتا إنزال عقاب جسدى بأى رفيق. .. انتهزت اليوم فرصة وأشرت فى الحديث السياسى إلى موضوع الجن. قلت أنى شخصيا لا أؤمن بوجودهم لكنى أحترم رأى من يفعل . شعرت أن بخيت استراح.

.. سألت الكهل عن موطنه فقال إنه من بيت هندوب فى الغرب. ترك زوجته وأولاده هناك. خطر لى أن أستفسر عن السبب الذى حدا به للإضمام إلينا. قال على الفور وهو يبتسم : لإستعادة الكرامة والشرف . سرت فى وجدانى مشاعر الفخر . ثم شعرت بعدم الارتياح . بدت إجابته معدة كأنما كررها من قبل . وماذا فى ذلك؟ وجهت نفس السؤال إلى سويد فابتسم ابتسامته الساخرة وقال: أنا هارب من الضرائب . هل يسخر منى أم هذه هى الحقيقة ؟

٢٩ مايو

.. على بعد ٢٥ كيلومترا شمال صلالة صخرة تطل على بحيرة عميقة تتردد فوقها نداءات الطيور. لابد أن أستحم بها فى يوم من الأيام . أفضل وقت للاستحمام بمياه دافئة هو عند الغروب . ..شفى المقاتل الذى أصيبت قدمه . اقتنع بفائدة العلم الحديث . انتهزت الفرصة وحدثته طويلا عن الخرافات .

.. أثناء تمرينات الرماية لاحظت أن سويد مرتبك . تعطلت بندقيته الأرماليت وحرار فى كيفية إصلاحها . أدركت المشكلة على الفور . كان قد ملأ خزانتها

بأكثر من طاقتها . قلت له: هناك شيئا يجب الانتباه لهما بالنسبة لهذه البندقية :
الأول لا تعمر خزانتها بأكثر من ١٧ طلقة والا ستجد الأجزاء العاملة بها عاجزة
عن الانطلاق . الثاني هو أنها قد تتعطل إذا انفصلت حافة الطلقة وهي ما تزال في
الماسورة . في هذه الحالة تدفعها إلى الخارج بعود من المعدن . أريت كيف
يفعل . بدا خجلا من جهله . أما أنا فكنت سعيدة .

.. وقع حادث مزعج في المساء . كنت أنصت إلى نشرات الأخبار بالراديو
عندما دوى طلق نارى عن قرب . أسرعت إلى مصدر الصوت فوجدت بخيت
ممسكا بمسدس وحمد يحاول انتزاعه منه . قال بخيت إنه كان ينظف المسدس
عندما انطلقت منه الرصاصة خطأ . أمن حمد على حديثه . شئ ما فى لهجته
وتعبير وجهه أثار ريبتي . تناولت المسدس من يده وقلبته فوق راحتي . ماكاروف
عيار ٩ ملم . لم تكن النقطة الحمراء فى جانبه الأيسر مغطاة . أى أنه لم يكن مؤمنا .
هل كانا يتشاجران ؟

٣٠ مايو

.. لم أتمكن من المقاومة . استسلمت للإغراء . تسللت بعد الغروب الى
البحيرة . خلعت ملابسى وقفزت الى المياه . روعة . شعرت بحركة على الشاطئ .
غمرت جسدى كله فى المياه . كان سلاحى على الشاطئ فوق ملابسى . هناك
جسم ما عندها . إنسان أم حيوان ؟ عدو أم صديق ؟ بقيت فى مكانى دون حركة .
لم يتحرك الجسم الغريب أيضا . عمت نحو الشاطئ فابتعد الجسم الغريب . ارتديت
ملابسى بسرعة . شعور غريب راودنى بأن هناك عيوننا ترقبني . جاسوس ؟ عابر سبيل ؟
وأخيرا واجهت الخاطر الذى أرعبني : أحد رجال فرقتى ؟

٣١ مايو

.. وجدت رسغى متورما عندما استيقظت . لم أتمكن من إطباق قبضتى أو
استخدامها . عند انتصاف النهار برز الوريد فى لون أحمر قان انتشر بالتدرج حتى
إبطي . لا بد أن شيئا ما لدغنى دون أن أشعر . أخذت مضادا حيويا .

أول يونيو

.. بدأ ذراعى فى التحسن . اللون الأحمر للوريد يتراجع . هناك حشرة
تسمى الظفر تسبب لسعتها تورما وحكا لعدة أيام .

.. ينتمى بخيت وحمد الى بيتين متنافسين من قبيلة آل كثير.

٢ يونيو

.. عقدنا المؤتمر الأول للجبهة الظفارية فى الوادى الكبير بظفار الوسطى . مؤتمر ناجح . بلا خلافات واضحة . الجميع متحمسون . قررنا بالإجماع أن يبدأ الكفاح المسلح فوراً . انتخبنا أنا و رافع وفهد وعمار و غزال فى قيادة من ١٨ شخصاً بينهم يوسف بن علوى .

.. من بيان المؤتمر إلى الشعب العربى فى ظفار : «... لقد قامت طليعة ثورية منك آمنت بالله وبالوطن .. وأن حكومة السلطان سعيد العميل قد استأجرت جيشاً من المرتزقة الشعوبيين .. لكن الإرادة الحرة التى تستمد إرادتها من إرادة الله سوف تنتصر على هذا الجيش الشعبى الحاقداً ...» .

.. الجبهة مسئولة عن إعاشة المقاتلين . تمدهم بالطعام والملابس والسلاح ووسائل الانتقال . يحصل كل مقاتل أياً كان وضعه أو مستواه القيادى على عشرة دنائير فى الشهر كنفقات شخصية نثرية . تنازلت عن نصيبى . شجعت أفراد كتيتى على أن يحدوا حدوى . ليست هنا مقاهى أو سينمات يمكن الإنفاق عليها ! الوضع المالى جيد بفضل تبرعات الأنصار فى دول الخليج .

٤ يونيو

.. قسمت قواتى إلى ثلاثة أقسام : قسم يبقى فى المعسكر لحمايته وقسم يقوم باستطلاع الموقع البريطانى فى طريق حميرين جعلت سويد على رأسه . أخذت القسم الباقى لاستطلاع مطار القاعدة البريطانية .

.. كانت الليلة حالكة الظلام بلا قمر . هبطنا من الجبل دون أن يشعر بنا أحد . كنا سبعة أفراد . تقدمنا فى خطى . جزاجية فى حذر . توزعنا حول القاعدة ورددنا فى الرمال . وضعت المنظار واللاسلكى جانباً وأخذت استخرج الرمال من تحتى وأكومها حولى . فجأة شعرت بحركة على مقربة . عشرات من السراطين تحاول مشاركة حفرتى . زحفت إلى أعلى الكثيب لأتمكن من رؤية أفضل . جمعت كتلة من العشب دفنت فيها رأسى ورفعتها إلى أعلى ببطء . لم أر شيئاً . رقدت مرهفة الحواس . بعد ما بدا ساعات سمعت صوتاً إلى يسارى . تكرر الصوت . عدت إلى

حفرتى بين السراطين. رفعت الـ «اف ان» الى كنفى. تنبتهت فجأة الى أن البندقية ليست معمرة. فهى تخلو من صمام أمان. لم أقم بتعميرها كى أتجنب أى حادثة فى الطريق الملىء بالحفر. لو فعلت الآن سيسمعنى من هو هناك ويتعرف على الصوت. لم يكن أمامى غير أن أنتظر حتى يكشف عن نفسه وعندئذ أقوم بتعمير البندقية وأصوب وأطلق بأسرع ما أستطيع. صوت على قمة الكتيب وقبضت على مقبض الزناد الثابت بيدي اليسرى. كنت مستعدة. سأطلق زختين ثم أتدحرج يمينا. ازداد إحساسى بثقل البندقية. فجأة أحسست بحركة. دققت التصويب وأنا أنصح نفسى بالصبرحتى يكشف عن نفسه أكثر ويكون التصويب أفضل. كنت على وشك إطلاق النار عندما قفز شخص فوقى واضعا يده على فمى. انتزعت نفسى فى غضب من أحضان بخيت. وضع إصبعه على فمه. انكمشنا متلاصقين. كان فخذة عاريا أسفل المعوز القصير. انتقلت حرارته الى جسدى. صلبت ساقى فى محاولة لإبعادها عنه لكن ضيق المكان لم يسعبنى وألمنى ظهرى. أخيرا تركت ساقى تستريح الى جوارساقه. ظللنا متلاصقين حتى بزغت الشمس. سعدت الى قمة الكتيب مرة أخرى. احتमित بكتلة العشب. وجهت المنظار الى القاعدة. سور من السلك الشائك. البوابة الرئيسية تحرسها شرطة عسكرية من الانجليز والأسويين مسلحة برشاشات سترلنج يرتدون بيريهات ذات لون رملى. بعد السلك بمئة ياردة مدفعان زنة قذائفهما ٢٥ رطلا تحيط بهما براميل سعة ٤٠ جالون. ممر الهبوط غير مرصوف. أمامه والى يمينه خنادق دائرية كبيرة. منطقة مسورة بأسلاك شائكة يحرسها جنود محليون يرتدون بيريهات حمراء فاقعة. براميل بترول فارغة حول طائرات سترايكماستر النفاثة وطائرات النقل سكاى فان.

أعطيت الأمر بالانسحاب فى منتصف النهار. عاد سويد ومجموعته قبل الغروب. سجلت ملاحظاتهم.

.. تجنبت بخيت أثناء العشاء. استعصى على النوم مرة أخرى. تقلبت عدة مرات. كانت أحشائى تغلى. وضعت وسادة بين فخذى وضغطت عليها. استعدت اللحظات التى احتضننى فيها بخيت. ثرت على نفسى. تقلبت مرات أخرى. تذكرت وجه رشدى ونظراته الوالهة وعماد وأشعاره. شهاب والمرة التى ثمل فيها وقال إنه يعبدنى. استعدت موقف البحيرة. تخيلت أن بخيت وآخرين كانوا يرقبوننى عارية. حاولت أن أتذكر قولاً لجيفارا: على الثورى الذى يستعد فى السر لخوض

الحرب أن يكون ناسكا مكتملا . هل كان يقصد أثناء العمل السرى فى المدينة تحضيراً لحرب العصابات أم خلالها؟ وماذا لو استمرت هذه الحرب شهورا وسنوات؟

٦ يونيو

.. صعد إلينا من صلاة اثنان من الرفاق حاملين كميات من المؤن والذخيرة (بينها عدد من الألغام الأرضية مسروقة من المستودعات الانجليزية) وعدة صحف عربية قديمة وعدد من التكيلفات. حدثونا عن المؤتمر الأول لـ «لجبهة القومية للجنوب اليمنى» الذى انعقد فى تعز. عكس الخلافات القائمة حول عدد من القضايا مثل الموقف من المشايخ والسلاطين ومن وصاية المخابرات المصرية. أصدر المؤتمر ميثاقا حدد أن الجنوب يمر بمرحلة تحرر وطنى تليها مرحلة بناء اجتماعى على طريق الاشتراكية. القوى هى العمال والفلاحون والجنود والمثقفون الثوريون والطلبة . لم يكتف الميثاق بعدم إدراج البرجوازية فى عداد القوى المحركة للثورة بل إنه أدرجها ضمن جبهة الأعداء. علق أحد الرفيقيين ساخرا بأن واضع الميثاق لا يفهمون الاشتراكية التى تبناها . قال إن اليساريين طرحوا على قيادة الجبهة ٣٨ مطلباً وصمموا ألا يبرحوا إلا بعد الموافقة عليها ومن بينها عقد مؤتمر ثان فى يناير القادم .

.. ناقشنا نتائج الاستطلاعات التى قمنا بها .

.. الصحف حافلة بتكهنات متباينة عن مصير جيفارا وخسائر القوات الأمريكية فى فيتنام. أزمات عديدة فى مصر: الكرايس والسجاير والكبريت والفكة والمواصلات .

.. ليست هناك أنباء من يعرب .

٧ يونيو

..تحدد بعد الغد للهجوم.

٩ يونيو

..بدأت الثورة فى ظفار.

..قدت الهجوم على طريق حميرين. كنا جميعا متوترين نتصبب عرقا.

حاولت قدر الامكان أن أخفى اصطكاك ركبتى . أصدرت الأمر بفتح النار على الموقع . أطلق الانجليز صاروخا أضواء المنطقة . ظن المقاتلون أنهم انكشفوا فأوقفوا هجومهم وهربوا . لحقت بهم وقلت لهم إنهم اذا وصلوا الهرب سيتعرضون لمحاكمة عسكرية . ترددوا . عندئذ تركتهم وعدت إلى موقعى وأطلقت النار . لم يرد الانجليز بنيران مضادة . لمحنا سيارات مسرعة تغادر الموقع . أطلقت مزيدا من النيران . تبينت بعد قليل ان الانجليز تركوا الموقع وهربوا . أدرك جنودى ذلك فعادوا على الفور . شعرت بروح جديدة تدب فيهم . انكسرت هيبة العدو .
.. تهورت وأمرت بصرف علبه بولوبيف لكل مجموعة على العشاء .
.. سيكون هذا اليوم هو عيد ميلادى الحقيقى .

١٠ يونيو

.. السيارات البشرية :الجباليون الذين يجوبون الجبال بسرعة خارقة تختلف عنا نحن أبناء المدن . جاؤونا بالأبناء فى الصباح . قامت مجموعة ثانية بقيادة فهد بنسف شاحنة بترول تابعة للشركة الانجليزية وقادت الثالثة هجوما على حصن الوالى فى بلدة طاقة . تأكدنا من التباين فى المساء عن طريق الراديو .
..قررنا أن نزرع شجرة لبان بهذه المناسبة فى موقع معسكرنا . تحتاج عشر سنوات قبل أن تعطى .
.. أراد المقاتلون أن يكرروا احتفال أمس فمنعتهم فى حزم . لاحظت اختفاء مسرف . عاد مبتسما قبل موعد العشاء يحمل عدة طيور وعصافير . أرانى كيف اصطادها : أعد حفرة صغيرة وضع بها حفنة من الأرز ثم ثبت قطعة مسطحة من الحجر فوق الحفرة بأعواد من البوص بطريقة تجعلها تسقط عند أية حركة . أعددنا من الصيد وجبة شهية فى صندوق التموين الحديدى .

١٢ يونيو

.. اتفقت مع مسرف على أن يعلمنى اللغة الجبالية وأساعده فى إتقان العربية . حصيلة اليوم قليلة : تث هى المرأة وغيح الرجل . يول هت : كيف الحال . من هولن هت : من أين أنت ؟ هت تعنى أنت للمذكر وهيتى أنت للمؤنث . أما التحية فحسب الأوقات : يول صباحك تعنى كيف أصبحت أو كيف حالك هذا الصباح . يول غمدك تعنى كيف أمسيت أو كيف حالك هذا المساء .

الولد بيرة. اذهب الغا. البننت أغا بجوت. الماء مه . ويقول الرعاة عندما يسقون الجمال: ألون هك ، أهير بك أى تعالوا ياجميلاتى، اشربوا كفايتكم .
.. لا بد من مكافحة الكسل بمهام عديدة .
.. فى البداية نفتقد إلى صفات الصبر والجلد والمثابرة التى يبلورها النضال .
والى وعى ايدولوجى واضح .

١٤ يونيو

.. غدا سنهاجم المطار البريطانى الذى سبق استكشافه . سأخذ معى عبد الله وحمد.

١٥ يونيو

.. اقتربنا من المطار قبل الفجر . تجنبنا البوابة الرئيسية . تسللنا من ثغرة أحدثناها بالسلك الشائك . هدفنا هو الطائرات الرابضة فوق الأرض . اكتشفنا أن ما خلفنا خنادق دائرية تحيط بممر الهبوط ليس سوى دشم دفاعية منفصلة ومتباعدة . أشرت لرفيقى أن يتكفل كل واحد منهما بإحداها بينما اتجه أنا إلى الطائرات . زحفنا فى خفة . انفجرت القنابل اليدوية التى ألقاها رفيقاي فى دوى هائل أعقبه على الفور سيل من نيران العدو . اندفعت فى خط متموج نحو أقرب دشمة وقفزت داخلها . كان هناك جندى يرقد على ظهره والدماء تغطى وجهه . تحاشيت النظر اليه . لم أجد القدرة على محاولة التأكد من مصرعه ولا على معرفة جنسيته . انطلقت زوبعة من النيران من المواقع الأخرى . أنصت وأنا أرتعش . دوى انفجار ضخم عند حافة الحفرة . قديفة مدفع . أحد المدفعين اللذين يبعدان عن السلك الشائك بمائة متر . مرق الرمل اللاذع وجهى ويدي . تابعت القذائف . لو استمرت سيستحيل علينا مغادرة المكان ويتمكنون من تطويقنا . لا بد من إسكات مصدر النيران . غامرت برفع رأسى إلى أعلى . تبينت المدفع بسهولة . رفعت بندقيتى إلى كتفى وثبتت منظارها على المدفعى . أطلقت النار . أخطأته . يبدو أنه لم يشعر برصاصتى . أدركت من حركاته أنه يدير فوهة المدفع نحو مصدر النيران التى يطلقها حمد . حاولت ثانية فأخطأته أيضا . جاهدت كى أجمع شتات نفسى . أرغمت جسمى على الإنصياع : شهيق .. زفير .. انتباه .. ضغط خفيف متواصل . انطلقت الرصاصات وسقط الرجل . بدأت أرتعش . تقيأت . لم أدرب نفسى أثناء انسحابنا .

١٦ يونيو

.. لا أستطيع أن أنسى وجه الجندي المغطى بالدماء داخل الحفرة . ولا رأس المدفعي الذي أصبته بينديقتي . إنها المرة الأولى التي أرى فيها دماء شخص آخر. كنت أتصور أنها عملية سهلة . أتمنى لو نجيا من الموت. نحن لسنا قتلة . لكنهم يرغموننا على أن ندافع عن أنفسنا. إما نحن أوهم .

١٨ يونيو

.. الصباحات المبكرة والليالي صارت باردة تماما . خلال شهور الأمطار يتم اطعام الماشية بالسردين المجفف. تتصاعد عفونة السمك المتعفن من كل مكان في الكهوف والأكواخ.

..بعد ظهر أمس تجمعت سحب العواصف السوداء في السماء ناحية الجنوب . اقتربت منا بسرعة. في المساء كان المطر لا يزال يتساقط . عندما عدنا إلى المعسكر وجدنا الرفاق قد أشعلوا نارا. جلسنا قربها نجفف ملابسنا. اشتد سقوط المطر. كنا نرفع أصواتنا أحيانا لنسمع بعضنا البعض. تردد صوت الرعد مثل طلقات مدفع . أضواء البرق المكان لمدة ثانية مجمدا كل شخص وكل شئ في مكانه قبل أن يختفي. تحولت المياه إلى نهر وتصاعدت فوق الأرض. اضطررت للابتعاد عنها لبرودتها. ارتقيت صخرة لكني وجدت فوقها عقربا هاربا من المياه .

١٩ يونيو

..صدمة .انقلب بومدين على بن بيلا وعزله واعتقله .الانقلاب غير مفهوم . الاتجاهات السياسية كلها ممثلة فيه من اليمين إلى اليسار . أعلن بومدين التزامه بنفس السياسات القديمة في الاشتراكية والحزب الواحد الخ . لماذا إذن كان الانقلاب ؟

٢١ يونيو

..بدأ موسم الخريف ويستمر حتى سبتمبر.لا تزيد الحرارة فيه عن ٢٥ درجة مئوية . رياح موسمية تهب من الهند مع مطر هادئ وضباب شفاف يجعل الجو ساحرا. تكثر الحشرات القارصة: الخينيوت التي تمتص الدم والكتان التي تكمن في الملابس وتنشط في الظلام عندما نخلد للنوم فتجعله مستحيلا بلدغاتها. لا تخرج من الملابس إلا بعد مضي شهر من الغسيل والتجفيف في الشمس.

.. تتزايد حصيلتي من اللغة الجبالية : الحشيش الأخضر (شعر) ، البقرة (هاتي) ، السمن (مش) ، ثور (فيور) ، جلة (كو) ، المنجل (مزر) جوال (خاتك) ، حقل مطر موسمي (ميشنون) ، الدخن (الدخان) ، اللوبيا (داجور) ، الخيار (هاشيبه) ، التبغ (تيمبيكو) ، اللوبان ليبانوج) ، الشتاء (شطاء) ، الخريف (خورف) ، الماعز (أرون) ، الجمال (عمبريك) ، الغليون الحجري (فيجير) ، الزيتون (ميتان) ، ابن فلان (بر فلان).

.. الأمراض : الشيفة (ألم حاد بالبطن) ، بو برقع (شلل العصب الوجهي) ، الحزازة (حبيبات صغيرة تصيب جلدة فروة الرأس) ، السلوع (ورم شديد في الرقبة) ، البوشة (حبوب تصيب الأطفال تحت الأنف) ، بوخويط (سيلان الرجل) ، النزول (غشاوة شديدة في العين تؤدي إلى فقد البصر) ، الحبة المشثومة (حبة الشام أوحبة بغداد وهي دمل صلب) .

٢٣ يونيو

.. نتيجة استطلاع قاعدة أم الجواريف مقر قيادة سلاح الجو السلطاني : معسكر كبير محاط بسور من الأسلاك الشبكية تتخلله أبراج مراقبة مزودة بكشافات متحركة على مسافات منتظمة . وسط المعسكر قلعة قديمة ترفع العلم العماني لا بد أنها مركز القيادة . خطوط من الأكواخ الجاهزة تفصل بينها شجيرات داكنة هي عنابر الجنود. قرب البوابة بئر مياه قديم مزود بمضخة يحرسه جنود محليون مسلحون ببندقية اف ان ٦٢، ٧مم. خلف البئر ميس الضباط ومسكنهم والمخازن. شوهدت عملية تحميل السكاى فان بقنابل هاون وفوسفور ودخان، وعلب سمن وجركنات فارغة لنقل مياه الشرب . جندي بريطاني خلف رشاش براوننج فى موقع محفور أحيط بأكياس الرمال والبراميل . آخرون فى شورتات وقمصان بأكمام قصيرة.

٢٥ يونيو

.. نموذج للتضامن الأممي. الاتحاد السوفيتي يحول سفن قمح متجهة إليه إلى مصر.

٢٧ يونيو

.. اختفينا خلف الصخور المطلة على قاعدة أم الجواريف وأقمنا بسرعة

دشما واطئة. لمحنا نقطتى غبار تقتربان عبر السهل. مرت ثلاث جمال تحمل الحطب متجهة إلى صلالة. ثم خرجت سيارتان باكار من القاعدة وشقتا طريقهما ببطء صعدا من الوادى. فتحنا النار على سيارة المقدمة. التوت وفقد سائقها سيطرته فانقلبت. تراجعت السيارة الثانية إلى الوراء ثم استدارت وانطلقت عائدة إلى أمان أم الجواريف.

غادرنا مواقع اختبائنا واقتربنا فى فضول من حطام السيارة المصفحة. هى المسماة بمصفحة صلاح الدين. بها مدفع براوننج. جرننا جثث شاغليها. كان أحدهم انجليزيا. لحسن الحظ أنهم موتى وإلا اضطررنا لنقلهم وعلاجهم. جردناهم من ملابسهم. حملنا المدفع وصندوق ذخيرة وقفلنا عائدين إلى الجبال. نقطع الكيلومتر الواحد فى ثلاث ساعات بسبب الأمطار.

أول يوليو

.. بدأنا برنامجا لبث الألغام فى الطرق المؤدية الى قواعد العدو.
.. أستكشف جسدى كل ليلة.

١٥ يوليو

.. فقدنا رفيقا فى انفجار لغم وضعناه. تركه الانفجار نصفين. سيطرت علينا الكآبة. أول خسائرنا البشرية دون قتال مباشر و بسلاحنا نفسه. أمرت بأن يكون السير دائما فى أثر أقدام الإنسان والحيوان أو فوق الأحجار الكبيرة التى يصعب إخفاء الألغام أسفلها.

٢٤ يوليو

.. تتوالى خسائر أمريكا فى فيتنام. فى مرة حاصرت القوات الجنوبية والأمريكية ٨ آلاف جندى من فيت كونج. بعد ذلك صرح مسئول أمريكى بأنهم لم يعثروا للجنود على أثر كأنما انشقت الأرض وابتلعتهم.
.. أشجار جبل القمر: الأتيرة نصف شجرة ونصف صبار، الحبوك أوراقها سامة وتتجنبها الماشية، لكن كمية قليلة منها تكفى للقضاء على ديدان البطن، زيروات تستخدم لعلاج الجروح مثل الايودين، الميتان تتخذ منها العصى ودعامات وعوارض السقوف، نبات بدها الذى تحمص جذوره الدرنية فى روث الجمال. يصبح طعمها مثل الكستناء المشوية.

.. عقدت أمس اتفاقية السلام بين عبد الناصر والملك فيصل وتقضى
 باجراء استفتاء شعبي فى اليمن على نوع الحكم على أن تسحب مصر قواتها ؟
 .. يعرب فى بيروت . لا أعرف لماذا ترك موقعه . ربما لم يتحمل قيظ
 عمان.

أول سبتمبر

..قررنا مهاجمة المطار البريطانى قبل أن تتوقف الأمطار .
 .. علسيس يتقيأ دما . اعترف بأنه مريض من سنوات . وأنه عرض صدره
 للكى عدة مرات من أجل الشفاء . قلت له إنه مصاب بالسل وشرحت له خطورة
 المرض . لم يبد عليه أنه اقتنع بكلامى . ليس لدينا أدوية كافية . لا أعرف ماذا
 أفعل . اكتفيت بعزله عن الباقين . شعرت أن هذا قد جرحه .
 .. طلب أحد المقاتلين النزول الى صلالة لرؤية أمه . رفضت . شعرت أن
 قرارى أغضب الباقين . شرحت لهم أننا لا يمكن أن نسمح بتعريض أمان العملية
 القادمة للخطر.

٣ سبتمبر

.. اختفى نصيب الذى منعه من النزول الى المدينة . قررت إلغاء العملية .
 عرضت الأمر للنقاش بين قادة المجموعات . أصرروا على القيام بها . غضبوا منى
 عندما ألمحت الى خطر الوشاية .

٨ سبتمبر

.. كدنا نتعرض لكارثة . عرف الانجليز بالموعد . أعدوا لنا مفاجأة بالاتفاق
 مع سلاح الجو السلطانى . كانت الخطة أن يختبئ فريق منهم فى الوادى تحت
 ستار الظلام ويتركونا نمر بهم فى السهل ثم يفتحون علينا النار . فى نفس الوقت
 تكون المدفعية العمانية قد انتقلت الى موقع جديد قرب المطار فتقصفنا عندما
 نحاول التقهقر . وهنا يهاجمنا سلاح الجو السلطانى ويجهز علينا . الحظ أنقذنا . قبل
 أن نبلغ فتحة الوادى ونقع بين الجانبين فتحت المدفعية العمانية النيران بطريق
 الخطأ . تنبهنا إلى ان هناك شيئا يعد لنا . أسرعنا بالانسحاب قبل أن نقع فى الكمين .

.. عقدت اجتماعا عاما للفرقة . تناولت ما حدث بالتحليل . أكدت على أن قرارى كان صائبا بمنع نصيب من النزول الى المدينة. وبالمثل اقتراحى بإلغاء العملية بعد اختفائه. قلت إنه ليس بالضرورة خائنا . يمكن أن يكون ثرثر مع شخص غير مناسب. أو تعرض للتعذيب.

قمت بأول نقد ذاتى لى : كان يجب أن أصر على موقفى من إلغاء العملية وأستخدم حق القيادة فى تنفيذه. شرحت فكرة النقد الذاتى وكيف أن ممارسته هى التى تميز الثورى الحقيقى . قلت إنه من الضرورى أن نغير موقعنا. شعرت بعدم الحماس للفكرة . استعرض البعض مزايا موقعنا (أعتقد قربه من قراهم الأصلية). قال سويد إننا فى أمان لأن الرعاة يعرفون المارين فيبلغونا بأمر أى غريب . قلت له إنهم يمكن أن يفعلوا نفس الشيء مع الغرباء. فيدلون من يسأل عنا. اتخذنا قرارا بالبحث عن موقع جديد بمجرد انتهاء موسم الأمطار بعد أيام .

.. أحضر الحارس المناوب فى الصباح امرأة كانت تبحث عن موقعنا طول الليل . تحمل طفلة أصيبت بلدغة أفعى . عالجهما أهلها بالطريقة التقليدية : شقوا موضع اللدغة بالسكين. ثم قامت الأم بامتصاص السم وبصقه. لكن الجرح تلوث. كانت حرارتها مرتفعة. وضعت لها ضمادات مبللة بالمياه فوق رأسها. ترك الجرح ثقبا عميقا فى كاحلها. نظفته وأعطيتها الترياق المضاد للسم. أمرت بتشديد الحراسة وتدعيمها . إذا كانت المرأة قد تمكنت من العثور علينا فماذا يمنع العدو من ذلك؟ من ناحية أخرى كان للأمر مغزى لا يمكن تجاهله . لقد بدأ السكان يقبلوننا ويتجهون بناطلبا للعون.

.. انتهى موسم الأمطار. تفتحت أزهار نباتات البيطح التى يتخذها الجبليون طعاما لهم. ازدهرت شجيرات الصفوت والقراضة ونبات الفطر الذى يجمعه السكان ويطهونه وأشجار تشبه ثمرة التين البرى حلوة المذاق . بدأت النباتات الاستوائية تنمو بغزارة على جوانب الوادى . انضمت ناقة الى الفرقة .

.. انقلاب فى أندونيسيا وحماس دم للشيويعيين : قائد حرس سوكارنو يقوم

بحركة غامضة اتخذها الجنرالات اليمينيون ذريعة للادعاء بمحاولة الشيوعيين قلب نظام الحكم .

..أذاع كاسترو فى اجتماع عام للحزب الشيوعى الكوبى فقرات من رسالة سلمها إليه جيفارا قبل اختفائه فى أول ابريل الماضى. ذكر جيفارا أنه أدى الواجب الذى عهدت به اليه الثورة الكوبية أداء كاملا ولهذا يتخلى عن جميع مناصبه كوزير وعضو فى الحزب وقائد بل ومواطن كوبى أيضا. قال مخاطبا كاسترو: ..إن أمما أخرى تطلب خدماتى ويتعين على أن أغادركم ... سوف أكون مستعدا لتقديم حياتى فى سبيل تحرير أى بلد كان فى أمريكا اللاتينية إذا ما دعت الضرورة الى ذلك ..إنى أترك ورائى أعز ذكرياتى وأحب الناس لى وأحمل معى الروح التى زرعتموها فى إلى ميادين جديدة فى النضال ضد الاستعمار وإذا واتتنى نهايتى فى أى مكان فسأحمل معى دائما المثل الأعلى الذى وضعتموه.

٢ اكتوبر

.. نظفنا مكاننا جيدا وأزلنا كل أثر لنا. حملنا الناقه بممتلكاتنا القليلة والذخيرة وجراكن الماء وصندوق الأدوية. انطلقنا سيرا على الأقدام الحافية لمدة ثلاث ساعات وبنادقنا على اكتافنا ممسكين بها من الفوهات . توقفنا فى العين وهو نبع ماء عند سفوح جبال قرآ. أطلقنا سراح الناقه لتبحث عن طعام . قضينا الليل تحت شجرة تين . أسراب الحشرات تحدث أصواتا عالية . الخنافس تثب فوقنا من غصن إلى غصن . تجمعت طيور اللقلق البيضاء والبنية على قمم الأشجار للمبيت. عنزة للعشاء شكلت وجبة شهية مع الأرز المسلوق والحساء الدسم اللذيذ. ظلوا يقظين من شدة البرد . علسيس لا يكف عن السعال . عند النصر سنوفر له علاجا كاملا.

٣ اكتوبر

.. أيقظتنا نداءات طيور الوروار فى الفجر. غادرنا موقعنا. سرنا عبر مروج صخرية ومنحدرات عميقة. على يسارنا أودية واسعة تمتد حتى السهول. شجر ليمون أخضر قرب احدى عيون الماء. بعد فترة وصلنا إلى حافة واد كثيف الأشجار يرتفع ١٦٠٠ قدم فوق سطح البحر.

٤ اكتوبر

.. زرنا مخيما على هضبة صغيرة . عائلة تعيش فى كهف منخفض أرضه مفروشة بروث الماعز. عجوز نصف أعمى فوق مقعد من الخيزران المجدول المغطى بالجلد. أحضر لنا صبي طاسة من الحليب الدافئ تلوه رغوة حلبه للتو . طعمه مالح كحليب كل النياق.

٦ اكتوبر

.. تسلقنا إلى قمة معركسميم. المرتفعات مغطاة بالعشب والأدغال الخضراء والأغوار الظليلة. تنحدر باتجاه سهل جريبب وصلالة والمحيط الهندى المفتوح على عالم آخر. إلى الشمال مباشرة تنحدر الصخور السوداء والرمال الصفراء إلى الربع الخالى.

٦ اكتوبر

..نزلنا فى الصباح إلى بركة العيون التى تقع على ارتفاع مائتى قدم فى رأس وادى غودون. قال واحد إن أفعى مخيفة تعيش فيها . ابتلعت مرة عنزة كانت تشرب. اغتسلنا وملأنا الجراكن .

٧ اكتوبر

.. انتقلنا شمالا ببطء متبعين وادى غودون وهو واحد من خمسة مجارى نهريه جافة تنحدر من السلسلة الساحلية . سرنا بصعوبة فى قعر المجرى بين أكوام الصخور المصقولة . مررنا بعائلتين من بيت كثير تقيمان تحت الأشجار. شاب لسعته أفعى من شهرين برجل متورمة ينز منها الصديد . غسلت له الجرح وأعطيته بعض الدواء . زوجته نحيفة جدا وتعانى من سعال متواصل. كل ما يملكونه مطروح على الرمال: بضعة قدور. قرب . كيس من جلد الماعز مملوء حتى منتصفه بالطحين. كمية من سمك السردين منشورة فوق قميص ممزق .رائحته الكريهة النفاذة تعبق المكان مجتذبة أسراب الذباب. بساط قديم وبعض الخرق التى يتدثرون بها ليلا. خرجان ودلو من الجلد لسحب الماء. بنديقه قديمة ذات طلقة واحدة.

٩ اكتوبر

.. وجدنا مكانا ملائما على مبعده نصف كيلومتر من بئر ماء. كهفان

كبيران للرجال وآخر صغير من عزل لى. حولنا حقول من اللوبيا. يمكن ان نمشى فيها عدة ساعات دون أن نرى الشمس .

نوفمبر

.. أمر السلطان سعيد بتسوير مدن ظفار الرئيسية بالأسلاك الشائكة ومنع التجول داخل ظفار نفسها. تقلص عدد الجبليين الذين تجرؤا على النزول إلى الساحل للعمل أو التبادل التجارى. صار اقتناء السلع الغذائية صعبا . شنت قواته حملات انتقامية نكلت بالنساء والأطفال وأحرقت الماشية والأكواخ ونسفت الآبار. لجأوا الى احتجاز الرهائن لإجبار المتهمين بالتعاون مع الجبهة على الاستسلام . قررنا الرد بعلمية جريئة.

.. وضعت خطة لمهاجمة قوافل التموين والذخيرة المرسله من قاعدة أم الجواريف إلى مدينة طاقة . كمين بسيط على مشارف المدينة. عرضت الخطة فى زهو على رفاق اللجنة القيادية. عارضنى فهد واقترح خطة بديلة . قال إن العدو يعرف اننا لغمنا الدرب الرئيسى المؤدى إلى طاقة. اذن أفضل طريق لسياراتهم هو على طول الشاطئ بعد أن يذهب المد وتكون الشمس قد جففت الرمال وصلبتها. ولا بد سيختارون لحظة القيام من أم الجواريف بدقة . اذا خرجوا مبكرين سيضطروا للانتظار على الشاطي حتى يذهب المد فيصبحون أهدافا ثابتة لنا . اذا تأخروا كثيرا سيقعون فى أسر المد الجديد . اذن نستطيع أن نحدد الوقت بين مدين . وعند خروجهم فى الغالب لن يخرجوا من البوابة كما يفعلون عادة بل من الناحية الأخرى المواجهة للبحر. ثم يستديرون يسارا ويمضون فى درب مواز للسور الذى هو امتداد للسور المحيط بصلالة. تلى ذلك بوابة من السلك الشائك يحرسها جنديان مسلحان ببنادق ٣٠٣ ومقامة فوق اخدود من الرمال الناعمة مغطاة بشبكة من أسلاك الصلب . بعد ٧٥ مترا تبدأ الرمال الصلبة . خلال هذه الأمتار السبعين سيسرون ببطء وحذر . هذه هى فرصتنا.

كان عرضه منطقياً يستند الى معرفته بالمنطقة. لكن الطريقة التى كان يتكلم بها وهو ينظر الى استفتزنى . الموقف الذكورى التقليدى. يعتبر نفسه خبيراً عسكرياً لمجرد أنه كان جندياً.

.. دونت النقاط الرئيسية فى خطاب لعبد الناصر . قال إن الذين لا يستفيدون

من تجاربهم ولا يتفاعلون مع الواقع يتخلون عن قدرتهم على تغييره. أكد أن باب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه، والمحذور الوحيد هو استغلال الإنسان للإنسان. قال إن دول الكتلة الشرقية تعطي ج ع م قروضا بفائدة ٢ بالمئة بينما القروض الغربية فائدتها ٧ في المئة أى أن مصر تدفع للدول الغربية ثمن المصنع مرتين . شرح بدقة أساس الاستغلال الرأسمالى : أى واحد ازاي يعمل مليون جنيه؟ حاجة بسيطة جدا . يتدى بمبلغ ويجيب عمال وهؤلاء العمال بيشتغلوا ..يديهم جزء من حقهم وياخذ الجزء الباقي ..لازم يسرق. أعلن أيضا عن وجود التنظيم السياسى داخل الاتحاد الاشتراكى باسم طليعة الاشتراكيين.

٢٨ نوفمبر

.. انتصر فهد. نجح الكمين الذى أعدناه لقاعدة أم الجواريف. لم نتعرض لأية خسائر.

ديسمبر

.. البوت تهرأ. حصلت على حذاء رياضى مطاطى .
.. مازال مصير الزعيم المغربى بن بركة مجهولا . هل هو معتقل أم اغتالوه؟
لماذا يحدث هذا الآن؟ لأنه حدد خط تطور كفاح الشعب العربى فى المغرب على أنه الاشتراكية ولأنه يرأس اللجنة التحضيرية لمؤتمر القارات الثلاث الذى سينعقد فى كوبا. أمريكا لها خمس قواعد ذرية جوية فى المغرب.
.. هاجم عبد الناصر فى بورسعيد مطالب الإخوان المسلمين ومنها فرض الحجاب على ١٠ ملايين امرأة و عدم تشغيل المرأة . قال إن العمل حماية للمرأة يمنعها من أن تضل ومن أن تفرط فى نفسها . قال إنه لا بد من تأميم تجارة الجملة .

.. دعا الحزب الشيوعى الإيرانى إلى جبهة وطنية واسعة من العناصر البرجوازية ورجال الدين مثل خمينى ضد النظام المرتبط بالاستعمارين الانجليزى والأميركى.

.. قرر البرلمان السودانى حل الحزب الشيوعى.
.. هناك تيار قوى داخل الحزب الشيوعى السودانى يدعو الى تحويله الى حزب اشتراكى. يتزعم هذا التيار أحمد سليمان وهو محام معروف وعضو بالمكتب السياسى ويسانده بعض قادة الحزب الذين شغلوا مناصب وزارية بعد ثورة اكتوبر.

..أنا محظوظة حقاً إذ أولد وأعيش العصر الذى يشهد التحول الحاسم للعلاقات البشرية من علاقات استغلال إلى علاقات مشاركة وتضامن ومساواة. الصراع الرئيسى يدور بين القيم الفردية والقيم الجماعية . فالمبالغة فى تأكيد قيمة الفردية يؤدى إلى تغليب الروح الأنانية . المقابل الاقتصادى لمبدأ الفردية هو تأكيد دافع الربح : على أساس أن أقوى الدوافع المسيطرة على الفرد هو تحقيق منفعة الذاتية ولو على حساب الآخرين . أى أن الانسان أنانى بطبعه ولا يمكن للاعتبارات المعنوية أو الأخلاقية أن تكون حافزاً كافياً لجهده.

.. أمشى حافية بعد أن تمزق الحذاء الكاوتشوك . فى البداية امتلأت قدماى بالبور ثم تصلبت . أمشى الآن أسهل وأسرع من ذى قبل .

..سمعت أغنية أم كلثوم وعبد الوهاب الجديدة «أمل حياتى» . أشعر بالحنين الى القاهرة . ترى ماذا يفعل رشدى الآن؟

.. لا أبناء من يعرب .

..بدأ هبوب رياح الشمال وهى رياح جافة حارة .

.. انتهت الكمية التى لدى من مسحوق تايد بينما كنت أغسل ملابسى الداخلية . أوشكت الدموع أن تطفر من عيني . أحضرتلى مسرف فرعا من شجرة بامية . يسمونها هنا قمروت . أرانى كيف أدق أوراقها . حتى تصير مسحوقاً ثم أذيبها فى قليل من الماء حتى تصنع رغوة مثل تايد بالضبط .

أول يناير ٦٦ :

..ساهمت فى إعداد تقدير موقف بعد ستة شهور من بدء الثورة : هناك روح جديدة فى الجبال . فى البدء كان رد فعل السكان حذراً أو حتى معادياً إذ تعرضوا لضغوط جبارة من جانب المشايخ والعملاء . ثم انكسر طوق العزلة ببطء وكان أول المتعاونين مع الثورة أبناء القبائل المستضعفة والأسر الفقيرة من قرأ وكثير . كما نجحنا فى منع تسرب النزاعات القبلية إلى داخل الجبهة . إذ قسمنا الإقليم من البداية على أساس جغرافى وجندنا المتطوعين على أساس فردى لا على أساس الانتماء القبلى . كما اخضعنا اختيار القادة لمقياس الكفاءة لا غير .

١٣ يناير

..أعلن فى عدن الدمج القسرى (برعاية الأجهزة المصرية) بين الجبهة

القومية ومنظمة التحرير(الأصنج ومكاوى) لقطع الطريق على التيار اليسارى (عبد الفتاح اسماعيل). وصل وفد مكون من جورج حبش ومحسن ابراهيم وهانى الهندى إلى تعز للاجتماع بعبد الفتاح اسماعيل. عارض قحطان الشعبى الدمج من القاهرة فمنعه المصريون من مغادرتها .

.. انتقد نايف حواتمة لأول مرة قيادة الحركة. وصفها بالقيادة البرجوازية

الصغيرة .

١٤ يناير

.. فقدنا مسرف.

١٨ يناير

.. اليوم فقط تمكنت من الكتابة ... كنا عائدتين من مسيرة تدريجية عندما وقعنا فى كمين . سمعت الصوت المعدنى الأجوف لقذيفة الهاون عندما تركت أنبوبها واتجهت نحونا . صحت : هاون. ارتمينا على الأرض وأيدنا فوق رؤوسنا. انفجرت القذيفة فوق التل. تتابع الدوى . بين كل واحدة والثانية نصف دقيقة مما يعنى أن المدفعية تطلق من أقصى مدى وهو ٤٠٠٠ متر. اندفع مسرف يجرى وهو يصرخ بشكل هستيرى. كان صراخه كافيا للفت نظر العدو إلى موقعنا . مررت بلحظة مرعبة . الفرقة كلها معرضة للإبادة . واجبى أن أسكته فى الحال ولو بإطلاق النار عليه . رفعت رأسى فى حذر أنا أجذب الرشاش الى أعلى . رأيت الدماء تغطيه وامعاه مدلاة من بطنه. اقترب من مكانى فى غير وعى . جذبته من خصره الى جوارى . احتضنته بقوة واضعة يدى على فمه إلى أن توقف صراخه . مات بين ذراعى .

٢ فبراير

.. انتصار تاريخى للشعب . هبطت محطة فضاء سوفيتية فوق سطح القمر . الإنسان لأول مرة فى تاريخ البشرية فوق جرم سماوى آخر غير الأرض .
.. أقر مجلس الأمة المصرى قانونا بألا يزيد ما يتقاضاه رئيس أو عضو مجلس الإدارة عن خمسة الاف جنيه فى العام .
.. أنام بصعوبة . أستيقظ دائما أثناء الليل على صورة مسرف وهو يجرى نحوى .

.. انقلاب دموى فى دمشق يقوم به جناح من حزب البعث بقيادة صلاح جديد وحافظ أسد . اعتقال ميشيل عفلق وصلاح البيطار .
 ..أمريكا تعلن فى صراحة عن صفقة أسلحة لإسرائيل .
 ..انقلاب ضد نكروما بعد حصاراقتصادى من قبل الشركات الغربية التى تشتري محصول الكاكاو من غانا .

مارس

..الشاعر الفرنسى الشيوعى أراجون يعارض فى جريدة الحزب محاكمة كاتبين فى الاتحاد السوفيتى بتهمة تهريب كتابات معادية إلى الخارج .
 ..انقلاب دموى جديد فى اندونيسيا. حكومة عسكرية برئاسة سوهارتو .

أبريل

..تطور خطير للغاية : الطائرات الأمريكية تضرب أحد أحياءعاصمة فيتنام الشمالية لأول مرة منذ بدأت الحرب .
 ..أعددت تقريرا عن الاحتياجات الصحية : أمصال ضد الثعابين والأفاعى .
 كل ما يملكه القوم ضد السل وسائر الأمراض الصدرية هوالكى مثنى وثلاث ورباع . أما الجرب فيعالجه الحلاق بإزالة الشعر ودعك فروة الرأس بليمونة . كيف يمكن إقناعهم بضرورة غلى الألبان؟ الأمراض الشائعة هى سوء التغذية والدوستاريا والملاريا والجذام والجرب والرمد . مطلوب مورفين وضمادات ومضادات حيوية .

٣ مايو

..فى خطاب أول مايو هدد عبد الناصر بضرب قواعد العدوان السعودية ضد اليمن . عاد إلى شرح قضية الاستغلال بأنه استيلاء الرأسمالى على فائض قيمة عمل العامل أى أنه يأخذ عرقهم : «العامل اللئى بيشتغل وقيمة عمله جنيه يديله ربع جنيه ويأخذ هو الثلاث أرباع» .
 .. صحف بيروت : الملك فيصل يستنجد بالولايات المتحدة .

٩ يونيو

.. عام جديد للثورة ولى . أشعر بالاكنتاب . ما زلنا بعيدين عن النصر النهائى . يبدو أنه لم تكن لدى فكرة واضحة عن الزمن الذى سيستغرقه القتال .

ولا عن درجة التخلف السائدة. صنعاء جنة بالقياس إلى الحياة هنا . كم أحن إلى رائحة القهوة في شوارع بيروت. الليالي بالذات صعبة. كل هذا العنف والقتل . لا بد من الصمود . سأبدأ غدا برنامجا جديدا من المسيرات والتدريب . كونا لجنة لنشر الوعي الصحي .

.. ثلاثة متطوعون جدد بينهم واحد غير صالح للقتال . اسمه سالم حسن (١٧ سنة) . عمل صيادا في صلالة . كان يتقاضى من صاحب المركب ٢٥ ريالاً في الشهر (الريال = ١٣ روبية أو ٣ ليرات لبنانية) خلال شهور الصيد الثلاثة . بعد ذلك يعمل في نقل حجارة البناء لقاء ٥ روبيات لكل يوم عمل من عشر ساعات دون فترة غداء . جرب حظه في الزراعة فاستأجر بستان خضراوات مقابل ٥ ريالات لكل ستة أشهر ونصف ريال لكل ساعة رى . أصيب بمرض التراخوما وأخذ يفقد بصره . باعه دجال يسمى نفسه طبيبا نظارات لم تفده فقدم طلبا للسفر إلى الخليج بقصد العلاج . رفضت السلطان طلبه ففر إلى الجبل . سنهد إليه بالمهام التي لا تعتمد على جودة الرؤية إلى أن متاح فرصة علاجه .

١١ يونيو

..انتخب المؤتمر الثاني للجبهة القومية العدنية قيادة جديدة على رأسها عبد الفتاح اسماعيل زعيم التيار اليسارى ومعه على سالم البيض ، على عنتر ، سالم ربيع (سالمين) ، على صالح عباد(مقبل) ، محمد على هيثم . حضر يعرب المؤتمر . القيادة الجديدة ثورية تماما بحكم الأصول الطبقيّة لعناصرها: عبد الفتاح اسماعيل عامل بمصفاة النفط قبل أن يصير مدرسا ، على عنتر راعي بغال صار حمالا بمطارات الخليج ، صالح مصلح سقا مياه التحق عريفا بالجيش وتركه بعد أن قتل ضابطا انجليزيا ، على طابع خياط بالقرية .

..علق عبد الناصر على مقتل صلاح حسين في كمشيش على يد الرأسمالية الريفية الطفيلية وبتحريض من عائلة الفقى الإقطاعية فقال: «لابد من ثورة حية ، ثورة مستمرة فالاستغلال لا يستسلم بسهولة. قطاع الرأسمالية بيزيد وإذا أردنا السير في طريق الاشتراكية لازم تجارة الجملة تنتقل إلى القطاع العام ..» .

..تكوين اللجنة العليا لتصفية الإقطاع في مصر برئاسة عبد الحكيم عامر .
.. وافق مجلس الأمة المصرى على مشروع قانون تقدمت به الحكومة

لتعديل قانون الإصلاح الزراعى. أصبح تأجير الأرض قاصراً على من يتولى زراعتها بنفسه ولا يجوز تأجيرها من الباطن أو التنازل عن الإجارة للغير أو مشاركته فيها. .. موسم الأمطار: طوال أربعة شهور سنكون قادرين على الحركة بينما يتحصن العدو بمواقعه لا يغادرها متجنباً الاشتباك بنا .

يوليو

..مواجهة كبرى فى رابضات الكلاب . خسرتنا مقاتلين ونسفننا سبع عربات عسكرية وقتلنا وجرحنا ٥٨ من العدو.

.. كشفت لجنة تصفية الإقطاع فى مصر عن وقائع مثيرة : بين الإقطاعيين من ارتفعت ملكيته من ستين فدانا عام ٥٤ إلى ١٤١٣ فدانا عام ٦٦ عن طريق اغتصاب أراضي طرح النهروان والفلحين بالكمبيالات على بياض. حسب نظام المشاركة يستولى الإقطاعى على محصول القطن كله وبعد خصم المصروفات يحتفظ بنصفه. ثم أنهم يسيطرون على البنك العقارى وعلى الجمعيات التعاونية.

..لا تزال عملية التطهير السياسى مستمرة فى الصين. ماوتسى تونج هو الذى أمر بها . تقرر تعديل نظام التعليم الجامعى بقصر مدة دراسة الآداب على سنتين ينتقل الطالب بعدها إلى التدريب العملى وسط العمال والمزارعين والجنود لاكتساب الخبرة العملية الثورية. وصف شواين لاي هذه التطورات بأنها ثورة اشتراكية ثقافية كبرى . برز وزير الدفاع لين بياو الذى أنشأ حركة جديدة لدراسة أعمال ماو وقدم استراتيجية جديدة للثورة العالمية مؤداها : إذا أمكن اعتبار أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية مدن العالم، فان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية تشكل المناطق الزراعية، والثورة العالمية المعاصرة تمثل أيضا صورة من حصار المناطق الزراعية للمدن .

.. كتاب جديد لجيفارا يهاجم الحوافز المادية لأنها تؤدي إلى تغليب قيم الرأسمالية ويدعو إلى بعث الحوافز المعنوية . السلعة هى النواة الاقتصادية للمجتمع الرأسمالى وستظل تؤثر على تنظيم الإنتاج وعلى الوعى مادامت قائمة. ولأن الطريق ما زال طويلاً أمام البلدان المتخلفة لذا فالأغراء شديد للالتجاء إلى الحافز المادى كمحرك للتنمية الاقتصادية السريعة . هنا يظهر خطر الدخول فى

طريق مسدود بمحاولة تحقيق الاشتراكية عن طريق أسلحة عفنة ورثناها عن الرأسمالية (السلعة بوصفها وحدة اقتصادية، الربحية، المصلحة المادية الفردية كحافز الخ). إننا ننتهي إلى هذا المأزق بعد قطع مسافة طويلة تتشابك فيها الطرق الفرعية وتكون القاعدة الاقتصادية قد قامت بدورها في تخريب عملية التطوير الوعى . إن بناء الشيوعية يستدعى تغيير الفرد لنفسه مع تغيير القاعدة الاقتصادية . ومن هنا لا بد أن تكون أداة تجنيد الجماهير أداة معنوية دون تجاهل الاستخدام السليم للحافز المادى ذى الطابع الاجتماعى أساسا.. يجب أن يتحول المجتمع فى مجموعه إلى مدرسة كبيرة ..لكى يسترد الإنسان طبيعته لا بد أن ينتهى الانسان/ السلعة. وأن تقدم له الدولة مقابلا لقيامه بواجباته الاجتماعية . عندئذ يتحرر فكره من القلق الناجم عن ضرورة إشباع حاجاته الملحة بالعمل، ويتعرف على نفسه بعمله فيدرك عظمته كإنسان عن طريق الخلق والعمل . عندئذ لن يكون عمله عبارة عن تخل عن جزء من كيانه على شكل قوة عمل يبيعها بل إسهاما منه فى الحياة المشتركة.

١٥ أغسطس

.. عدوان إسرائيلى ثان على سوريا بسبب الاتجاهات التقدمية للحكومة الجديدة بقيادة الأطباء الشبان أتاسى/زعين /ماخوس وسيرها بشجاعة فى تنفيذ المشروعات العربية لاستثمار روافد نهرالأردن.
.. حصلت على بنطلون جينز على مقاسى . ضيق بعض الشئ.

سبتمبر

..صوت نشاز وسط اندفاع ثورى نحو وحدة القوى الثورية والتقدمية العربية . أحمد سعيد (صوت العرب) يهاجم الدعوة إلى وحدة القوميين العراقيين مع الشيوعيين أو البعثيين..

..شباب الحرس الأحمر الصينى يأخذ قضية الثورة فى يده . تدخلهم فى ملابس عديد من الشبان الصينيين والطريقة الغربية فى إرسال شعورهم، منع تقديم الشاى فى صالات الشاى باعتباره متعة بورجوازية .الهجوم على باخ وبيتهوفين. الشيوعى الحق هو الذى يعيش فى تقشف كامل ويحمل أكثر الأعباء ثقلا .

.. وصلتنا ثلاث كتيبات من بكين بالعربية تتضمن مقالات نشرت في صحيفة جيش التحرير اليومية: فكرماو هو قمة الماركسية اللينينية فى العصر الحاضر. لين بياو أول من أمسك بقبضة حاسمة قضية الأدب والفن فى الجيش. الاتحاد السوفيتى ينحدر الآن فى طريق إعادة الرأسمالية .

.. إن كل جملة من جمل ماو هى الحقيقة ولها وزن يزيد عما لعشرات الآلاف من الجمل العادية.

.. الكتاب والفنانون دائما مصدر للمشاكل والانحرافات.

.. تخلت عن بنطلون الجينز . فتحته حادة تحتك بجسمى بطريقة تشتت

فكرى .

١٤ أكتوبر

.. انقلاب فى أبوظبي ضد الشيخ شخبوط الذى تصفه الدوائر الانجليزية بالبخل والرجعية والعناد . حل أخوه زايد محله. يوصف بأنه متفتح .

.. فى أعقاب كمين ناجح عثر سويد على قتيل باكرستانى وجريح ظفارى. تبين أنه من عملاء السلطة .أجهز عليه فى الحال. ثرت عندما عرفت بالأمر. القاعدة أننا نعالج الجرحى من الأعداء . صرخت فى سويد إننا لسنا قتلة . قررت عقد محاكمة عسكرية له . سيواجه حكم الإعدام. توسل الى عبدالله ان أراعى ظروفه . قال إن القتل اشترك فى تعذيب إخوة سويد ووالده كى يدفعا الضرائب الجائرة مما أدى الى مصرع الأخير. وإن هذا هو ما دفع به الى الانضمام الى الثورة . تذكرت ما قاله لى مرة عن هروبه من الضرائب . لكنه لم يتحدث أبدا عما فعله به رجال الوالى. فكرت طويلا فى الأمر. عقدت اجتماعا للفرقة . تحدثت عن مضمون كفاحنا . قلت إننا ضد الانتقام الفردى. إننا نبحث عن حل جذرى لكل ما يتعرض له الشعب من ظلم وأسى. عفوت عن سويد بعد أن قام بنقد ذاتى لتصرفه .

١٣ نوفمبر

.. غارة إسرائيلية من لواء كامل وثلاثين دبابة تؤيدها المدفعية والطائرات على قرية عزلاء فى منطقة الخليل بالضفة الغربية. انهم يعدون لشى ويستكشفون الجهات المختلفة.

.. متطوعون جدد فيهم نفس عيوبنا السابقة . أصبح عددنا ثمانين رجلا .
..اعتقالات واسعة تقوم بها السلطة الأردنية للقوى الوطنية في الخليل

ونابلس

.. استدعى الملك قوات البدو للسيطرة على المظاهرات .
..أصدرت المحكمة العليا في السودان حكمها بعدم شرعية حل الحزب
الشيوعي . البرلمان يقرر عدم السماح للنواب الشيوعيين بحضور جلساته رغم
حكم القضاء.

ديسمبر

.. المؤتمر الثالث لـ «الجبهة القومية» في قعطبة بالشمال اليمنى يقر
الانسحاب من الوحدة مع جبهة التحرير. انتخاب قيادة جديدة تضم قحطان الشعبي
وفيصل عبد اللطيف الشعبي. قيادة القوميون العرب بزعامة جورج حبش تقاوم
التجذير اليسارى فى الحركة وتشجب الانسحاب .

.. ضرورة تطهير الفرقة من الرجال ذوى المعنويات الضعيفة.
.. مثال لما يمثله الموروث من سلبيات : حزب المؤتمر الهندى يوصى
بمنع ذبح الأبقار رغم المجاعة وذلك تحت ضغط الجماعات الدينية المتطرفة .

يناير ٦٧

..مشهد رائع : وصلتنا ثلاثة رشاشات ذات قوائم وثلاث بنادق من طراز
مادزن وتسع بنادق م .أ. وعشر بنادق أوتوماتيكية و٦ آلاف رصاصة .
.. يعرب فى مسقط

.. اعترف تقرير بريطانى رسمى بأن عدد العمليات فى عدن خلال العام
الماضى ٦٦ بلغ ٥٠٠ عملية قتل وأصيب فيها ٥٨٣ شخصا. كشفت منظمة
العفو الدولية عن فنون التعذيب الذى تمارسه السلطات البريطانية: تخليع الأظافر،
تكسير العظام، نفخ البطون بالماء ، التعليق من الأكف.

.. الخليج العربى ينتج ثلاثة أخماس واردات بريطانيا من البترول . تعمل
بريطانيا الآن على خلق اتحاد فيدرالى بين إمارات الخليج.

..إن التاريخ يتحرك في كل شبر من الأرض العربية . كل جبروت الاستعمار لن يتمكن من يوقف سيره المظفر إلى الأمام ..

٩ يناير

..موقف غامض في الصين. شواين لاي يدافع عن الثورة الثقافية ويندد بليو تشاوشى ودنج هسياوبنج. الملصقات تتهمه بأنه خائف من الثورة الثقافية .
.. بلغ عدد أفراد القوات الأمريكية في فيتنام ٤٠٠ ألف جندي . فى غارة على إحدى القرى حاصروا ٤٢ شخصا وقتلوهم بالمدافع الرشاشة. قبل قتل إحدى السيدات نزعوا ابنتها الصغيرة من بين ذراعيها ومزقوها نصفين أمام عيني أمها .

١٦ يناير

..إضراب عام فى عدن استجابة لدعوة الجبهة القومية بمناسبة الذكرى ١٢٨ للاحتلال الأنجليزى .مظاهرات تهتف لناصر .

فبراير

..لطفى الخولى يقول إن ناصر بخطابه فى عيد العلم اكتسب لا وضعية القائد السياسى فقط وانما وضعية المعلم الثورى فى الفكر والفلسفة كذلك. مزايده على المنافقين أم عبادة للفرد؟
..أعدنا خائنا عثرنا معه على أوراق ومسندات واعترف.
..اضرابات ومنع تحول فى عدن.

٢٠ فبراير

.. انتهيت من تدوين الأخبار واستلقيت فوق الفراش. تركت الفتيل مشتعلا وحركت مؤشر الراديو . جاءتنى موسيقى خفيفة فشرذ فكرى . باعدت بين ساقى وفككت حزام البنطلون . سمعت حركة عند المدخل .ارتفع الستار عن فهد. لم أعرف أنه فى المعسكر. اعتدلت جالسة فى حنق. اكتسحت نظراته جسدى من قدمى حتى رأسى واستقرتا على الراديو. قال بلهجة ذات مغزى : ماذا تفعلين وحدك؟ سقط ضوء الفتيل على وجهه. شعرت بالرهبة من ذكوره الطاغية. قال: ما رأيك فى أن نتزوج؟ وجدت لسانى أخيرا . قلت فى غضب : الاجابة على السؤال الأول هى : ليس من حق أحد أن يقترح على وحدتى. الاجابة على السؤال الثانى : تفضل من هنا.

.. أصدر وزير العدل المصرى قرارا بالغاء تنفيذ أحكام الطاعة جبرا وبواسطة الشرطة. أثار هذا التعديل معارضة أعداء تحرير المرأة فى مجلس الأمة .

.. قانون الأحوال الشخصية كان دائما موضع صراع بين الفكر المتخلف والفكر المتقدم : حق الرجل فى تعدد الزوجات ، حقه فى الطلاق دون قيد ، حقه فى حضانة الأولاد فى سن مبكرة بغض النظر عن مصلحتهم ، حقه فى إخضاع المرأة بالقوة فى بيت الطاعة . التعديل الثورى والجذرى فى القانون سيعدل نظرة الرجل للمرأة على أساس أنها سلعة إلى كونها شريكة متساوية معه فى الحق والواجب .

.. انفجار فى عدن يودى بحياة ثلاثة من أبناء عبد القوى مكاوى الأربعة . السلطات الاستعمارية تتهم الجبهة القومية بالمسؤولية . عشرة آلاف فى جنازة الضحايا . تصعيد العمل الفدائى .

.. أبلغنى بخيت إنه اكتشف دليلا على أن حمد جاسوس . قال إنه رآه يخبئ أوراقا فى جذع شجرة . قدم لى الأوراق . وجدت بها أرقاما ورسوما غامضة . تعرفت على حرز الإحاطة الذى كان يحمله ملك اليمن . مكتوب به أنه نافع فى زواج البنت والمحبة والقبول وتسهيل الارتزاق والبيع . وهو فعال أيضا للسمع العقرب والثعبان وأنواع الهوام . فيه أيضا العهود السلیمانية السبعة التى تحمى صاحبها فلا يغلبه غالب ولا يدركه طالب .

.. إذاعة ظفارية من راديو القاهرة : يجب أن يكون الهدف دائما هو مؤخرة العدو . يجب ألا نشترك فى معارك يحددها هو ويكون قد درس نتائجها .. اضرب واجر يا أخى .

.. أعيد فتح المدارس فى بكين بعد أن ظلت مغلقة لمدة تسع شهور لانشغال الطلبة فى حركة الثورة الثقافية . قال رافع إن الصراع الدائر فى الصين سببه الرئيسى المصاعب الاقتصادية بعد فشل القفزة الكبرى إلى الأمام .

٧ ابريل

.. لأول مرة منذ تسعة عشر عاما حلقت ٧٢ طائرة إسرائيلية فى سماء دمشق بعد ان عبرت سماء الأردن.
.. تصريح غريب للرئيس الأمريكى جونسون : لدينا إجراءات عملية مباشرة سنتخذها بصدد الوضع بين إسرائيل والبلاد العربية .

٨ ابريل

.. قمنا بعملية ناجحة على طريق تمريرت . أصيب حمد برصاصة فى فخذه.
حملناه فى أرجوحة مربوطة بغصن ضخم . سنحاول تهريبه داخل صلالة للعلاج.

١٢ ابريل

.. وصلتنا رسالة جيفارا إلى منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا بعنوان تقرير عن الحالة الثورية فى العالم يستنكر فيها ما أسماه بعزلة فيتنام بسبب الشجار بين الاتحاد السوفيتى والصين . حمل الامبريالية الأمريكية إثم العدوان هى والذين ترددوا حين أذنت ساعة الفصل فى جعل فيتنام أرضا اشتراكية مصونة لا تمس وإن أدى بهم الأمر إلى المخاطرة باندلاع الحرب العالمية. لا بد أنه يقصد الاتحاد السوفيتى . قال إن المستغلين فى العالم يجب أن يخوضوا المعركة فى كل مكان يخوضها العدو ويجب أن تكون الحرب شاملة بحيث لانتركه يستريح ولودقيقة واحدة . دعا الى إنماء الأممية البروليتارية الحقيقية يجيوشها البروليتارية العالمية بحيث يصبح اللواء الذى نقاتل فى ظله هو القضية المقدسة لإنقاذ البشرية وحيث يكون الموت تحت أعلام فيتنام أو فنزويلا أو جواتيمالا أو لاوس أو غينيا أو بوليفيا أو البرازيل مجدا متساويا وورغبة واحدة للأمريكى والأسوى والأفريقى بل والأوروبى أيضا.

١٦ مايو

.. ليفى أشكول يعلن : من المحتم أن تحدث مواجهة خطيرة بين سوريا واسرائيل .
.. ج ع م تطلب سحب قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة من سيناء وشرم الشيخ وتقرر إغلاق خليج العقبة فى وجه اسرائيل الشعب العربى ينتزع المبادرة.

.. فى السعودىة ٧٠ ألف من مقطوعى الأىدى والأرجل و٦٠٠ ألف رقىق سرقوا من كل بلد عربى ومن أفرىقىا وآسىا وأوروبا .

١٧ مايو

.. المشىر عامر يعىن الفرىق صدقى محمود قأىدا للقوات الجوىة . ألم ىتم اعتقاله صباح ٢٣ يوليو٥٢ لمدة خمسة أىام بصفته من رجال النظام الملكى ؟ ثم عىن بعدها نأىبا لقأىد سلاح الطىران وترك طأىراته فرىسة للهجوم الثلاىى فى ٥٦ وهى رابضة على الممرات الجوىة دون تحلىق مما أذى إلى تحطىمها فى يوم واحد؟ عجب أمر المصرىىن ..

٥ يونيو

.. مع الرادىو منذ الصباح الباكر. هل حلت أفىرا لحظة المواجهه الكبرى مع الامبرىالىة؟ الجمىع فى حالة توتر وحماس . أجلنا إحدى العملىات. صوت العرب ىبشر بدخول تل أبىب.

٦ يونيو

.. هناك شىء غىر طبعى فى أنباار الإذاعات .

٨ يونيو

.. اسراىىل تحتل غزة والعرىش والقطاع العربى الشرقى من القدس. قواتها تتقدم فى سىناء. الطأىرات الإسرائىلىة تقصف دمشق وتعلن أن جنودها فى طرىقهم الى ضواحىها. ماذا ننتظر من قىادة البرجوازىة الصغىرة ؟ لا نبتعد عن الرادىو لحظة واحدة.

٩ يونيو

.. صدمة التنحى . هل هذا معقول ؟ تشاجرت مع فهد عندما أعرب عن ارتىاحه لتنحى ناصر.

..قررنا القىام بعملىة احتفالا بالعىد الأول لثورتنا وانتقاما لما حدث فى ٥

ىونىو .

١٠ يونيو

.. حالة استنفار تامة . لا أستطىع أن أصدق ما حدث . بكىت من التأثر

والفرح عندما سحب ناصر استقالته بناء على ضغط الجماهير. غدا نقوم باستطلاع المطار الانجليزي.

.. نقاش حاد مع فهد. يهاجم قبول ناصر لقرار وقف إطلاق النار. هاجمه الجميع وخصوصا العراق والجزائر وسوريا.

١١ يونيو

.. اتخذت موقعي تحت ستار الظلام خلف شبه دائرة من الصخور. أزلت حزام الذخيرة الجلدي الصيني الذي داربخصرى ووضعتة على الأرض إلى جوار البندقية الآلية وخزانتها المقوسة . تجمعت حبات العرق التي جرت فوق ظهري وصدرى فى حزام البنطلون. سحبت من أحد جيوب الحزام بلحة قذفت بهافى فمى. رفعت القرية المصنوعة من معدة عنزة وأخذت رشفة من المياه الدافئة وأنا أحرق فى معسكر العدو. طائرة كاريبو يتم تحميلها بيراميل وقود سعة ٤٠ جالونا. لاندروفر . مرتزق يصعد إلى الطائرة من بابها الخلفى المفتوح . إنزال صناديق بييرة وسجاير. أغلقت أبواب الطائرة وبدأت انزلاقها حتى نهاية شريط المعسكر . فى منتصف الطريق توقفت ونزل منها الطيار. انطلق اليها المرتزق فى اللاندروفر. أشار الطيار إلى أحد إطارات الطائرة . صعد إليها وأمسك بجهاز اللاسلكى . هل يطلب معونة؟ هل رأى أحدا منا؟ وقف الاثنان يدخانان وهما يتطلعان إلى السماء. أخيرا وصلت هليكوبتر أخرى. هبطت إلى جوار الأولى وقفز منها رجل تناول إطارا من الداخل ورافعة وصندوق أدوات. لو كان لدينا مدفع ..

٢٠ يونيو

.. تمكن الرفاق العديون من إقامة سلطة الجبهة القومية فى حى كريتير ورفعوا أعلامها. فى نفس الوقت نشب قتال بين الجبهة القومية وجبهة التحرير . ..وصلتنا صحف الأيام السوداء . تأملت صورة عبد الناصر الحزينة فى أسى. أين منها صورته المألوفة التى يبدو فيها متهلل الأسارير باسم الثغر تفيض عيناه بالمودة والثقة؟

٢٢ يونيو

..مقاتلون بقيادة على عنتر يحرقون إمارة الضالع .

٥ يوليو

.. عرفت أن الرفيق سامر لعب دورا بطوليا في الهجوم الذى شنه الرفاق العدنيون على مطار خورمكسر . تمكنوا من إصابة بعض الطائرات على الأرض ثم انسحبوا . وعندما طاردهم العدو بالهليكوبتر أطلقوا عليها نيران رشاشاتهم وتمكن من إسقاط واحدة .

٧ يوليو

..انسحب الرفاق العدنيون من حى كريتير بعد أن احتلوه لمدة أكثر من أسبوعين أقاموا خلالهما إدارة محلية . نقطة تحول فى مجرى النضال المسلح .

١١ اغسطس

.. شنت قوات التحرير الوطنية فى الجنوب اليمنى ٩٠ هجوما خلال ٢٤ ساعة .

..وصلتنا مجموعة من الصحف البيروتية .. معلومات جديدة عن الوضع المصرى وأسباب الهزيمة . العاملون فى مكتب المشير كانوا يستخدمون الطائرات الحربية فى تجارة الشنطة . أصحاب المراكز والمناصب غيروا أفكارهم كما يغيرون ثيابهم . تطرف بعضهم فى محاولة الظهور بمظهر اشتراكى . الطبقة الجديدة فرضت وجودها فى مواقع عديدة أبرزها مجالس إدارات الشركات المؤممة والمناصب العديدة بوزارة الخارجية وجريدة الأهرام حيث يوجد أكبر تجمع من الطبقات القديمة التى يهوى هيكल التواجد وسطها . فئة أكثر ذكاء دخلت عالم الاستيراد والتصدير مخترقة كل الحواجز التى استحدثتها مرحلة التحول الاشتراكى باستغلال الثغرات فى القوانين المتتابة .

سبتمبر

.. تغيير فى الإذاعة الاسبوعية لجهة تحرير ظفار . بدلامن يوسف علوى ممثل الجبهة فى القاهرة أصبح يقدمها محمد أحمد الغسانى أحد قادة الفصيل القومى داخل الجبهة . نادى كافة شعوب الخليج : الشعب العربى فى مسقط ، نزوى ، الشارقة ، دبی ، البحرين وكافة أجزاء الخليج . إن جبهة تحرير ظفار تناديك . الثورة التحريرية فى ظفار هى ثورتك .

.. جولة قتال جديدة بين الجبهة القومية وجبهة التحرير فى عدن بعد أن

أعلنت الأولى اعتبار نفسها الممثل الشرعى الوحيد لشعب الجنوب اليمنى فى أى مفاوضات مع المستعمر وفى استلام السلطة . الانجليز يفضلون التفاوض مع الجبهة القومية لسحب البساط من تحت ناصر الذى يؤيد الجبهة الأخرى.

٢١ أكتوبر

.. المصريون يستعيدون المبادرة . إغراق المدمرة الإسرائيلية ايلات.
.. أعلن كاسترو فى حزن أن جيفارا قتل على أيدي قوات من الجيش البوليفى .

.. وصلتنا قرارات المؤتمر الرابع للحزب الشيوعى السودانى : الماركسية منهج وليست شعارات جامدة . العمل على تكوين جبهة واسعة ضد زحف اليمين الملتحف بالدين وضد الأفكار الانقلابية.

٢ نوفمبر

.. أخلى الانجليز فجأة منطقة الشيخ عثمان ودارسعد على مشارف عدن.أسرعت جبهة التحرير باحتلال هذه المواقع .اندلع القتال فى مساء اليوم بين مقاتلى الجبهتين بمدافع الهاون والبازوكا والبلانست .

.. فرغ مخزوني من أقلام الحبر الجاف والرصاص . أحضر لى بخيت بضع ثمار حمراء دائرية فى عنقود تشبه الدوم لكنها أصغر حجما . أخذنا حبوبها وغليناها فصار لدينا حبر أحمر للكتابة . حبر ثورى !

٥ نوفمبر

..ظهرت نتائج الهزيمة : مصر توقف مساعداتها وتسحب قواتها من اليمن .
.. تشكلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش من ثلاث منظمات أهمها الفرع الفلسطينى الأردنى من حركة القوميين العرب وجماعة أحمد جبريل .

٩ نوفمبر

.. انقلاب فى اليمن ضد السلال أثناء وجوده فى موسكو .
.. ما زال القتال مستمرا فى عدن بين الجبهتين . الضحايا مائة قتيل و٣٠٠ جريح .

...هجوم ملكى شرس بدعم من السعودية على القوات الجمهورية فى اليمن. العقيد العمرى يقوم بتصفية العناصر الديموقراطية .

٣٠ نوفمبر

.. إعلان استقلال جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية بعد حكم بريطانى من عام ١٨٣٩ من خلال سلاطين موزعين على ٢٥ إمارة ومشيخة. الجبهة القومية تعلن أنها السلطة العليا فى البلاد والتنظيم السياسى الوحيد. تعيين قحطان الشعبى رئيسا مؤقتا. شكل حكومة ضمت على سالم البيض للدفاع ومحمد على هيثم للداخلية وعبد الفتاح اسماعيل للثقافة وفيصل عبد اللطيف للاقتصاد .

.. قوات السلطة العميلة تلقى القبض على ٥٥٠ شابا داخل مدن ظفار كانوا يشكلون الجزء الأكبر من الخلايا التى تسند الحركة الثورية فى الجبل.

أول يناير ٦٨

.. المصريون يسقطون ثلاث طائرات اسرائيلية من أربع أغارت على منطقة القناة.

١٦ يناير

.. هجوم شامل للثوار فى فيتنام فى جميع الجبهات.

٣ فبراير

..تغيرات فى صفوف القوميون العرب : فى لبنان خرج الاشتراكيون واتحدوا مع فواز طرابلسى . فى عدن انقسمت الجبهة القومية إلى يمين ينادى بالتمهل فى الإجراءات بزعم أن النضال قد انتهى بالاستقلال (قحطان الشعبى) وتيار ثورى (عبد الفتاح اسماعيل) ينادى بتعميق فكر واستراتيجية الطبقة العاملة والفلاحية الفقيرة ويطالب بتقويض مؤسسات الدولة القديمة وانجاز مهام الثورة الديموقراطية الشعبية بتوزيع الأراضى على فقراء الفلاحين دون تعويض لأغنيائهم . وأن تكون الأرض لمن يفلحها وتوضع فى الإطار التعاونى لخلق علاقات إنتاج جديدة على الطريق إلى الاشتراكية. أيضا تحويل الاقتصاد من الخدمات إلى الإنتاج . تسعون فى المئة من الإنتاج الصناعى للبلاد كان ممثلا فى مصفاة النفط المملوكة لشركة بريتش بتروليوم بينما تكونت ثروات خيالية من وكالة الاحتكارات الأجنبية التى بلغت حد تصفية صناعة الملح المحلية لصالح المستورد.

٥ فبراير

..تم الاتفاق مع الرفاق في عدن على وضع المحافظة السادسة (المهرة) في خدمة جبهتنا. سيصبح ميناء الحوف قاعدة لمساندة كفاحنا. أقمنا احتفالا صاخبا. ستتلاشى الصعوبات التي نعانيها في التموين والإمدادات. سنرسل علسيس وسالم حسن للعلاج في عدن أو الخارج. سنتلقى أسلحة جديدة. سنحصل على الصحف وعلى احتياطي وافر من بطاريات الراديو.

٢٥ فبراير

..الجبهة القومية تستعد لمؤتمرها الرابع.

..نايف حواتمة يشارك الجناح الثوري في التحضير للمؤتمر. مطالب هذا الجناح : تأميم كل ملكية الشركات الأجنبية والبرجوازية الكبيرة المحلية، إغلاق الميناء الحر، تخفيض رواتب موظفي الدولة والحد الأعلى للأجور بحيث لا يتعدى أربعة أمثال الحد الأدنى، الحد الأعلى لملكية الأرض ٥ أفدنة في الأراضي المرورية و ١٠ في الأراضي البور، توزيع الأراضي المصادرة بدون تعويض على الفلاحين الفقراء، إنشاء تعاونيات، إقامة مجالس شعبية من العمال والفلاحين الفقراء والجنود وإعطاؤها كل السلطة.

أول مارس

.. النتائج الأولى للهجوم الفيتنامي المستمر منذ شهر ونصف : قتل وجرح ربع مليون جندي أمريكي .

٩ مارس

..انتهى أمس مؤتمر الجبهة القومية الذي عقد في زنجبار بمحافظة أبين. انتصر الإتجاه الثوري. تم إنتخاب قيادة عامة جديدة تضم على عنتر، عبد الفتاح إسماعيل، على ناصر محمد، سالم ربيع، صالح مصلح، على سالم البيض، محمد صالح مطيع. الجبهة تعلن تبنيها للاشتراكية العلمية .

١٢ مارس

..هذه المرة كانت الطائرة جاهزة للإقلاع. تابعتها في أسى وهي تجرى فوق الممر. سمعت حركة خلفي في الوادي. تدحرجت وأنا أصوب

الكلاشينكوف نحو الصوت . ردد سويد اسمي قائلا: المدفع . المدفع الكبير. إنه فى الطريق . كدت أقبله من الفرع. تركنى وزحف مبتعدا . بلغت الطائرة نهاية الممر. تطلعت خلفى فلمحت ثلاثة رجال يجرون جملا. أنبوب طويل يتأرجح فوق ظهره. اقترب منى قائدهم. تطلع الى الممر الجوى البعيد. أكملت الطائرة دورتها استعدادا للإقلاع . قال: المسافة بعيدة جدا، لا بد أن نقرب أكثر. قلت : ليس هناك وقت. تحول لرفيقه وقال: طيب. حضروا المدفع . علا صوت محرك الكاربو. اندفعت الى الأمام وهى تزداد سرعة . فك الرفاق الجبال التى تشد المدفع إلى ظهر الجمل. أقام المدفعى الحامل جيدا على الأرض وثبت الماسورة الطويلة اليه . وضع فى مؤخرتها قذيفة مرعبة المنظر. أقرب الى صاروخ. ضغط الزناد. طارت القذيفة نحو الطائرة المتحركة. انفجار ودخان. جرى المرتزقة فى كل اتجاه نحو الخنادق والدشم . تابعت الطائرة المرتفعة فى السماء بإحباط. نظرت إلى العربات المركونة. أمرت بفك المدفع بسرعة . وضع فوق ظهر الجمل. تقدمت المجموعة إلى الأمام. انحدرنا قليلا فى سهل صخرى . بعد عدة أمتار بلغنا كوما من الصخور يمكن إطلاق النار من ورائه. أعيد تجميع المدفع وشحنه وتصويبه على العربات . قلت لقائد مجموعة المدفع : ننتظر حتى يأتى الجنود ويركبوها فعندئذ يمكن أن نصيب عددا كبيرا منهم . قال : لا يمكن أن ننتظر طويلا. فسرعان ما يبدأون البحث عنا بطائراتهم . توصلت اليه. تطلع الى السماء ثم أطرق موافقا. انتظرنا متوترين. أو شك الذباب أن يصيبنى بالجنون. كان يحط على عيني . بصقت واحدة تسلت داخل فمى . رأيت شخصا يسير نحو العربات فسرني أن الانتظار انتهى . أصدرت الأمر بالاستعداد . وضع الشخص بندقيته فوق المقعد الأمامى للاندروفر. أصدرت الأمر بإطلاق النار. التقط سترته وشرع يعقد أزرارها. اقترب الأزيز منه فسقط فوق ركبتيه. لف ذراعيه فوق رأسه لحمايتها ، انهال فوقه التراب . اندفع إلى اللاندروفر وأدار مفتاحها ثم انطلق فوق الممر الجوى وهو يتأرجح يمينا ويسارا. تطلعت الى الدخان المنبعث من الغلافة النحاسية الفارغة فوق الرمال. دفع المدفعى قذيفة جديدة داخل الماسورة . دوى صوت ارتطام مؤخرة المدفع عند إغلاقها. بدأ فك المدفع على الفور وربطه فوق الجمل . لم نعرف اذا كنا أصبنا الهدف أم لا. جرينا. انزلقنا فوق المنحدر إلى الوادى ثم انطلقنا فى سرعة الريح. بلغنا فجوة عيقة فى وجه صخرة لها منصة ألفت ظلا داكنا أسفلها. قدنا الجمل إلى الظل وجذبنا

نطاق قوائمه الامامية حتى ركع . جمعنا بعض الأشواك وكومناها حولنا. لم يمض وقت طويل حتى زارت النفايات فوق الوادى تبحث عنا. انكمشنا فى أماكننا الى ان تلاشى صوتها. أصدرت إشارة الانطلاق ونخست الجمل ليقف . مضيئا فى طريق العودة.

١٣ مارس

.. اللجنة الشعبية العليا فى حضرموت تصدر قرارات ثورية : تأميم عدد من أملاك التجار الكبار واستغلالها كمدارس ، تخفيض الإيجارات فى حدود ٣٠ بالمئة ، تخفيض مدة إقامة الأفراح من ٨ أيام إلى ٣ ، الحد الأعلى للمهور ٢٥٠ شلنا ، مصاغ العروس ثلاث أساور بدلا من ثمانية. حضرموت مركز حضارى قديم به أدوات فلاحه عمرها ١٥ ألف سنة . عاد اليها أخيرا ثمانية آلاف عامل من زنجبار وآخرون من أندونيسيا هربا من حمامات الدم التى نظمت ضد الشيوعيين .

١٥ مارس

.. وصلنا نص مقالات نايف حواتمة فى مجلة الحرية البيروتية. وصف مصادرة المقاهى ودار السينما فى حضرموت بأنها انتهاج للخط الثورى الصحيح بينما تنتهج السلطة فى عدن خطا إصلاحيا ناصريا .

.. اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الكوبى تقدم لمحكمة الثورة ثلاثة من أعضائها ينتمون إلى الحزب الشيوعى القديم . وصفتهم بالانتهازيين والانعزاليين القدماى وبأنهم تبنوا أفكار أدعياء الثورة فى أمريكا اللاتينية . يبدو أن أغلب الأحزاب الشيوعية القديمة لا تؤيد كاسترو فى محاولة نقل الاشتراكية إلى أمريكا اللاتينية بواسطة حرب العصابات . قلوبها تخفق لموسكو ولا تشعر بنبض شعوبها.

١٨ مارس

.. تطورات مقلقة فى عدن. الجيش القبلى القديم يفض مهرجانا لتأييد قرارات المؤتمر. اعتقل عددا من أعضاء الجبهة بينهم محمد صالح مطيع ، سالم صالح محمد وغيرهما من الجناح اليسارى. إشاعات عن هروب سالمين والبيض والأشطل إلى مقطبة على الحدود بين الشمال والجنوب .

.. أبناء عن مذبحه بشعة ارتكبتها الجنود الأمريكيون فى قرية ماى لاي فى

فيتنام .

٢٠ مارس

.. إنقلاب عسكري في عدن. هدفه المععلن انقاذ البلاد من الشيوعية .
قحطان الشعبي يؤيد الانقلاب في بيان من الإذاعة.

٢٢ مارس

..الاعتقالات مستمرة في عدن . بلغ عدد المعتقلين ٣٠٠ شخص منهم
ثمانية من أعضاء القيادة العامة للجبهة . مظاهرات تطالب بإطلاق سراح
المعتقلين .

٢٣ مارس

..علمنا أن علي سالم البيض وسالمين وعلي عنتر ومحمد صالح مطيع
وصالح مصلح نجحوا في الفرار من السجن إلى المحافظة الثالثة. بيان قحطان
الشعبي بتأييد الانقلاب كان تحت التهديد إذ ساقه الانقلابيون ضربا إلى مبنى
الإذاعة.

٢٧ مارس

.. اليمين يتراجع في عدن. الرئيس قحطان الشعبي يصدر قرارا بتنفيذ قانون
الإصلاح الزراعي الذي يتضمن مصادرة جميع أراضي ومنشآت السلاطين والوزراء
السابقين وتحديد الحد الأقصى للملكية الزراعية من ٢٥ إلى ٥٠ فداناً وتوزيع
الأراضي المصادرة على المحاربين القدامى والفلاحين المعدمين وإعداد مشروع
لتكوين ميليشيا مسلحة من العمال. الملحق العسكري الأميركي أشرف على تنفيذ
الانقلاب الفاشل .

..الموقف الاقتصادي صعب بعد تعطل ٢٥ ألف عامل من عمال الميناء
الذي توقف عن العمل بعد إغلاق قناة السويس.

٣٠ مارس

.. تغييرات حافلة في بولندا وتشيكوسلوفاكيا تحت شعار المقرطة. شوكة
التحريريين تقوى.

٥ مايو

..هجوم شامل ثانٍ للثوار في فيتنام . للمرة الثانية يقتحمون العاصمة هانوي.

..مجلس الأمن يطالب اسرائيل بإلغاء الإجراءات التي اتخذتها لضم القدس .

٥ يونيو

.. انتفاضة الطلاب الفرنسيين مؤشر على رياح الثورة. كلمات جيفارا تلهم حركات الشباب فى الغرب : ان المهمة الرئيسية التي تواجه المرحلة الانتقالية الراهنة هى الإعداد لثورة الاشتراكية العالمية وبناء قاعدتها المادية وليست هذه المرحلة مرحلة البناء الاقتصادى للاشتراكية فى دولة واحدة .

٩ يونيو

..الاحتفال بذكرى الثورة.

.. الثورة الآن تتكون من ١٠ فرق مسلحة تسيطر على ٨٠ بالمئة من جبال ظفار وتواجه ٦ آلاف جندى أغلبهم من الباكستانيين والاييرانيين. سنستغل موسم الأمطار فى تسيير قوافل الأسلحة والذخيرة من جنوب اليمن .
.. ليست هناك أنباء من مسقط . هل يشرب يعرب البيرة؟

١٧ يوليو

..انقلاب العراق يأتى بالجنح اليميني من حزب البعث القديم ويمثله أحمد حسن البكر الذى اختير رئيسا للجمهورية .

..بدأ الاستعداد للمؤتمر الثانى لجهتنا.اشتركت فى إعداد تقرير بعنوان الفكر يقود البندقية يناقش معنى العنف الثورى المنظم: أولا، التمييز بين نضالنا وبين الانتفاضات القبلىة السابقة. العنف القبلى عنف «عفوى»، أى أنه بدون تنظيم أوهدف .أنتج نائرين لا ثوريين، أى أناسا حملوا السلاح ضد السلطة لكنهم كانوا يفتقدون إلى الفكر الذى يقود البندقية، أى النظرية الثورية. (عكس النظرة العفوية الغالبة على الكفاح الفلسطينى المسلح، حيث أضيفت على البندقية صفات شبه عجائبية فى مجال بناء الوعى الثورى. «تصريح أبو عمار بأن البندقية هى القائد الوحيد للثورة الفلسطينية»).

العنف الثورى المسلح = الوعى الثورى + التنظيم الثورى . كيف يمكن تحقيق الانتقال من «الولاء الأعمى للقبيلة إلى الولاء السليم للثورة» ؟ يتوقف

ذلك أولا على تحقيق الارتباط بين المبادئ العامة للماركسية والوضع المخصوص لظفار التي تختلف عن الصين وفيتنام مثلاً في أنها أقل تطوراً، ولم تنتج طبقة ملاك أرض أو برجوازية كمبرادورية كالتى ظهرت فى الخليج.

٣ أغسطس

.. حملة ضد الشيوعيين والأكراد فى العراق يقودها صدام حسين الرجل الثانى فى النظام .

٢١ أغسطس

.. قوات حلف وارسو تدخل تشيكوسلوفاكيا لتوقف مسلسل المراجعة والتحريرية.

أول سبتمبر

.. عقدنا المؤتمر الثانى لجبهة تحرير ظفار فى حميرين بوسط الأقليم . ستون مندوباً يمثلون جيش التحرير والميليشيا والتنظيم السرى فى مختلف أقطار الخليج . ضيوف من عدن بينهم الرفيق سامر الذى تجاهلنى تماماً. توزعنا على البيوت والزرائب. المساكن مستديرة وبيضاوية ذات سقوف مقببة. أحصيت خمسين منها. الجدران من أحجار كبيرة الحجم. السقوف من فروع الأشجار المغطاة بطبقة كثيفة من الحشائش والقش. فتحة واحدة للمنزل ارتفاعها متر وعرضها أقل من المتر. مزودة بمصراع خشبى. قاعة واحدة نصفها مفروش بالحشيات للمعيشة والنوم. النصف الثانى مخصص لحفظ الأقمشة والأدوات المنزلية والأطعمة والحطب والسملك المجفف. قرب المدخل فرن مكشوف. استضافتنا أسرة من الرفاق أنا والرفيقة هدى. إبنة رجل أعمال فى البحرين وطالبة سابقة بالجامعة الأمريكية فى بيروت. سمعت عنها كثيراً ولحظت أن الجميع يحترمونها . أكبر منى ببضع سنوات.

٢ سبتمبر

.. جرت الاجتماعات فى كهف كبير كان مأوى للماشية خلال موسم الأمطار. أدلى الرفيق صالح بالتقرير السياسى: الطبقة القادرة تاريخياً على مقارعة الاستعمار هى طبقة العمال والفلاحين الفقراء والجنود والمثقفين الثوريين. البرجوازية أنجزت الثورة الوطنية الديمقراطية فى البلدان الرأسمالية المتطورة، لكنها

لاستطيع ذلك في المستعمرات . لهذا فالأمر يتطلب ثورة متصلة. البلاد المستعمرة لن تمر بمرحلة برجوازية . ستقوم الطبقة العاملة بمهمة الثورة البرجوازية وسيتبع إستيلاءها على السلطة إقامة دكتاتورية البروليتاريا. على الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية أن تتخلى عن اسطورة إمكانية «الانتقال السلمى إلى الاشتراكية» .

على الصعيد العربى : فشل القيادة البرجوازية الصغيرة لحركة التحرر الوطنى فى حل قضايا الثورة الوطنية الديمقراطية بسبب غموضها النظرى وسياساتها المتذبذبة، كما اتضح فى هزيمة حزيران المشثومة. وحدة القوى الثورية العربية هى الشرط المسبق لوحدة عربية سلمية ذات محتوى اشتراكى علمى .

٥ سبتمبر

.. شرح الرفيق فاتح الموقف من الحوار داخل الحركة الشيوعية العالمية. لا يختلف عن موقف سائر فصائل اليسار الثورى فى المنطقة : إدانة التحريفية مع تأييد الخط الثالث فى الحركة الشيوعية العالمية المتمثل فى كوبا و فيتنام وكوريا الديمقراطية.

٧ سبتمبر

.. سألتنى أحد الضيوف الفلسطينيين عن السر فى انتشار فكر ماو وتأثيره على الحركات الثورية . أجبتّه بأن فكر ماو هو التنظير الماركسى الأكثر تقدما وبلورة لقضايا النضال الوطنى والاجتماعى فى العالم المستعمر وشبه المستعمر. .. عرفت ان رشى يكتب فى الصحف.

١٠ سبتمبر

.. الرفيقة هدى شخصيتها قوية . لم ننسجم سويا.

١٥ سبتمبر

.. قمت بدور نشيط فى المناقشات . هناك معارضة واضحة من جانب العناصر اليمينية.

.. وصل يعرب فجأة. جاء عن طريق عدن. تغير بعض الشئ. يبدو عليه الارتباك والقلق. احتضننى بعنف وشعرت أنه انتصب بل وأعتقد أنه قذف. أرجعت

ذلك لانفعاله الشديد بأول لقاء لنا منذ أكثر من ثلاث سنوات. مع ذلك أشعر بالحرج في وجوده.

١٦ سبتمبر

.. طلب فهد يدى من يعرب!! قلت ليعرب إني لا يمكن ان أتزوج من شخص لم أختره أنا .

٦٨ سبتمبر

.. قال لى المقاتل : سننتصر بإذن الله على السلطان وعندما ننتهى منه سنتفرغ للشيوخيين. سألته مدهوشة : مالهم؟ قال بحرارة : سنطهر الأرض منهم. سألته فى حذر: لماذا تكرههم هكذا؟ قال : لأنهم ملاحدة ويجامعون أمهاتهم. ليس عندهم أخلاق أودين.

فكرت أنه لو كان هذا النقاش حدث معى منذ ثلاث سنوات أو سنتين كنت وافقته فى الحال على أن لهم أيضا ذيو لا مثل القردة .

.. المشكلة ان الشيوعيين التقليديين ليسوا ثوريين بما يكفى. لا يجيدون غير الكلام . قال عنهم جيفارا إنهم قادرون على الاستشهاد فى المخابى دون ان تصطك منهم الأسنان لكنهم غير قادرين على تشكيل مجموعة تفتحم وكرا من أوكار الرشاشات.

٢٠ سبتمبر

.. استمرت المناقشات الى اليوم . القرارات : تبني الاشتراكية العلمية، اعتماد المرشدين السياسيين فى كافة وحدات جيش التحرير الشعبى، بناء قوات الميليشيا، تحرير الرق، تنظيم الزراعة، تغيير اسم الجبهة إلى الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربى المحتمل. أهمية هذا التغيير أنه ينفى عنا صفة الإقليمية والانفصالية ويؤكد وحدة المصير بين أقطار المنطقة.

.. قرار هام : تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة.

.. فى حديث جانبى قال لى رافع إنه غير مستريح للاتجاه السائد رغم تأييده للقرارات . يعتقد أننا سنفقد جاذبيتنا السياسية نتيجة تبني الماركسية اللينينية . قال إن جبهة تحرير فيتنام لم تعلن تبنيها للماركسية اللينينية . لهذا

صارت لها قاعدة جماهيرية أوسع. أضاف: قليل من الظفاريين يستوعب معنى القومية المعاصرة فما بالك بالماركسية؟ قلت له إن الانسان يتعلم والحياة والمعركة تطوران الوعى. قاطعنى ساخرا: الواحد منهم يقول أنا من قبيلة كذا فكيف تريدان أن تحددى له وضعا طبقياً؟ يقرأ كتاب «التطرف اليسارى عبث اطفال» الذى ألفه لينين. وعد باعطائه لى.

٢١ سبتمبر

.. انتخب المؤتمر قيادة جديدة من ٢٥ عضواً ولجنة تنفيذية من خمسة وأمينها محمد أحمد الغسانى. معه أحمد عبد الصمدو عبد العزيز القاضى وعبد الحافظ جمعان وحمدان سيف الظريانى. لم يتبق سوى ٣ فقط من أعضاء القيادة السابقة. أدى هذا إلى انشقاق جماعة يوسف بن علوى ومسلم بن نوفل وعدد من شيوخ القبائل. اتهموا المؤتمر بأنه انقلاب على يد نواة دريها الصينيون تخلصت من المسلمين المخلصين.

.. هاجم يعرب القرارات. قال أنه سيواصل الكفاح مع جماعة مسلم بن نوفل. دعانى للانضمام إليه. علق أحد الرفاق بأنه غاضب لأنه لم ينتخب لعضوية اللجنة التنفيذية.

.. ناقشت أحدهم طويلاً فسألنى: هل أنت مسلمة؟ أجبته بسؤال: ماذا سيتغير إذا كنت مسيحية أو يهودية أو حتى ملحدة؟ تدخل آخرفى نفاذ صبر: هل تؤمنين بالله؟ أردت ان أعابته فقلت: أى واحد؟ هناك آلهة كثيرون. كل دين له تصور مختلف عن الله. صاح فى: بلا لى أودوران. هل تؤمنين بإله المسلمين. هل انت مسلمة؟ قلت: أعتقد أنى مسلمة حقيقية. أى أنى أومن بإله الحق والعدل. ربما أنظر إلى الموضوع من زاوية ما. أنت مثلاً تتصور الله بصورة المذكر وأنه فوق. هو فى الحقيقة فى كل مكان وليس له جنس محدد لأنه من مادة مختلفة عن المادة التى صنعنا منها. من المادة التى يتكون منها الوجود كله. القرآن يؤكد على ذلك. بدا عليه عدم الفهم لكلامى. سألتى الأول اذا كنت أصلى. أجبته: القرآن أعفى المسلم من فرض الصلاة إذا كان على سفر. أظن أن هذا ينطبق علينا هنا. لذلك من الأفضل التركيز على المفيد. أفضل مثلاً أن

تسألنى عما إذا كنت أؤمن بحقوق الشعب أو بالثورة أو بأننا سننتصر. صممتا فعدت أقول بلطف : نحن لسنا ضد الدين وإنما ضد من يحاولون استغلاله لقهر الشعوب وتبرير استغلالهم لها. الإسلام هو أول نظام عالمى وضع بذور تحرير العبيد . ومع ذلك ظل الرق قائما طوال فترة الحضارة الإسلامية . لماذا ؟ لأن أصحاب المال كانوا دائما فى مركز القرار. مبادئ الدين شئ ومن يطبقونها شئ آخر.

مسقط

ديسمبر ١٩٩٢

انقسم الطريق الرئيسي الى اتجاهين مستقلين وقام زيد بسلسلة من الدورات المعقدة وهو يوزع اهتمامه بين المرأتين الأمامية والجانبية، مدققا النظر فى السيارات القليلة القادمة خلفنا. اخترقنا وسط المدينة القديمة وطرقاتها الضيقة وهو يشير الى المعالم التى نمر بها: قلعة كبريتة، متحف بيت نادر، سور المدينة، السفارة الأمريكية . تمهل عندما أشرفنا على مبنى السفارة البريطانية وأشار الى سارية العلم المثبتة فى ساحتها الرحبة قائلاً:

- فى السابق كان العبد المملوك الذى يستطيع الوصول إلى هذه السارية ويلمسها يمنح الحرية الكاملة ويزود بشهادة من السفارة تثبت بأنه أصبح حراً لا يجوز التعرض له.

أعجبتنى الفكرة وتخيلت سارية مماثلة فى كل عاصمة عربية.

أوماً الى قلعة الجلالى العتيقة التى تشرف على المكان من فوق قمة جبل يمثل شبه جزيرة ممتدة باتجاه البحر :

- البرتغاليون هم الذين بنوا هذه القلعة منذ أربعة قرون . وما زالت فتحات المدافع موجودة. أما الأبراج الدائرية التى تراها فقد تحولت الى سجون حصينة تفصلها عن البحر شباك حديدية . تصعد ابتداء اثنين وخمسين درجة حتى تصل البوابة الرئيسية الأولى . ثم ٤٨ درجة حتى الثانية . وهنا يفكون قيودك ويضعون مكانها القيود الخاصة بالسجن . قيود فولاذية لها أسماؤها: سنجورطوله قدم ونصف قدم لا يقل وزنه عن خمسة كيلوجرامات ويونس على شكل قذيفة مدفع ووزنه أربعة كيلوجرامات. الزنازين أيضا أشكال وألوان. فى الطابق الأرضى هناك زنزانة تتسع لمئة وعشرين شخصا. وهناك الزنزانة رقم ٧ التى لاتزيد مساحتها عن ١٢ متراً ويودع بها عادة ستون سجينا يتناوبون الوقوف والجلوس أو التمدد على الأرض من أجل قسط من النوم .

التفت اليه فى فضول وقلت : أنت تتكلم عن معرفة.

دار بالسيارة فى طريق العودة وقال :

- طبعاً. أنا ضيف قديم هنا.

لأول مرة يذكر معلومة عن نفسه . سألته : متى ؟

- كنت فى الثامنة عشر من عمري تقريباً. اعتقلونى مع أخى الأكبر عقب هزيمة ٦٧ أيام السلطان سعيد. لم نكن نرى الضوء وطعامنا يقتصر على التمر والخبز صباحاً والعسل ظهرأ. الحراس كانوا وحوشاً بمعنى الكلمة ولا يوجد بينهم عمانى واحد فجلهم من البلوش أو المرزقة. وكانت القيود تحز فى أيدينا وأرجلنا. كنا نرسم على الجدران بالدم المتسرب من الحز. كنا نرسم شموسا وورودا. وورودا حمراء.

- هل بقيت مدة طويلة ؟

- سنة ٦٩ نجحنا مع اثنين من رفاقنا فى التسلل باتجاه البحر بعد أن مزقنا أسلاك الشباك الحديدية واستولينا على زورق القنصل البريطانى الراسى قرب السجن. قطعنا مسافة كبيرة بالزورق حتى المنطقة التى يوجد بها ميناء الفحل الآن . ثم نفذ البترول وحوصرنا وتمكن أخى من الفرار بينما وقعت أنا. وخرجت مع الجميع عندما تولى قابوس السلطة سنة سبعين.

- وأخوك ؟

- هرب الى الخارج بعد هزيمة الثورة سنة ٧٥.

- ولم يعد ؟

- لا.

- لماذا ؟ ألم يعف السلطان عن الجميع ؟

- هل صدقت قصة العفو العام ؟ الذين استجابوا لهذا القرار احتجزوا عدة أسابيع جرى خلالها معهم تحقيق واسع عن نشاطهم السابق ثم أُجبروا على توقيع عريضة يتبرأون فيها من ماضيهم ويتعهدون بعدم ممارسة النشاط السياسى .

- هل تعرف سالم ؟

- الذى فى مركز الموسيقى ؟ نحن نسميه سالم مطيع . أعرفه بالاسم

فقط .

- كان يدرس فى بلغاريا. وقال لى إن الجبهة هى التى أرسلته . هل عاد بنفس الطريقة؟

- كلهم وقّعوا.

غيرت مجرى الحديث :

- أفهم انك ما زلت فى المعارضة.

ضحك كاشفا عن أسنانه الناصعة البياض : يمكنك أن تقول ذلك .

- ما لاحظته هو أن هناك عملية تحديث تمت بالفعل . أشياء كثيرة كان لابد ستفعلها الجبهة لو أتيح لها استلام السلطة . البنية الأساسية مثلا .

- أى تحديث هذا الذى يتم تحت سيطرة الأجنبي؟ هناك مستشار انجليزى فى كل وزارة . وهناك قواعد أمريكية جوية وبحرية فى أماكن مختلفة . فى جزيرة مسندم . فى تمرير . هناك قاعدة بريطانية قديمة فى جزيرة مصيرة ببحر العرب حولتها الولايات المتحدة فى ٧٥ الى محطة تموين لطائراتها المنطلقة من الفليبين وتم تطويرها وتحديثها عام ٨٠ وقامت بدور مهم فى تسهيل وصول الطائرات الأمريكية الى ايران فى عملية تحرير الرهائن الفاشلة . بل هناك قاعدة جوية فى السيب بجوار مسقط . هناك أيضا اسرائيل . علاقات وتطبيع وجواسيس يمرحون فى كل مكان.

قلت : فى مصر قواعد أمريكية أيضا ومناورات مشتركة وتطبيع رسمى مع اسرائيل . لكن الثوريين لا يقولون بقلب النظام ويسعون الى التأثير فيه . السياسة هى فن الممكن .

ضحك وقال فى ازدراء : ومن قال أن هناك ثوريين فى مصر؟ اسمع . التحديث المزعوم انتهى . خلاص . أخرمول بنى هذا العام ولا جديد بعده .
- مول ؟

- أقصد المراكز التجارية الضخمة . النظام قدم كل ما عنده . أنفقوا عوائد النفط فى شراء الأسلحة الغالية وفى مشروعات تتطلب مقاولين أجانب يأتون ومعهم رجال الإدارة العليا والمتوسطة . ثم يتحدثون عن التعمين .

- لكننى لاحظت نشاطا واسعا للقطاع الخاص .

- رجال الأعمال العُمانيون يستثمرون فى مشروعات تعيد لهم أموالهم فى أسرع وقت خاصة فى الإسكان . يقترضون رأس المال من بنك تجارى ثم

يفرضون إجازات عالية تغطي تكلفة المشروع في ثلاث سنوات ويحولون الأرباح إلى بنك في الخارج .

- لم أكن أقصد الإسكان وحده فهناك...

قاطعنى : الجامعة تكلفت مليارا لهف معظمها ابن مرجريت تاتشر و عدد من الوزراء . هذا الطريق الذى نسير عليه أليس حريرا؟ كل فترة يعاد رصفه بواسطة مقاولين هم أنفسهم الحكام. النظام مسخر لخدمة مصالح التجار الكمبرادور من الأسرة الحاكمة والوزراء وشيوخ القبائل ووجهائها. كل من تولى منصب وزيراً أو مدير دائرة أصبح مليونيرا . هناك سياسة حكومية لتشجيع هذه الظاهرة . مدير بنك سرق عدة ملايين وافتضح أمره فحكم عليه بالسجن سنتين مع وقف التنفيذ. وكيل وزارة البلديات قبض رشوة من شركات أجنبية قدرها ثلاثة ملايين ريال وأبلغ عنه شريكه فحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات مع وقف التنفيذ. وكيل وزارة المواصلات ايضا حكم عليه بسنتين وغرامة مع وقف التنفيذ. ثم صدر عنهم عفويل منح الثانى مكافأة مالية !

قلت : هذه مسائل عادية اليوم . عندنا فى مصر الكثير منها. ثم إن .. استوقفنى قائلا :

- أعرف ما ستقوله . ان هذه العملية تحقق اعادة توزيع الدخل وخلق مجتمع رأسمالى . لكن المشكلة هى أن برجوازيتنا متخلفة فاقدة لطموح البرجوازية السياسى وتقاليدها وقيمها. والنظام يعتمد سياسة قصيرة الأمد . إيرادات النفط تمثل حوالى ٨٥ فى المئة من إيرادات الدولة و٧٠ بالمئة من الإنتاج القومى الأجمالى . يمكنك إذن أن تتصور المستقبل المظلم الذى ينتظرنا خلال عقد أو عقدين عندما ينضب النفط. والدولة لا تفكر فى ذلك ولا تهتم وإنما تتمسح باسرائيل لتفتح لها أبواب الاقتراض من المؤسسات الدولية . أليس هذا شأنهم جميعا؟

كانت الشمس تغرب بسرعة وأضاءت السيارات كشافاتها .بلغنا شارع العاصمة الذى خلا تماما من المارة ولزمناه فى اتجاه الكورنيش . سألنى : قرأت؟

فتحت حقيبة يدى وأخرجت منها الكيس الذى يحوى اليوميات وأطرقت بالإيجاب.

تناول الكيس ووضعه اسفل مقعده .وعندما استعاد يده كانت تحمل كيسا آخر قدمه الي .

- كراسة أخرى ؟

لم يرد اذ تعلقت عيناه بالمرأة .

كانت هناك سيارة خلفنا تضيء وتطفئ كشافاتها الأمامية في إشارة متعمدة .
وتبينت فوق سطحها المصباح المألوف .

أسرع يدس الكيس تحت مقعده وهو يقول :

- الشرطة .

أخذ جانب الطريق وأوقف السيارة . وفعلت سيارة الشرطة المثل خلفنا . نزل منها شرطى يرتدى قميصا بنصف كم وينظفون بلون عسكري ويضع على رأسه كابا بشريط مزخرف . اقترب منا على مهل حتى بلغ نافذة السائق فرفع يده بالتحية العسكرية وطالبه بأوراق السيارة فى أدب وحزم .

ألقي نظرة على الأوراق فى ضوء مصباح يد يحمله ثم أعادها الى زيد والتفت الى قائلا :

- ضع حزام الأمان من فضلك .

اكتشفت أنى نسيت ربط حزام الأمان فجذبت طرفيه على الفور . رفع يده بالتحية مرة أخرى واستدار عائدا الى سيارته .

سألت زيد إذا كان معه سجاير .

قال : التدخين ضار بالصحة .

أدار السيارة وانطلق حتى الدوار الذى يبدأ منه شارع قابوس . أضاف كأنما

لنفسه :

- فى الغالب لمحونا وتبينوا أنك لا تضع حزام الأمان . إنهم يلبدون دائما فى أماكن مظلمة ويظهرون فجأة .

بدا عليه التردد ثم قال كأنما حسم أمره : لن تصل إلى صديقك هنا فى العاصمة . لا بد لك من السفر إلى صلالة .

سألت فى دهشة : فى الجنوب ؟

أوما برأسه : نعم . إنها تبعد أكثر من ألف كيلومتر لكن الطائرة تقطعها فى

ساعة ونصف . بممكنك أن تذهب بالسيارة في حوالي عشر ساعات أو اثنتى عشرة على الأكثر.

- وماذا سأفعل هناك؟

- سيتولى أصدقاء لى مساعدتك .

- ألا تجد غرابة فى الأمر؟ أنت تطلب منى الذهاب إلى آخر الدنيا دون أن تذكر لى من سأقابل وكيف . أنت لا تذكر حتى اسمك . لماذا تظن أنى مستعد لمثل هذه الرحلة من أجل العثور على شخص بتعبيرك أنت لم أره منذ ثلاثين سنة؟

هز كتفيه: لن تندم إذا ذهبت. إنها منطقة رائعة الجمال. على الأقل سترى قبر النبى أيوب.

وضحك.

- وماذا يهملك أنت من الأمر؟ ماذا تستفيد؟

- سأقول لك . لا بأس من أن تعرف بضعة أشياء بعد كل هذا .

- لا بأس فعلا .

- انا ورفاقى نخوض صراعا مريرا فى عدة جهات منها جبهة الانتهازيين . إنهم هؤلاء الذين عقدوا مؤتمرا مزيفا وانتحلوا لأنفسهم اسم الجبهة ورفعوا راية الاستسلام للنظام وقدموا التنازلات . إنهم يحلمون بالاشترك فى السلطة وكل ما سيصلون اليه هو مسح الأحذية .

كم مرة سمعت فيها هذه التعبيرات؟

- إنهم يشيعون أن صاحبك وردة كانت تدعوللتفاهم مع السلطة والتخلى عن الكفاح المسلح . إنها شخصية اسطورية هنا. واختفاؤها ما زال لغزا. لا أحد يعرف ما حدث لها بالضبط. أنا شخصا أعتقد أنها أعدمتم على يد رفاقها. وهناك من يعتقد أنها موجودة على قيد الحياة وستظهر فى الوقت المناسب . مثل قصة المهدي . ها أنت ترى أن الكشف عن حقيقة موقفها ومصيرها جوهرى بالنسبة للصراع الدائر مع الانتهازيين.

- وكيف سيتم ذلك؟

- أنت قرأت جزءا من يومياتها . والجزء الذى سأعطيه لك هو آخر ما لدينا . هناك أجزاء أخرى . وفيها الإجابة على كل الأسئلة.

- وأين هذه الأجزاء الأخرى؟

- فى صلاة.

فكرت قليلا ثم قلت :

- أظن هذا هو السبب فى أنك تريدنى أن أسافر؟

التفت الى مبتسما: بالضبط. أنت الوحيد الذى يستطيع الوصول إليها.

- أنا ؟ لماذا؟

- لأنها ذكرتك بالاسم . وطلبت أن تسلم اليك .

كنت عاجزا عن الحديث أدير المعلومات المتلاحقة فى رأسى .

أخيرا قلت : هناك شىء لا أفهمه . أنت لا تعرف محتويات الأجزاء الباقية

ومع ذلك تقول أنها طلبت ان تسلم الى .

- هذا ما تقوله ابنتها.

- ابنتها ؟

نظر الى محرجا ثم قال : لم تكن تعرف أن لها ابنة ؟

- لأ . ما هو عمرها ؟ من هو الأب ؟

- عمرها بالكاد ١٧ أو ١٨ سنة . أما الأب فهو من قبيلة معروفة وكان من

قادة الجبهة ثم اختفى أيضا مع وردة وأخيها. والبنت الآن تعيش فى كنف عمها

ولا يستطيع أحد الاقتراب منها. وهى تحتفظ بالجزء الباقى من اليوميات وترفض

إعطائه لأحد غيرك وشخص آخر لبنانى. لهذا لا تتصور سعادتنا عندما عرفنا

بوصولك .

- وكيف أجدها؟

- انها ترأس الجمعية النسائية فى مرباط . قرب صلاة.

- واسمها؟

- وعد . وعد الغميرى.

هززت رأسى تعجبا : افرض أنى لم آت أصلا.

- كنا سنجد وسيلة ما . أما وأنت هنا الآن ...

- لوذهبت فكيف سأتصل بأصدقائك ؟ كيف سأتصل بك ؟

- ليست هناك ضرورة . سيعرفون عندما تصل . سيجدونك بسهولة . صلاة

مدينة صغيرة. ربما لا يتجاوز تعداد سكانها عدد قاطنى شارعين بالقاهرة.

تطلعت حولي في المعالم التي نمر بها ثم قلت:

- لا أظن أن رغبتى في معرفة مصيرها كافية لأن أقوم بكل هذه المغامرات. أنا مجرد زائر عابر. لا شأن لى بقضاياكم ومشاكلكم.

استخرج الكيس الذى أخفاه أسفل مقعده وناولته لى :

- اقرأ أولاً .ربما غيرت رأيك. سأتصل بك بعد يومين.

أخذت الكيس وقلبته فى يدي . كان يحمل اسم لاكوست وعلامة التمساح الشهيرة . وبدا خفيف الوزن لا يحتوى على أوراق كثيرة . دسسته فى حقيبة يدي وعلقتها فى كتفى .

كنا قد بلغنا دوار روى ولمحت لافتة مطعم كنتاكي عن بعد فطلبت منه إيقاف السيارة. مددت يدي الى المقبض ودفعت الباب الى الخارج ثم تمهلت وقلت:

- لماذا الاهتمام بهذه المذكرات أو اليوميات الآن ؟

- لأنها لم تظهر الى الوجود إلا منذ فترة قصيرة .

- أنت تفترض ان الأجزاء الباقية تدعم وجهة نظر جماعتك. ماذا يحدث لو

تبين العكس؟

اتسعت ابتهامته : هل تتذكر ما حدث لوصية لينين ؟

جبال ظفار

١٩٦٨ - ١٩٧٠

٣١ أكتوبر ١٩٦٨

..تكونت هيئة باسم «لجنة حل مشاكل الشعب» تتألف من خمسة أعضاء: أنا، رافع، عمّار، غزال، جداد . علينا أن نطوف بالمنطقة الغربية باستمرار لحل الخلافات القبلية والمنازعات حول الأرض والماء والخلافات الشخصية . المفروض أن نجتمع بصورة دورية. انتخبنا لأمانة اللجنة رغم معارضة فهد. تولى قيادة الفرقة مكاني الرفيق عوض . من صلالة ومن أصول زنجية ويتميز بالحيوية الشديدة وبالقدرة على حل كافة أنواع المشاكل . لا يتمتع بمستوى جيد من ناحية الوعي النظري .

.. جداد عمره ٢٦ سنة. ولد في شمال المنطقة الوسطى . انتقل إلى أبو ظبي في بداية الستينيات حيث التحق بالشرطة إلى جانب الدراسة الابتدائية وانضم إلى التنظيمات السرية للجهة. في بداية ٦٥ عاد في إجازة إلى مسقط والتحق بالثورة.

أول نوفمبر

.. أقامت الفرقة حفل وداع لى . أعددت لهم لقمة القاضي. ردنا الأناشيد الثورية . سألتني الرفيق عوض إذا كنت أعرف الرقص . قلت طبعا. ظننته يقصد الرقص الغربي. أحضر لى حزاما فألقيت عليه دوشا. الرقص الشرقي رمز لعبودية المرأة ولعهود الإقطاع والرفيق. اقترحت رقصة ظفارية جماعية. ..زوجة عوض سوداء مثله. ظريفة . طويلة ونحيفة . صدرها ممسوح .

.. مشاعري متناقضة. لقد قضيت ثلاث سنوات من عمري مع هذه المجموعة من المقاتلين. ولأستبعد ان تكون لفهد يد في إقصائي عن العمل العسكري . فهو لا يخفى رغبته في الانفراد بقيادته في كل الإقليم . من ناحية أخرى لأنكر شعورا بالارتياح . العمل العسكري في نهاية الأمر غير إنساني بالمرّة.

..اجتمعنا للتعارف ووضع خطة عملنا والمباديء التي تحكمنا. هدفنا الرئيسي هو تربية الجماهير بروح جديدة في التعامل والتعاون والتسامح والمقاومة للطغيان .

.. مهمتنا الأولى كانت التصدي لصعوبات التموين في المنطقة الوسطى .
الجمال تتعثر في مشيها الوئيد في العقبات والشعاب . اقترحت استبدالها بالحمير والبغال . واجهت امتعاضا وممانعة . الجباليون يحترقون كل حيوانات الجر غير الجمال .

.. ضلكوت بلدة ساحلية ذات مبان جميلة على مبعده ٨٠ كم من صلالة. يسكنها خمسمائة نسمة يرعون الماشية في الجبال المجاورة ، ويزرعون الأذرة في الخريف . التبغ ينبت عند الجروف دون زراعة. ذهبنا إلى قرية جبلية تطل عليها للنظر في قضية . شيخ قبيلة اعتدى بالضرب على امرأة لأنها تجرأت على سقى ماشيتها قبل ماشيته . قطعنا مسافة على ظهور الجمال ثم استكملنا الباقي سيرا على الأقدام . استقبلتنا الشعارات على الجدران : يا شعب الخليج اتحد، دقت ساعة التحرير، الاستعمار خائف من جبروت الشعب، لنجابه العنف الرجعي بالعنف الثورى المنظم، جيش التحرير الشعبى فى خدمة الشعب، ثورتنا ثورة أحرار نفديها بالدم الحار، ارادة الشعب تقهر الأسلحة الحديثة . أكواخ من جذوع الأشجار يعضها مخروطية على شكل البيوت الأفريقية . تعلوها أعلام الجبهة التى تجمع بين الأحمر والأبيض والأسود . رحب بنا المرشد السياسى للوحدة المحلية وزوجته التى تضع حلقا فى منتصف أنفها وترتدى شيشب زنوبية. قدمت لنا الماء فى نصف جوزة هند فارغة اغترفت بهامن طشت . أعدوا لنا الشاى فى صفيحة صغيرة لعلها كانت تحوى جبنا أو زيتونا أو سمنا وضعوها فوق موقد كاز بريموس الشهير . على مبعده ركع أحد المقاتلين فوق تبة ممسكا بمنظار ميدان . كان يرتدى شورتا فوقه سترة بنصف كم وعلى صدره عدة أحزمة خراطيش . بجواره رفيق يرتدى جوربا أحمر وحذاء كاوتشوك .

هرع الينا كهل . طلب منا علاج ابنه . قلت له إننا لسنا بأطباء . تدخل

المرشد السياسى وقال له إننا من الثورة . لم يبد على الرجل أنه فهم لأنه أصر . قال له إننا «نعكس» أى أننا صحفيون يستخدمون الكاميرا . لم يفهم أو تظاهر بذلك وأصر على أن نرى ابنه . ذهبنا معه إلى كوخ على حافة القرية . صبي صغير عنده خراج فى رجله من كثرة الكى . قلت للمرشد السياسى أن يدبر نقله الى الحوف على بعد ساعة ومنها يحمله قارب ١٤ اكتوبر الى الغيضة ومنها إلى مطار الريان ثم عدن .

شربنا الشاى ونحن نتابع طابورا من النساء ينقلن الأحجار المتخلفة عن عملية توسيع نبع مياه . قبل الثورة كان لكل قبيلة نبعها الخاص أما الآن فقد أصبحت الينابيع متاحة للجميع . رأينا شابا يرفع الطشت الذى شربنا من مائه ويضعه أمام جملين . أرانا المرشد السياسى فى فخر أول مضخة مائية فى المنطقة المحررة . كان هناك أنبوب أبيض طويل يمتد منها إلى اناء حديدى استند إلى حجرين واشتعلت النار أسفله . قال مزهوا : نحن نقوم بتعقيم المياه .

لمحت رجلا غير مسلح يزين صدره بدائرة معدنية صغيرة فى حجم العملة ، تحمل صورة ملونة لماوتسى تونج . أشرت الى الصورة وسألته : من هذا ؟ قال : زعيم المسلمين . قلت : من قال لك ذلك ؟ أشار إلى المرشد السياسى . قال لى الأخير معتذرا : إننا نقول لهم هذا ليمشوا معنا . قلت إن هذا خداع لا تقبله الثورة ولا ماوتسى تونج نفسه . وإنه إذا كان يريد كسب المواطنين فعليه أن يخدمهم ويحل لهم مشاكلهم ويطور لهم وعيهم . عندئذ لن تكون هناك ضرورة للكذب .

٤ نوفمبر

..استمعنا إلى تفاصيل حادث الاعتداء ثم عقدنا اجتماعا منفردا للاتفاق على خطة العمل . الرفيق عمار رأى ضرورة الشدة لكى نعطى درسا للقوى الرجعية وفى نفس الوقت نشجع الجماهير على الوقوف ضدها . أعجبنى عرضه . له طريقة مقنعة فى الحديث . يتكلم فى تودة ووقار وبلهجة قاطعة . يحفظ القرآن عن ظهر قلب ويضع يده خلف أذنه على طريقة المقرئين عندما يوشك أن يدلى برأى . لهذا أطلقنا عليه لقب الشيخ . أیده معجب الذى كان يعمل بالرعى فى المنطقة الشرقية . جاءت المعارضة من جانب الرفيقيين الآخرين . قال غزال إننا يجب أن نقدم صورة إنسانية ونتجنب اثاره الأحقاد . نصح بأن تكون العقوبة خفيفة . أدهشنى

تأييد الرفيق رافع لهذا الرأي . فهو من فئة المنبوذين ومن سلالة العبيد وذاق
الأمرين على يد شيوخ القبائل . عندما جاء دورى كنت أنوى تأييد الرفيقيين الأولين .
لكن نظرة ودودة أبوية من رافع دفعتنى إلى التردد . وخف هو إلى مساعدتى باقتراح
أن نترك للمواطنين أنفسهم اختيار الحكم المناسب .

كان الجيش الشعبى المحلى قد احتجز الرجل . فأمرنا بإحضاره إلى موقع
جريمته حيث روت المرأة ما حدث أمام بقية السكان . تكلمت باسم اللجنة
وأكدت أن المواطنين جميعا يملكون حقوقا متساوية على المياه والأرض . ثم
طلبت من الحاضرين أن يحددوا نوع العقوبة التى يستحقها الرجل . وفى النهاية
قرروا العفو عن الشيخ لأنها أول جريمة يرتكبها . واكتفينا بأن يعتذر للمرأة .

٥ نوفمبر

.. فى الصباح شعرت فى لحظة كأننى فى صنعاء . أحاطت بى روائح البيوت
وأصوات الماشية وصيحات الأهالى وضجة الأطفال . تأملتهم يجرون حولى وأنا
شاردة . ثم عدت الى الواقع عندما تبينت ما يفعلون . كانوا يمسكون بأغصان
الأشجار ويتظاهرون بأنها بنادق وآليات ويطاردون الماعز على أنها جنود بريطانيون
وباكستانيون . تناهى الى فجأة صوت أزيز مألوف . ظهرت فى الأفق مرواح طائرة
هليكوبتر . أطلقت صيحة تحذير وجريت الى الكوخ الذى تركت به سلاحى .
راقبت الطائرة وهى تحوم فوقنا . فى الغالب عملية استكشاف . حملت سلاحى
واحتميت بجدار صخرى ثم أطلقت النار عليها . تلاحقت نيران آليات أخرى
فدارت الطائرة وارتفعت بسرعة فى الهواء وهربت . سمعنا بعد لحظة صوت انفجار
مدو . اكتشفنا أنها قصفت العين التى يحصل منها الأهالى على الماء وأصابت
بقرتين وناقة . قام الرفاق على الفور بشراء الحيوانات المصابة من أموال الجبهة .
ذبحوها وقطعوا لحمها على شكل شرائط نشروها فوق أغصان الأشجار .

٦ نوفمبر

.. هرب أحد الشبان من بيت أبيه فى القاعدة الانجليزية وصعد إلينا . حمل
معه أوراق ضابط انجليزى . كان على أن أقرأ هذه الأوراق وأترجمها الى العربية .
الضابط اسمه الكابتن س . هيبورت . الأوراق أشبه بتقرير أو مقالة لاحدى
الصحف . سجلت بعض فقرات منها :

« كان لى الشرف أن أتدب للخدمة فى جيش السلطان. كنا فى الخريف والجبل مكسو بالضباب والمطر الغزير ، فانسحبت السرايا إلى المنحدرات الشمالية على حدود الصحراء. التحقت بسریتی التى كانت تبعد مسيرة يومين عن أقرب سرية مجاورة، فيما كنا نسميه المنطقة الغربية.

كل شىء هادئ. فالثوار يستغلون الغطاء الكثيف الذى يوفره لهم الخريف لتسيير قوافل الجمال المحملة بالأسلحة والذخائر والألغام من قراهم فى جنوب اليمن. لذا قضيت الأسابيع الأولى من إقامتى فى سلسلة من الدوريات والكمائن لقطع طرق التموين التى كانوا يستخدمونها. وقد إستنحت هذه الفرصة لتحسين لغتى العربية والتعرف إلى الجنود.

كان جيش السلطان مكونا من ثلاث كتائب وسلاح جوى صغير من نصف دسنة من طائرات «بروفست» المخلخلة، المحملة بالرشاشات والصواريخ، بالإضافة إلى قوة بحرية من دهوين خشبيين قديمين (الدهو مركب شرعى مألوف فى شواطئ الجزيرة العربية). وكان على هذه القوة الصغيرة أن تسيطر على منطقة بمساحة الجزر البريطانية ، لكن تنقصها وسائل النقل او الطرق الممتازة.

ثلثا الجنود من المرتزقة البلوش الذين يعبرون الخليج العربى للإنضمام إلى جيش السلطان. والثلث الباقي من رجال القبائل العمانيين. لغة الجيش الرسمية هى العربية التى لا يتكلمها معظم البلوش إلا بصعوبة بالغة، وغالبا ما يستعينون بالمتترجمين. ولكل سرية ضابطان بريطانيان أو ثلاثة. كنا مجهزين ببندقيات رقم ٤ ومسدسات برين ٣,٣ ورشاشات فايكرز ومدافع الهاون عيار ٨١ مم. وسائل النقل سيارات بدفورد و لاندروفر، لكننا كنا نضطر عادة لاستخدام الحمير لأن الأمكنة الصالحة لسير السيارات قليلة جدا.

خلال الشهر الأول من إقامتى، كانت المنطقة هادئة إلى أن كنت عائدا فى سيارة لاندروفر مع فصيلة استطلاع فى منطقة تدعى جدريت على حدود اليمن الجنوبي، عندما انهالت علينا نيران البندقيات الآلية من كمين يحوى ما يقرب الثلاثين نائرا. أصابت الطلقات الأولى ساقى، فانحرفت السيارة حتى اصطدمت بإحدى الشجيرات قاذفة بنا إلى الخارج. لسوء الحظ أصيب الجنود الثلاثة الذين كانوا جالسين فى مؤخرة السيارة. كان الكمين منصوبا فى مكان ملائم لا يبعد عنا أكثر من مائة متر. لكن الضباب الكثيف وصعوبة الرؤية كانا

يؤثران على تهديف الثوارالذين واصلوا إطلاق النارعشر دقائق إضافية ثم انسحبوا بعد أن تمركزنا فى مواقع حصينة . وتمكنا من تشغيل السيارات وكانت اثنتان منها مصابتين فى عدة أماكن، وعدنا إلى المعسكر بتأن حاملين جرحانا الأربعة.

كانت هذه عملية نموذجية إلا أنها كانت منعطفا هاما فى تاريخ الحرب لأنها المرة الأولى التى يستخدم فيها الثوارالبنادق الأوتوماتيكية. وقد تبين لنا من الطلقات الفارغة التى التقطت فيما بعد أن أغلب أفراد الكمين كانوا مسلحين ببندقيات أوتوماتيكية سوفيتية الصنع من طراز س.ك.س.٧٦٢. وقد أخذنا احتياطاتنا بعد ذلك، وكنا الطرف المنتصر فى معظم الاشتباكات اللاحقة . ثم بدأ الثوارباستخدام مدافع الهاون المتوسطة لأول مرة وكان تهديفهم سيئا .

بعد الخريف مباشرة صارت الاشتباكات يومية إذ كان الثواريهاجمون باستمرار حصون السلطان القليلة المبنية من الطين فى القرى الساحلية ويقصفون المعسكرات بمدافع الهاون كل ليلة تقريبا، بحيث استحال علينا السيطرة على هذه المنطقة الوعرة. الماء شحيح وتمويننا صعب للغاية. غالبا ما كنا نضطرإلى نقل المصابين على الحمير. إننا قادرون على احتواء العدو، إلا أننا عاجزون عن كسب الحرب.

غير قائد الحملة تكتيكاته فغادرنا تحصيناتنا فى تلك الهضبة العطشى الواسعة شمال ظفار . كنت متعلقا بهذه المنطقة المليئة بالذباب حيث نظمنا غارات ناجحة على غابات جبل القمر الكثيفة وقتلنا العديد من بيت الشماس، أحد بطون قبيلة القرا.

كانت مهمتنا الجديدة الانتقال بحرا واحتلال موقع على ساحل قرية ضلكوت المهرية الصغيرة الواقعة على مقربة من «رأس ضربة على» فى محاولة للسيطرة على خطوط تموين العدو من قرية خوف عبر الحدود مع اليمن الجنوبي . وقبل الإقدام على هذه المغامرة قضينا عطلة أسبوعين قرب حصن برتغالى مهجور فى ريسوت حيث تعلم أفراد سريتنا السباحة وتدرنا على عمليات الإنزال . كان بحوزتنا دهوان، الأول ملك السلطان والثانى لشيخ عمانى من صور يسيره عبیده . وكانت وسائل الإنزال ثلاثة قوارب مطاطة من طراز «جيمينى» مع محرركاتها..

تم الإنزال فى ضلكوت دون حادث يذكر، لكن عندما أخذنا نفتش القرية اتضح لنا أن كل من كان فى سن حمل السلاح قد صعد إلى الجبل. فبدأنا بإنزال أمتعتنا عندما انهالت علينا زخات كثيفة من نيران الأسلحة الأوتوماتيكية وقذائف الهاون من المنحدرات الكثيفة الأشجار حيث اختبأت قوة من خمسين نائرا. لازمنا ذلك المعسكر طيلة ثلاثة أيام، لكن هجمات العدو المتتالية بينت لنا استحالة الاستمرار باحتلال ذلك الموقع. فدمرنا آبار المياه فى القرية وأخلىنا المعسكر ليلا وقفلنا عائدين إلى ريسوت. واضطررنا إلى تغيير خططنا التكتيكية ثانية، فقضينا الأشهر الأربعة التالية فى عمليات إنزال بحرى ليلية على طول ساحل ظفار من رأس ضربة على غربا إلى قرية سدح شرقا. نجحت بعض هذه الغارات نجاحا باهرا، قتلنا خلالها عدة ثوار واستولينا على كمية صغيرة من البنادق الأوتوماتيكية والرشاشات. كما أحرقنا قرى الثوار المعروفين وأطلقنا الرصاص على الماعز والبقر. أما جثث الثوار التى كنا نعثر عليها فكنا نجتمعها فى زاوية من سوق صلالة كإنداز لكل من تسول له نفسه الانضمام إلى القذائين.

.. أعجبتنى أمانة الكابتن. وصفنا بالثوار. فى مقالات أخرى يصفوننا بالعدو. يكتبونها بحروف لاتينية فتصبح «الأدو».

٧ نوفمبر

.. صادقت اللجنة المركزية للحزب الصينى من يومين على تقرير عن جرائم ليو شاوشى. وصفته بأنه القابض على زمام السلطة الذى يسلك الطريق الرأسمالى والمرتد ووكيل العدو وخائن العمال المختبئ فى داخل الحزب وعميل الامبريالية والتحريفية المعاصرة. أقرت اللجنة بالإجماع إبعاده عن الحزب إلى الأبد وتجريده من كل مناصبه.

.. التقيت برفيق قادم من حضرموت. قال إن كثيرا من الأندونيسيين ذوى الأصل الحضرمى عادوا إليها هربا من مذابح سوهارتو وان جدران المساجد مغطاة بصورماو وشعارات الثورة الثقافية والشعارات التى تهاجم الامبريالية الاشتراكية وتعنى بها الاتحاد السوفيتى.

..أربعة أيام دامية بالأردن . صمدت المقاومة الفلسطينية . حطم الجيش الأردني بالمدافع الثقيلة والدبابات معسكرات الفدائيين واللاجئين واعتقل ٢٠٠ من رجال المقاومة . هل نادوا بتحرير الأردن وتحويلها الى فيتنام شمالية؟
 .. الجبهة تصدر أول قرار من نوعه في العالم العربي : منع تعدد الزوجات .
 .. انضمت أول فتاة من المنطقة الغربية : طفول مطيع . راعية عمرها ١٥ سنة . عارض أهلها خوفا من انتقام الانجليز .

.. أوفدت الجبهة عشرة رفاق للتدريب العسكري في الصين . رغبت في الذهاب معهم . أفنعتى الرفاق بأن عملية التنظيم التي تجرى للمنطقة المحررة تتطلب وجودى .

.. انتصار عظيم : جونسون يقرر وقف الغارات الأمريكية على فيتنام . الثوار يتقدمون نحو سايجون .
 .. اسرائيل تقوم بغارة على مطار بيروت وتدمر ١٠ طائرات .
 ..تفجر الخلاف داخل الحزب الشيوعي السوداني . نشر أحمد سليمان عدة مقالات تصف القوات المسلحة بأنها الأمل الوحيد للانقاذ . رد عليها عبد الخالق محجوب معارضا .

.. نشب شجار بين بخيت وحمد انتهى بأن أطلق الأول الرصاص على الثانى فمات على الفور . احتجز المقاتلون القاتل لكنه تمكن من الهرب . أشك أن قبيلته أوته . الاثنان من بيتين متنافسين فى نفس القبيلة بينهما ثأر قديم يعود الى عشرات السنين . كان شيخ البيت الأول قد سرق مائة بقرة من البيت الثانى . طالب المقاتلون بمحاكمة القاتل وإعدامه . البعض قال إنه قتل متعمد والآخرون قالوا إنه مجرد حادث . القاتل من أفضل العناصر . الموت رميا بالرصاص أو ماذا ؟ إننا لا نستطيع أن نطرده من جيش التحرير والجبهة فربما انضم إلى الأعداء وزودهم بمعلومات عنا . وليس لدينا سجن نضعه فيه . ربما اكتفينابعدم اسناد مهام ذات أهمية له وبإخضاعه لدورات تثقيفية وتدريبية .

.. احتفلنا بالعام الجديد فى معسكر بجبال القمر . أعد الرفاق تمويها إضافيا من الشاى والسكر وعنزة كاملة . بدأنا نغنى . اقترب منى الرفيق غزال وقال إنه يرتب لاحتفال خاص بعد انتهاء الاحتفال العام . سألته عن الحاضرين فقال : نحن فقط أعضاء اللجنة. غمز لى بعينه وقال إنه يحتفظ بربع زجاجة عرجى لهذا الغرض. قلت له إنى منعت الرفاق من الشراب ولا يعقل أن أجزى لنفسى ما أحرمه على الآخرين . ثم أضفت : أعدك بأن أشرب معك حتى الصباح بعد النصر . لم يحر جوابا.

..بدأنا حملة تعليم جماهيرى ذات شقين : مكافحة الأمية وتعليم اللغة العربية مع التربية السياسية . دروس محو الأمية هى فى الوقت ذاته دروس للتثقيف السياسى . ما أن يجيد التلميذ فك حروف الأبجدية حتى يبدأ تلقينه «أبجدية الثورة» : طبقة . تحرير . مجتمع . نضال . حرية . ثورة . عامل . فلاح . استعمار . بعد ذلك يبدأ التلاميذ دراسة فصول مبسطة من برنامج الإرشاد السياسى المكون من خمس وعشرين درسا تشمل أربعة موضوعات رئيسية : صفات المناضل الثورى - المبادئ التنظيمية - مبادئ الماركسية اللينينية - الأمية والتحرير الوطنى والصراع الطبقي .

٣ يناير

.. زرت مدرسة النساء . كلهن بلا استثناء لا يعرفن القراءة والكتابة . إخوة وأمهات وزوجات رجال فى المعارك . أربعة صفوف فى كل صف ١٥ امرأة وفتاة . تتراوح أعمارهن بين الثامنة وبين الأربعين . لاجئات من الأقاليم الشرقية والوسطى التى دمر الطيران السلطانى مساكنها . يجلسن على الأرض فى دائرة واسعة فوق حصر صغيرة ومعهن أطفالهن . بينهن اثنتان من الحوامل . من الثامنة صباحا إلى العاشرة فى الدراسات ثم ينصرفن إلى أعمالهن المنزلية . سبعون امرأة بعد سنة واحدة سيتمكن من القراءة والكتابة . تعرفت على بعضهن . روت لى طفول من كفكوت ، كيف أحرق المرتزقة كل ماشية ومنازل القرية . سمعت نفس القصة من منى مسلم القادمة من وادى ناهيز . وصفت لى طفول سالم وهى تجرب تركيب أجزاء الآلى هجوم المرتزقة على قرية بيت زريك وكيف أطلقوا النار على أب

لسبعة أطفال خرج من منزله بغير سلاح ثم أحرقوا أكواخ القرية المائة . أيضا
سعاد ماهاد .

٤ يناير

.. بالمدرسة أربعة مدرسين ومشرف . طلبوا مني أن أتحدث الى الصف
فرويت لهن قصة من التراث القبلي تحذر من غواية المرأة وتؤكد عل ضرورة قتل
الأثني لدى ولادتها. تبدأ بأن شابا أنقذ أخته الرضيعة من سيف والده الذي تعهد
بقتل كل مولودة أنثى وهرب بها وتولى رعايتها. كبرت الفتاة وأحبت أميرا وسيما
لكن أخاها اعترض فهربت مع حبيبها بعد أن خدعت شقيقها وأوثقتة. تمضى
القصة الأصلية بعد ذلك فتصف كيف تصالح الأخ والأب وأقر الأول بأنه كان
الأفضل قتل أخته لدى ولادتها . لم أرو هذا الجزء وإنما عدلته فقلت إن الأخ
والأب تصالحا وأقر الأب بأنه كان السبب فى كل ما حدث بسبب رغبته فى قتل
ابنته . كن يعرفن القصة الأصلية وأعجبتهن النهاية الجديدة التى اخترعتها .

.. وأنا أتأمل وجوههن البادية الهزال والسقم وأفكر فى نمط حياتهن قفزت
إلى ذهنى كلمات لجيفارا مؤداها أنهن ينبتن ويترعرن دون رعاية كالنباتات البرية
وينهمكن بسرعة فى حياة من الأشغال الشاقة لا هواده فيها . أمثال هذه
الملاحظات تضاعف إيمانى بصحة الطريق الذى اخترته .

٥ يناير

.. تبينت جهلهن الشديد بأمور الجنس . قررت أن أعطيهن درسا جماعيا
فى المعلومات الأولية . التشریح مثلا ومكان البظر وعملية الختان التى تعرضن لها
وتأثيرها على استمتاعهن بأجسادهن وكيف يمكن تعويضها وضرورة الحيولة دون
تكرار المأساة بالنسبة لبناتهن . اكتشفت أيضا أن المتزوجات لا يمارسن أى وسيلة
من وسائل منع الحمل . قلت إننا فى حاجة الى مواطنين جدد لكننا نحتاج أيضا
إلى الحفاظ على صحتهن . ولهذا لا بد من عمل مسافة زمنية بين الطفل والآخر
كى تستريح أجسادهن وتستعيد عافيتها. أشرت الى فاطمة الهزيلة وهى أم لطفلين
وموشكة على وضع ثالث . تصاعدت الضحكات وقالت واحدة انها مختالة. حملت
منذ سنتين عندما سافر زوجها إلى الخليج . ثم رفض المولود النزول من الرحم فى
موعد الطبعى وظل يخاتل الى الآن ! لم أشأ مناقشة هذه الخرافة التى يؤمن بها

الجميع وابتدعها المجتمع لحماية المرأة التي يتغيب عنها زوجها مدة طويلة. أفنعهن المثال الذي ضربته من واقع الأرض وكيف تترك للراحة عدة شهور كل سنة. شرحت طريقة حساب أيام الأمان. وعدتهن بأن تكون أول مهام الثورة عندما نحرر البلاد هي تحريم الختان وتوفير وسائل منع الحمل والرعاية الصحية الكاملة.

٦ يناير

.. زوج إحدى النساء ثائر. يقول إنني أتلف أخلاقهن وأضع أفكارا منحلة في رؤوسهن. تقدم بشكوى إلى اللجنة. الرفيق عمّار في صفه. يعتقد أنني أسأت التصرف. دافعت عن موقفي. قلت إنه لا يمكن فصل القضايا عن بعضها البعض. الزوج الثائر من المقاتلين الممتازين. رفضت امرأته التي ما زالت ترضع طفلها أن تنام معه خوفا من حمل جديد. طلبت منه أن ينتظر فترة الأمان. بعض النساء أيضا استنكرن موقفي! تشاجرت أنا وعمّار. كرر أننا يجب أن نحترم التقاليد والأعراف. قلت له إن ثورتنا في جوهرها تمرد على التقاليد والأعراف والنفاق.

.. شعرت فاطمة في الليل بآلام المخاض. هرعت لمساعدتها لكنها رفضت. معيار الأنوثة هنا يقاس يوم الولادة. فتنزوي الحامل عن أهلها في مكان منعزل وتقعى فوق كومة تبن أو قش وتلد. ثم تقطع حبل السرة بين حجرين أو بواسطة سكين تحملها معها. ويقضى العرف أن تعود إلى بيتها سيرا على الأقدام حاملة المولود الجديد. ينظر القوم إلى المرأة التي تستعين بسواها على الولادة على أنها ضعيفة، وناقصة الأمومة.

٨ يناير

.. اشتركنا في افتتاح مركز تدريب رئيسي على الحدود باسم «معسكر الثورة». يديره فريق من خمسة كوادهم عمر المسئول العسكري وأول المساهمين في إطلاق الكفاح المسلح في يونيو ٦٥، ومساعداه، ومرشدان سياسيان هما عبد العزيز عبد الرحمن (ابن قاضي من صلالة درس في الكويت ومصر) وهدى المرشدة السياسية لفرقة النساء المقاتلات. توقعت أن ألقاها عند افتتاح المعسكر لكنها كانت في مهمة تنظيمية في عدن.

٤٠ شابا و٨ فتيات (بينهم نسبة كبيرة من السود). الفتيات يقمن في خيمة منفصلة. الجميع ينامون على الأرض. لا حمام لأنه لا يوجد ماء يكفي

للشرب . أثار الرفيق عمار مشكلة إذ أصر أن يغتسل . يعتنى بنظافته اعتناء شديدا . الشاي والأرز متوفران ويأتیان من اليمن . طلب غزال ليمونة وألح زاعما أن لديه مغصا . يشكو دائما من علل غريبة .

يتلقى الجميع دورة تدريب مكثفة لأربعة أشهر . الشبان والشابات يتدربون معا . التربية الثورية أوجدت علاقات جديدة بين الجنسين قائمة على المساواة . لم يعد الرجل ينظر إلى المرأة على أنها أداة للذته هو يأمرهى تطيع . إنها شريكة ورفيقة حياة . ربما تطورت علاقة خاصة بين فتى وفتاة لكنها تقود إلى الزواج واستمرار النضال معا .

٩ يناير

.. يوم مشحون بدأ فى الخامسة صباحا . تجمع الشبان والفتيات فى الجزء المركزى لتحية العلم . اشتركوا جميعا فى إعداد الإفطار دون أن يتخلوا عن بنادقهم . أربع ساعات من التدريب العسكرى . الغذاء ودرس محو الأمية ، ثم ساعتان إضافيتان من التدريب العسكرى . العشاء فى حوالى الخامسة ، تعقبه أربع ساعات من الدرس السياسى . الثقيف السياسى بالنسبة لمن يجيدون اللغة العربية ينقسم إلى قسمين . الأول يضم كتابات الجبهة : الميثاق ، تحليل التركيب الاجتماعى لإقليم ظفار ، النساء والثورة فى الخليج . دراسات عن حركة التحرر الوطنى العربية والعمالية بما فى ذلك الناصرية والبعث وتاريخ الأحزاب الشيوعية العربية . القسم الثانى يتألف من اللائحة الرسمية للمطالعة التى وضعتها القيادة العامة بعد المؤتمر الثانى . تتضمن البيان الشيوعى ومختارات لينين والكتاب الأحمر . يستجيب المقاتلون بحماس لحديث ماو عن ضرورة التضحية بالنفس . هناك أيضا المادية التاريخية والمادية الجدلية لستالين والمتوافر من الترجمات العربية لكتابات هوشى منه ، جيفارا ، كاسترو ، كيم إيل سونج بالإضافة إلى كتابات الجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين ومجلة « الحرية » اللبنانية المعتمدة كمادة ثقيف أسبوعية .

١٠ يناير

.. اكتشفت بالصدفة أن غزال لم يستخدم الليمونة وما زال يحتفظ بها . سألته عن المغص فقال إنه اختفى . يحاول دائما أن يستحوذ على شىء نادر أو غير متوفر لدى الآخرين .

.. حضر زوج عزيزة الى المعسكر يطالب بإعادتها إلى بيتها . كانت قد اتصلت بالجبهة من سنة عن طريق شقيق إحدى صديقاتها . صارت تجمع التبرعات من المواد الغذائية . عارض زوجها فواصلت العملية فى السر. ثم تشاجرا واعتدى عليها بالضرب فغادرت البيت وتطوعت فى فرقة النساء . قررنا رفض طلبه بناء على رأى الفرقة التى اعتبرت أن عزيزة تطوعت بملء إرادتها . لو كان زواجها أصلا يقوم على توافق ما نشأت المشكلة .

١٣ يناير

.. أنشأت الجبهة ثلاث لجان زراعية. أعلنت إلغاء الملكية القبلية للأرض والإيجار المفروض عليها. الأراضى والآبار الواقعة تحت سيطرة قوات الجبهة ملكية عامة . أدى ذلك فى المنطقة الغربية، إلى إلغاء احتكار قبيلتين - من أصل عشرين - لغالبية الأراضى والآبار.

.. باتت الأرض الزراعية تزرع على أساس تعاونى تحت إشراف لجان زراعية فرعية . التعاونية كوحدة إنتاج لا تختلف كثيرا عن وحدة الإنتاج السابقة التى كانت مكونة من عدة أسر (أى من فخذ أو فصيل). الفرق انها ألغت الإيجار والاستحواز الفردى أو القبلى على المحصول. يوزع الآن بين الأسر كل حسب عملها. بما أن الجبهة هى أكبر مستهلك للمواد الغذائية فى المنطقة، فإنها عادة تشتري المحصول وتدفع نقدا. رغم الطبيعة المعزولة نسبيا للمجتمع الظفارى، فان النقود نفذت إليها وشجعنا هذه العملية .

١٥ يناير

.. نجحت مساعينا . سالم حسن الآن فى عدن وسيسافر بعد أسبوع الى بلغاريا لعلاج عينيه .

١٨ يناير

.. انتصار جديد للاشتراكية : سفينة الفضاء السوفيتية سيوز - ٥ تهبط بعد أن قامت بتجربة التحام فى الفضاء مع السفينة سيوز - ٤ . تم بذلك انشاء أول محطة فضاء.

.. توفى ساطع الحصرى الذى كرس كتاباته لموضوع القومية مركزا على عنصر اللغة المشتركة متجاهلا عناصر أخرى أبرزها الحياة الاقتصادية المشتركة .

لا بد أن تكون الأمة بكاملها في نفس الطور من أطوار النظم الاقتصادية ولا يكون جزء منها يطبق الاشتراكية مثلا بينما جزء آخر منها تسوده قوانين الرأسمالية أو الإقطاع. .. أصدرنا أول حكم بالإعدام . أحد شيوخ القبائل كان قد قدم لنا مساعدات جمة في أصعب الفترات ثم بدأ يستولى لحسابه الخاص على الأغذية التي ترسلها لنا خلايا الجبهة في صلالة. وقتل جارا له ليستولى على زوجته .إنهم يبدأون ثورا على كل ظلم، ثم ينصرفون إلى الاهتمام بمصالحهم الخاصة.

جرائم القتل قبل سبتمبر ٦٨ كانت تعاقب بدفع تعويض من أسرة القاتل إلى أسرة الضحية . الآن أصبحت عقوبتها الموت .

فبراير

.. لفك الحصار الاقتصادي بدأ شق طريق يربط المحافظة السادسة في اليمن الجنوبي بالمنطقة الغربية المحررة .يقوم بالعمل أفراد من جيش التحرير الشعبي والميليشيا الشعبية يفرزون من مختلف الفرق بالتناوب . يساهم أيضا مواطنو المنطقة التي يمر فيها الطريق مما يعمق العلاقة بين الجبهة والشعب . يفتقر العاملون إلى المعدات الألية مثل الحفارات والبلدوزرات كما يتعرضون لقصف الطائرات البريطانية.

.. انتقل مسرح العمليات العسكرية من المنطقتين الوسطى والشرقية إلى المنطقة الغربية المحاذية لليمن الجنوبي .ألقي جيش السلطنة بقوات كبيرة للحيلولة دون ارتباط الثورة في ظفار بمؤخرتها في اليمن . تمركزت هذه القوات في مذهب مركز القيادة العسكرية للمنطقة بقيادة الكابتن كلارك، وفي جانوك وخارات .

.. عادت بعثة الصين . تولى أفرادها قيادة عدة وحدات .يرددون أقوال ماو في كل مناسبة.

مارس

.. التقيت أحد الصينيين كما صرنا نسمى العائدين من الصين . سألته عن انطباعاته . تحدث بإعجاب عن النظام والنظافة والانضباط والصحة وكل المظاهر الحضارية . سألته عن الأحداث السياسية والثورة الثقافية . بدا عليه التردد . قال إن الصين ما زالت لغزا وإن لشعبها طريقته الخاصة في التعامل مع المشاكل . أثناء

حدثنا شعرت بحركة بين الأعشاب ففرعت. قال لى بهدوء : لا تخافى يا رفيقة . إنه ثعبان. ردد عبارة ماوالشهيره : «الاستعمار نمر من ورق» بعد أن حورها بما يناسب المقام : الثعابين نمور من ورق . فى المساء أصيب صبي صغير بلدغة من نفس الثعبان فيما أعتقد . فشلنا فى انقاذه . قلت للرفيق الصينى إن الثعابين أيضا تقتل وتميت .

.. بدأت حملة لتشجيع التوطن من أجل تحويل الزراعة إلى الفاعلية الاقتصادية الرئيسية فى المنطقة الغربية . الترحال هو الأساس بالنسبة للقبائل . أفرادها لا يميلون للاستقرار فى الأرض فهم يحتقرون العمل اليدوى كالزراعة . .. يجرى تكوين الميليشيا الشعبية . لها وظيفة مزدوجة . إنها المرحلة التمهيديّة التى يمر بها الجميع قبل الالتحاق بجيش التحرير، وهى إلى ذلك تجسد «الشعب المسلح»، أى جميع الذين يحول عملهم فى مجالات الإنتاج دون تفرغهم للكفاح المسلح .

١٤ أبريل

..دستور جديد للحزب الشيوعى الصينى ينص على أن أفكار ماوهى أعلى مرحلة فى تطور الماركسية اللينينية وأن لين بياو هو خليفته: حديث عن خلاف حول أولوية البناء الصناعى أم التطوير الزراعى .

.. اكتشفت أن الشيخ عمّار يعيش قصة حب فاشلة . هو أصلا من حى الحصن الذى يسكنه الخدم والعبيد والعسكر ويقع فيه قصر السلطان. أحب فتاة من حافة المدينة التى يسكنها الشنافر . ولم يوافق أهلها بالطبع على تزويجها منه فهاجر إلى الكويت وهناك ارتبط بالثورة .

٢٤ أبريل

..نظمت الأحزاب الوطنية والتقدمية فى لبنان أمس مظاهرة احتجاج على الإجراءات التى اتخذتها السلطة بإيعاز من حزب الكتائب وغيره ضد العمل الفدائى . أطلق أحد الجنود النار على المتظاهرين فأشعل مصادمات دامية راح ضحيتها ١٧ قتيلا و١١٦ جريحا .

..قراران فى بغداد بمنع ارتداء المينى جوب ومنع اشتغال المرأة سكرتيرة . دافعت عن القرار الأول فى مناقشة مع الرفاق . قلت إن المينى جوب يحول المرأة

إلى لعبة وهدف جنسى . سخر منى غزال وقال إن ساقىّ فى الغالب قبيحتان .
تفحصتهما جيدا قبل النوم.

٣ مايو

..أضيفت إلى مهام جيش التحرير شق قنوات الري و حفر الآبار وبناء
السدود والمستودعات .إلا أن التقدم بطيء وهناك افتقار إلى أبسط الأدوات
والخبرة .

١٥ مايو

.. رفض المكتب السياسى للحزب الشيوعى السودانى عرضا من بعض
الضباط للقيام بانقلاب عسكرى.

٢٥ مايو

.. ثورة فى السودان . حركة عسكرية يقودها اللواء جعفر نميرى وهاشم أبو
العطا.

..الحصار الاقتصادى المفروض على الريف عزل سكان الجبال عن أسواقهم
التقليدية فى قرى الشاطىء . نواجه حملة تجويع فعلية .

٣١ مايو

.. قسمت بعض الحقول الكبيرة التى تتغذى على موسم الأمطار فى الجزء
الشرقى من جبال القرا . عهد إلى السكان ككل وإلى أعضاء الجبهة بقطع منها
لزراعتها . كما جرت محاولة لحفظ بعض الأمطار للاستخدام فى موسم الجفاف
بإنشاء سدود صغيرة فى مجارى الأودية . يجرى تشجيع السكان على زراعة الذرة
الرفيعة والخيار واللويبا.

أول يونيو

.. معلومات جديدة عن الوضع فى السودان . جرى تعيين بابكر النور وهاشم
أبو العطا - المعروفين بصلتهما بالحزب الشيوعى - فى مجلس الثورة رغم أنهما
لم يشتركا فعليا فى تسلّم السلطة . كما اختار الانقلابيون للوزارة أربعة من قادة
الشيوعيين دون أخذ رأى الحزب . أصدر الحزب الشيوعى بيانا أعرب فيه عن اعتراضه
على فكرة الانقلاب العسكرى كحل لأزمة البلاد السياسية . اقترح عبد الخالق

محبوب على زملائه رفض الاشتراك فى الوزارة لكن أغلبية أعضاء اللجنة المركزية وقفت ضده وخصوصا أحمد سليمان والوزراء المعينين.

٩ يونيو

.. العيد الرابع للثورة . عقدنا حلقة دراسية حول مقال فى مجلة «بانسيه» الفرنسية عن أسلوب الإنتاج الآسيوى حدد ماركس أربعة أساليب إنتاج معروفة تعاقبت على تاريخ البشرية وهى المشاعية البدائية ، العبودية ، الإقطاع ، الرأسمالية. تنبأ بحتمية حلول أسلوب الإنتاج الاشتراكى محل الأسلوب الرأسمالى. اعتبر ستالين هذا التقسيم نهائيا متجاهلا المناقشات التى دارت من قبل حول وجود طريق آخر يعتمد على النموذج الآسيوى فى الإنتاج . فهو الشكل الأعم لتطور المجتمع المشاعى البدائى فى كثير من مناطق العالم الشرقى وبالأخص فى الحضارات الزراعية الكبيرة فى الصين والهند ومصر وبين النهرين. تميزت هذه الحضارات بالاعتماد على نظام الرى الصناعى على شريط ضيق نوعا من الأراضى الزراعية وعدم وجود ملكية خاصة للأرض (عكس ما حدث فى اليونان وروما) وقيام دولة مركزية قوية وتوفر كمية كبيرة من اليد العاملة، وعدم الاعتماد على العبودية المطلقة بل على حيازة الفلاحين للأرض مقابل الالتزام بدفع الضريبة للحاكم المطلق بوصفه المالك الوحيد لكل أراضى الدولة . فى جميع هذه الحضارات قامت الدولة بوظيفة لا غنى عنها فى عملية إعادة الإنتاج وهى إقامة مشاريع الرى والإشراف على توزيع المياه للزراعة. تميزت هذه الدول بمركزيتها الشديدة (اللقب الأول لفرعون مصر كان مهندس رى البلاد) . هذه السمات مختلفة تماما عن سمات النظامين العبودى والإقطاعى التقليديين . الإقطاع الأوروبى لا يعتمد على المركزية المطلقة والملك نفسه ليس إلا سيدا إقطاعيا منتخبا من بين أقرانه من السادة لا يمتد نفوذه عادة خارجا إقطاعيته إلا إذا تمكن من فرض سلطانه على السادة الضعاف. هنا يظهر الاختلاف الواضح بين ندرة اليد العاملة وبين وفرتها التى سمحت للحضارات الشرقية بإقامة منشآت هائلة مثل الأهرامات وسور الصين العظيم.

١٤ يونيو

.. الفلاحون يستعدون لموسم الأمطار . يحفرون بالعصى أماكن وضع البذور.

..البراميل الحارقة تنتشر في الحقول وتقضى على كل أمل في الموسم الزراعى. اختراع جهنمى وارد من فيتنام فى الغالب . يوفّر ثمن القنابل التقليدية الغالية وساعات طيران سترايكاستر الثمينة . يملأون براميل سعة ٤٠ جالونا من مادة حارقة تثبت بها فتائل جاهزة للاشتعال. يضعونها فى مؤخرة السكاي فان بعد أن يسحبوا منها دبائيس الأمان. عند القائها من الطائرة يشتعل سلك الفيوز. بمجرد اصطدامها بالأرض تتحول الى كرة كبيرة من النيران وترتفع سحبات كثيفة من الدخان الأسود فوق المنطقة . يغطى برميلان مساحة تماثل ملعبا لكرة قدم .

١٨ يونيو

.. أكملت منذ أيام العام التاسع والعشرين . غربية . مر الوقت بسرعة . لم أتصور أنى سابقى هنا حتى الآن . أشعر أنى عجزت . اكتشفت شعرة بيضاء فى رأسى .

..الرئيس قحطان الشعبى يعزل محمد على هيثم وزير الداخلية .

٢٢ يونيو

.. القوات المسلحة المصرية تواصل سياسة انهاك العدو بالقصف المدفعى عبر قناة السويس. دايان يصرح : قناة السويس تحولت إلى جبهة حرب جديدة. عمليات فدائية فلسطينية على كل الجبهات : ألغام وكماثن ونسف سيارات وتدمير منشآت .

فجر ٢٣ يونيو

..راديو عدن يذيع أن الرئيس قحطان الشعبى قدم استقالته من منصبه وأن القيادة العامة للجبهة القومية قبلتها . أشار الراديو إلى النزعة الفردية التى سادت كل المستويات . تكوين مجلس رئاسة من خمسة أعضاء : محمد على هيثم وزير الداخلية، عبد الفتاح اسماعيل وزير الثقافة والإرشاد السابق وقائد الفدائيين فى عدن، محمد صالح العوليقى وزير الدفاع، على عنتر قائد الفدائيين فى الضالع، سالم ربيع (سالمين) قائد الفدائيين فى الفضلى الذى انتخب رئيسا للمجلس . عين محمد على هيثم رئيسا للوزراء وعبد الفتاح اسماعيل أمينا عاما لتنظيم الجبهة القومية.

..أصبح بإمكاننا استخدام التسهيلات الإذاعية فى اليمن الديموقراطى .

..المراكز البريطانية فى مذهب مقر القيادة البريطانية فى الغرب مطوقة من جانب جيش التحرير.

٢٥ يونيو

..أخلى الانجليز مذهب إخلاء تاما .عشرنا بها على مدفع روسى ضخم وعشرات الدشم المهجورة، ومئات من صناديق الذخيرة الفارغة تحمل علامة وزارة الدفاع، مسقط. إحدى الدشم تميزت بجدران سميكة وأرضية أكثر نعومة، واحتوت على : كريم حلاقة «ياردلى»، علب بييرة، ملحق الأحد الملون من صحيفة التايمز، والبقايا المتفحمة لشفرة لاسلكى .لم يبق غير الفرق المرابطة فى ضلكوت ورخيوت على الساحل .

.. جاءنا عجوز يريد جوابا به أمر لزوجته الصغيرة كى تستسلم له أو تعويذة مثل التى يحملها القادمون من المدينة ويبيعونها لمختلف أمراض الإنسان والحيوان بريال أو ريالين .

٢٧ يونيو

.. اشتركت طفول فى الدفاع عن شعوت فى معركة استمرت ٢٤ ساعة. تنقل الماء فى القرب وتملاً خرطوشات المقاتلين وتطلق الرصاص هى نفسها. ..أصبحنا نسيطر على معظم الجبل بما فى ذلك طريق تمريرت - صلالة .

١٢ يوليو

.. عشر الرفاق فى احد المواقع التى احتلوها على عدة براميل من البترول وهوية باكستانية باسم سعيد وورقة تحمل هذه الكلمات بالانجليزية : نحن نضربهم ٢٤ ساعة وهم أيضا.

أغسطس

.. احتل رفاقنا بلدة رخيوت الساحلية وألقوا القبض على واليها حميد بن سعيد. بذلك تم تحريرالقطاع الغربى من ظفار وتوقفت أعمال شركة البترول . الآن تسيطر الحكومة فقط على صلالة وضواحيها المباشرة أما بقية الساحل فعرضة لهجومنا.

.. ذهبت الى البلدة للاشتراك فى محاكمة والى . تقع بين جبيلين على مبعده ٤٨ كيلومترا من الحدود اليمنية .تضم ٣٠٠ بيت من الحجارة الجبلية. أصدرت المحكمة الثورية حكم الأعدام عليه بتهمة خيانة الوطن والعمالة لبريطانيا.

.. أصبح صدام حسين نائبا للرئيس العراقي .

.. وكالة الأنباء الفرنسية : المقاومة الفلسطينية تسير فى اتجاه التحول إلى

حرب تحرير شعبية .

أول سبتمبر

.. مجموعة من صغار الضباط برئاسة العقيد القذافى تستولى على السلطة فى المملكة الليبية وتعلن الجمهورية . وضع قاعدة هويلى الأمريكية تحت إشراف السلطات الليبية . خطة لتصفية القواعد البريطانية والأمريكية الأخرى .

.. حضرت اجتماعا لمناقشة الأوضاع الجديدة الناتجة عن تحرير القطاع الغربى بالكامل . تضمن جدول الاجتماع أحداث الصين وعدن وآخر أبناء المعارك . قال الرفيق رافع إن الانتصارات الأخيرة تطرح علينا مسألتين رئيسيتين : كيف يمكن تطعيم مجتمع رعى قبل رأسمالى من الرعاة والصيادين والحمالين والمملوكين والمزارعين الأميين بالماركسية، عقيدة البروليتاريا الصناعية؟ وكيف يمكن تدمير النظام القبلى والنضال ضد قيمه وتقاليد بننظام، واعادة تنظيم المجتمع على أسس جديدة؟

.. المنطقة المحررة ثلث مساحة ظفار تقريبا وتمتد من رأس ضربة على عند حدود اليمن إلى ريسوت . أقل مناطق ظفار كثافة بالسكان : ١٠ آلاف نسمة . يعيشون على الرعى والزراعة الموسمية بالإضافة إلى بعض صيادى السمك على الشواطئ . ينقسمون إلى عشرين قبيلة أقواها وأغناها بيت عيسى والمشايخ . كلتاها من القرأ، وكانتا تسيطران على معظم الأراضى والآبار .

.. يتمركز حوالى مائة مقاتل فى الحامية المركزية للمنطقة الغربية المحررة . يقومون بمهام متعددة، أحيانا على الطريق المؤدى إلى حافة الصحراء حيث توجد بقايا طائرة بروفوست أسقطت فى الصيف، وأحيانا أخرى على الشاطئ لمراقبة محاولات التسلل وحماية خطوط التموين الحيوية التى تنقل الغذاء واللباس والسلاح .

.. تفتحت زهور أشجار اللبان . صفراء بقلب قرمزى .

• سبتمبر

.. استمعت إلى خطبة الجمعة فى مسجد رخيوت . الشيخ على كان إماما

لمسجدها من ٦٠ إلى ٦٦ ، عندما تشاجر مع الوالى واضطر إلى الرحيل . عاد الآن ويعيش مع زوجته وأمها وطفله من الأجرة التى يحصل عليها لقاء قيامه بالواجبات الدينية ومن عائد عنزاته الخاصة . هاجم فى كلمته الاستعمار وأيد النضال المسلح . تحدث عن الاشتراكية فقال إن الشريعة الإسلامية تحترم المبدأ القائل بأن العمل هو الأساس الوحيد للملكية . وإن الإسلام وضع قاعدة ذهبية مؤداها أن مالك الأرض ليس إلا من يبذل فيها عمله ومن يزرعها بنفسه . قال إن الرسول نهى عن كراء الأرض قائلا : من كانت له أرض فليزرعها ، وليزرعها أخاه ، ولا يكارها بثلاث أو بربع ولا بطعام مسمى . قال أيضا إن الإسلام يحرم الربا والاتجار بالنقود والمضاربة والاحتكار ويدعو إلى تحرير مصادر الثروة الطبيعية وتحرير الانتاج من السيطرة الخاصة وإلى كفالة العاجز وضمان الحياة لجميع الناس . أكد ان الإسلام ضد الأغنياء واستشهد بأيتين قرآنتين : « ما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلنا به كافرون » . و « ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدي الناس » . استشهد أيضا بقول عمر بن الخطاب أو على بن أبى طالب لا أذكر : ما تمتع غنى إلا من جوع فقير . وقول عمر : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء ورددتها على الفقراء .

١١ سبتمبر

.. انضمت الينا أمينة وأخوها . عمرها ١٤ سنة . سوداء بخاتم فى أنفها ووجه ممتلئ مستدير تدوربه طرحة . من طائفة المنبوذين الأفارقة فى صلالة . يعمل أبوها فى الزراعة أو نقل الحجارة مقابل أربع أو خمس روبيات فى اليوم . أكثر الأحيان لا يجد عملا فيصلح الحبال من قشور ثمار النارجيل (جوز الهند) وتخبز زوجته للجيران على التنور مقابل أجر بسيط . هربت مع أخيها الذى يكبرها بخمس سنوات ويعمل كولىا فى البناء . قالت لى : كان الناس يعشرون على منشورات ضد السلطان واستحسنوها . عرفنا حقوقنا وقررنا طلوع الجبل . لكن كيف نحقق ذلك والأسلاك الشائكة تحيطها من كل جانب ؟ لم يكن أمامنا غير طريق البحر . اشترى أخى إطار سيارة قديم . أحضر أربعاً من ثمار النارجيل وربط كل اثنتين ببعض وأوصلها برياط واحد بحيث تكون كل اثنتين فى طرف واحد على مسافة تتسع لبطنه . صنعنا واحدة أخرى . كنا نعمل على ضوء قنديل الكاز . تسللنا بين الأرزقة

والعشش فى الظلام حتى وصلنا إلى أشجار النار جبل الكثيفة العالية الواقعة بين شاطئ البحر والمدينة . كنا فى منتصف الليل ونريد اجتياز السورسباحة عند بلدة عوقد فى الغرب قبل شروق الشمس . سبحنا فى البحر معا طوال ثماني ساعات. لا أجيد السباحة وكنت جوعانة بردانة عطشانة لكن فضلت الموت على أن أقع أسيرة بيد الانجليز. عندما تعبت رفعتى ووضعنى على التيوب (إطار السيارة) وأخذ يدفعنى للأمام . تسللنا إلى عوقد ومكثنا عند أحد المعارف حتى قدوم الليل ثم واصلنا السير إلى الجبل وهناك طلبنا من المواطنين أن يأخذونا إلى الثوار.

١٢ أكتوبر

.. وزير الخارجية اللبنانى يرحب بالتصريح الأمريكى بفرض الحماية على لبنان.

.. وحدات كوماندوز مصرية تعبر القناة فى أماكن متنوعة وتلدق خسائر فادحة بالإسرائيليين ثم تعود سالمة .

٢١ أكتوبر

.. نسف مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت . الجيش اللبنانى يهاجم قواعد الفدائيين ويقتل ويصيب ٣٩ فدائيا.

نوفمبر

.. حوار فى الطليعة القاهرية مع نايف حواتمة عضو اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. شرح أسباب انقسام الديمقراطية عن الشعبية. قال انه يعود إلى الصراع الايديولوجى والسياسى الذى نشأ فى حركة القوميين العرب منذ التأميمات المصرية فى يوليو ٦١ التى طرحت على المنطقة العربية أفقا فكريا وسياسيا جديدا هذا الصراع حسمته هزيمة ٥ يونيو التى أكدت أن أفق وبرنامج البرحوازية الصغيرة فى حل مشكلات حركة التحرر الوطنى وإنجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية فى بلد متخلف فى عصر الاستعمار والامبريالية غير مؤهل وغير قادر على تحقيق الاستقلال التام والناجز وإدخال البلاد فى عصر التصنيع الثقيل والزراعة المكثفة ودفع الاقتصاد على طريق الانفصال عن السوق الرأسمالية العالمية والتطور المستقل عنها ولا على مواجهة الاستعمار الجديد الذى تقوده الولايات المتحدة . وانتهى الجناح التقدمى إلى موقع ماركسى لينينى ثورى طرحه فى

اجتماع اللجنة المركزية للحركة وتقبله الجناح التقليدي لكنه لم يكن مستعدا للاستجابة إلى نتائجها التنظيمية .. بأن تصبح المسؤولية كاملة في يد الجناح اليسارى . اتضح بعد قليل ان إمكانية تحويل مؤسسة بورجوازية صغيرة إلى مؤسسة ماركسية لينينية بكاملها غير ممكنة إذ لا يمكن تحويل طبقة بالانتقال بها من موقع إلى موقع مضاد لمصالحها.

سأله المحاور بخبث عن البديل الذى يطرحه لقيادة البرجوازية الصغيرة فى ظل غياب الكم اللازم والوعى السياسى المنظم للطبقة العاملة نتيجة عدم اتساع حركة التصنيع والاضطهاد التى تعرضت له . أجاب حواتمة بقوله : لا بد من طليعة منظمة تلتزم بالرؤية الايديولوجية والطبقية لقيادة القوى والطبقات الأكثر جذرية وثورية متحالفة مع البرجوازية الصغيرة.

١١ نوفمبر

.. رافع يرغب فى الزواج من أمينة. عارضت الفكرة بسبب فارق السن بينهما. هل هذا هو السبب الوحيد ؟

١٦ نوفمبر

.. أعلن نميرى فصل أعضاء مجلس الثورة الثلاثة المعروفين بصلاتهم بالحزب الشيوعى وهم : فاروق عثمان حمد الله ، بابكرالنور ، هاشم العطا. الوضع متوتر للغاية وخاصة بين نميرى والشيوعيين . يعمل نميرى على تشكيل تنظيم جماهيرى مثل الاتحاد الاشتراكى المصرى ، وعلى طريقة عبد الناصر طلب من الشيوعيين السودانين أن يحلوا حزبهم ويندمجوا لديه فرفض عبد الخالق محجوب ذلك ووصف نميرى بالبرجوازى الصغير . وكتب أحمد سليمان فى إحدى الصحف متسائلا عما يجعل عبد الناصر ديموقراطيا ثوريا ونميرى برجوازيا صغيرا ، وكيف يمكن تحقيق الاشتراكية فى مصر دون حزب شيوعى بينما يشترط هذا فى السودان وهو أقل تطورا. ولماذا أيد عبد الخالق محجوب حل الحزب الشيوعى المصرى.

١٨ نوفمبر

.. قالت الصحف اللبنانية إن ١١ عضوا فى اللجنة المركزية للحزب

الشيوعي السوداني فصلوا من الحزب لأنهم وقفوا مع الاندماج في حزب نميري .
على رأس المفصولين أحمد سليمان ومعاوية وأبو عيسى .

١٩ نوفمبر

.. مسيرة ضخمة في واشنطن من نصف مليون أمريكي ضد حرب فيتنام .
.. الكشف عن تفاصيل مذبحه ماى لاي التي جرت العام الماضى .
صباح يوم ١٦ مارس هاجمت سرية من الجنود الأمريكيين قرية ماى لاي وأطلقت النار بصورة عشوائية على سكانها بما فى ذلك النساء والأطفال والشيوخ وعندما احتفى الفلاحون بأقواخهم ألقوا عليهم بالقنابل اليدوية . ثم جمعوا أكثر من ٤٠٠ من الذين بقوا أحياء فى مكان فسيح وأوقفوهم على حافة مصرف وأطلقوا عليهم النار بأمر الضابط ويليام كالى . وأثناء إطلاق النار حاول طفل لم يتعد عمره العامين الهروب فأسرع كالى خلفه وأمسك به ثم ألقى به فى المصرف بعد أن قتله . هل يمكن أن تصل وحشية البشر إلى هذا الحد ؟
.. الثورة الليبية توجه الضربات إلى السيطرة الامبريالية على بعض نواحي الاقتصاد الليبي . دعر بين احتكارات البترول العاملة فى ليبيا. توقع إعلان دفاع مشترك بين ليبيا والسودان ومصر .

٢٧ نوفمبر

..قرارات فى عدن بالسيطرة على شركات المصارف والملاحة وتوزيع البترول والتأمين وشركات التجارة .

أول ديسمبر

.. أصبح سهل صلالة ومطارها معرضين لقنابلنا رغم الحواجز التى أقامتها قوات السلطان على الطرقات الرئيسية . لكننا لسنا بعد قادرين على مهاجمة المدينة كما أن قوات السلطان عاجزة عن ولوج المناطق الجبلية إلا فى دوريات جيدة التسليح .

.. هرب الينا عن طريق البحر عبد سابق يدعى عامر على يجيد الكتابة والقراءة. تبعه ستة عبيد آخرين بينهم ابن رئيس استخبارات السلطان المدعو نظر. كان عامر فى قصر السلطان مكلفا بمراقبة تنفيذ تعليماته بشأن عبيده والتى تحرم عليهم مغادرة مساكنهم أو الزواج أو حتى تعلم القراءة والكتابة دون إذن منه .

أعطانا معلومات ثمينة عن الحياة في قصر السلطان . القصر مزود بمرايا مزدوجة الرؤية، وعدد كبير من التلسكوبات والعبيد. في جناح حصين ١٥٠ امرأة .

.. افتتحنا مدرسة محو الأمية . تعتمد على بعض الكراريس الثورية إذ لا تتوفر كتب محو الأمية . الدارسون في فصل من مختلف الأعمار: طفل في التاسعة، امرأة في العشرينيات ، رجل في الثلاثينيات .المدرس لايتجاوز الرابعة عشرة لكنهم يعاملونه باحترام وتقدير. يجلسون ساعات القipzig بعد الغداء مباشرة للتعلم داخل الكهوف . في المساء حضرت الجلسة المسائية المفتوحة . أدارها المرشد السياسي الأول.

٨ ديسمبر

..قررت قيادة الجبهة العدنية تخفيض عدد أعضاء مجلس الرئاسة إلى ثلاثة هم سالم ربيع، عبد الفتاح اسماعيل ،محمد علي هيثم.
.. انتصار للمرأة : انتخبت عائدة اليافعي لعضوية قيادة الجبهة القومية في عدن .

٢٠ ديسمبر

.. اشتركت في حلقة سياسية أقيمت في شيروس شمال رخيوت لנخبة من طلبة مدرسة مكافحة الأمية تؤهلهم للانضمام إلى تنظيم الجبهة . مدة الحلقة ثلاثة أشهر. تجتمع ثلاث أو أربع مرات بالأسبوع . الجلسات مطولة تستغرق بين خمس وسبع ساعات يديرها مرشد سياسي من وحدة شعבות ومساعدته . تخصص جلسة واحدة في الأسبوع لمناقشة المسائل السياسية والتنظيمية. التدريب العسكري مستمر . يقسم الطلبة والطالبات إلى مفارز تساعد في إعداد الأكل وتقديمه وفي أعمال النظافة والحراسة الليلية .أقيمت مع الفتيات في خيمة كبيرة منفصلة .

٢٥ ديسمبر

.. انضمت مريم إلى الحلقة . عمرها ١٦ سنة . أهلها يزرعون الأذرة ثلاثة شهور ثم يرعون الأغنام بقية السنة . أرادوا تزويجها برجل عجوز . سمعت عن الجبهة فتركت أهلها . سمراء هزيلة. شعرها أسود ناعم شديد اللمعان . خصلاته متكورة . تسير مرفوعة الرأس مشدودة القامة في اعتداد . في نفس الوقت خجولة . دائمة الابتسام . سألتها إذا كانت تفتقد أهلها. قالت أنها لاتفكر بهم وتفكر بالثورة

فقط. تريد أن تتعلم القراءة والكتابة والسياسة . الجبهة علمتها اللغة العربية لكنها ما تزال تجدها صعبة . قلت لها: حياة القتال أيضا صعبة . قالت فى حزم : أستطيع القيام بكل ما يقوم به أى رجل .

أول يناير ٧٠

.. أساعد مريم فى دروس اللغة العربية وهى تعلمنى مفردات جديدة من اللغة الجبالية . طلبت منى اليوم أن أحكى لها قصة أبو زيد الهلالي . إنه هنا مثال الشجاعة والفروسية . القصص المروية عنه تمثله مرتديا قناعا يخفى به جماله كى لا يغوى النساء .

٥ يناير

.. انتقل جيش المرتزقة من الهجوم إلى الدفاع . وعاد مسرح العمليات إلى المنطقتين الوسطى والشرقية . حرب مواقع وتطوير على طريق حميرن الذى أسميناه بالخط الأحمر . حاصرناهم فى أكثر من موقع . اضطروا إلى التحصن فى خنادق دفاعية .

١٠ يناير

.. تزايد عدد المدنيين الهاربين من صلالة ومدن الساحل . صعد الينا أيضا سعيد مسعود الذى قضى خمس سنوات فى سجن الحصن . مئات السجناء يقيدون سويا فى غرف مظلمة . التعذيب المألوف هو يومان من المقطرة (العجلة) . حراس بلوش تحت إشراف بريطانيين .

١٨ يناير

.. كانت أمس نوبة مريم فى الحراسة الليلية . رافقتها بعض الوقت . حكى لى كيف توفى شقيق لها وتم دفنه . ظل أبوها مقيما إلى جوار القبر يبكى ابنه . انزعجت الأشباح الموجودة فى حوش المقبرة وأبلغته أن ابنه لم يمى لكنه واقع تحت تأثير ساحرة نقلته إلى قرية هندية وحولته إلى عنزة . ضحكى فاستاءت .

قالت إن الأشباح وصفت لأبيها كيفية الإمساك بالساحرة وارغامها على إعادة ابنه إلى صورته الأصلية كإنسان . لم أتمكن من كتمان الضحك وسألتها : هل عاد ؟ . أطرقت برأسها ولم تجب . زمت شفيتها . كانت غاضبة منى . احتويتها بساعدى وربت على ظهرها . قالت عاتبة : أنت دائما تسخرين منى . قلت : أبدا .

قالت: توجد هنا أشياء لا تعرفينها. هل تعرفين مثلاً أن هناك عقارب تطير كالعصافير؟. هممت بالكلام فوضعت إصبعها على شفتي. قالت: أحد أعمامي اصطاد مرة سمكة كبيرة هذا القصد. بسطت ذراعيها إلى أقصاهما واستطردت: تجمع الناس حولها ودخل بعضهم من فكها وخرج من الجانب الآخر. أحدهم كان يركب ناقته. انفجر ضحكي فابتسمت على استحياء. قالت: ما رأيك في أن أمير عمان أهدى إلى هارون الرشيد نملة سوداء في قفص حديد؟ أبديت استغرابي: نملة في قفص؟ بدا عليها السرور لأنها أثارت دهشتي: نعم. كانت مقيدة بالسلاسل إلى قضبان القفص. قطبت حاجبي فقالت: كانت في حجم القط. وكانوا يطعمونها يوميا شرائح اللحم. قلت لها: يا عبيطة هذه لم تكن نملة. هي في الغالب نوع من الققط المتوحش أو ربما فهد.

٢٢ يناير

.. اكتشفت بحيرة قرية. أستمتع بالاستحمام في مياهها في المساء.
 .. اعترف رئيس الوزراء طارق بن تيمور في تصريح علني بأن الثوار يسيطرون على ثلاثة أرباع ظفار.
 .. صوتها جميل. تحفظ أغاني عبد الحليم حافظ ونجاة الصغيرة. غنت لي «في يوم في شهر في سنة»، «حبك نار»، «ساكن قصادي».

٢٧ يناير

.. كنت أهم بوضع الإناء الصفيح المخصص لغلي المياه فوق الموقد عندما سمعت صوتاً بعيداً يشبه صوت انفجار صواريخ الألعاب النارية في السماء: بوك بوك بوك. كنت بمفردي في الخيمة أنتظر عودة الفتيات من تدريب ليلى على إطلاق الهاونات. كان الصوت مختلفاً عن صوت قذائف الهاون. أسرعته إلى باب الخيمة. تطلعت إلى السماء. رأيت أشعة جميلة من الضوء الأخضر توجه نحوى في بطاء شديد. بدا لي أنها تسرع كلما اقتربت. ثم تبينت أنها تتجه نحو موقع التدريب وسرعان ما أدركت ما هي. صرخت وأنا أجرى في جنون. إنها أحدث ما أنتجه الجيش الانجليزي ضد الهاونات. رصاصة تحوى مركبا كيميائيا يمين خط انطلاقها بواسطة سهم من الضوء الأخضر. يلتقط هذا السهم خط طيران قذيفة الهاون ويقتفى أثر المكان الذي أطلقت منه. رأيت الأنوار الجميلة تتساقط

حول موقع التدريب والبعض منها ينفجر بوهج أبيض يزغلل الأبصار. لابد أن يكون رشاش براوننج ٥٠ الذى يطلق مزيجاً من الطلقات تضم بينها رصاصة السهم الأخضر. كنت أجرى دون وعى وأنا أدعو الله ألا تكون مريم قد أصيبت . توقف اطلاق النيران ورأيت الطلاب متحلقين حول شئ فى وجوم . أزحتهم جانبا. وقعت عيني على جسدين ممددين مزقتهما شظايا قبلة . ثدى شبه مقطوع يتدلى من صدر ممزق . سمعت مريم الى جوارى تردد فى ذهول : اللهم اجعله ريوان. احتضنتها فى عنف وبكيت .

٢٨ يناير

.. طفنا بجثتى الشهيدتين حول الموقع و نحن نردد الأناشيد الثورية . فى المساء أقمنا حفل تأبين .
.. أعدم البعثيون فى العراق ٤١ عراقيا بتهمة التآمر مع ايران .

٢ فبراير

.. وقع بخيت فى يد إحدى وحدات المنطقة الوسطى . كان كما شككت مختبئا لدى قبيلته فى المنطقة الشرقية . اعتذرت عن الاشتراك فى محاكمته . حكم عليه بالاعدام وشرحنا الأسباب فى بيان تلى فى كافة أنحاء المنطقة .
.. حدثنى رافع عن قصته . اختطف التجار العرب أباه من تنجانيقا . جاءوا به إلى عدن وباعوه إلى تاجر فى شمال عمان . لكنه هرب و قطع الصحراء إلى ظفار حيث عمل بالرعى وصار حرا . كثير من العبيد الأبقين يحمل أولادهم أسماء مميزة مثل خميس وسعيد ونبيلى .

.. عرضت السعودية المساعدة العسكرية على السلطان لكنه رفض . رفض أيضا نصائح الضباط الإنجليز بشن حرب نفسية وتقديم الخدمات للأهالى . اكتفى بأن يخيرنا بين الإستسلام أو الإعدام . يقوم بتخزين السلاح فى قصره .

١٠ فبراير

.. سألتها عما كانت تعنيه بعبارة « اللهم اجعله ريوان » فابتسمت فى حزن وقالت : معناها اللهم اجعله حلما . روت لى أصل العبارة . بائع مدرأى فخار حمل كل بضاعته على ظهره إلى السوق بدلا من أن ينقلها على دفعات . وبينما

هو يهبط تلا انزلقت قدمه فسقط حملة وتدحرجت المدر وتكسرت واحدة بعد الأخرى وهو يصيح : اللهم اجعله ريوان. ران عليناصمت حزين ونحن نفكر فى الشهيدتين . ثم التفتت الى فجأة وسألتنى عن المستقبل. تذكرت ما قاله لينين قبل الثورة. أكد أن إقامة المجتمع الاشتراكى لن تغير كل شىء على الفور ولن تحول البروليتاريا بصورة أوتوماتيكية الى قديس ، على حد تعبيره . ستظل هناك سلبيات ومشاكل كثيرة . وسيكون من الضروري استمرار الكفاح من أجل ديموقراطية أكمل ومن أجل مساواة أشمل ومن أجل أخوة أشمل.

٢١ فبراير

.. وجدتها تقوم بتمشيط شعرها وتأمل المشط . تناولته منها قائلة : اتركينى أنا . جلست خلفها وأحطتها بساقى . مشطت لها شعرها وأنا أدقق النظر بحثا عن الحشرة اللعينة. قالت لى إن إحدى حسنات تركها لأسرتها أنها هربت من طريقتهم فى تسريح الشعر. فهم يزيلون شعرمؤخرة الرأس كاملا فيما عدا ثلاث أو أربع خصلات رفيعة . وأحيانا ما يؤدى ذلك إلى إزالة جزء من قشرة الرأس مما يسبب ألما شديدا وربما الوفاة . ولاينقذ البنت من هذا العذاب سوى الزواج إذ تستطيع بعده أن تصففه على هواها.

سألتها إذا كانت تحب فاحمر وجهها . قالت إنها لا تفكر إلا فى الثورة . تحدثنا عن ظروف الزواج والمهور الجائرة . قالت : إذا قررت الزواج فلأنى أريد رجلا معيناً ولا ضرورة أبداً لأن يدفع لى أو لأهلى المال لقاء ذلك . قبل الثورة كانت النساء تشرى وتباع ويجرى التخلص منهن مثل الغنم . أما الآن فعلى المرأة أن تدرك حقوقها وتساهم فى الثورة . لكن يجب تأجيل الزواج إلى ما بعد الثورة لأنه قد يؤثر على نضالنا . رق قلبى لها وذابت مشاعرى . احتضنتها فرفعت الى وجهها فى براءة وقبلتنى فى فمى .

٢٢ فبراير

.. لم أتم جيدا أمس . كنت أسمع صوت تنفسها وأشم رائحتها. .. أثرت موضوع الزينة مع نبيلة وزميلتيها. قالت نبيلة : فى السابق كنا خاضعات للرجال وتتجمل من أجلهم . الآن المرأة يجب أن تجذب بشخصيتها لا بالمساحيق . أن تكون الواحدة وطنية جيدة ومقاتلة جيدة هذه هى زينتنا .

.. اقترحت عليها أن نذهب الى الاستحمام فى البحيرة القريبة . اخترنا نقطة منزوية يغطيها نتوء صخرى . سبقتنى الى خلع ملابسها وهى تضحك كالأطفال . تأملت جسدها . أقرب الى الصبية فيما عدا صدرها . شعرت بريقى يجف و بالعرق يبلل يدى . تركتها فجأة وعدت الى المخيم . يجب أن أتحكم فى مشاعرى . الأمر واضح جدا : حرمت نفسى طويلا من رغباتى الطبيعية . امتزجت عواطف الأمومة بالعواطف الأخرى . شئ طبيعى ويحدث حولى طول الوقت دون أن أنتبه . الآن فقط أراه بوضوح . سلمى وخولة . ليس هنا فقط . قبل ذلك فى منزلنا بصنعاء . ومنازل الآخرين . مى . ظروفنا والأخطار التى نواجهها تقربنا من بعضنا البعض . لكن ليس بوسعى أن أستسلم . أنا قائدة وأكثر وعيا . جيفارا قال إننا يجب أن نتسك . مرة أخرى أسأل نفسى : هل كان يقصد أثناء العمل السرى فى المدينة استعدادا للحرب أم خلال الحرب نفسها ؟ وماذا لو استمرت هذه الحرب عدة سنوات ؟ ضحكت فى مرارة : يجب أن أجد رفيقا أتزوجه . مشكلتى أنى لم أشعر حتى الآن بالرغبة فى أحد ممن التقيتهم .

.. غادرت المعسكر إلى رخيوت متذرة بمهمة عاجلة ويقرب انتهاء الدورة . تجنبت وداع مريم .

.. الفرق المسلحة لحزب الكتائب اليميني الذى يتزعمه بيار الجميل وزير الأشغال اللبناني تهاجم الفدائيين الفلسطينيين فى بيروت والجبل . كمال جنبلاط وزير الداخلية يتهم المكتب الثانى بالتواطؤ بالتعاون مع المخابرات الأمريكية .

.. اتفاق بين الأكراد والحكومة العراقية على الحكم الذاتى للأكراد . الكل متفائل بإمكانية إغلاق الجرح الكردى المزمع وتوحيد القوى الثورية .

.. عشر على جثة أحد قادة الشيوعيين الأكراد فى شارع ببغداد . أصابع الاتهام تتجه الى صدام حسين .

.. اعتقال قحطان الشعبي في عدن لتورطه في مؤامرة .

أول ابريل

..اشتركنا في افتتاح مدرسة الشعب، أول مدرسة تقيمها الثورة . دائرة واسعة من الخيام المتوسطة الحجم . أربعون طالبا وطالبة قادمين من مدارس مكافحة الأمية . صفان أول وثان . الأخير يعادل الصف الرابع الابتدائي في المدارس النظامية العربية . يتعلم الأطفال أيضا المهارات التقنية مثل البذار والزراعة والتطريز وعموما كيف يعتمدون على أنفسهم.

.. أتحرك بلا حماس . كلما تلفت طالعني وجهها.

..مجموعات من أولاد وبنات تقوم بكل شيء : الطهي والعجين والخبز للقضاء على عادات المجتمع التي أفرزتها الرجعية والفردية . طشت كبير توضع به محتويات علبتين محفوظتين . ولد يعجن الدقيق في طشت آخر. في إناء ثالث كرات الخبز البيضاء . تبسط بعد ذلك فوق صاج تحته نار . الأرز يصنع في حلال ضخمة صفت في طابور.

.. يستخدم المدرسون أحدث الوسائل التعليمية رغم فقر الإمكانيات . في درس التاريخ والجغرافيا كان الموضوع عن الخليج العربي . طلب المدرس من كل طالب أن يمثل بلدا خليجيا .

المعلم صغير السن يبرز من جيبه طرف كتاب ماو الأحمر . جلسوا جميعا متربعين فوق كنبال صوفية على الأرض في هدوء ونظام (هل وجودى هو السبب؟) . كراساتهم فوق ركبهم وفي أيديهم أقلام الرصاص . خاطبهم المدرس قائلا : باسم الثورة نفتح الدرس السياسى . العلاقة بين الطالب والمدرس تقوم على أساس الاحترام المتبادل والتنفيذ الطوعى المسئول للواجبات والمهمات . الضرب والشتم ممنوع . جلسات نقد شهرية يشترك فيها الطلبة والمدرسون لتلافي الأخطاء وتلخيص التجارب والاستفادة منها . حضرت إحداها . طلب أحد الأطفال الكلمة . قال : بعض الرفاق ناموا بالأمس دون خيام فى العراء . لجنة الطلاب مطالبة بأن توفر لنا خياما جديدة. انتقد تلميذ آخر لجنة الطلاب بسبب قذارة المطبخ . طالب بنقله بعيدا كى تلقى الأقدار فى الوادى . رد ممثل اللجنة بأن حنفية المياه مكسورة واذا نقل المطبخ دون تصليح الحنفية سنضطر لنقل الماء اليه

بالقرب . لخص آخر النتيجة : الانتظار حتى تصلح اللجنة الحنفية. اتخذ هذا القرار بالأغلبية . رفع تلميذ صغير يده قائلاً: أريد عمل نقد ذاتي .. أمس بعد المظاهرة لم أراجع دروسى. رد عضو لجنة الطلاب: لجنة الأساتذة سمحت لنا بالنوم لأننا كنا متعبين. تدخلت قائلة: النقد والنقد الذاتى ليس لعبة . ولا يجب استخدامهما إلا فى الحالات المهمة . فى نهاية الجلسة أعلن ممثل الطلاب : باسم الثورة ترفع الجلسة . هتف الجميع : «ثورتنا ثورة أحرارنفديها بالدم الحار» .

اجتذبنى طفل وسيم فى السادسة من عمره. يحمل بندقية ويرتدى تنورة كاروهات وكابا عسكريا. احتضنته وسألته عما يفعل بالبندقية . أجبني فى اعتداد . أحمى رفاقى من الثورة المضادة . أومأت بجديدة شديدة مغالبة الضحك .

.. فى العصر أقيمت مباراة لكرة القدم. وفى المساء حفلة سمر. غنينا أناشيد الثورة : «يا شهيد الدرب لن ننسى التراب»، «يا جبهتنا الشعبية لك منا تحية»، «يا شعب الخليج اتحد». ثم قدم الطلاب رقصة تمثيلية تصورطقوس السحر التى كانت تستخدم فى العلاج قبل التحرير عندما كانت الأدوية ممنوعة بأمرالسلطان .

أبريل

.. مصر تحتفل بمرورمئة سنة على ميلاد لينين .
.. شيخ البحرين و شاه إيران يدعوان إلى استبدال السلطان .
.. استبدال وزير الدفاع السلطانى الميجور ووترفيلد وقائد الجيش بأخرين بريطانيين .

.. صحف بيروت تؤكد أن السفير البريطانى فى البحرين عرض على السلطان التنازل عن العرش والسفرإلى الهند إلا أنه رفض .
.. قصفت الفانتوم الإسرائيلية مدرسة للأطفال فى بحر البقر فى مصر.
استشهد ٤٦ طفلا وأصيب ٣٦ آخرين .
..اعتقال عبد الخالق محجوب ونفيه الى مصر .

مايو

.. فرقة النساء تطالب بإلغاء المهور.
.. الجبهة الشعبية (حبش) تدعو لتأسيس الحزب العمالى العربى .
.. أول طاقم من المساعدين الطبيين للمراكز المتنقلة .

.. إجراءات ثورية فى السودان : تأميم خمسة بنوك أجنبية وبنك سودانى .
انهاء سيطرة الشركات الأجنبية على التجارة الخارجية . تأميم شركات التأمين
الأجنبية وسوق القطن . نميرى يعلن أنه يسعى إلى وحدة القوى الثورية وان
الاشتراكية العلمية هى الحل الوحيد للقضاء على مشاكل الشعب .

أول يونيو

.. عقدنا اجتماعا خاصا لدراسة الوضع القبلى و المشكله الزراعيه . حضر
على محسن عضوالقيادة . درس ثلاث سنوات فى كلية الحقوق المصريه . متوتر
للغاية وعصبى . ما زال توطين القبائل فى الإقليم الغربى يواجه بالنفور رغم مزاياه .

.. انضم عوض الى الاجتماع . فوجئت بسلوك غريب من جانبى . أردت
أن أريه بعض الأرقام فوضعت الورقة فوق صدرى وأنا أقول : انظر جيدا . استقرت
عيناه فوق نهدي . ارتفعت الدماء الى وجهى . عنفت نفسى بشده .
.. اتخذنا توصيات بتشجيع الفلاحة عن طريق إدخال المضخات وحفر
آبار جديدة وتنظيم الري وتوزيع البذور وتوفير الحد الأدنى من الأدوات .

٩ يونيو

.. توحدت مجموعات صغيرة فى شمال عُمان مشكله «الجبهة الوطنية
الديموقراطية لتحرير عمان والخليج العربى» . الظاهر أن للمخابرات العراقية دورا ما فى
هذا التشكيل . يعرب عضو فى القيادة . أصدرنا بيانا اعتبروا فيه نضالهم امتدادا
لكفاح جبهة ظفار . وعدوا بالعمل على التحام المنظمين .

.. أول عمل لهم هو اغراق مسقط بمؤلفات ماو . ترك أحدهم عدة
حقائب مليئة بهذه المؤلفات لدى بائع حلوى فى مطرح . اكتشف البائع
محتويات الحقائب وخاف فألقى بها فى الشارع وتطايرت محتوياتها .

٩ يونيو

.. أصدرنا شهرية جديدة موسعة باسم «٩ يونيو» .
.. وصلتنا مقالات عبد الخالق محجوب التى اعترض فيها على قرارات
التأميم السودانيه . اتهمها بالارتجالية والجذافية . قال إن المصادرة فى هذه الفترة

تعتبر عقوبة اقتصادية على أصحاب المال من الرأسماليين الذين ما زالوا مدعويين للإسهام في خطة التنمية.

١٢ يونيو

.. شنت جبهة تحرير عُمان هجمات فاشلة على مراكز جيش السلطان والإنجليز في إزكي و نزوى على بعد بضعة أميال من أنابيب النفط .

١٥ يونيو

.. تم في إحدى هجمات نزوى أسر تسعة من الثوار بينهم أربعة قياديين . يعرب أحدهم .

١٦ يونيو

.. حملة اعتقالات واسعة في مطرح طالت الكثير من رفاقنا . لا أنباء عن يعرب .

.. ألف قتيل وجريح في الأردن . خلال الأسابيع الثلاثة السابقة نزلت القوات الخاصة التابعة للشريف ناصر قائد الجيش وخال الملك إلى الشوارع . نصبت الكمائن لرجال المقاومة واغتالت الكثيرين منهم . ثم هاجم الجيش بالمدفعية والدبابات مناطق السكن الفلسطينية ومكاتب المنظمات ومراكز المؤن . صمد الفدائيون أسبوعاً ثم طالبوا بإقالة الشريف ناصر فانصاع الملك . تم الاتفاق على وقف إطلاق النيران .

٢٠ يونيو

.. هل اعتقالات مطرح نتيجة اعترافات أدلى بها المقبوض عليهم في نزوى؟

٢٥ يونيو

.. أوشكنا أن نصطدم في الظلام بوحدة من رفاقنا في طريقها من القطاعين الشرقي والأوسط إلى معسكر الثورة من أجل التدريب . ضمت ١٦ من المجندين الجدد الذين قاتلوا لمدة سنتين في الميليشيا و جرت ترقيةهم في الشهر الماضي إلى العضوية التامة لجيش التحرير . حكى لنا قائد الوحدة عن كمينين اشترك فيهما : فاجأ في الأول وحدة من قوات السلطان تحاول التسلل إلى المناطق المحررة . في الثاني هاجم دائرية للعدو في طريقها من أم الجواريف إلى بئر سهلموت .

.. يعرب حر . الوحيد الذى أفرج عنه .

.. أقامت الجبهة مزرعة نموذجية . ستعقد بها دورات دراسية فى التقنية الزراعية لمجموعات من عشرين كادرا . مدة الدورة ثلاثة شهور .

.. أسقط الدفاع الجوى المصرى ست طائرات فانتوم وأخرى سكاى هوك .
اقترح روجرز على الفور العودة إلى وقف إطلاق النار .

.. عبد الناصر يعلن قبول مشروع روجرز . دار بيننا نقاش عنيف حول هذا الموقف . الأغلبية وأنا منها اعتبرته تهادنا وارتداء فى أحضان الأمريكان . رافع قال إن من شأن وقف القتال إتاحة الفرصة لتدعيم جبهة القتال كما أنه ينص على الانسحاب الكامل والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى .

.. الإيكونومست فى ١٨ يوليو : سعيد بن تيمور يمثل خطرا على أمن المنطقة واستقرارها .

.. الصحف الإيرانية تتحدث عن انقلاب وشيك فى عُمان بقيادة قائد الجيش .

١٤ يوليو

.. اجتمعت بالرفيق على (١٩ سنة) عضو وحدة رخيوت . يريد أن يتركنا . من يهرب من القتال يتعرض لعقوبة الإعدام . فلا يمكننا أن نسمح بفرصة اتصاله بالعدو . قال لى إنه يريد أن يسافر لجمع المال . قلت : نحن نسعى إلى تغيير نظام كامل وتحقيق فرص الكسب للجميع وأنت تريد أن تتركنا لتجمع بعض المال لنفسك ؟ . بكى . قال إنه يحب امرأة من نفس القبيلة كانت متزوجة من رجل لا تحبه ثم وافق على تطليقها . اشترط أن يرد والدها المهر (٤٠٠ ريال) . اتفق الرجلان أخيرا على أن يرد الأب نصف المهر نقدا . وعندما فاتحه الرفيق على فى الزواج من ابنته طلب ٤٠٠ ريال نقدا ونصف إبل وعشرين رأس ماعز . بالإضافة إلى ذلك يحتاج الى حوالى ١٣٠٠ ريال تكاليف ذبح بقرة عشية الدخلة وتقديم الأرز والشاى للمهنئين طيلة الأسبوع . وأخيرا شراء الهدايا من ثياب وعطور وكحول وشالات للعروس وأقاربها . قال أنه يستطيع تدبير كل هذا بالاستدانة ليتزوج لكن لا بد أن يسافر بعد ذلك كى يتمكن من السداد .

.. لا بد من إلغاء قانون المهر.

٢٣ يوليو

.. أنباء متضاربة من صلالة .

٢٦ يوليو

.. سقط الطاغوت .

.. أعلن قابوس اليوم أنه استولى على السلطة من أبيه. قال بالحرف:
«لاحظت في الماضي بقلق متزايد عجز أبي عن إدارة الأمور. والآن فإن أسرتي
وقواتي المسلحة قد أدت قسم الولاء لى . وقد غادر السلطان السابق البلاد
وسأكرس نفسي للإسراع بإنشاء حكومة حديثة».

مسقط

ديسمبر ١٩٩٢

ارتدى فتحي سترة خفيفة فوق قميصه الصيفي بينما بقيت أنا بالقميص والبنطلون وتخلفت شفيقة عن طقس الإشهار عند الباب لانهماكها في الصلاة .
قال وهو يدير محرك السيارة : هل سمعت عما حدث لسارة؟

قلت وأنا أثبت حزام الأمان : من هي ؟

- شغالة فيليبينية عمرها ١٦ سنة أحضرها مقاول عمال وألحقها بخدمة عجوز حاول الاعتداء عليها فقتلته . أطلقت عليه ٣٤ رصاصة . وأقر الطبيب الشرعي بحدوث الاغتصاب بطريقة وحشية . حكمت عليها المحكمة بالسجن ٧ سنوات ودفع ٤٠ ألف دولار لعائلة القتيل وأدانته في نفس الوقت وألزمت عائلته بدفع ٢٧ ألف دولار للفتاة كتعويض يتم خصمها من ال ٤٠ ألف دولار .

قلت : ليس هناك شيء في الصحف .

قال ونحن نخرج الى طريق الكورنيش ونتجه الى مسقط :

- الصحف لا تنشر هذه الأنباء . مئات الفلبينيات يهربن كل يوم من أماكن عملهن ويلجأن الى سفارتهن ويتم ترحيلهن . جئن هربا من الفقر وتجنبا للعمل في الدعارة فوقعن في العبودية . كالمستجير من الرمضاء بالنار . بالمناسبة ما هي الرمضاء ؟

حاولت أن أتذكر بلا جدوى .

بلغنا منطقة منعزلة تطل على البحر مباشرة أقيم فيها فندق أشبه بالحصن . تركنا السيارة وصعدنا سلما لم يلبث أن انقسم إلى جانبين . ارتقينا الجانب الأيمن وولجنا بابا في نهايته . كان ثمة حاجز خشبي مؤلف من مربعات فارغة بدت منها قاعة طويلة صفت بها الموائد .

قادنا نادل هندي الى مائدة في طرف القاعة تتوسطها زجاجة ويسكي ويتصدرها رجل متوسط الطول، ممتلئ الجسم، يرتدى الملابس التقليدية والى جواره سالم .

نهض الاثنان لتحيتنا ومد الفندى يده لمصافحتى . كانت له بشرة بيضاء
ولحية خفيفة تخللها الشيب . قال وهو يتفحصنى بامعان:
- مرحبا بك . نورت عمان .

صافحت سالم وجلست فى جانب المائدة الى جوار المضيف وجلس
فتحى فى الجانب المقابل . تولت خدمتنا فتيات شرقأسيويات يرتدين ملابس
أوروبية تغطى أجسادهن تماما ويتحركن فى حذر ورهبة . ولحظت أن المطعم شبه
خال . فلم يكن به إلاضافة الى مجموعتنا سوى مجموعة أخرى من ثلاثة شبان
عمانيين يحسسون البيرة وزوجين أوروبيين فى ركن قصى .
خاطبنى الفندى بابتسامة حرت فى تفسيرها:

- أرجو ألا تكون قد انزعجت لما حدث فى نزوى ؟ فتحى أكد لى أنك
لم تصب بأذى .

لم ينتظر إجابتى وأشار الى النادل كى يصب لنا الويسكى . اعتذر فتحى عن
الشراب بسبب القيادة مكثفيا بمياه بيريه . تبادلنا الأنخاب ثم وضع الفندى كأسه
على المائدة ووجه الى السؤال التقليدى:

- كيف الأحوال فى مصر ؟

لفظت الإجابة التقليدية : ماشى الحال .

سألنى : هل صحيح أن ليلى علوى ستتزوج ؟

ضحكت : لا أعرف . لم أنتبه للأمر .

قال : نحن هنا نعرف عنكم كل شىء . وقراء صحفنا يهتمون بأخبار
الممثلات المصريات . هل تعرف ماذا حدث فى مجلس الشورى عندنا منذ
شهور ؟ احتج عدد من الأعضاء من الشيوخ المتزمتين على أن الصحيفة اليومية
التي تصدرها وزارة الإعلام تنشر صور الممثلات والفنانات إلى جوار صورهم .
تعرف ماذا كان رد الوزير عليهم ؟ قال لهم : من الغد لن ننشر صور الشيوخ
الأفاضل بناء على طلبكم .

انفجر ضاحكا وشاركناه . فاستطرد :

- هل رأيت صحفنا ؟ ليس عندكم فى مصر صحف ملونة بعد . أما نحن

فالصفحات ملونة من مدة . هل لاحظت شيئا عند قراءتها ؟

تناول صحيفة ملقاة فوق المائدة وقدمها الى . أمسكت الصحيفة وبسطتها
ثم قلبت صفحاتها الملونة وهو يتأملنى باسماء.

قال مبتسما : انظر الى أصابعك .
رفعت يدي الى أعلى وأدريتهما وأنا أتأمل أصابعهما.
قال : ألم تلاحظ أنها نظيفة ؟

تبينت على الفور مايقصده . فلم تتلوث أصابعى من حبر الطباعة كما
يحدث عادة بعد تصفح الجرائد والمجلات.

شرح لى : اشتكى سيدنا من تلوث يديه بعد قراءة الصحف فاستحضرت
الوزارة آلة خاصة غالية الثمن لكن النتيجة تستحق كما ترى .

لم يتعسر على ادراك هوية السيد المقصود فأطريت الإنجاز الحضارى.

وزع علينا النادل الهندى قائمة الطعام التى جاءت فى مجلد سميك أشبه
بالكتاب . وقلبت صفحات المجلد فى عدم تركيز وأنا أتابع انضمام اثنين من
الشبان إلى الجالسين الثلاثة. كانوا جميعا فى الملابس التقليدية التى تراوحت
ألوانها بين الأبيض الأشهب والرمادى. وزودتهم الفتيات بزجاجتى نبيذ.

عاد النادل إلينا فطلبت كوكتيل روبيان وحساء البصل الفرنسى وكنت
على وشك أن أطلب روبيان مشوى عندما أصرالفندى على أن يطلب لنا جميعا
اللوبيستر .

سألنى :

- كيف وجدت عمان ؟

انتقيت كلماتى فى عناية وأنا أصف له انطباعاتى عن نظافة مسقط
بالمقارنة مع القاهرة وعن نظام المرور .

أمن على ملاحظاتى وأضاف :

- مشاكلنا كثيرة . أهمها أن عملية التحديث التى يقوم بها سيدنا
السلطان تسير بسرعة أكبر مما يحتمل مجتمع ما زال أسيرا للمعتقدات والعادات
القديمة . هل رأيت أصحاب اللحى ؟ رد فعل طبيعى.

رفعت عينى الى مستنسخات الخرائط القديمة لساحل عمان التى زينت
الجدران فى اطارات خشبية .

استطرد: نحن دولة حديثة بكل معنى . هل تعرف اننا لم نضع بعد نظاما للتقاعد ؟

حذق في منتظرا استفسارى عن السبب ففعلت . بسط ساعديه وقال بلهجة من يملك حل اللغز: لأنه لا يوجد بين الموظفين من بلغ سن التقاعد.

رفع كأسه الى شفتيه ثم أعاده قبل أن يحتسى محتوياته وقال: المشكلة أن عدد السكان قليل والإمكانات ضعيفة.

قلت : يمكننا أن نبعث اليك بمليون مصرى .

تجهم وجهه ورفع الكأس الى شفتيه متشاغلا بالشراب فتدخل سالم فى الحديث :

- نحن الآن ندخل عصرالجامعة بسرعة . فى العام الماضى تخرجت أول دفعة من جامعة قابوس . فى الوقت الذى لا نملك فيه عددا كافيا من أصحاب الثقافات الوسطى التى نحتاج إليها فى هذه المرحلة ...

قاطعه الفندى فى حدة : العماني يأنف من الأعمال اليدوية وحلم الشاب منهم أن يحصل على شهادة جامعية ليجلس إلى مكتب فى وظيفة حكومية .

ارتفعت أصوات النقاش الحاد من المائدة الأخرى فلوى الفندى شفتيه ازدراء وقال :

- شعراء .

وأضاف مخفضا صوته: الذى يجلس فى المواجهة لا مهنة له لكنه ينشر بعض القصص والمقالات بين الحين والآخر ويعتبر نفسه مثقفا كبيرا. والصبي الذى إلى جانبه شاعر. والملتحى شاعرآخر. ويليه أردنى يتولى تدريس الأدب فى الجامعة. والذى فى الطرف واحد من التعساء الذين خدعتهم الشيوعية وحصل على دكتوراه ما من إحدى جامعاتهم . وهو شاعر أيضا . كل العمانيين شعراء إلى أن يثبت العكس .

لم أتمالك من الالتفات الى سالم لكن وجهه ظل كعادته من غير تعبير . أشار الفندى للنادل كى يصب لنا جولة أخرى من الويسكى واستطرد :
- ستجدهم هنا كل ليلة. وهم لا يكتفون بالشراب ونظم الشعر فينتقدون ويتذمرون ويشكون ولا يعجبهم العجب .

والظاهر أن الشاعر الملتحي أفرط في الشراب أو أراد أن يؤكد مقولة مضيفنا، فقد نهض فجأة واقفا ووجه كلاما لاذعا في حدة بالغة إلى المثقف الكبير الذي لا مهنة له وهو يشير إلى طبق به حبات من الخيار.

تدخل الآخرون لتهدئته لكنه أشاح بيده وأعلن أنه سينصرف . وقبل أن يتعد صاح وهو يلوح بيده شاملا إياهم جميعا :

- أنتم لا تجيدون غير الكلام والخنوع .. كلكم .. كلكم ..

ران الصمت على المطعم والتفت الأوروبيان في فضول ثم استأنفا حديثهما . ورأيت النادل الهندي يقف على مبعده بوجه أصم . وكالعادة لم يكشف وجه سالم عن شيء . أما الفندي فقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة .

قال : لا أعرف ماذا يريدون . اننا نتقدم بخطوات واسعة في مجال الديمقراطية . في الشهر الماضي السلطان أعطى لمجلس الشورى صلاحيات واسعة في مجال التشريع والرقابة . وبالفعل قدم أعضاءه استجابا لوزير الاعلام عن أسباب إعاقة استقبال البث التلفزيوني من بقية الدول الخليجية .

سألت : وماذا كان رده ؟

- قال لهم إن مهمته هي دعم الارسال العُماني ولا شأن له بارسال الدول

الأخرى .

انفجر ضاحكا وهو يضيف : وزير دبلوماسي تمام .
انصرف الشاب في اندفاع ولم يلبث أصدقاؤه أن استأنفوا الحديث في هدوء . ووجه الفندي حديثه الى مستفسرا : هل ذهبت إلى مكان آخر غير نزوى والحمراء ؟

أجبتة بالنفي فقال :

- لا بد أن تذهب إلى الجنوب . ظفار . انها جنة على الأرض . جبال هائلة الارتفاع تغطيها الغابات وعيون الماء ودرجة حرارتها معتدلة طول السنة . هل يوجد مكان مثل هذا على ظهر الأرض ؟ لا بد أن تراها . إنها منطقة الأحقاف التي جاءت في القرآن . وبها قبور الأنبياء هود وأيوب وصالح . كما إنها المنطقة التي عاش بها قوم عاد وثمود . أعرف أن هذه أمور لا تهملك (وابتسم في خبث) لكن لا بأس من معرفتها .

قلت بلهجة عادية : ألم تكن بها ثورة منذ سنوات ؟
تغيرت ملامح وجهه وأشاح بيده فى حسم :

- مجرد عبث أطفال من عملاء الشيوعية . الأمن الآن مستتب هناك تماما
كما سترى بنفسك . اسمع . سأدبر لك الزيارة . سيذهب معك سالم أو زكريا .
- لا داعى . يمكننى أن أذهب بنفسى .
قال : لا بد من ان تحصل على تصريح سواء ذهبت بالبر أو الجو .

رأيت النادل يضع زجاجتين من النبيذ فوق مائدة الشعراء . ولمحت
المثقف الكبير يضع ذراعه على كتف جاره الشاب ويتحسس خده بأنامله . لم
يستجب هذا للمداعبة وأبعد ذراع رفيقه ثم تناول إحدى الزجاجتين وصب
محتوياتها خلصة فى علبه بييرة فارغة دسها فى جيب دسداشته .

سألنى الفندى : ماهى آخر نكتة فى مصر ؟
رويت له نكتة توزيع الميزانية فضحك بشدة ثم قال :

- اسمع هذه النكتة عن العراقيين . داهم جنودهم بيتا فى الكويت ونهبوه
وبينما هم فى طريقهم للخارج سألتهم سيدة البيت متعجبة : هادا بس ..وين
الأغتصاب ؟

ضحكنا فاستطرد : أثناء التدريب سأل ضابط عراقى جنديا : لوجاءك العدو
من الأمام تعمل ايه ؟ قال أضربه بالبندجة . طب لوجاءك من الجنب ؟ قال
أضربه بالبندجة . واذا جاء من الخلف ؟ قال الجندى : هادا ما عدو . هادا صديق .
استقر صحن اللويستر أمامى فتأملته طويلا . لم أكن على ذراية بطريقة
التعامل معه . انتظرت حتى رأيت الفندى يهاجمه بملعقة فحدوت حدوه .

لحظت أن محتويات زجاجة النبيذ الثانية على مائدة الشعراء انتقلت إلى
علب البييرة . ولم أرهم يأكلون شيئا . وكنا تشرب القهوة عندما سمعت النادل
الهندى يبلغهم بأن موعد الإغلاق حان فنهضوا متثاقلين . ورأيت بقعة حمراء
كبيرة على ثياب الشاب الذى وضع علبه النبيذ فى جيبه .

غادرنا المطعم بعد قليل . ولاحظت أن مضيفنا لم يدفع شيئا أو يوقع فاتورة

ما .

ووجدنا الشعراء بجوار الصخور المطلة على البحر ومعهم زميلهم الملتحي
الذى انصرف نائرا قبلهم.

كان ما زال يغمغم فى غضب . وعندما اقتربنا منهم التفت ناحيتى وبصق
فوق الأرض.

تجاهلنا جميعا الأمر وصافحنى الفندى مودعا وهو يقول :

- أنت تعرف أين تجدنى إذا قررت الذهاب إلى الجنوب .

اتجه الى سيارته برفقة سالم وتبعته فتحى إلى سيارته.

قال وهو يربط حزام الأمان:

- لا بد أن تذهب . هذه فرصة.

خطر لى فجأة أن كل من ألقاه يلح على ذهابى إلى ظفار. وكنت متأكدا

أن شفيقة ستحثنى هى الأخرى على السفركى تتخلص من وجودى بعض الوقت.

صلاة

ديسمبر ٩٢

* * *

وصلنا المطار بعد أن اكتمل صعود الركاب الى الطائرة . وقال لنا أحد العسكريين :

- الطائرة أغلقت أبوابها وستقلع بعد نصف ساعة.
احتج زكريا بأن لدينا مواعيد فى صلاة.
قال العسكري بحزم : تعالوفى الواحدة لطائرة بعد الظهر.

جرب زكريا كل أنواع التبريرات والتوسلات التى نعرفها فى مصر. وعلم الرجل أنى مندوب فوق العادة لو كالة الأنباء المصرية وأنى صديق شخصى للوزير، وأنى وأنى . وتحدها زكريا أن يتصل مباشرة بوزارة الإعلام ليتثبت من مزاعمه. وعندما بدت عليه ملامح التردد عرفت أننا سنكسب الجولة.

طلبوا منا بعد قليل الذهاب إلى جناح ال فى أى بى. استقبلنا قائد عسكري عند المدخل وبرفقته جندي سمراء فى بلوزة رمادية وجوبية سوداء طويلة وغطاء رأس رمادى . طلب الينا أن ننتظر قليلا فى قاعة مجاورة فاتجهنا إليها فوق سجادة حمراء. وبعد قليل انضم الينا رجل وامرأة فى الملابس الأوروبية وحدثت أنهما عربيان . ظهر القائد بعد لحظة عند المدخل وأبلغهما أنه لا بد من التفريق بينهما اذ يتعين أن تذهب المرأة الى القاعة المخصصة للنساء .

احتج الرجل الذى تبينت من لهجته أنه لبنانى بأن المرأة زوجته .
قال القائد فى حرج : ولو . هذه هى الأوامر .

استنكر زكريا إصرار الرجل على بقاء زوجته معنا وهمس لى وهو يتأمل
حقيقية يدى :

- اللبنايون ليست لديهم نخوة.

انفصل الزوجان ومرت دقائق ثم ظهر القائد من جديد وأشار لنا أن نتبعه .
غادرنا المبنى الى أرض المطار وتقدمنا من طائرة دى سى . كانت الى جوارها
سيارة مرسيدس سوداء هبط من مقعدها الخلفى رجل مهيب يرتدى الدشداشة
البيضاء والخنجر والصنديل والكمة. صافح اللبنانيين وانتظرحتى صعدا سلم الطائرة
وأنا وزكريا فى أعقابهما ثم استقل سيارته وانصرف .

أغلقت أبواب الطائرة بمجرد صعودنا اليها وأجلسنا المضيفون الأسيويون
أمام جدار يفصلنا عن كابينة القيادة مباشرة. تطلعت خلفى إلى الركاب الذين
تكدسوا فى صفوف متلاصقة. كان البعض يرتدى سترات أوروبية فوق الدشداشة
الوطنية. وأغلبهم ينوؤن بأحمال متنوعة من السلال واللفائف.

مسح زكريا دموعه وقال ونحن نربط الأحزمة:

- قبل الثورة كان السفر من مسقط الى ظفار يتم فوق ظهور الدواب
ويستغرق ١٨ يوما .

تساءلت فى سذاجة : أى ثورة ؟

ابتسم ابتسامته الغريبة وقال : ثورة سيدى قابوس طبعاً .

انطلقت الطائرة فوق الممر المخصص لها استعدادا للإقلاع فشرع يحرك
شفتيه بسرعة ثم أخرج من جيب دشداشته مصحفا صغير الحجم قلب صفحاته
حتى استقر على إحداها وانطلق يقرأ بصوت منخفض. قدرت أنه يقرأ سورة يس إذ
كان أبى يشيد بفعاليتها فى الملمات.

حلقت الطائرة أخيرا وبعد أن استقرت فى مسارها بعض الوقت أغلقت
المصحف وأعادها الى جيبه .

قلت فى محاولة للتواصل : ما زلت لا أصدق أنى أرتدى قميصا صيفيا فى
نهاية ديسمبر .

قال :

- هل لاحظت أن ترتيب الفصول عندنا يختلف عنه عندكم ؟ نحن الآن
فى نهاية فصل الربيع سيعقبه بعد أيام فصل الشتاء حتى مارس ليبدأ الصيف مباشرة
وبعد الخريف .

سألته عن موطنه الأصلي . قال إنه من صحار التى تعلق مسقط .

- وأين درست ؟

- فى البحرين . ثم باكستان .

بدا عازفا عن الحديث إذ أخرج مصحفه وانتقى صفحة مطوية الطرف واستغرق فى القراءة بصوت هامس يعلو بين الحين والآخر .

وصلنا صلالة بعد ساعة ونصف . وجدنا فى انتظارنا سيارة لاندروفر حكومية أقلتنا فى طريق تحف به الأراضى الخلاء والقصور المسورة الغامضة . سرنا طويلا بجوار سور مرتفع لا يكشف عما وراءه . كان أعلاه مزخرفا بنسق هرمى يتدرج صعودا إلى قمة بارزة ثم يهبط من جديد بنفس عدد الدرجات .

استفسر زكريا من السائق عن المكان فقال إنه قصر لأحد الوزراء . مضت برهة وعندما لم نستزده انطلق يتحدث من نفسه عن القصر . وعلمنا أنه اعجوبة من الداخل . وعمل به أكثر من ستين قاطع رخام وحجار . وبه نجف مستورد من مصر وحمامات كاملة مستوردة من انجلترا وتكييف مركزى . وأن الأبواب الداخلية حفرت عليها نقوش دقيقة تولها فنيون مخصوصون من الهند .

اخترقنا دوارا رئيسيا واتجهنا يسارا . مررنا بقصر السلطان وبعده بيوت قديمة مبنية بالطوب اللبنى المغطى بالجص ويتألف بعضها من عدة طوابق اختفت نوافذها المقوسة خلف ستائر خشبية على طريقة المشربية . ولحظت أثر العمارة الهندية فى المصاريع الخشبية المحفورة بإتقان والمثبتة إمافى الطرف الأسفل من النافذة أو فى وسطها . وتجلى التأثير الأفريقى فى الألوان الحمراء والصفراء الساطعة التى ميزت بعض المصاريع .

صحبتنا صفوف من أشجار جوز الهند حتى بلغنا فندق الهوليداي إن على شاطئ المحيط الهندى .

علق زكريا على الكرات الحديدية الضخمة البيضاء الشكل التى زينت مدخل الفندق قائلا :

- إنها أحجار من الجبل تشكلها الرياح .

حمل فتى هندى حقائبنا واحتفظت بحقيبة يدي معلقة فى كتفى . تناولنا فناجين القهوة المعهودة فى المدخل ثم اتجهنا الى مكتب الاستقبال . وكدت أعتقد أننا النزيلان الوحيدان إذ كان الهدوء شاملا ولوحة المفاتيح حاشدة .

أعطاني زكريا بطاقة الطائرة الخاصة بي فدستها في حقيبة يدي ووضعها فوق سطح المكتب . ثم أخرجت منها جوازي وسجلت بياناته في أوراق الفندق.

قال لي زكريا وهو يبتسم ابتسامته العجيبة :
- المكالمة التليفونية هنا تكلف خمسة ريالات .
يحذرنى من استخدام التليفون أم يعتمد إهاتى ؟

حصلنا على مفاتيحنا من موظف هندي، وانحيت لأحمل حقيبتى الكبيرة فمد زكريا يده الى حقيبة يدي ليحملها عنى . جذبتها بعيدا عن يده وأسرع الفتى الهندي فحمل الحقيبة الكبيرة الى المصعد وتبعته الى غرفتى بالطابق الأول.

ألقيت بحقيبة يدي فوق الفراش بعد انصراف الفتى وأجلت البصر حولى . كانت الغرفة رحة يتكون جدارها المواجه للباب من نافذة عريضة وشرفة تطل على حديقة الفندق . وشغل الفراش مساحة كبيرة وسط الغرفة بجوار مقعد ثقيل بمسندين ومكتب . تفقدت الحمام المجاور لباب الغرفة وعدت الى وسطها . أجلت البصر حولى مرة أخرى وتأملت جهاز التليفزيون المواجه للفراش ثم تقدمت من المقعد وأزحته . استخرجت الكيس الذى يضم اليوميات من حقيبة يدي ورفعت حافة السجادة ثم دسسته أسفلها وبسطت السجادة وأعدت المقعد مكانه .

كان حلا ساذجا لن يصمد أمام محترف مسلح بالوسائل التكنولوجية لكنه قد يفيد مع خادم فضولى .

اغتسلت واستبدلت قميصى وغادرت الغرفة . هبطت الدرج الى ممر هادئ ثم مضيت مسافة بجوار المطعم الى البهو حيث ينتظرني زكريا .
ابتدرني قائلا : لا بد أنك عطشان .

لمحت قاعة تدعى «الخريف كوكتيل لونج» وتخيلت زجاجة بيرة مثلجة . لكنه قادنى إلى قاعة أخرى تعلن لافتتها عن «الخريف كوفى شوب» . وأحضر لنا النادل الهندي ثمرتين من جوز الهند . أزال قشرتهما الخارجية بسكين طويلة وأحدث فى كل منهما ثقباً دفع فيه بأنبوبة ماصة من البلاستيك الملون . استطعت مذاق ماء الثمرة البارد .

علق : الظفاريون يزعمون أن من يشرب ماء جوز الهند مرة يعود إلى صلالة مرة ومرة .

قلت إننا نقول نفس الشيء عن ماء النيل .

أتيت على محتويات الثمرة واحتفظت بها بين يدي و تطلعت الى لحمها الأبيض حائرا . سألته عما أفعله بها . فقال : لا شيء . ارمها . أعدتها الى الصينية وأنا أتأمل لحمها الأبيض باشفاق متذكرا طعمه اللذيذ .

غادرنا الفندق وانطلق بنا السائق في طريق مواز للبحر يحمل اسم السلطان قابوس حتى مقر والى المدينة . ولجنا غرفة مخصصة لإدارة العلاقات العامة بها مكتبان يجلس خلفهما شابان بالملابس التقليدية . كان أحدهما أسود اللون والثانى طويل القامة نحيفها مكتئب الوجه يدعى خلف . ورحبا برفيقى عن معرفة قديمة .

أخذنا خلف فى جولة بالسيارة شهدنا خلالها مدينة متكاملة واسعة بمنازل متعددة الطوابق ومعارض سيارات ومطاعم وثلاث دورللسينما ومستشفى يحمل اسم قابوس ومدرسة داخلية ابتدائية تحمل اسمه أيضا .

قال خلف : هذه المدرسة مخصصة لأبناء الشهداء ، يأخذ التلاميذ مصروفا شهريا أثناء الدراسة .

انتبهت بعد قليل : أى شهداء ؟

قال : شهداء المعارك التى دارت هنا فى ظفار .

لم يكن من العسير تحديد الجانب الذى استفاد شهداؤه من المدرسة .

مررنا بمبنى الأذاعة والتليفزيون وبمصنع لتعليب الأسماك وآخر للأسمنت . وذكر خلف أن هناك مصانع أخرى لتعبئة الموز واللبن وبيسى كولا وسفن أب .

مؤن السائق السيارة من محطة خدمة تابعة لشركة شل ثم أخذنا الى السوق المركزى . ترحلنا فى الخارج وطفنا بأنحائه . توقفت أمام منتجات جوز الهند ومشغولات الرعاة من أهل الجبل . وكان هؤلاء يتجولون شبه عراة كاشفين عن أجساد شديدة السمرة وعضلات بارزة ورؤوس ذات شعر كث شديد السواد .

طلب زكريا أن نرى آثار ناقة النبى صالح فغادرنا السوق وقادنا السائق إلى صخرة صلدة تحمل أثرا واضحا لخف غائر وأصابع مفلطحة .

قال خلف : كانت هذه الصخرة سقفا لإحدى المغارات ثم سقطت عندما سارت عليها الناقة .

سألت : متى كان هذا ؟

قال زكريا : فى زمن الأنبياء .

حاولت أن أتذكر ما يميز النبى صالح بين رفاقه . استفسرت من زكريا فقال :
- انه النبى الذى عجز عن هداية قومه .

جذبني من ذراعى وابتعدنا قليلا وأضاف بصوت هامس :

- خلف من الشجرة وهم ينحدرون من نسل القبيلة التى عقرت ناقة النبى صالح . كانت تزود الناس باللبن والعسل والنبيد وعندما عقروها عاقبهم الله بإرسال جحافل النحل عليهم فالتهمتهم . هم الآن فى منزلة الخدم .

انضمنا الى خلف وركبنا السيارة التى اتجهت غربا . تجلت لنا مساحات خضراء شاسعة تتخللها شجيرات متناثرة . ولاحت من بعيد بضع غنمات وجمل يسير وحده فى بطاء .

بدأ الطريق يصعد ولم تلبث السيارة أن انحرفت إلى أجمة مليئة بالأغصان . توقفت الى جوار شجرة تتفرع أغصانها رأسا فوق سطح الأرض وترتفع حوالى ثلاثة أمتار بأوراق خضراء داكنة تشبه أوراق شجرة الزيتون . هبطنا من السيارة وأخرج السائق مطواة أزال بها جزءا من اللحاء . ولم تلبث المنطقة العارية أن بدأت فى إفراز سائل مثل اللبن .

قال : لو تركناها هكذا ستستمر فى الإفراز وبعد أسبوع تكون لدينا كرية صغيرة من اللبن .

تنافس الثلاثة فى تثقيفى بحضارة اللبن . فعلمت أن المصريين القدماء استخدموه فى التحنيط وكان له طريق برى يمتد حتى سواحل البحر الأبيض وآخر بحرى حتى أطراف آسيا . وكان بخورا مقدسا فى المعابد والكنائس ولا زال يستخدم فى البيوت لطرد الأرواح الشريرة والحشرات السامة .

قادنا خلف الى خيمة كبيرة الحجم على بعد خطوات جلس فى مدخلها رجل أسمر خمسينى بلحية خفيفة وعينين تبرقان دهاء . رحب بنا عندما رأى خلف وإن لم يبد إشارة الى أنه يعرفه .

أشار لنا خلف أن نقتعد الحصيرة التايوانية الملونة التى جلس الرجل فوق

طرفها محتضنا راديو ترانزستور. تأملنى بامعان ولمعت عيناه المكحولة عندما ذكر له خلف أنى مصرى . قام على الفور الى ناقة بركت على مقربة وملاً قصعة معدنية من لبنها ثم قدمها لى. تأملت القصعة التى علتها الرغاوى مترددا لكن خلف شجعنى على الشرب ففعلت .

قال الرجل موجهها الحديث لى : اشرب . تحيا القومية العربية .

بدا الشعار غريبا فلم يسمعه أحد من مدة طويلة . ونظر الرجل الى خلف نظرة سريعة ثم استطرد موجهها الحديث لى وهو يبتسم ابتسامة عريضة:
- صوت العرب من المحيط الى الخليج يناديكم.

أبديت دهشتى فعلق :

- أى نعم . نحن نعرف كل شىء. جونسون حمار ونيكسون زعيم الامبريالية وجمال عبد الناصر بطل العروية.

تعجبت من جرأته فهذه العبارات التى كانت مألوفة فى الستينيات كقيلة اليوم - فى كل مكان تقريبا من المحيط الى الخليج - بأن تقود صاحبها الى السجن.

لم يعلق خلف أو زكريا بشىء بعد أن تركنا الرجل. ولاحظت أن خيمته تقع فى بداية الطريق الى الجبل. فهل وضع هنا عن عمد ليكون فى استقبال الزوار ويقدم لهم الدليل الحى على سماحة النظام أم هو ملتاث يعيش على الذكرى ولم يسمع حتى بكارتر أو بوش ؟

عدنا إلى السيارة وواصلنا الصعود فى طريق وعر. ولاحظت تدرج الألوان فى أغصان الأشجار: اللون الأخضر عند القواعد يليه اللون الأصفر والبرتقالى فى الوسط ثم البنى الداكن فى أوراق الأغصان العليا . وفى القمة تبدو الأغصان عارية من الأوراق التى تجمعت على الأرض حول الشجرة. كأنما جمعت الشجرة فى غضونها كل فصول السنة الأربعة.

ولجنا ساحة ممهدة يتوسطها مبنى حديث عبارة عن مطعم سياحى يحمل اسم النبى أيوب. تناولنا الغذاء على حساب التراث ولهذا لم يعبأ أحدنا بالأسعار الباهة. ركزنا أنا وخلف والسائق على السالمون الاسكتلندى المدخن والروبيان المشوى والمقلى واكتفى زكريا بطبق غريب من قطع الدجاج مع الأناناس والأرز.

مضينا بعد الغذاء مشيا على الأقدام الى ضريح النبي أيوب الذي شيد على شكل مستطيل طليت جدرانه باللونين الأبيض والأخضر . خلعنا الأحذية ودخلنا قاعة فرشت بالسجاد وعلقت الآيات القرآنية بجدرانها وتوسطها جسد عملاق مغطى بقماش أخضر اللون. كان طوله ستة أمتار تقريبا ويكاد يملأ المكان مخلفا مساحات ضيقة في الجوانب امتلأت بخزانات صغيرة للكاتب ومساند شرقية وحملات خشبية للقراءة.

تطلعت في فضول الى الجسد الأسطوري المسجى . وعلق خلف على ما دار برأسي من تساؤلات قائلا:

- كان هناك في القديم عمالقة.

- بهذه الأحجام؟

- انتظر حتى أريك قبر النبي عمران الذي يبلغ طوله أكثر من ثلاثين مترا بالتمام والكمال . تعرف قصة النبي أيوب بالطبع؟

كنت أعرفها بالتأكيد فقد لقنونا إياها في الصغر. لكن التفاصيل ضاعت في زحمة قصص أخرى . ومضت برهة قبل أن أمسك ببعض الخيوط: بدأ الأمر بصاعقة أحرقت مخازن الغلال والأشجار ومزارع الكروم. وتبعها زلزال ثم ريح عاتية حملت الطاعون الذي قضى على الماشية. وأصيب النبي فانتشرت القروح فوق جسده وتقيحت وامتلأت بالدود فنفر منه الجميع: زوجته وأقاربه وأصحابه. لكنه صبر على ما أصابه ولم يفقد إيمانه لحظة واحدة.

لم يسبق أن تمعنت القصة أو فكرت في مصداقيتها. ولم أملك أن أتساءل الآن: هل هو حقا المسجى أمامي؟ وهل تعرض حقا لكل هذا العذاب؟ وهل آمن فعلا كل هذا الإيمان؟ وهل يجعل منه هذا انسانا أفضل؟

قال خلف ونحن نستدير نحو الباب :

- المتزوجون حديثا يأتون دائما إلى هنا.

المكان الملائم لبدء المسيرة.

انحنيت لأرتدى حذائي ولمحت رجلا شديد السمرة يجلس مطأطئ الرأس أمام المسجد المجاور. كانت القروح والندوب تغطي صدره العارى . ركبتنا السيارة ومضينا صعدا في الطريق المرصوف . امتدت الخضرة أمامنا

إلى مالا نهاية يخيم عليها الصمت . ولاحث من بعيد مجموعة من البيوت تتحرك حولها أبقار . وهنا وهناك انتصبت خيام متباعدة من ألوان مختلفة .

قال خلف بصوت رتيب مجرد من الحياة :

- حتى الثمانينيات كانت هذه الأراضي تزرع على أيدي الفلاحين ، ومع انتشار الحياة المدنية وارتفاع الرواتب التي تدفعها الحكومة ، هجر الفلاحون الوادي وتركوه للأعشاب البرية وقطعان الماشية ، والقادر منهم استأجر هنودا لزراعتها بل وللرعى أيضا .

اقتربنا من انحناءة حادة في الطريق ولم يغير السائق من سرعته لكنه ما لبث أن ضغط بقوة على الفرامل وأطلق صيحة استياء . فقد ظهرت أمامنا شاحنة بيك آب تتبع قطيعا من الأبل يتقدم على مهل في عرض الطريق .

تبعنا القطيع في بطاء حتى بدأ يستدير الى طريق جانبي وسط الخضرة وتبعته الشاحنة .

دبت الحياة في سائقنا و ضغط على المسرع وهو ينقل السرعة واندفع مواصلا الصعود . أبدت دهشتي من احتكار القطيع والشاحنة للطريق . وعلق خلف :

- التفاهم مع رعاة الجبل صعب .

تساءلت : أين هم ؟

قال وهو يبتسم لأول مرة : آه . كنت تتوقع راعيا يحمل عصا ويمشي على قدميه ؟ لم يعد هذا الصنف موجودا . الرعاة الآن يستخدمون الشيفروليه والتويوتا .

لاحث لنا خيمة كبيرة فوق إحدى القمم فاتجهنا إليها . وجدتها مكدسة بأكياس الأرز والدقيق والسكر وصناديق الشاي والصابون وصفائح السمن وغيرها . وعرفت من صاحب الخيمة الباكستاني أن طائرات الهليكوبتر الحكومية تنقل له هذه المواد من صلالة ليبيعها لأهل الجبل بنفس أسعار المدينة .

خطوت جانبا وأخذت أتأمل الطبيعة الغنية من حولي . ولمحت في أعلى قمة جبلية مجاورة سورا حديث البناء ظهر خلفه رجال في ملابس عسكرية خضراء . استفسرت من خلف فرفع رأسه الى أعلى وتطلع الى السور ثم قال :

- هذا واحد من المراكز الإدارية التي أقامتها الحكومة فوق الجبال . كل واحد يضم مسجدا ومدرسة ومكتب بريد وعيادة طبية ومركزا تجاريا .
 بدا لى ما وراء السور أقرب الى الشكنة العسكرية . رمقت خلف بطرف عيني فلمحت فى عينيه المشرعتين الى أعلى شيئا من الرهبة أو الخوف .
 سألته : هل يمكننا أن نصعد اليهم ؟
 قال وهو يستدير متجها إلى السيارة :
 - لا أظن أنهم يرحبون بالزائرين .
 أضاف السائق وهو يدير السيارة فى طريق العودة كأنما يعينى على الفهم :
 - هذه المنطقة كانت مشتعلة بالفتنة والتمرد .

*** ٢

نمت فى عمق لأول مرة من زمن واستيقظت مبكرا . استمتعت بحمام ساخن طويل وبمياه الدوش الدوآرفوق أماكن الألم فى عنقى وظهرى .
 لم أجد رغبة فى أن أتناول إفطارى مع زكريا فطلبت خدمة الغرف . لم يرد على أحد وتنقلت بينها وبين الاستقبال عدة مرات الى أن جاءنى صوت يتحدث الانجليزية بلهجة هندية . كرر إحدى العبارات إلى أن فهمت أنه يستفسر عن نوع الإفطار الذى أريده : كوتيننتال أم شرقى أم أمريكى . اخترت الشرقى الذى يتألف من الجبن الأبيض والبقول المدمس واللبننة .

سألنى : شاي أم قهوة ؟
 أحب أن أشرب الشاي مع الافطار ثم أتبعه بعد قليل بفنجان من القهوة .
 واختصارا للوقت طلبت الاثنين معا .

كرر: شاي أم قهوة ؟
 قلت : شاي وقهوة .
 كرر بصبر نافذ: تى أور كوفى سير ؟
 قلت : تى آند كوفى .
 صمت برهة ثم قال : ثانك يو سير .

دق الباب بعد ربع ساعة وفتحته لشاب هندي يحمل صينية عليها عصير
جريب فروت وكرواسون ومربى ودورق قهوة . قلت بالانجليزية :
- ليس هذا ما طلبته .

قال : ييس سير .

قلت : خذه إذن واحضرنى الإفطار الشرقى .

قال وهو يضع الصينية على المكتب :

- ييس سير .

قدم الى الفاتورة لأوقعها كأنما لم أقل شيئا . يعست من المجادلة
فاستسلمت ووقعت .

نزلت الى البهو بعد الإفطار . أعطيت موظف الاستقبال الهندي مفتاح الغرفة
وانتظرت حتى أودعه مكانه فى لوحة المفاتيح . كان الصندوق الخاص بى خاليا من
الرسائل . سألته عن زكريا فhez رأسه بالحركة التقليدية وقال :
- « الرفيج » فى السيارة .

هكذا أصبح الملتحى رفيقا على يد الهندي بعد سقوط الاتحاد السوفيتى .

وجدت زكريا ينتظر فى سيارة داتسون . قال وهو يمسح دموعه :
- سنذهب أولا الى المكتب لناخذ اللاندروفر . أمامنا رحلة طويلة الى
شيبور التي اكتشفوا تحتها مدينة أثرية منذ شهور . قلعة بسبعة أبراج يعود تاريخها
الى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد . إنها مدينة إرم التي جاء ذكرها فى القرآن ودفنها
الله تحت الرمال عندما غلبت الشراة والطمع أهلها نتيجة ثرائهم .

- ومن اكتشفها ؟

- الأثرى البريطانى المعروف سير فيينس . خدم هنا فى القوات البريطانية

أثناء ثورة ظفار .

قلت : عجيبة .

قال : أليس كذلك ؟

قلت : أنا أقصد هذا السير فيينس . وقبله موشيه دايان وآخرون . ما الذى

يجذب الجنرالات الى الآثار ؟

استقبلنا خلف فى سترة أوروية فوق دشاشته . وأبلغنا بأننا سنذهب الى منطقة أخرى لأن المنطقة الأولى أغلقت.

قال وهو يقدم الى صحيفة اليوم :

- الاكتشافات الآن على قدم وساق . السنة الماضية اكتشفنا فى جنوب ظفار آثار عمرها ٣٥ مليون سنة : أسنان وبقايا فيلة وقردة وتماسيح وأسماك وسلاحف وقوارض.

- معقول ؟ هذا يجعلها أقدم من آثار الفيوم عندنا التى تعتبر أقدم حفريات فى العالم .

ابتسم فى سعادة : طبعاً . راحت عليكم كما تقولون .

ألقيت نظرة على الصحيفة فوجدت النصف الأعلى لصفحتها الأولى مخصصاً لمؤتمر قمة مجلس التعاون لدول الخليج تحت عناوين ترحب بالإدارة الأمريكية الجديدة وتشيد بدور بوش فى تحرير الكويت . كانت هناك صورة ملونة للسلطان بلحيته البيضاء المميزة فى مقعد ضخم مذهب وأمامه العلم بألوانه الأزرق والأبيض والأحمر . وتجلى فى صورة أخرى بعباءة زرقاء مذهبة الحواشى كشفت الخنجر الفضى فى جانبه الأيمن والى جواره أمير بوجه ثعلبى وآخر قصير القامة علق خنجره الذهبى فى منتصف البطن تحت السرة مباشرة .

تمعنت فى عينى السلطان اللتين أوحى نظرتهما بالجدية والصرامة . قلبت الصفحة فطالعتنى صورة ثالثة له مع رجل ممتلىء فى عباءة تكشف عن الخنجر ونظارة سوداء عريضة بين حاجبين ناصعى البياض وشارب من نفس درجة اللون . بدا لى الوجه مألوفاً لكنى لم أتذكر أين رأيته من قبل . وكان الاسم المذكور أسفل الصورة هو «الحارث بن عيشة» .

تذكرت إشارة فى موسوعة السلطان قابوس للأسماء التى تنتسب الى الأم . وأوضح لى خلف أنها عادة قاصرة على بدو الصحراء .

قلت : لعلها كل ما تبقى من أيام السلطة المطلقة للمرأة .

انتهزت الفرصة وأضفت : ألا يوجد هنا نشاط نسائى ؟ سمعت عن جمعية للمرأة .

قال خلف بصوته المجرد من الحياة :

- عندنا في مرياط مركز للتأهيل النسوي أنشأته السيدة الجليلة أم السلطان .
إذا أحببت نأخذك لزيارته .

صحبتنا زميله الأسود هذه المرة وانطلقت بنا السيارة إلى شارع قابوس ثم اتجهت يمينا نحو المحيط . وبعد فترة أقبلنا على خليج صخرى مهجور، تتوسطه أطلال مندثرة تمتد حوالى نصف كيلومتر، وتتألف من أحجار بناء أكسبها الزمن لونا كايا كايا .

قال بلال : هذه المنطقة تسمى «البليد» باللهجة الجبالية ومعناها بالعربية البلد . كانت ميناء زارها ماركو بولو في ١٢٩٥ ، وابن بطوطة بعده بثلاثين سنة . رحمه الله فقد وصفها بأقذر مكان في العالم وقال إن البعوض يغطيها وأبدي دهشته من أن الحيوانات تتغذى على السردين .

كان الجزء الشرقى من المنطقة مشيدا على شكل مربع يضم مسجدا كبيرا بأعمدة مستديرة وخماسية لها قواعد وتيجان منقوشة بآيات قرآنية .
أرانا بلال أساسات مبنى الجمارك القديم وقال :

- كانت الرياح التي تهب من الشمال الشرقى في هذا الشهر تحمل سفن التمر واللبان إلى شواطئ أفريقيا . ثم تعود مرة أخرى مع الرياح الجنوبية الغربية في أبريل محملة بالعاج والعسل وأصداف السلاحف التي تصنع منها مقابض الخناجر .

هل جاءت أيضا بأسلافه مكبلين ؟

كانت الشمس حارة وشعرت بالإرهاق فأبدت رغبتى فى العودة. نزلت وحدى عند الفندق إذ أراد زكريا الذهاب الى المدينة . تأكدت من أن أحدا لم يترك لى رسائل وصعدت الى غرفتى . اغتسلت ونزلت الى المطعم الخالى إلا من أسرة أوروبية. طلبت عدة سلطات شرقية وشيش كباب وزجاجة بييرة فهز النادل الهندى رأسه قائلا إن البييرة غير متوفرة .

انتظرت حتى انصرف وغادرت مكاني بهدوء وصعدت الى غرفتى فأخذت زجاجتى بييرة من المينى بار وعدت بهما الى المطعم. وضعتهما أمامى فوق المائدة وإذا بمدير المطعم الهندى يقترب منى هائجا : نو . نو .

استغرق الأمر بعض الوقت كى أفهم أن تناول الخمر قاصر على الغرف
والبار. وأصر على أن أعيد الزجاجتين الى غرفتى .

حملت الزجاجتين وصعدت الى الغرفة . أعدتهما الى المينى بار وهبطت
من جديد إلى المطعم.

أكلت بغير حماس ثم مضيت الى الاستقبال فألقيت نظرة على الصندوق
الفارغ.

سمعت اسمى فاستدرت ووجدت سالم والفندى أمامى وخلفهما البلبوى
يحمل حقائبهما .

قال الفندى : لم نشأ أن نتركك تستمتع بطبيعة ظفاروحدك .

لم أحر جوابا . وانهمك سالم فى ملء أوراق الاستقبال .

قال الفندى وهو يتطلع ناحية المطعم : هل أكلت؟ سأموت من الجوع .

قلت أنى سبقتة وفى طريقى للقبولة .

قال : خذ قبولتك ثم تعال الى جناحى لتشرب كأسا.

انضم سالم الينا قائلا : سنذهب بعد ذلك إلى أختى لنتعشى عندها.

سأريك منازل الظفاريين .

صعدت الى غرفتى وتمدت على الفراش بملايسى واستغرقت فى النوم

على الفور. وعندما استيقظت بحثت عن زكريا فلم أجده . كنت أرغب فى

احتساء فنجان من القهوة لكننى لم أشأ أن أمر بمحنة الصباح فهبطت الى البهو .

وجدت سالم فى انتظارى . سألته عن زكريا فقال:

- بحثت عنه ولم أجده . على أى حال لن يأتى معنا فهو لا يحب مجالس

الشراب .

غادرنا المبنى الى حديقة الفندق ومضينا أمام فيلات منفصلة تتكون كل

واحدة من طابقين .

قال سالم دون أن يظهر أى تعبير على وجهه : الفندى له هنا شاليه محجوز

طول السنة لا يأتى اليه غير بضعة أيام .

بلغنا الشاليه ذا الطابقين ودق سالم الباب ففتحه خادم فليبينى يتدلى قرط

من أذنه ويتحرك برقة أنثوية . جلسنا فى الصالة الى جانب مائدة تحمل طبقا كبيرا من الفاكهة وزجاجة ويسكى فى لفاقة تحمل تحيات إدارة الفندق .

هبط الفنڊى بعد قليل من الطابق الأعلى . كان يرتدى دشداشة رمادية اللون ويضع على كتفيه عباءة مذهبة الأطراف . ألقى نظرة على طبق الفاكهة والويسكى بينما أحضر الخادم الفلبينى مائدة شراب صغيرة رصت فوقها أنواع الخمر المختلفة .

صب لى الفلبينى كأسا من الجين والتونيك بينما أخذ الفنڊى وسالم الويسكى .

قال الفنڊى : خسارة أنك لم تأت فى الشهر الماضى . كنا نصور رقصة الربوبة . وهى رقصة تشبه الفالس تشتهر بها ظفار وتؤديها فرقة شهيرة هنا اسمها فرقة بن توفيق . على فكرة التسمية من كلمة «ربابة» وهى نفس الآلة الموسيقية الموجودة عندكم فى مصر .

قلت : تكفينى الرقصة التى شهدتها فى نزوى .

ضحك وارتشف من كأسه ثم قال :

- كل الرقصات كوم وهذه الرقصة الظفارية كوم آخر . إنها الوحيدة تقريبا التى تشارك فيها النساء . رقصة تقدمية . أليس كذلك يا سالم ؟

نظر الى وغمز بعينه ثم ضحك من جديد .

قال سالم :

- ربما هذا هو السبب فى أنها رقصة صعبة .

خاطبني الفنڊى : ستتاح لك فرصة رؤيتها فى المستقبل . فلاشك أنك ستأتى الى عمان وظفار مرة أخرى . من زار ظفار ..

أكملت : مرة .. زارها مرة ومرة .

انفجرت ضاحكا وهو يملأ كأسه من جديد :

- نحن نقوم بعملية تحديث ضخمة ونحتاج الى الخبرات والمواهب من

كل مكان .

قلت : عندكم كثير منها .

قلب شفثيه بازدرآء : تقصد العمانيين ؟ إنهم لا يصلحون لشيء .

نهض سالم واقفا وهو يقول : سندهب الآن لموعد العشاء .
قال الفندى : جيد فأنا عندى ارتباطات . خذ السيارة فلن أحتاج إليها .
غادرنا الشاليه وخرجنا إلى الطريق حيث تنتظرنا سيارة بويك بسائق باكستاني
قلت وأنا اضطجع فى المقعد الخلفى الوثير :
- لم أكن أعلم أنك من هذه المنطقة .

قال: أبدا. أنا من عُمان الداخل. كان أبى يعمل بالتجارة : يحمل التمر
والليمون الى مسقط ويعود بالأرز والبن. تعلمت القرآن فى الكتاب وحفظته هو
وألفية بن مالك ثم صرت أصحب أبى فى رحلاته. رأيت الصغار فى العاصمة
بالزى المدرسى فأحببت أن أكون مثلهم ، لكن دخول المدرسة كان مقصورا على
أبناء العائلات. ونجح أبى فى التغلب على الصعوبات وادخلنى المدرسة . وعندما
حصلت على الشهادة الابتدائية أردت أن أوصل تعليمى . وكان هذا مستحيلا
لولا الجبهة.

- وما الذى جاء بأختك الى هنا؟

- زوجها من المنطقة . تعرّف عليه فى لندن.

أخذتنا السيارة الى وسط المدينة . ولجنا شارعا ضيقا به منازل قديمة
تجمع حشد من الهنود أمام جهاز للتلفزيون فى مدخل أحدها . توقفنا أمام منزل
من طابق واحد زخرفت نوافذه بمربعات متناسقة من اللونين الأزرق والأحمر .
فتح لنا الباب صبى فى العاشرة من عمره . وتقدمنى سالم بسرعة فتوقفت
عند العتبة ومالبت أن عاد وأشارلى بالدخول .

وجدت نفسى فى قاعة متوسطة المساحة أرضيتها فى مستوى الشارع
ومفروشة بالسجاد والحشيات. خلع سالم حذاءه عند الباب فاقتديت به . أقبلت
علينا امرأة سمراء باسمه فى مقتبل العقد الثالث من العمر هى أخته . كانت
ممتلئة الجسم ترتدى ثوبا حريريا ملونا يغطى كل جسمها وتضع شالا ملونا فوق
رأسها.

صافحتنى فى خجل . ولاحظت الروح فى وجهها والحناء فى قدميها ويديها .
جلسنا فوق الحشيات و التف حولنا عدد من الصبية والبنات المتفاوتى الأعمار
يتأملوننى فى اهتمام وانفعال . وأدركت أنى أمثل حدثا هاما فى حياتهم الرتيبة .

انضم اليها زوج الأخت بعد قليل وهو شاب فى مثل عمرها يدعى فطوم يرتدى عوينات طبية ودشداشة عادية. وانهمكت الأخت بمعاونة امرأة أكبر منها سنا فى إعداد مائدة حاشدة فوق صينية وضعت على الأرض مباشرة وحوت الشريد والهريسة والأرز ومشويات اللحم والسّمك والكبيبة الشامية والطعمية المصرية والسلطات وعصير البرتقال .

قال سالم : كانوا سيعدون لك طعاما ظفاريا أصيلا لكن خفنا ألا يعجبك .

أقبلنا على الطعام وانضمت اليها السيدة الأخرى وجماعة الصبية والفتيات ودار حديث متشابك حول أرض يريد أحد الاستيلاء عليها . ثم عن قطعة قماش اشترتها الأخت بريال للمتر وتريد بيعها بثلاثة. كنت أجلس إلى جوار زوجها فعلمت أنه يستعد للسفرالى بريطانيا للحصول على دكتوراه فى الاقتصاد . وتطرق الحديث الى إمكانية التنسيق بين دول مجلس التعاون الخليجى بحيث تخصص كل دولة فى شىء للاستغناء عن الاستيراد .

عارضنى قائلا :

- السوق ضعيفة. أبوظبى تعدادها ربع مليون وقطر ٢٠٠ ألف ولا يمكن الاعتماد على السوق العربى الكبير لأن تكلفة الانتاج ستكون مرتفعة بسبب عدم توفر عمالة محلية وارتفاع مستوى المعيشة . ربما الحل هو إقامة الصناعات فى مصر مثلا .

من الطبيعى أنى رحبت بهذا الحل وقلت :

- لو كانت الأموال التى أنفقت فى سفه استخدمت فى انشاء مصانع ومزارع فى مصر مثلا أو سوريا أو السودان ..
أمن على حديثى صامتا .

غسلت يدى فى حوض مثبت فى حائط القاعة قرب الباب . وعدت الى شرائح الفافاى التى تولت زوجته تقطيعها لنا. كان مذاقها يجمع بين المانجو والبطيخ .

قلت بصوت عادى : أظن كانت هنا ثورة منذ عشرين سنة تقريبا.

أوماً برأسه وقال فى يسر :

- كانوا جماعة الجبهة .

- وهل ما زالوا موجودين ؟

قال وهو يرمق سالم بنظرة خاطفة:

- لا . انتهت القصة من مدة .

كان الآخرون مشغولون بحديث عائلي فقلت بصوت خافت بعض الشيء :

- ألا تظن أنها تركت نتائج إيجابية ؟

قال : الجبهة استولت على الجبال وأرسلوا الأطفال إلى اليمن الجنوبي

للتعليم ومنه إلى العراق وليبيا والبلدان الاشتراكية . وهؤلاء عادوا الآن أطباء

ومدرسين وغيرهم . كانت الفكرة هي تحديث البلاد التي أغلقها السلطان سعيد بيد

من حديد خوفا من الأجانب .

علقت في حذر : فتخلصوا منه وفتحوها على آخرها .

قال ملتفا حول تعليقي :

- السلطان السابق كان جريئا وشجاعا وله كاريزما لكنه كان عنيدا . طلب

منه الانجليز أن يترك العرش فرفض . قابوس كان مجبوسا في قصره هنا لمدة ست

سنوات . فتم الاتفاق معه .

تناول شريحة فافاي وأضاف:

- الانجليز هم الذين نصبوا السلطان سعيد نفسه سنة ١٩٣٢ بعد أن خلعوا

والده ونفوه الى الهند .

قاطعته سالم الذي كان يصغى لحديثنا في انتباه:

- هناك شخص عند الباب .

طرق أحدهم الباب فاندفع أحد الأطفال لفتحه لكن فطوم استوقفه بيده .

خيم علينا الصمت وتكرر الطرق ثم توقف .

قال فطوم بعد لحظات : هذا خالي .

أبدت تعجبي فقال :

- لو فتحت له كان شافك . وهذا طبعا أمر غير مقبول من الجيل القديم .

فلا يمكن تصور غريب في جلسة مثل هذه . لو كانت أمي موجودة ما كان سمح

لك أصلا بالدخول .

علق سالم : ومع ذلك هناك أماكن في الجبل لا يصح فيها أن تطرق الباب

والمفروض أن تدخل مباشرة .

قال فطوم:

- أيام الجبهة كان وضع المرأة أفضل. الواحد هنا لا يرى زوجة صديقه لكن إذا قابلها في لندن سهرروا معا .

تدخل في الحديث شاب صغير يدعى أمين لا يتعدى عمره الخامسة عشر:

- أنا معك في أن هذا وضع غير طبيعي لكن لا بد من تغطية وجه المرأة.

سألته عن المبرر .

قال: لأنها تثير شهوة الرجل والرجل أكثر شهوة من المرأة.

شربنا شايًا أخضر ثم أعلن سالم أنه متعب من السفر . عرضت عليه أخته أن

يقضى الليلة عندها بينما يوصلني السائق فقال إن غرفته بالفندق على نفقة الدولة.

سألني ونحن نستقل السيارة :

- أنت كثير الأسئلة . والبعض هنا لا يحبون ذلك .

تأملته في حيرة عاجزا عن تحديد أمره .

أضاف بعد لحظة : هل سألت عن صديقك ؟

أبدت دهشتي : هنا ؟ لا.

كنا قد بلغنا الفندق فتوقف الحديث ورافقني سالم الى الاستقبال. وجدت

رسالة تنتظرني في الفندق. كانت من شخص يدعى أبو عبدالله يدعوني الى تناول

طعام الغداء في الغد بالمخيم الخاص به ، واعداد بإرسال سيارة تقلني عند الظهر.

عرضت الرسالة على سالم فقال :

- هذا شرف كبير. أبو عبدالله من أهم شيوخ بيت كثير. رجل متنور رغم

أنه يرفض تعليم بناته.

- لكن لماذا يدعوني ؟ أنا لا أعرفه .

- أي زائر غريب للمنطقة يعتبر ضيفا عليه. لا بد أن تذهب . لكن

احذرن من الأسئلة الكثيرة.

سألت عن زكريا فبدا الارتباك على موظف الاستقبال الهندي وحرك رأسه

بالطريقة المألوفة . تطلعت الى رقم غرفته فرأيت المفتاح معلقا بجواره.

اتجه سالم إلى المصعد ومضيت الى البهو . لمحت أحد العاملين خلف

مكتب قرب المدخل . كان أسمر البشرة ذا ملامح هندية. مضيت إليه وحدثته

بالانجليزية فضحك . سألته عن زكريا. استمر في الضحك ثم قال فجأة بلهجة
حوارى القاهرة :

- متكلم عربى يا أستاذ.

قلت : انت مصرى ؟

قال : من الجمالية. الاسم متولى .

قلت فى ارتباك : عاشت الأسمى . لا مؤاخذه. كل حاجة هنا ملخطة.
وصفت له زكريا ففقد مرجه.

تطلع حوله ثم قال لى بصوت هامس : أخذوه فى الفجر.

- مين اللى خدوه؟

- تفتكر مين ؟

قلت : تعرف السبب ؟

- الظاهر أنه من الجماعة .

- أى واحدة ؟

قال : الدقون . الاخوان . يسموهم هنا المطووعين .

*** ٣

كانت السيارة التى أرسلها لى الشيخ أبو عبد الله من طراز شيروكى . وكان
خلف فى مقعد السائق.

قلت وأنا أعقد حزام الأمان :

- لم أكن أعرف ان أبى عبد الله شخصية هامة للغاية .

تشاغل بإدارة المحرك ولم يرد على. قاد السيارة بمهارة فى الطريق المألوف
الى قبر النبى أيوب . ثم توغلنا فى الطريق الجبلى وسط الخضرة .

أردت أن أنتزعه من صمته فسألته عن نوع الدراسة التى حصلها. قال إنه
درس فى صلالة حتى الابتدائية ولزم البيت . وفى سنة ٧٠ حصل على منحة

لدراسة الإعدادية والثانوية فى قطر ثم أكمل الدراسة الجامعية فى مصر.

قلت : أراهن أنك مللت اصطحاب الزوار الى نفس الأماكن فى كل مرة.
خصوصا وأنهم رجال.

قال : ليس دائما. الأسبوع القادم ستأتينا أثرية دنمركية.

قلت : اسمها جوليا؟

قال : نعم . تعرفها؟

قلت : قابلتها فى مسقط.

مررنا بأسرة نصبت خيمة كبيرة الى جوارسيارة لاندروفر وبسطت أمامها سامطا من البلاستيك. كان الواضح أن أفرادها فى نزهة أو «بيكنيك» كما علق خلف. تمهل أمام حظائر حجرية قائلا بصوت ملول :

- هذه ليست حظائر ماشية .. إنها حظائر نبات.

أوضح لى أن الجبلين يزرعون الشعير والذرة داخل هذه الحظائر ليصونوها من عدوان الماشية والجمال.

مررنا بعدة بيوت يتصاعد منها دخان الطهى أغلبها دائرى الشكل وسقوفه مصنوعة من القش أو ألواح البلاستيك السوداء. غادرنا السيارة أمام أرض مسورة واستخرج خلف من مؤخرتها صندوق كولمان كبير. هرع إلينا عدد من الشبان بينهم سود وفيليبين تعاونوا على إخراج لفافة من السجاجيد وصندوق من المياه المعدنية وآخر من السفن أب.

لمحت بلال راكعا أمام دائرة من الأحجار يزيح جانبا قطعا من الجمر المشتعل وسط حصى كبير الحجم . وبالقرب منه تصاعدت النيران من حفرة جلست أمامها امرأة فى ثوب ذى ألوان أفريقية بهيجة بورود حمراء كبيرة فى خلفيات زرقاء وخضراء. كانت ترش بكوب بلاستيكى فى يدها اليمنى الدقيق السائل فوق صحن من الخشب فى يدها اليسرى التى تنتهى بأظافر منسقة مصبوغة. كان ظهرها لى فخطوت جانبا لأرى وجهها وألفيته مغطى بقناع مؤطر بزخارف نحاسية ينتهى أسفل الذقن فلا يكشف سوى العينين وجوانب الأنف من خلال فتحتين على شكل مثلثين .

خطونا فى أرض فضاء مترية اصطفت فى طرفها أشجار جوز الهند السامقة. اتجهنا الى مبنى مستطيل من طابق واحد يتألف من عدة غرف متجاورة بدا لى مثل عنبر فى سجن أو مستشفى. وخرج من الغرفة الأولى رجل نحيل قوى البنية رغم سنه التى تقترب من السبعين ، يرتدى دشداشة رمادية بسيطة ويغطى رأسه بالغطاء

الظفارى التقليدى الذى يشبه الحطة الفلسطينية ويختلف عنها فى لونه الأحمر وطريقة العقد فوق الرأس.

همس لى خلف : أبو عبد الله.

رحب بى وفى عينيه نظرة شاردة وخاطب خلف قائلاً : أره كيف نعد المضبى.

حمل أحد الخدم صينية امتلأت بكتل من اللحم واتجه الى حيث أقمى بلال فتبعناه . عاونه خلف فى وضع اللحم فوق الحصى الذى بدأ الآن بعد تعريته وتنظيفه من الرماد متوهجا مثل الجمر.

قرفصت إلى جوارهما أتأمل الجمر وسمعتهما يتحدثان عن زميل لهما تلقى تعويضا هائلا بلغ ١٢٠ ألف ريال أى حوالى مليون جنيه مصرى أو ثلث مليون دولار أمريكى مقابل ضم أرضه لمشروع حكومى.

استوضحت التفاصيل فقال بلال :

- كل واحد فى سن السابعة عشرة يحق له التقدم لأخذ قطعة أرض مجانا تتراوح مساحتها بين ٦٠٠ و ٩٠٠ متر بالقرعة ثم يبينها على حسابه أو بواسطة قرض إسكان . وتأتى ضربة الحظ عندما تضم الى مشروع حكومى .

انهمك الخدم فى نقل السجاجيد والوسائد وصناديق الكولمان والمياه المعدنية والغازية وترامس الشاى وصناديق المناديل الورقية والأطباق الخزفية إلى الداخل. وقلب بلال اللحم ونقل القطع الناضجة الى صينية مخصوصة.

لاحظت أن أغلبها غير تامة النضج وقلت ذلك لبلال فقال :

- سيدى أبو عبد الله يفضلها هكذا.

نادى علينا أبو عبد الله فمضينا الى الغرفة التى فرشت بالسجاد والحشيات واجتمع بها أكثر من ستة رجال بينهم الفندى. وكانت هناك مائدة عالية بجوار الجدار وقف أبو عبد الله خلفها مشرفا على صينية ضخمة من الأرز.

وزع علينا الخدم الأطباق وأكواب المياه المعدنية والغازية ثم ظهر بلال فى المدخل حاملا صينية اللحم المشوى فوضعها أمام أبو عبد الله. وأقبل هذا يمزق اللحم بيديه ويعطى لكل منا نصيبه.

ظل أبو عبد الله يوزع الطعام دون أن يأكل الى أن فرغ طبق اللحم فرفعه الخدم ووضعوا مكانه طبقا آخر من الفاكهة .

شربنا الشاي وبدأ البعض فى الانصراف ووقف أبو عبد الله يودعهم فى مدخل الغرفة. اقترب منى الفندى بصحبة رجل مهيب المنظر أسمر اللون فى شدداة بيضاء ويغطى رأسه بلفافة معقدة التكوين . قدمنى اليه قائلاً:

- أبو عامر كان من قادة الثوار.

تأملت وجهه الحليق السمين الذى أطلت منه عينان كعيون النسور.

قلت : هذه فرصة لأن أعرف منك حكايتهم.

قال : تلفن لى فى أى وقت وتعال لزيارتى.

قلت إنى سأفعل وتركته بحثاً عن خلف وبلال فوجدتهما يأكلان الى جوار صناعة الخبز. ورأتى الفندى حائراً فعرض على أن أرافقه الى الفندق . ركبت الى جواره وقاد السيارة بنفسه فى صمت ثم دعانى لاحتساء كأس فى الشالية.

صعدت الى غرفتى فخلعت قميصى الذى وقعت عليه حبات الأرز وفتات اللحم واستحممت ثم استلقيت فوق الفراش . وبعد قليل قمت فارتديت ملابسى وهبطت الى البهو فاحتسيت قهوة المدخل المجانية المرة وخرجت الى الحديقة .

فتح لى الخادم الفليبينى باب الشالية وأفسح لى الطريق الى غرفة المعيشة السفلية . وجدت الفندى فى رفقة صحفى لبنانى معروف يصدر مجلة عربية من لندن. كان طويل القامة شديد بياض البشرة وبالح الأناقة ذو صوت جهورى أحدث أثره بلا شك فى ممولىه. كان يعرض على الفندى كراسة ملونة يحمل غلافها اسم قاعة سوئبى الشهيرة للمزادات فى انجلترا.

وضع الفندى الكراسة جانباً بمجرد دخولى وسألنى عما أشرب . كان طبق الفاكهة وزجاجة الويسكى المهديان من ادارة الفندق فى مكانهما على المائدة الجانبية . لكن الزجاجة كانت جديدة من نوع غير نوع الأمس . ومع ذلك لم يقربها أحد وتعاملنا مع محتويات الطاولة المتحركة .

صبيت لنفسى كأساً من الجين وناولنى الفليبينى زجاجة التونيك . سألت الصحفى اللبنانى عما إذا كانت هذه أول زيارة يقوم بها لعمان فضحك. وقال الفندى إن له غرفة محجوزة على مدار السنة فى شيراتون مسقط .

استأنف الصحفى حديثاً سابقاً عن جولة قام بها فى الجمهوريات الإسلامية للاتحاد السوفييتى السابق . ومضى يستعرض الظروف الاقتصادية المتردية وفرص الاستثمار.

سببت كأسا ثانية وتحول الحديث إلى الوضع العربي . سألتني الفندي عما إذا كان ثمة مستقبل للعرب. ولم ينتظر إجابتي وإنما استطرد :
- القومية العربية مجرد وهم. اللغة العربية ذاتها سبب تفككنا فهي لغة الركون إلى الماضي والنوم في أحضانه. الواقعى هو الشرق الأوسط .

سكنت لحظة ثم لوى شفته فى استنكار ومضى يقول:
- أعرف ما يقال عنا. أننا خضعنا لضغط الأمريكان وأعطيناهم قاعدة . الحقيقة أننا نحن الذين ذهبنا اليهم ورجوناهم أن يأخذوها. اسمع . عبد الناصر الظروف ساعدته على القيام بمواجهات حادة مع القوى الأجنبية فماذا أفادته المواجهة؟

أصابتنى الكأس الثالثة بالاكتئاب وأدارت الرابعة رأسى فاستأذنت فى الانصراف. رافقنى الفندي حتى باب الشاليه ومضيت فى ممشى خافت الإضاءة. مشيت بين فيلات مظلمة واتجهت صوب الشاطئ وسرعان ما كنت أخطو فوق رمال ناعمة انتشرت فوقها أكوام مخروطة من صنع السراطين.

كان الظلام شاملا يتخلله ضوء خافت غامض صادر عن المحيط. تعثرت فى سيرى وأوشكت أن أقع لولا أن يدا أمسكت بى وانتشلتنى .

سألت سالم : ماذا تفعل هنا ؟

قال : أتمشى . الظاهر أنك شربت عند الفندي.

سرنا على الشاطئ فى صمت فى اتجاه الفندق . واعترض طريقنا سياج لملمب تنس يقع خلف المطعم . كان مغلقا بإحكام ولم نجد مفرا من العودة من حيث جئنا.

تخبطنا فى الظلام ونحن نبحث عن فتحة تؤدى بنا إلى الطريق العام . وأخيرا جذبنى سالم من ذراعى قائلا : تعال من هنا أسهل .

قادنى بين أشجار شوكية تخللها بصيص من الضوء حتى خرجنا الى الطريق العام على بعد مائتى متر من مدخل الفندق .

كان الطريق مهجورا وهو أمر طبيعى فلم يكن هناك غيرالفندق ثم حدائق مترامية مسورة تابعة للسلطان . مشينا فى نهرالطريق صوب الفندق . ولم نكد نخطو قليلا حتى ظهرت أنواركشافى سيارة قادمة من ناحيته فصعدنا فوق الرصيف .

وظهرت خلفها سيارة أخرى . وفجأة بدأت مصابيح السيارتين تتأرجح يمنة ويسرة كأنما فقد السائقان سيطرتهما على عجلتى القيادة . وتقدمت السيارتان نحونا وهما تتراقصان .

أمسك سالم بذراعى وجرنى بالحاح وهو يصيح : أسرع . احتم بالعمود . لم أفهم ما يعنيه إلى أن رأيته يلتصق بأحد أعمدة النور ويشير إلى أن أفعل مثله . جريت إلى العمود التالى واحتضنته . اقتربت منا السيارة الأولى على مهل وهى ما تزال تتراقص . ولمحت داخلها عدة رجال فى دشدشات بيضاء . وجاءت السيارة الثانية خلفها غاصة بهم .

مرت السيارتان من أمامنا فى بطء وتجاوزتانا . تابعتهما ببصرى واسترخيت قليلا فى وقتى استعدادا لمواصلة السير . ثم رأيت أنهما توقفتا . وبدا كأنما يتداول ركابهما فى أمر .

صاح سالم وهو يجرى : أسرع .

اندفع فى اتجاه الفندق ورأيت السيارة الأولى تدور وتعود من حيث جاءت فى اتجاهنا تتبعها زميلتها . تطلعت حولى بحثا عن شخص أو سيارة أو أى مصدر للعلو . كان الشارع خاليا تماما ولم يكن ثمة مدخل لمبنى أو فجوة فى الأسوار الممتدة على الجانبين أو زاوية ما يمكن الاحتماء بها . كنا هدفين متاحين تماما . إحتمى سالم بعمود النور التالى وتجاوزته جريا الى العمود الذى يليه . اقتربت السيارة الأولى منا على مهل . كنا واضحين أسفل المصباحين القويين ورأيت بابها الخلفى يفتح وتبرز منه ساق كأنما يستعد أحد ركابها لمغادرتها . لكن السائق واصل السير وتساعدت من نوافذها ضحكات صاحبة .

تجاوزتنا السيارة بينما توقفت زميلتها وسلطت كشافها علينا . وأصبحنا بذلك محصورين بين السيارتين . تذكرت السلاح الفلسطينى فغامرت بترك موقعى وانحنيت أجمع بعض الحصى والحجارة المتناثرة . صاح سالم : اجر .

جرينا إلى العمودين التالين واحتمينا بهما . واصلت السيارة الأولى سيرها حتى تجاوزت الفندق والثانية مكانها . أحصيت عدد الأعمدة التى تفصلنا عن مدخل الفندق فوجدتها أربعة .

واصلنا الجرى والانتقال بين الأعمدة بينما بلغت السيارة الأولى نهاية الطريق واستدارت عائدة. وحمل إلينا الهواء أصوات نقاش حادة صادرة منها. بقي أمامنا عمود واحد وقدرت أن السيارة تستطيع اللحاق بنا قبل أن نبلغه. لكنها تباطأت كما أننا جرينا بأقصى ما نملك من طاقة وتمكنا من أن نسبقها إلى بوابة الفندق الخارجية .

لم يكن هناك أثر لسيارات التاكسي الثلاث التي كانت مرابطة دائما أمامه. ولا لأي إنسان.

عبرنا الباحة المؤدية للحجارة البيضاوية دون أن نلتق بأحد في المدخل أوصدر البهو أوخلف المكتب الذى يستخدمه مواطنى المصرى. لم يكن هناك غير موظف الاستقبال الهندى بوجهه الجامد وحركة الرأس المألوفة.

تناول سالم مفتاحه واتجه الى المصعد قائلا:

- إنهم شبان سكارى كانوا فى بارالفندق. تصبىح على خير.

ألقيت نظرة خلفى نحو المدخل والتقطت مفتاحى . تأكدت من أن صندوقى فارغ ولم تأتني أى رسائل ثم صعدت إلى غرفتى . أغلقت الباب خلفى بالسلسلة المعدنية ومضيت إلى النافذة المطلة على حديقة الفندق الخلفية. كانت ستايرها مسدلة لكن بها فرجة فى الوسط تطلعت منها الى الخارج . وقفت برهة دون حراك ودون أن ألمح أثرا لحركة أو أسمع صوتا. شددت طرفى الستارة محكما إغلاقها ثم أشعلت مصباح النور المجاور لسريرى وأدرت التليفزيون.

ظهر لى شاب فى ملابس عسكرية تبين بعد قليل أنه عميد ركن ويتولى قيادة السلاح الجوى السلطانى . كان يتحدث بمناسبة عيد القوات المسلحة العمانية عن تدعيم السلاح بطائرات هوكرالانجليزية .

ظللت أحرق فى شاشة التليفزيون إلى أن رحى فى النوم .

*** ٤

فى هذه المرة اتجهنا شرقا فوق طريق مرصوف، تشرف عليه من جهة اليسار جبال جرداء مليئة بكهوف فاغرة لا تلبث أن تمتلىء بالأغنام والناس عندما

تهطل الأمطار. كان الطريق نظيفا للغاية ومع ذلك انتحت جانبه عربة صغيرة يقودها هندي في أوفرول ذى لون أصفر فوسفورى. وما أن لاحت له سيارتنا حتى انحنى متظاهرا بجمع فضلات وهمية.

بدت في الجبال طرق رفيعة ملتوية ممهدة تصعد إلى القمم. وكان المحيط يتبدى بين الفينة والأخرى على يميننا. وانتشرت على شاطئه مساحات واسعة من أسماك السردين تحلق فوقها النوارس .
قال خلف :

- السردين مؤشر على انتهاء الخريف وبداية فصل جديد هو « الصرب ».
عن قريب تتكاثر الفراشات وتدر الأبقار لبنا غزيرا وتمتلئ المناحل بالعسل والنراجيل بماء جوز الهند .

وصلنا طاقة بعد ثلث ساعة واستوقفنا في مدخلها بدوى حافى القدمين يحمل بندقية فى كتفه وتكلم مع خلف باللغة الجبالية . كان مكحول العينين ذو شعر أسود لامع مدهون ضمه برياط من الجلد الرفيع وتمنطق بحزام من الخراطيش فوق مئزر ملون .

أشار إليه خلف أن يركب فى الخلف . وهمس لى أنه من جنود الفرق الوطنية التى تعسكر فى الجبال . واصلنا السير دون أن ندخل البلدة وأشرفنا على مرباط بعد ثلث ساعة أخرى فترجل الجندى.

كانت البلدة تمتد على شكل هلال من البيوت الواطئة أسفل جبل يرتفع عدة آلاف من الأمتار وتطل على خليج من الرمال الناعمة والمياه الصافية وقوارب الصيد .

سألت خلف عما إذا كان ثمة علاقة بين اسمها وكلمة الرباط التى تحملها العاصمة المغربية . وافقنى قائلا أن سيف بن ذى يزن، كما يروى ، اتخذ منها رباطا أى معسكرا استقبل فيه الفرس الذين استنجد بهم .

فكرت أن القصة دائمة التكرار: الاستنجد بأجنبى للتخلص من أجنبى آخر ثم بأجنبى ثالث للتخلص من الأخير وهكذا دواليك .

مررنا بقلعة قديمة لها ثلاثة مدافع ومسجد له قبة خضراء. ولجنا شارعا

عريضا غير مرصوف به عدة فيلات وفي نهايته عمود علق فيه جهاز تليفون أصفر اللون .

قلت مستغربا : تليفون عمومي ؟

قال بزهو : دولي .

- وكيف يستخدم ؟

- بالكارت الذى يمكن شراؤه من أى دكان .

توقفنا أمام مبنى حديث تعلن لافتته عن مركز للتأهيل النسوى . استقبلتنا سيدة بدينة فى الثلاثين أو أكثر، قصيرة القامة سافرة الوجه ترتدى ثوبا ملونا . قادتنا الى غرفة طويلة تضم مكتبا بجوار الباب وآخر فى الطرف تحيط به ثلاث فوتيات وأريكة من الجلد وخزانة . قالت إن المركز يقدم خدمات متنوعة لنساء المنطقة مثل التوعية بمضار الرضاعة الصناعية وتوفير وسائل منع الحمل والمعاونة فى رعاية الأطفال . كما تتعلم فيه النساء الحياكة وصناعة الخزف لكى يتحررن من الاعتماد على الزوج .

دعتنى الى جولة بالمبنى . واعتذر خلف عن مرافقتى قائلا إنه قام بهذه الجولة عشرات المرات وأنه سينتظرنى فى السيارة .

قادتنى الى ردهة طويلة تتصاعد ضجة من غرفة مغلقة فى نهايتها . اتجهنا اليها وسبقتنى الى الباب ففتحته وهى تحرص على إبقائه مواربا ثم ابتسمت فى خجل :

-إنهن يعملن سفارات . أخرج من إدخالك عليهم .

أغلقت الباب وقادتنى الى قاعة فى الناحية المقابلة تضم معرضا للمشغولات التى تنتجها عضوات الجمعية : مباخر وأزيار وقرب مياه من الجلد وأوان جلدية للحليب ومهاد أطفال تحمل على الظهر وحلى . وكان ثمة ركن خاص لغرفة العروس يضم سريرا مرتفعا ذا أعمدة ثبتت فى أعلاها قطعة ملونة من القماش تسدل بعد الزواج لأن العروس لا تنكشف لغير أهلها طوال سنة كاملة .

سألته عن وسائل تمويل نشاط الجمعية فقالت :

- السيدة الجليلة والدة السلطان ووزارة الشؤون الاجتماعية .

- ومن الذى يعين العاملات فى الجمعية ؟

- لا أحد . هناك لجنة قيادية تتشكل بالانتخاب. والعضوات كلهن متطوعات . الرئيسة أيضا.

عدنا إلى القاعة الأولى فجلستُ إلى مكتبها بعد أن تركت الباب مفتوحا. احتلت المقعد المجاور وأنا أقول :

- هل يمكنني مقابلة الرئيسة ؟

تضوعت رائحة عطرية منعشة وظهرت عند الباب فتاة متوسطة القامة ترتدي عباءة سوداء ونقابا أسود كثيفا يغطي كل وجهها بما في ذلك العينين .

توجهت إليها محدثتي قائلة : عندنا ضيف من مصر .

ذكرت اسمي وتحولت إليّ قائلة : ها هي رئيستنا.

نهضت واقفا ولم تنبس المقنعة بشيء .

كرهت دائما الحديث إلى الأشخاص الذين يرتدون عوينات سوداء تخفي تعبير عيونهم فما بالك بنقاب كثيف يغطي الوجه كله ولا ينم عن شيء.

شعرت بالضيق وقلت :

- في بلدي من النادر أن نجد سيدة مقنعة مثلك . حتى المنقبات أغلبهن

يكشفن العيون على الأقل.

تحركت وخطت إلى طرف الحجرة . تبعتهما مترددا بينما رمقتنا الأخرى في

فضول دون ان تغادر مقعدها.

خلتها ستجلس الى المكتب الآخر وتدعوني للجلوس في أحد الفوتيات

لكنها بقيت واقفة. وفجأة فقدت السيطرة على أعصابي .

قلت في حدة : هل جربت ان تتحدثي الى حائط؟

ظللنا متواجهين في صمت برهة ثم رفعت يدها ببطء ونزعت النقاب .

عدت إلى الورااء خمسا وثلاثين سنة . نفس العينين الواسعتين والشفاه

الريقة والبشرة الخمرية والنظرة المتحدية.

همست : وردة.

قالت في جفاء : بنتها.

قلت : كنت أعرفها.

لم تعلق.

- هل هي ...

قاطعتنى : لا أعرف .

استعدت توازنى وقلت : قرأت جزءا من يومياتها فى مسقط. وقيل لى إنك تحتفظين بالجزء الباقي .

لم تسألنى من قال ولا كيف حصلت على الجزء الذى قرأته كأنما الأمر لا يعنىها . أو لعلها كانت تعرف.

سألتنى : هل يمكن أن أرى جوازك؟

كنت قد توقعت شيئا من هذا القبيل فحملته معى. استخرجته من حقيبة يدى وناولته لها. قلبت صفحاته فى هدوء وقرأت الاسم فى روية وقارنت بين وجهى وصورتى ثم أعادته لى.

- إلى متى ستبقى فى صلاة ؟

قلت : يوما أو يومين .

قالت : سأحضرها لك هنا فى الغد . آه. غدا الجمعة . إذن السبت . لا. الأحد . السبت لن آتى هنا.

قلت : بعيد .

فكرت قليلا ثم قالت : اسمع . سأذهب بعد ظهر اليوم إلى طبيب الأسنان فى صلاة. نلتقى عنده .

قلت : أنا لا أعرف المدينة جيدا . وكل تحركاتى معروفة ولا أحب أن يدرى أحد بالأمر .

قالت : لن يدرى أحد بشئ . قل إن أسنانك تؤلمك أو تحتاج إلى حشو. واطلب من الفندق أن يدلك على طبيب أسنان . لا تطلب ذلك من جماعة مركز التراث . هؤلاء مخبرات.

- وكيف أضمن أنهم سيدلوننى على نفس الطبيب الذى ستذهبن إليه؟

بدا على وجهها تعبير الاستنكار لغبائى وشرحت لى :

- أغلب الأطباء هنا هنود ويمكنك أن ترفض الذهاب اليهم بحجة أنك لا تستطيع التفاهم معهم أو لا تثق بهم . اطلب طبيبا عربيا . ليس هنا غير واحد سورى مجنون متزوج من فرنسية . هو الذى يعالجنى . ستجدنى لديه فى الساعة السادسة .

صمتت لحظة ثم أضافت وهى تعيد القناع الى وجهها :

- لو حدث أن التقيت بعمرى فلا تذكر له شيئاً. كان ينوى دعوتك إلى منزلنا اليوم لكنه اضطر لمغادرة مرباط وسيعود فى المساء.
- من تقصدين ؟
- أبوعامر.
- صدفة أم أمر مرتب ؟

*** ٥

هبطت إلى بهو الفندق فى الساعة الخامسة وأنا أدعو الله ألا تضع الصدفة أحداً فى طريقى مثل سالم أو خلف . كان البهو خالياً وموظف الاستقبال الهندى فى مكانه الأبدى والمكتب الذى يجلس إليه مواطنى المصرى خالياً .

تقدمت من الهندى وسألته عن كيفية الذهاب إلى طبيب أسنان . أعطانى دفتر التليفون وهو يقول بجفاء : عندك تليفوناتهم .

قلبت صفحات الدليل وتظاهرت بقراءة أسماء الأطباء وعناوينهم ثم قلت :

- لكن هؤلاء كلهم هنود .

نظر إلى فى تحد .

قلت : ألا يوجد واحد عربى ؟

هز رأسه بتلك الطريقة الميكانيكية الزنبركية .

لمحت متولى متجهاً إلى مكتبه فحملت الدليل إليه . قلت له إن ضررسى يؤلمنى وأريد الذهاب فوراً إلى طبيب أسنان غيرهندى .

ابتسم : عندنا واحد سورى . ينفع ؟

- لا بأس . على الأقل أستطيع التفاهم معه .

كتب لى اسم الطبيب وعنوانه فى ورقة صغيرة وناولها لى :

- إنه فى شارع النهضة . التاكسى سيأخذك فى ثلث ساعة .

قلت : وكم أَدفع ؟

- سيقول لك السائق . حوالى ثلاثة ريالات .

كانت الساعة قد بلغت الخامسة والنصف . لكنى لم أشأ الانتظار كى لا ألتقى بأحد وخرجت إلى الطريق .

أقلنى سائق باكستانى إلى شارع قابوس ثم اتجهنا يسارا ومررنا بمنطقة البليد الأثرية. وبعد عشر دقائق كنا فى شارع النهضة الذى يشغى بالحياة والحوانيت والمبانى.

هبطت أمام دار للسينما تعرض فيلما هنديا يصور ملصقه قتالا شرسا . وجدت عيادة الطبيب فى بناية حديثة من طابقين ذات تكوين معقد . اجتزت مدخلا مسورا ومضيت فى ممر متعرج يودى إلى درج مظلم . صعدت إلى الطابق الأول فوجدت بابا مضاء تعلوه لافتة باسم الطبيب . دفعت الباب وولجت ردهة خالية مضاءة بمصباح نيون وبها مكتب وتليفون. انتظرت لحظة ثم تطلعت الى ساعتى. كانت تقترب حيثما من السادسة .

انفرج باب من الزجاج الفييه والمعدن المدهون باللون البنى عن وجه شاحب عصابى لرجل فى الخمسين يرتدى معطفا أبيض فوق قميص وينظلون. اعتمد بيده على حافة الباب ومال برأسه نحوى :

- الأستاذ المصرى ؟

كان يتوقنى إذن . أوامأت برأسى .

قال : الممرض ذهب يحضر شريط فيديو . تفضل .

ولجت غرفة كشف عادية بها الجهاز المعهود الذى بدا قديما بعض الشيء . أشارلى أن أقتعه ففعلت .

قال وهو يستند بقدمه على درجة أسفل الجهاز ويضع يده خلف رأسى فوق مسند المقعد :

- سمعت أنك تشكو من آلام فى ضرسك .

أملت رأسى إلى الوراء وفتحت فمى . أشرت بإصبعى إلى ضرس كان قد بدأ يؤلمنى فعلا .

قال وهو يضع الملعقة المعدنية فى فمى :

- الكلل هنا يشكو من تسوس الأسنان بسبب نقص الكالسيوم .

وضع الملعقة جانبا وتناول واخزا معدنيا :

- أنا من حلب . ولى هنا بضع سنوات . هذه العيادة فتحها لى أبو عامر

مقابل المشاركة فى نصف الدخل . أنا أعمل وهو يقبض . أحيانا ١٢٠٠ ريال وأحيانا ١٥٠٠ .

مائة وعشرين ألف جنيه مصرى فى الشهر .

قلت : مبلغ جيد .

قال : ليس كما تتصور . على العموم أنا أفكر فى المغادرة .. المنافسة صارت قوية من الهنود وغيرهم . هناك الآن طبيبات عمانيات .

بدأ يعبث فى أسناني بالواخز المعدنى . وتظاهرت بأنى أتألم .

قال : هناك بعض الأجزاء العارية من اللثة وضرر يحتاج إلى حشو .

قلت إنى أفضل الانتظار حتى أعود إلى مصر وكل ما أطلبه هو تسكين الألم .

مسند لى اللثة بزيت القرنفل وكتب لى رويشة طبية بمسكن ثم تناول مظروفا أصفر اللون من فوق مكتبه وناوله لى :

- هذا لك .

ترددت ثم سألت : هل جاءت ؟

قال : منذ ساعة .

أخذت المظروف وسألته عن الأجر .

قال : لا شئ .

قلت : كيف ؟

قال : أنا لم أفعل شيئا . ثم إنك من بلد جمال عبد الناصر وهذا يكفى .

شكرت هذا الحظ وغادرت العيادة . وقفت فى الخارج أفكر . نزع

المظروف الأصفر وأخرجت منه كراستين أصغر حجما من الكراسات السابقة وأقل

سمكا شعتّ منهما روائح الرطوبة . وقدرت أنهما كانتا مدفونتين تحت الأرض .

أعدتهما إلى المظروف ووضعته فى حقيبة يدي وغادرت المبنى .

جبال ظفار

١٩٧٠ - ١٩٧٢

٢٨ يوليو ٧٠

..وصف أول بيان لنا الانقلاب بأنه مهزلة متوقعة .

..البيان الثاني أكثر قوة . انتقده رافع قائلا إنه عصبي . ضم عبارات من قبيل « .. هذا الولد المدلل الذى عاش حياة البذخ ..»..... هذه الشخصية الهزيلة لا يمكنها على الإطلاق أن تقدم شيئا للبلد ... وإن الثورة ترفض هذه التركيبية البشعة ..» .

.. السلطان الجديد ابن الزوجة الظفارية للسلطان السابق . نشأ فى صلاة . درس فى إنجلترا . تخرج من كلية ساندهيرست العسكرية . خدم فى الجيش البريطانى بألمانيا . تدرب على إدارة المحليات فى إنجلترا . عندما عاد إلى صلاة كلفه أبوه بدراسة الشريعة الإسلامية . أرسله فى رحلة حول العالم تميزت بالتقدير الشديد على نفقاته . رفض إشراكه فى تحمل مسؤوليات الحكم ولم يكن يراه إلا مرة أو مرتين فى السنة . ظل محبوسا فى منزله بصلاة ست سنوات .

٣ أغسطس

.. الصحف الانجليزية تنشر صور عبيد السلطان السابق . بينهم من التزموا بالصمت الدائم ، فأصبحوا خرسا . وقف بعضهم محنئ الرؤوس وعيونهم على الأرض .

.. فاينانشيال تايمز فى ٢٩ يوليو : شركة شل (مالكة ٨٠٪ من أسهم شركة دب و) طلبت من الحكومة البريطانية خلع سعيد .

.. مجلس سرى حاكم يرأسه السكرتير العسكرى هوج أولدمان ويتألف من قائد قوات السلطان جون جراهام ومدير التنمية دافيد أوجرام وإنجليزين آخرين من مكتب التخطيط والتنمية وثونى بن شهاب وقيس الزواوى .

١٠ أغسطس

.. عرفنا تفصيلات الانقلاب . أشرفت عليه مجموعة مكونة من ابن والى

ظفار«بيرق بن حمود الجافرى» و أحد ضباط الاستخبارات الانجليزية فى سلاح الجو السلطانى وهو زميل سابق لقابوس فى ساندهيرست. اتصلوا بأنصارهم فى مسقط بواسطة مسئول فى د ب و كان يقوم برحلات منتظمة إلى صلالة للاجتماع بالسلطان. تعاون معهم القنصل الإنجليزى العام فى مسقط. رشوا حراس القصر وأدخل بيرق بن حمود مجموعة من أتباعه من قبيلة الحواسنة الشمالية. اقتحموا جناح السلطان ساعة القيلولة. تناول السلطان غدارته وصوبها نحوهما فقال بيرق: أريد العرش لمولاي قابوس. حدث اطلاق نار. أصيب سعيد فى ساقه. استسلم ووقع وثيقة بالتناحي. نقل الى قاعدة الطيران الإنجليزية ومنها إلى البحرين ثم إلى مستشفى خاص فى إنجلترا.

.. وصل صلالة فريق انجليزى لحراسة السلطان يقوده السرجنت ماجور بوب سلاتر. يلازمون السلطان طول الوقت ويتناوبون النوم أمام مخدعه .

١٦ أغسطس

.. صرح قابوس لجريدة كويتية أنه لا يعتقد أن الثوار شيوعيون حقا وأنه يستطيع كسبهم إلى صفه .

..نبأ غريب من راديو عدن :إقالة محمد على هيثم من كافة المناصب وتعيين على ناصر محمد بدلا منه .

.. أصدرت الجبهة أول قانون من نوعه فى العالم العربى بتخفيض المهور إلى مبلغ رمزى (١٢ ريالاً ونصف ريال). تشريع آخر يعتبر أن عدم التطابق فى الآراء السياسية بين الزوج والزوجة يشكل سببا كافيا للحكم بالطلاق .يمكننى الآن أن أتزوج !!

.. أعلن قابوس إلغاء القيود على السفر إلى خارج الإقليم ، وبقية القيود الصغيرة على الحريات الشخصية مثل ارتداء النظارات وحياسة أجهزة الراديو. دعا العمانيين الذين غادروا البلاد إلى العودة والمساهمة فى البناء .

.. ناقشنا دعوة قابوس فى اجتماع موسع للجنة المركزية وقادة الجيش . أجمعت الغالبية على أنها محاولة للتضليل. رافع يرى أن هناك تغييرا ما وعلينا أن ننتظر لنحكم . قال إن الحرب الشعبية تكتيك . وإذا أمكن تحقيق مكاسب دون إراقة الدماء يكون هذا أفضل . وهدفنا فى النهاية هو صالح الجماهير. هاجمه فهد بشدة. اتهمه بالانهزامية. هناك رفيق أو اثنان يشاركان رافع الرأى. قلت إن ما حدث

هو انقلاب من تدير الاستعمار. ونحن مجتمعون جاء النبأ اليقين : دعمت السلطة الحصار المفروض على الريف وتوسعت في سياسة قتل حيوانات ومواشي المواطنين بالغارات الجوية . اتخذنا قرارا بالإجماع بمواصلة النضال وتصعيده .

٢٥ أغسطس

.. منشورات حكومية على المناطق المحررة تدعو الناس إلى الاستسلام . واحد به رسم بدائي لأشجار ومنازل أسفله هذه العبارة : «يا مقاتلي الجبهة : أليست هذه الحياة أفضل من الكهوف والجور والقبور؟»
..أقيمت محطة اذاعة في صلالة ، وقيل للعبيد الذين حررناهم إنهم أحرار .

..خطة حكومية لتنمية ظفار قيمتها ٦ مليون سترليني . أقامت الحكومة في السهل المجاور لصلالة مزرعة نموذجية وأدخلت مضخات المياه . تولت شركة إنشاءات بريطانية توسيع ميناء ريسوت . افتتح البنك البريطاني للشرق الأوسط فرعاً له في صلالة . مشروع بريطاني آخر لتطوير المدينة يتكلف ٨ مليون سترليني . كل هذا بهدف تشجيع أهل الجبل على النزول منه والاستقرار في السهل .

٣٠ أغسطس

.. منشور غريب وزعته السلطة : «يا أبناء ظفار . لقد اشترى السلطان قبلة ذرية لكنه لن يستخدمها كلها وانما سيرمي عليكم ربعها فقط ! لتدميركم أيها الشيوعيون .. عملاء موسكو وبكين وتل أبيب وواشنطن ! عملاء آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية!!»

.. استجاب البعض للعفو العام الذي أعلنه قابوس وهربوا إلى الجانب الحكومي .

.. أعلننا من إذاعة عدن رفض العفو وأصدرنا تكليفا لكافة أعضاء الجبهة وجيش التحرير بعدم دخول صلالة . أبلغنا كافة المجموعات بأن من يحاول الاستفادة من العفو سيتعرض لعقاب قد يصل إلى الاعدام .

٥ سبتمبر

.. بدأ كثيرون يعودون من الخليج استجابة لنداء قابوس .

١٢ سبتمبر

..انقلب عدد من زعماء القبائل فى شرق ظفار على الثورة . اعتقلوا قرابة ٤٠ من كوادرناس بهدف تسليمهم للسلطان . استولوا على أموال وممتلكات الجبهة . الشرق هو أكثر الأماكن سكانا فى الإقليم، لكنه شهد أقل قتال . يتميز بقوة النظام القبلى والقوى الاجتماعية المناصرة للاستعمار . علاوة على هذا فإن أم السلطان الجديد من إحدى قبائله .

١٥ سبتمبر

..نقلنا وحدات كبيرة من مقاتلى جيش التحرير من القطاع الأوسط إلى الشرق . تولى فهد القيادة .

.. منشورات السلطان تتهمنا بأننا شيوعيون ملحدون، نساؤهم وبناتهم عاهرات منحرفات، لا يعترفون بالله ولا بالإسلام أو أية تقاليد وقيم وطنية أو دينية . طبعاً عندما تتعرض أراضيهم وملكياتهم للخطر تصبح فى الحال قيما وطنية وتقاليد عريقة .

٢٠ سبتمبر

.. مؤامرة أخرى : السعودية تنتهز الفرصة للقضاء على الثورة وضم شمال ظفار . دفعت الرواشيد لمحاولة احتلال أماكن استراتيجية هامة وسط وشمال ظفار . أفراد هذه القبيلة يحملون هويات سعودية كما يتلقى شيوخها رواتب منتظمة من المملكة .

٢٥ سبتمبر

.. نجحنا فى القضاء على المؤامرة السعودية .
.. مذابح فى الأردن . عشرون ألف قتيل وجريح . قُصفت عمّان بمواد متفجرة تزن ١٢٠ ألف طن .

٢٧ سبتمبر

.. موقف بطولى لنميرى . نجح فى إنقاذ عرفات وتهريبه من العاصمة الأردنية .

.. اتفاق فى القاهرة بين الحكومة الأردنية والمقاومة الفلسطينية بحضور الملك حسين وياسر عرفات والملوك والرؤساء العرب يتضمن وقف إطلاق النار وسحب القوات المسلحة الأردنية والفدائية من عمّان .

.. فاز الليندى المرشح الماركسى بالرئاسة فى شيلى .
.. معارك ضارية فى المنطقة الشرقية .

.. انضم كثير من شيوخ القبائل ورجالهم بأسلحتهم ومعلوماتهم إلى الجانب الحكومى . يجرى تنظيمهم فى تشكيلات عسكرية أسمتها السلطة بالفرق الوطنية . يتراوح عدد أفراد الفرقة من ثلاثين الى مائة . تتولى تدريبهم وحدة انجليزية خاصة من سبعين رجلا تحمل اسما حركيا هو «بات» . الفرقة الأولى أطلق عليها اسم صلاح الدين . أعطوهم ملابس عسكرية نظامية يسمونها «دريس» لكنهم احتفظوا بملابسهم القبلية المعتادة (مئزر أسود مصبوغ بصبغة النيل الزرقاء يلفونه حول بطونهم ويتمنطقون بصف الرصاص فوقه بينما تظل صدورهم عارية فى الصيف) .

٢٨ سبتمبر

.. مات جمال عبد الناصر . قضينا ساعات حول الراديو نسمع القرآن وأخيرا عرفنا النبأ . أذاعه أنور السادات . ذهول . انخرطنا جميعا فى بكاء متواصل . علق فهد بأن زعيم البرجوازية الصغيرة قد انزاح . ثرت فى وجهه وقلت إنه لن يحلم بأن يقدم للشعب العربى شعرة مما قدمه عبد الناصر . سأطالب بأن تعلن وكافة الوحدات الحداد وتلقى المحاضرات عن مساهمته الثورية .

٣٠ سبتمبر

.. جنازة هائلة لعبد الناصر فى القاهرة . شيعته الملايين هاتفة من القلب «يا حبيب الملايين» . قال كاسترو ان وفاته ضربة للحركات الثورية فى العالم العربى .

١٢ اكتوبر

.. كان عنصر من المنطقة الشرقية يدعى محمد زخينان قد تساقط وانتقل إلى العدو . حصلوا منه على معلومات عن نقاط الضعف . أرسلوا قوة كبيرة إلى موقع دوتشكا يقوده . الرفيق مبارك حمد الكيتانى وحاصرته . رأى بعض رفاقه ضرورة الانسحاب لأن العدو فى القمم والمجموعة فى الوادى . رأى البعض الآخر أن تبقى المجموعة وتدافع عن نفسها وعن سلاحها . كانت حجتهم أن عددهم قليل ولن يتمكنوا فى حالة الانسحاب من حمل السلاح وعتاده . قال لهم مبارك : لن

.. أشرفنا على كئيبان قرميدية اللون ترتفع الى أكثر من مائة متر. اضطربنا للالتفاف حولها لصعوبة تسلقها على النياق . الكئيبان التالية كانت سهلة فصعدتها. فوجئنا بمنحدر شديد عند النزول . ترددت الناقة السوداء وفجأة سقطت على جانبها. أسرعنا إليها. رفعنا عنها حملتها . قامت بصعوبة على ركبتيها . بدأت تعرج . جهزنا بعض عروق الأغصان الصلبة وقومنا ساقها. جلسنا إلى جوارها نظرد الذباب عنها . قال خشعت إنها لم تعد بذات فائدة ولا يمكن أن نبقى الى جوارها . ذبحناها وقطعنا لحمها شرائح . ثبتنا بضعة عصى فى الرمال وعلقنا فوقها شرائح اللحم كى تجف . وضعنا عظام النخاع فى معدتها التى ربطناها بشريط من الجلد ودفناها فى الرمال . أشعلنا النار فوقها .

.. الصحراء مرعبة . بعثقد البدو أن الكئيبان موئل للجان. يتلفت رفيقانا حولهما طول الوقت ويرددان أن الله وحده هو الدائم .

.. كنا نتحدث عن التدخل الإيرانى عندما ذكر دهميش أنها المرة الثانية خلال قرنين التى توجد فيها قوات إيرانية على أرضنا . فى الأولى نجح جد قابوس الأكبر فى طردهم . قال يعرب إن قابوس قلق بشأن أهداف الشاه . سألته كيف عرف . قال إن له علاقة بابن عم السلطان الذى يكره الانجليز ويحمل أفكارا تقدمية . وهو مرشح لأن يكون وليا للعهد . وأنه يطمح الى تجنيده لمبادئ الثورة . عندئذ يمكن أن يحل محل قابوس بسهولة . بذلك نحقق أهدافنا بضربة واحدة . استنكرت هذا القول . نحن ضد انقلابات القصور . الثورة عملية تتم من أسفل لابد أن يشترك فيها الناس ولا يمكن فرضها عليهم وإلا كانت العواقب وخيمة . لم يجادلنى .

.. العناكب منتشرة ويبلغ عرض الواحد منها عشرة سنتيمترات . أرجلها حمراء مكسوة بالشعر وليست مؤذية .

.. نبشنا معدة الناقة . وجدنا مزيجا من الدم والدهن عائما بين العظام الفارغة . صبه خشعت فى قربة فارغة . تناولنا الطعام عند الغروب . أكلنا وشبعنا رغم أن اللحم كان كره الرائحة وقاسيا للغاية .

.. قضيت ساعات طويلة أتخيل مصائر مختلفة لطفلتى . أفكر فى الجنين

.. مجلس الثورة السوداني يطرد ثلاثة من أعضائه معروفين بصلاتهم بالحزب الشيوعي هم بابكر النور وفاروق حمد الله وهاشم العطا. اعتقال عبد الخالق محجوب ومطاردة الحزب .

ديسمبر

.. عقدنا احتفالا جماعيا لزواج ثلاث رفيات وثلاث رفاق. بينهم رافع وأمينة. العقد تم بإشراف مسئول الجبهة المحلى . اشترك فى إحياء الحفل أبو السلاسل، فارس موسيقى الدان المشهور الذى التحق بالثورة .

.. كتبت مقالا لمجلة ٩ يونيو عن دور المرأة فى ثورة الخليج بدأته بملاحظة كارل ماركس أنه يمكن قياس درجة تقدم أى مجتمع بطريقة معاملته لنسائه، وبالمثل يمكن الحكم على الثورات. قلت: تتركز فى المرأة كل أشكال الاضطهاد والاستغلال فى أى مجتمع طبقى. فهى تتعرض لاضطهاد مزدوج : الى جانب معاناتها من علاقات الإنتاج الإقطاعية والرأسمالية تعانى أيضا من علاقة زوجية اتباعية ومن وضعها العائلى فى أسرتها الأولى ومن اضطهاد المجتمع عامة بما يفرضه عليها من تقاليد واعراف عتيقة تشل نشاطها وتسلبها انسانيته. المرأة الظفارية بالذات كانت تعانى من أربعة سلاطين : السلطان السياسى فى مسقط، القبلى وهو الشيخ، الدينى وهو الإمام، العائلى وهو الأب والأخ والزوج. وتتنوع أشكال استغلال المرأة حسب النظام الاجتماعى. فقبيلة الماريا السودانية عند عطبرة تضم وثنيين ومسيحيين ومسلمين وجميعهم يقدمون للضيف زوجة الرجل أو ابنته . وفى كوكبان عند صعدة اليمنية قرب الحدود السعودية، وهى منطقة زيدية، تعلق المرأة فى المحراث الى جوار البقرة.

يناير ٧١

..احتفلنا بصعود صالح الينا . عبد سابق عمل فى الكويت .تعلم هناك القراءة والكتابة.انضم الى تنظيم الجبهة الذى أرسله الى بغداد فى دورة سياسية وعسكرية . عاد الى عمان فى سنة ٦٥ ،اعتقل فى نفس السنة ووضع فى قلعة الجبالى . خرج من السجن فى العفو العام . لم يطق الحياة فى صلالة فهرب الى

الجيل. يمشی بصعوبة من جراء القيود الحديدية التي لم تفارق ساقيه طوال خمس سنوات . سيسافر الى عدن للعلاج .

.. ثورتنا بدأت تجذب الاهتمام العالمي . لأول مرة يزورنا وفد إعلامي سوفيتي.

.. لم أتمكن من المشاركة في لقاء الوفد السوفيتي . زار مدرسة الشعب الابتدائية في جيبوت على مبعده ٢٥ كيلومترا من الحدود اليمنية .

.. حققنا مع مدير المدرسة التي زارها الوفد السوفيتي . نظم مظاهرة من التلاميذ استقبلت الوفد بلافتات تحمل هذه العبارة : تسقط الامبريالية الاشتراكية السوفيتية. دافع عن نفسه بأنه لا دخل له في الأمر وأن ما حدث هو صوت الجماهير !! المدير من المقاتلين الذين زاروا الصين . دافع غزال عنه . لا يخفى عداؤه للتحريفيين كما يسمى السوفيت . هوّن رافع من الحادث ودعا الى تجاهله . قلت إننا ملتزمون بالحياد في النزاع الصيني السوفيتي . قال فهد إننا لا يجب أن نسمح بأى تهديد لعلاقتنا مع الاتحاد السوفيتي الذي نتلقى منه مساعدات جمّة . لزم الشيخ عمّار الصمت ولم نعرف رأيه. اتخذنا قرارا بالإجماع بإنذار مدير المدرسة بالألا يتخذ أى مبادرات من هذا النوع في المستقبل قبل استشارة القيادة .

.. الفرق الوطنية تكرس الانتماء القبلي . يجرى تشكيلها من أبناء كل قبيلة على حدة . ويزعم قابوس أنه يبنى دولة حديثة !!

٥ فبراير

.. قادة المقاومة الفلسطينية يمارسون النقد الذاتي لأول مرة بصوت عال . أعلن أبو اياد الرجل الثاني في فتح أن المقاومة مصممة على عدم الخروج من الأردن وأن قادتها يعارضون إنشاء دولة فلسطينية من الضفة وغزة لأنها ستكون كائنا هزيلا تحت رحمة اسرائيل . قال إن بعض الشعارات التي أطلقت خلال أحداث سبتمبر كانت أكبر بكثير من الإمكانيات الحقيقية للمقاومة مثل (لن نوقف المعارك قبل سقوط العرش). اعترف بأن المقاومة كانت تتمنى في اليوم الرابع للقتال وقف إطلاق النار .

١٢ فبراير

.. المدفعية والدبابات الأردنية تشن هجوما جديدا على المقاومة الفلسطينية .
انثان وثلاثون قتيلا ومائة جريح من الجانبين .

.. نميرى يهاجم الحزب الشيوعي ويدعو الى ضربه وتمزيقه.

أول مارس

.. أثار الرفيق فهد مشكلة . وجد مقاتلا يصلى فسخر منه واتهمه بالتخلف والرجعية . تدخل الرفيق عمار الى صف المقاتل . فى اجتماع اللجنة انتقد فهد تصرف عمار . قال إنه ما كان يجب أن يعارضه أمام المقاتل وكان عليه أن يحتفظ برأيه الى حين يعقد اجتماعنا. فيجب أن نبديا واحدة أمام المستويات الأدنى منا وأمام الجماهير. قال عمار بطريقته الهادئة وأسلوبه المنطقى إن هذه مسألة شكلية وإن الموضوع الرئيسى هو سخريه فهد من مشاعر وقناعات المقاتل . ثار فهد واتهمه بالتخلف والجهل . انسحب عمار من الاجتماع غاضبا.

٢ مارس

.. اختفى الرفيق عمار.

٣ مارس

.. حالة ذهول . تبينا أن عمار تسلل الى صلالة وانضم الى قوات السلطة . واجهت فهد بأنه يتحمل المسؤولية . قال غزال ان عمار عنصر رخو لم يتطور ولم يتخلص من تراث المعتقدات القديمة . قال رافع إنه فى الغالب اتخذ القرار من مدة . اقترحت إصدار تعميم يؤكد على احترام المعتقدات الدينية وعدم المساس بها. تكونت لجنة برئاسة برئاستى لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بتلافى حدوث أضرار نتيجة هروب عمار.

٧ مارس

.. لأول مرة تعرف صلالة الكهرباء بمحطة صغيرة من مولدين كل منهما ٥٥٠ كيلوات .

.. بلغ عدد الذين هجرونا الى صفوف العدو ٢٠٠ من المقاتلين .

.. فدائيو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يهاجمون ناقلة بترول إسرائيلية وهى فى طريقها إلى إيلات. هل يحاولون إثبات أنهم أكثر ثورية من جماعة نايف حواتمة؟

٢٨ ابريل

.. افتتحنا مدرسة ٩ يونيو الإعدادية (فى الغيضة اليمينية التى تبعد عن

الحدود ٣٠٠ كيلومتر وعن البحر ٧٥ كيلومتر). تضم ٣٢٠ طالبا في ٨ فصول و ٩ مدرسين. الدراسة فيها من الصف الثالث إلى الخامس الذى يوازى الثانى الإعدادى فى المدارس النظامية. شربنا الشاي فى خيمة الإدارة. ذلك ومناضد صنعت من أخشاب قديمة . أكد الرفيق عبد الصمد أحمد عضو هيئة التدريس أهمية التكوين الأيديولوجى للطلاب . قال إن النقد والنقد الذاتى خبز يومي للثورة. كل فصل فى خيمة ويضم ٤٠ طالبا وطالبة .أفضلية الالتحاق بالمدرسة لأبناء الشهداء . يقتسمون الكتب مثل كتاب المطالعة العربية الذى يخص لائنين أو ثلاثة. بقية المناهج تطبع بالاستنسل وتوزع على الطلاب. الدفاتر والأقلام من البلدان الصديقة .ملابسهم متنوعة يغسلونها بأنفسهم. البنطلونات الطويلة والقصيرة والفسوط أو المعاوز. أغلبهم يرتدى طواقى كاكية. يغتسلون مرتين فى الأسبوع. المدرسون أغلبهم طلبة جامعات فى اليمن والخليج ومصر قطعوا دراساتهم وبناء على طلب الجهة. بعضهم من الخريجين مثل متطوع سورى . الفصل التعليمى ٨ شهور يليه الفصل الثانى مباشرة.

مايو

.. استولينا على هاجليت آخر مركز للحكومة على الخط الأحمر. التقيت بالوحدة التى حققت هذا الانتصار . شعرت أن معنوياتهم منخفضة . اكتشفوا أنهم كانوا يقاتلون رفاقا سابقين لهم انضموا الى الفرق الوطنية. .. مظاهرات جماهيرية فى الولايات المتحدة ضد الحرب الفيتنامية وضد الفروع ضد القمع.

١٣ مايو

.. السادات يقوم بما أسماه حركة تصحيح ضد رجال عبد الناصر .

٩ يونيو

.. بدأت أعمال المؤتمر الثالث للجهة فى رخيوت .

١٢ يونيو

.. تقرير رافع. يكرر أفكاره الانهزامية السابقة. يدعو الى عدم تجاهل ما أسماه بخطوات التحديث التى اتخذها قابوس . يطالب بالاهتمام بالعمل السياسى وأن العمل العسكرى ليس هدفا فى حد ذاته وإنما أداة لخدمة السياسة. مضمون رأيه هو التخلي عن هدف الاستيلاء على السلطة والاكتفاء بالمشاركة.

١٣ يونيو

.. انتقدناه جميعا. طالبناه بالتراجع عن أفكاره. قدم نقدا ذاتيا . قال إن خلفيته البرجوازية الصغيرة حرمته من رؤية الخط السليم وهو مواصلة النضال حتى النصر.

١٩ يونيو

.. انتهى المؤتمر بعدة قرارات تاريخية : إعلان الملكية الجماعية لكل الأراضي في ظفار، تكوين مجالس شعبية لإدارة المناطق المحررة، الدعوة إلى الوحدة مع الجبهة العمانية، وإنشاء حزب ثوري جماهيري يقود الثورة مسترشدا بالنظرية الجذرية العلمية:الماركسية اللينينية.
..ترتب على قرار تكوين المجالس إلغاء لجنة حل مشاكل الشعب.سأتولى مسئولية التثقيف.

٢٩ يونيو

..أنباء عن هروب عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعي السوداني من معتقله .

٣ يوليو

.. البعث العراقي يقوم بحملة قمع ضد الشيوعيين والأكراد.
.. قواتنا تسيطر الآن على ثلثي ظفارينما تسيطر قوات السلطان على المنطقة الساحلية فقط .

١٣ يوليو

.. أعلنت حكومة الليندى تأميم بعض مناجم النحاس الأمريكية. علق الرفيق فهد بان الليندى اصلاحي وليس ثوريا. أيده غزال ورفيقان آخران . قال رافع إنه يستهدف التمهيد على المدى الطويل للاشتراكية عن طريق إقامة حكومة جبهة شعبية تعتمد على المؤسسات الدستورية التقليدية .قال فهد إن مثل هذه الحكومة لا يمكن أن تكون ثورية لأن المؤسسات التقليدية في يد الطبقات الرجعية. ولن تسمح بأى تغييرولا بد من قلبها بالقوة . معه حق .

..شنت السلطات الأردنية هجوما واسع النطاق على قوات المقاومة الفلسطينية اشتركت فيه الدبابات والطيران . الضحايا بالمئات. هناك ٢٣٠٠ فدائي معتقل في معسكرات الجيش الأردني .

١٨ يوليو

.. نقاش حول نتائج إعلان قيام دولة الامارات العربية المتحدة.

١٩ يوليو

.. قطع راديو أم درمان إرساله فى الساعة السادسة والنصف مساء وأذاع بيانا من الرائد هاشم العطا أعلن فيه عن حركة عسكرية قام بها لتصحيح مسار ثورة ٢٥ مايو، كما أعلن اعتقال نميرى.

.. أنباء السودان فى كل الإذاعات . مجلس ثورة من سبعة ضباط منهم شقيق عبد الخالق محبوب برئاسة المقدم بابكر النور الموجود فى لندن. أعلنوا تكوين جبهة وطنية ديموقراطية من تحالف العمال والزراع والمثقفين الوطنيين والجنود والضباط الأحرار والرأسمالية الوطنية. ألغوا الحظر المفروض على نشاط الحزب الشيوعى .

صباح ٢٠ يوليو

.. اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السودانى تعلن تأييدها للانقلاب .

٢١ يوليو

.. قرر السادات تشكيل محكمة ثورة خاصة لمحاكمة مائة من رجال عبد الناصر على رأسهم على صبرى، شعراوى جمعة، سامى شرف، محمد فائق، ضياء الدين داوود.

٢٢ يوليو

.. عاد نميرى الى السلطة فى السودان بمساعدة المخابرات المصرية والليبية والانجليزية. اعتقل هاشم أبو العطا. احتجزت السلطات الليبية فى الصباح طائرة الخطوط الجوية البريطانية التى كانت تقل قائد الانقلاب بابكر النور وزميله فاروق عثمان حمد الله. أجبرتها طائرتان ليبيتان على الهبوط فى مطار بنغازى خلال رحلتها من لندن الى الخرطوم. أنزل منها الضابطان السودانيان وأمتعتهما وعادت الطائرة الى لندن .

.. قبض على ٤٥ ضابطا كبيرا فى العراق بتهمة التآمر على نظام البكر/

صدام.

٢٣ يوليو

.. جرت فى الصباح بالخرطوم محاكمة سريعة للرائد هاشم العطا وعدد من رفاقه تم على أثرها اعدامهم رميا بالرصاص . أعلن نميرى امتنانه للسادات والقذافى على العون الذى قدماه لإجباط المحاولة الانقلابية والقبض على زعمائها. وصل بابكر النور وفاروق عثمان اليوم الى الخرطوم تحت الحراسة على متن طائرة خاصة.

٢٤ يوليو

.. أعلن نميرى أن الحكم على بابكر النور و فاروق حمد الله سيصدر وينفذ الليلة أو صباح غد.

٢٥ يوليو

.. تم بعد الظهر تنفيذ حكم الإعدام رميا بالرصاص فى الرائد فاروق عثمان حمد الله. كما تم اعتقال عبد الخالق محجوب.

٢٦ يوليو

.. تم تنفيذ حكم الإعدام رميا بالرصاص فى بابكر النور وشنقا فى الشفيح أحمد الشيخ رئيس اتحاد العمال فى السودان وأبرز قادة الحزب الشيوعى .

٢٧ يوليو

.. أصدر المجلس العسكرى السودانى الحكم باعدام عبد الخالق محجوب.

٢٨ يوليو

.. تم فى الصباح إعدام عبد الخالق محجوب وشنقا.

٣٠ يوليو

.. أعلن فاروق أبو عيسى وزير الخارجية السودانى و أحد زعماء الحزب الشيوعى السابقين أن الذين أعدموا لقوا محاكمات عادلة. .. مطاردات دموية لأعضاء الحزب الشيوعى السودانى وأنصاره.

١٣ أغسطس

.. أنهى وفد من اتحاد العمال العرب زيارته للخرطوم ببيان أكد فيه براءة اتحاد عمال السودان ورئيسه الشفيح الشيخ من أى علاقة بمحاولة الانقلاب. .. نشرت مجلة نيوزويك الأمريكية صورة لنميرى فى سيارته ليلة اعدام

عبد الخالق محجوب . قالت إن نميرى قضى الليلة بها متنقلا من مكان لآخر دون ان تتخلى يده عن زجاجة الويسكى .

سبتمبر

.. إضرابات فى مسقط ومطرح بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة نتيجة مشاريع التنمية القابوسية . اعتمد إنشاء ميناء وطرق ومطار على العمال الأجانب المهرة . أدى ذلك الى ارتفاع صاروخى لأسعار الطعام والسكن . اتجهت أعمال التمرد ضد الأجانب ثم توقفت عند القبض على قادة الحركة .
.. السادات يتحدث عن عام الحسم .

.. انضمت الينا نبيلة سعيد (١٨ سنة) . ألحقت بوحدة من أربع فتيات و ٢٠ جنديا ترأسها امرأة . أعلى منصب تبلغه امرأة فى جيش التحرير هو قائدة دائرية من ثلاث وحدات .

أكتوبر

.. حضر قابوس احتفالات إيران بمرور ٢٥٠٠ سنة على عرش الطاووس فى برسبوليس . كان السادات هناك أيضا . لمّ الشاه جماعة متناسقة .

.. حملة إنجليزية باسم عملية « الفهد » تهدف الى إقامة سلسلة من المواقع على حافة الصحراء لقطع طريق الإمدادات عن المنطقة الشرقية .
.. استشهدت طفول فى غارة جوية بريطانية . أصيبت أمينة إصابة بالغة فى ظهرها .

٢٠ نوفمبر

.. استقال رئيس الوزراء طارق بن تيمور (عم السلطان) . تولى قابوس بنفسه رئاسة الوزراء . شاع أن طارق كان يدعو الى قيام ملكية دستورية .

٢٨ نوفمبر

.. البعث العراقى يطرح مشروعا لميثاق العمل الوطنى . أرجع أسباب الهزائم والنكسات التى منيت بها الحركة الثورية فى العراق والعالم العربى الى نزعة تغليب التناقضات الثانوية بين فصائل الحركة الثورية على التناقض الرئيسى الدائم بينها وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية . يدعو المشروع الى توفير كافة الأجواء الديمقراطية الثورية للجماهير وأحزابها الوطنية .
.. بدأت محاكمة المناضلة الشيوعية الأمريكية انجيلا ديفيز .

.. ايران تحتل جزيرتى طمب الكبرى وطمب الصغرى التابعتين لرأس الخيمة وجزيرة أبو موسى التابعة للشارقة . سبق لحاكم الشارقة أن وقع اتفاقية بناء على طلب بريطانيا تنازل فيها لايران عن نصف الجزيرة لمدة تسع سنوات مقابل مليون ونصف مليون جنيه سترلينى .

٢ ديسمبر

.. اغتيال رئيس الوزراء الأردنى العميل وصفى التل فى القاهرة . منظمة فلسطينية جديدة باسم أيلول الأسود تعلن مسئوليتها عن الاغتيال .
.. قرار ثورى للعقيد القذافى بتأميم الشركة البريطانية للبتترول وسحب الأرصدة الليبية من بنوك بريطانيا ردا على دورها فى احتلال ايران للجزر العربية الثلاث .

.. نجحت عملية الفهد فى إقامة موقع انجليزى جديد مركزه تافى عطار .
.. قررنا تجنب أى مواجهات نظامية وشن هجمات مضادة عندما تقيم الحكومة قواعد ثابتة .

.. احصاء : وقع ٢٩٠ اشتباكا خلال ثلاثة شهور إبتداء من أول أكتوبر، منها ١٧٠ إشتباكا فى الشرق و٤١ فى الوسط و٢٠ فى منطقة هوشى منه و٥٩ فى الغرب . فقدت قوات السلطان ١٣٦ قتيلًا مقابل ٣١ لنا . خسر الاستعماريون طائرتين وواحدة مروحية وعدة عربات عسكرية . لا أستبعد بعض المبالغة فى هذه الأرقام .

.. انعقد فى أهليش بالمنطقة المحررة المؤتمر التأسيسى للجهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربى . تكونت من الوحدة بين جبهتنا والجهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربى . سار بعض المشاركين على الأقدام لمدة اسبوعين ليبلغوا مكان المؤتمر . لم يتمكن يعرب من الحضور . تم انتخابه فى لجنة تنفيذية مسئولة عن منطقة الشمال العماني .

٥ فبراير ٧٢

.. استقبل نميرى فى الخرطوم مبعوث الخارجية الأمريكية جورج بوش ، أحد كبار رجال سى أى ايه .

٢١ فبراير

.. فشل حملة ضارية من ألفى مرتزق ضد المحافظة الرابعة بيحان في الجنوب اليمنى. قائد المرتزقة هو الشيخ على بن ناجى الذى اصطدم به الجيش المصرى سنة ٦٢ ، كان من ضحاياه فى صرواح والعرقوب الضابطان المصريان نبيل الوقاد وعبد المنعم سند واليمنى على عبد الغنى .

١٣ فبراير

.. تقرر أن أسافر مع وفد حزبى الى عدن على بعد ١٥٠٠ كيلومترا لحضور المؤتمر الخامس للجبهة القومية. لا أستطيع النوم . سأرى أخيرا البلد الصغير الذى لا يتجاوز تعداد سكانه المليون ونصف المليون وصار قاعدة الثورة فى العالم العربى .

١٧ فبراير

.. قضينا ثلاثة أيام فى لاندروف وبيك أب وفوق ظهورالجمال وعلى أقدامنا. أنا وغزال وآخر من بيت الغسانى. مراغ فقيرة وعيون شحيحة. الممرات الجبلية تنسد دائما بسبب قوافل من عشرين إلى ثلاثين جمالاتنقل المؤن. بعض القصف العشوائى من جانب البريطانيين. صخرة رأس ضربة على التى تطل على بحرالعرب مباشرة. آخر نقطة على الحدود. ارتفاعها ثلاثة أمتار. تشبه رقم ٧ ، تقول الأسطورة إن على ابن أبى طالب شقها بسيفه إلى نصفين عندما اعترضت طريقه . سألت مقاتلا على مدفع هاون عن مصدره . قال : غنمناه من الانجليز . وجدت عليه عبارة «الجمهورية العربية المتحدة» . أشرت إليها فقال: بريطانيا أخذته من مصر ونحن أخذناه منها. نزلنا أحد الأودية ثم صعدا الى جبل القمر. اجتزناه ليلا على أقدامنا . هبطنا فى الحوف . أول قرية بالمحافظة السادسة (المهرة) . وجبة من السمك المسلوق مع التمر فى مكتب الجبهة . قارب بموتور ٣ حصان لمركزالفتك ثم لاندروف الى الغيضة عاصمة المحافظة السادسة . طائرة متداعية إلى مطار الريان فى المكلا. منازلها متلاصقة ومحصورة بين الجبال والبحرفى شريط ضيق. ترتفع الى ست طوابق أحيانا. بدت من الطائرة مثل صفوف من قطع الحلوى .

.. التقطنا اذاعة عربية جديدة من مونت كارلو . لها ايقاع سريع .

٢٨ فبراير

.. طائرة متداعية أخرى الى عدن التى تبعد ٥٠٠ كم. تذكرت أيام الطفولة. كان أبى يصحبني معه فى جولاته التجارية بأنحاء المحمية الانجليزية بسلطنتاتها

ومشيجاتها وقبائلها. العواقبة المحاربون نسل معن عبدة القمر . تلمع صدورهم بمزيج النيل الزرقاء والدهن. يربطون شعورهم بخرق . فى حزام كل واحد منهم الخنجر المقوس الذى يحوى مقبضه إناء الكحل. أظننا زرنا لحج التى يحتفظ سلطانها بأسد أهده له امبراطور الحبشة . رأينا طواير المصفحات الانجليزية ترتفع منها ساريات اللاسلكى . المخافر يحرسها جنود يرتدون الشورت . وادى القتل فى سلطنة الوحيدى. يمدون خنادق من البيوت الى الأباركى تتمكن النساء من نقل المياه دون أن يصيبها الرصاص المتطاير. صفوف طويلة من جذوع النخيل الذابلة بسبب الجازالذى صبه منتقمون . حضرموت التى ترتفع فيها المنازل ثمانين قدما. قصر السلطان المهيب فى سايون. صعدت مائة سلمة الى طابق الحريم بينما كان أبى مجتمعا بالسلطان . شبوا التى ترقد فوق واحدة من أعظم مدن مملكة سبأ. عندما اقتربنا من عدن تذكرت القبط والرطوبة الخانقة من الصباح المبكر . سباقات النوق وطققة الطواحين الهوائية التى تجذب مياه البحرالى أحواض الملح . ضجة الميناء . الصيادون يصلحون شباكهم المنشورة على الشاطئ . السفن العابرة بين المتوسط والمحيط الهندى تتزود بالبتروال والفحم . يتسوق ركابها من السوق الحرة الأورويون بملابسهم البيضاء والسفارى.

مطار عدن صغير . كنت أتوقعه أكثر نظافة . به طائرتان واحدة أثيوبية والثانية صومالية. استقبلنا رفيقان أحدهما من الجبهة القومية والآخر ممثل جبهتنا. حملنا حقائبنا بأنفسنا من الطائرة الى جيب عسكرية متداعية. بعد هذه السنوات فى البرية تبدو المدينة محيرة ومربكة. المباني الواطئة تبدو كالعمارات الشاهقة . السيارات تنطلق بسرعة مرعبة. الناس كثيرون. الأسلاك الشائكة فى كل مكان . منطقة خورمكسر التى كانت بها ثكنات الانجليزومساكنهم. أصبحت الآن حى السفارات وسكنى الأجانب والمسئولين. فندق كريست . مبنى كولونىالى من بقايا العهد الاستعمارى. مراوح عاطلة فى السقف. المصعد متوقف . الضوء ضعيف. العاملون من الفدائيين السابقين. أخذنا موسى مسئول الإعلام فى مكتبنا الى منزله. أعطتنى زوجته شامبو للشعر وأخذت أروع حمام ساخن فى حياتى. غسلت أسناني جيدا بفرشاتها. شربنا بيرة صيرة. يشبه مذاقها مذاق ستلا المصرية . تعشينا لوبستر.الدولة هى التى تشرف على صيده بعد ان أممت مراكب الصيد التى لم يزد عددها عن ثلاثين أوأربعين مركبا. تصدره الى المانيا الديموقراطية وروسيا.

التليفزيون كله أحاديث ثورية ومسلسل مصرى. الكهرباء والمياه تقطعان من الساعة العاشرة مساء عدا الخميس وطيلة يوم الجمعة.

٢٩ فبراير

..أفطرنا فاصوليا بيضاء و عدسا . جريدة ٦ اكتوبر والحرية وصحف الحزبين الشيوعيين السورى واللبنانى . لا توجد جريدة أجنبية أو كتاب أجنبى أوحتى عربى ..

خصصت الجبهة العدنية لكل منا عدة دينارات للنفقات الشخصية لكننا رفضنا أخذها. جولة فى سيارة جيب عسكرية مخلعة . بيت كيكى الذى كان يتم فيه تجميع الأطفال المخطوفين من أفريقيا لينقلوا بعد ذلك إلى السعودية أوالخليج. اسمه الآن بيت السلطان. حى المعلا. الشريان الرئيسى الذى يلى الحى العربى فى كريرتر. مكاتب جهتنا. عدد من المتدربين الظفاريين على الرعاية الصحية. الرفيق صالح الذى أصابه السجن بشبه شلل فى قدمه. كنا قد قررنا ارساله للعلاج فى المانيا الديموقراطية لكنه يرفض السفرويصر على العودة للقتال . يعيش رفاقنا هنا فى نفس المستوى الذى نعيشه فى ظفار. يأخذون نفس الراتب (١٠ دينار) للنفقات الشخصية. تتكفل الجبهة بالإعاشة . السكن والكهرباء على حساب الدولة اليمنية. بقايا فيلات الانجليز مزخرفة بأشكال هندسية وألوان بهيجة.البنائات احتلتها جموع ريفية فقيرة. المدينة الجديدة حول الميناء : بلوكات المساكن الشعبية التى يبنها الألمان. دورالسينما الصيفية والكاازينوهات والمقاهى. جلسنا فى مقهى على البحر. أراد غزال أن يشرب بييرة لكنى نبهته الى أننا فى مكان عام. غضب منى وصار يدعونى بالشيخة وردة. المرفأخال من البواخر، هامد الحركة.إغلاق قناة السويس ورحيل المستعمرأدى إلى بطالة عشرات الألوف من كوادر ومهنيين وعمال . تغدينا لوبيستر وبريان أرزبالسمك. السيدات يتلفعن بما يشبه الثوب السودانى. البعض فى جوب وبلوزة. رائحة الدلكة والصندل الزرايقة. النقوش على الأيدى والأقدام .أصوات الغربان السوداء المزعجة . منتشرة فى كل مكان. جلبها الانجليز لتقوم بتنظيف المدينة كل صباح. حرماوا اصطياهاها أوقتلها. أكد لنا السائق أنه لوقتل أحد غرباها هاجمته بقية الغربان هو ورفاقه. حوانيت الدولة قديمة وتكاد أن تكون خالية من أى بضائع . خمس تاكسيات فى المدينة كلها. ما زالت هناك تقبيلة من الساعة الواحدة حتى السادسة. تحارب

الدولة تعاطى القات. قصرت بيعه على يومى الخميس والجمعة. يستورد من اثيوبيا بالطائرة.

أول مارس

.. عرضت نفسى على طبيبة متخصصة تخرجت من مصر. فحصتني بدقة. لم تجد تفسيراً لما أشعر به من آلام غامضة واضطراب فى الدورة. نصحتني بأن أتزوج وأنجب أطفالاً. عجبت لأمرها. مهما بلغت المرأة من ثقافة لا تتحرر من تأثير المجتمع الذكورى. تظل تتصور لنفسها مهمة واحدة رئيسية فى الحياة.

٢ مارس

.. شهاب هنا. وفد لحضور المؤتمر. ابتهجت لرؤيته. احتضنني بقوة. لم يتغير كثيراً. فقد الكثير من شعر رأسه. تزوج من رسامة لبنانية. قال إنه يفكر فى كثيراً. تحدثنا طويلاً. قال إن رشدى ينشر سلسلة من الدراسات عن الحركات الثورية فى العالم العربى. وإنه التقاه فى بيروت.

٣ مارس

.. قابلت أعضاء الاتحاد النسائى اليمنى. الناس تغنى فى الشوارع لسالمين. قيادة لا تتعالى أو تتطلع وليس لها امتيازات خاصة. النسبة بين الحد الأدنى والحد الأعلى للأجور والمرتبات كانت ١-١١ فنزلت بها القيادة الشعبية إلى ١-٥، فقط. راتب الوزير ٧٥ دينار وأقل أجر للعامل ١٥ دينار (٤٥ دولار). أما راتب رئيس مجلس الرئاسة فهو ١٠٠ دينار فى الشهر.

.. حماس فى المؤتمر يقوده سالمين نحو الإسراع فى إقامة الحزب الطليعى ودكتاتورية البروليتاريا. رأى عبد الفتاح إسماعيل أن هذا الحزب لا يمكن إقامته نتيجة لضعف الأساس الطبقي والأيدىولوجى.

.. التقينا سالمين فى قصر الرئاسة. بناء دائرى كان مقراً للحاكم البريطانى. دخلنا دون موعد ودون أن يعترضنا أحد. يرتدى بذلة كاملة. الملابس الأوروبية تبدو لى غريبة. عيناه دائمتا الحركة. بسيط وشعبى.

.. ذهبنا إلى عبد الفتاح اسماعيل فى بيته فوق أحد التلال المشرفة على الميناء. هادئ ورزين. شعر رأسه غزير وناعم. حاد الذكاء. سألته عن الموقف من الشيوعيين. قال إنهم رفاق جيدون ثم اضاف مبتسماً: يجيدون الكلام. تذكرت حديث جيفارا عنهم.

.. انتهى المؤتمر بانتخاب لجنة مركزية من ٣١ عضوا بدلا من القيادة العامة. انتخبت اللجنة بدورها مكتبا سياسيا من ٧ أعضاء وأمين عام هو عبد الفتاح اسماعيل . سالم ربيع رئيس لمجلس رئاسة الجمهورية وأمين عام مساعد للحزب. .. انشقاق يسارى جديد فى الجبهة الشعبية يدافع عن خطف الطائرات . يصفه بأنه تكتيك نضالى . يرى أن الأنظمة التقدمية العربية ليست إلا أنظمة برجوازية صغيرة آخذة فى التحول إلى أنظمة رجعية .

.. اجتمع قابوس مع الملك فيصل فى الرياض. قالت الصحف الانجليزية إن الاجتماع دبره روبرت أندرسون وزير الخزانة الأمريكية الذى التقى الأول فى لندن. اتفقا على وقف مساعدات السعودية للإمام غالب و مساندة قابوس. .. توقيع اتفاقيات تسهيلات بحرية بين البحرين والولايات المتحدة تتيح مرابطة ٣ سفن للاخيرة فى ميناء جفير.

٧ مارس

.. سهرنا أمس فى بيت الرفيق موسى احتفالا بانتهاء المؤتمر. أعدت شغالة صومالية الطعام الذى مونه مكتب الجبهة . حضر شهاب. غازلني بجرأة رغم صدى له. أدركت أنه يريد أن يثبت سيطرته على فقاومته. لا أظن أن مقاومتي كانت جادة. ربما بسبب علاقتنا السابقة أوحاجتى الى الشعور بخد خشن وساقين قويين. ربما أيضا أنى من جانبي كنت أتلمس قدر ما لى من نفوذ عليه. وهو داخلى ابتسمت عندما تذكرت كلمات الطيبية. الغريب أنى استمتعت . ربما السبب هو الألفة القائمة بيننا . لكنى تأكدت اليوم أننى لم أعد أحمل له ذرة عاطفة. فنيثو.

١٠ مارس

.. اللاندروف من الغيضة وسط الجبال. الأغاني والأناشيد طول الوقت. اصطحبنا صالح الذى أصر على العودة دون علاج . مياه المحيط على طول النظر. هى والجبال. وصلنا دمقوت التى بدت مهجورة. بعد عناء عثرنا على دكان به نوع واحد من المعلبات. تركناها فى صنوبك متداع. شددنا على حوافه ونحن نغنى «شعبية شعبية». قرش كبير أو دلفين قذفه البحر كاد يقلبنا. صرخ صالح أنه لا يستطيع السباحة. ثم بدأت نغمة هوب، هوبل. هبطنا الشاطئ عند الحدود. استقبلنا الرفيق سعيد على عضو اللجنة التنفيذية . تفقدنا المرحلة الأخيرة من أول

مستشفى تبنيه الجبهة. استلقينا بعد العشاء فوق سطح منزله نستنشق الهواء الرطب الذى افتقدناه فى الغيضة. الحديث عن مسلم بن نواف الذى انضم للحكومة. ومضات الضوء تتبعث من كشافات بحرية السلطان على طول الشاطئ بحثا عن القوارب التى تنقل الأسلحة. فجأة انهالت علينا الصواريخ من بارجة بريطانية بعيدة. الدوى هائل لكن لم تحدث إصابات .

١١ مارس

..استأنفنا السير. فى نهاية اليوم وصلنا قرب البريطانيين فى صرفيت. رغم وجودهم قرب الحدود فإن «عنق» المناطق المحررة الذى تتسلل منه القوافل من اليمن مازال مفتوحا بسعة خمسة أميال .

٣١ مارس

..السودان يحصل من صندوق النقد الدولى على مساعدة مقدارها ٤٠ مليون دولار لمواجهة العجز فى ميزان المدفوعات.

٢ أبريل

.. أقامت الحكومة مراكز محصنة بالقرب من صرفيت . دعمت الرقابة على كافة الطرق المؤدية إلى الجبل من الساحل. أطلقت على هذه الخطوة اسم عملية سيمبا . شملت العملية هجمات جوية على اليمن الديموقراطى ذاته بما فى ذلك قرية الحوف .

٨ أبريل

.. نبأ صاعق . بعد ان تركنى صالح وواصل الطريق الى وحدته عرف أن محكمة الثورة أعدمته والده بتهمة التعاون مع العدو. جن وانهار. انضم للفرق الحكومية وأخذ يدلهم على أماكن قواتنا وأسلحتنا.

.. المؤتمر الأول للاتحاد الاشتراكى العربى فى ليبيا (٥٣٠) عضو بينهم ٤٠ امرأة) . القذافى يقول أنه تنظيم جماهيرى يجمع الرأسمالية الوطنية والفلاحين والعمال والمثقفين والجنود كى ينصهروا مع بعض . قال إن النظرية الثالثة التى ابتدعها تقوم على أسس ثلاثة : الاشتراكية والدين والقومية . وإن الاشتراكية التى يعينها تختلف عن الماركسية والرأسمالية.

.. تقصيت أمر الحكم الذي أصدرته محكمة الثورة على والد صالح. كل ما فعله أنه قدم الحليب لداورية حكومية طبقا لتقاليد الضيافة. هناك عشرات من الأحكام المماثلة التي تم تنفيذها في مناطق مختلفة. كتبت تقريرا الى اللجنة التنفيذية طالبت فيه بمنع تنفيذ أى حكم بالإعدام الا بعد عرضه على اللجنة المركزية بكامل هيئتها. طالبت ايضا بتصحيح الموقف بالنسبة لوالد صالح.

٢٨ أبريل

.. ما زال الهجوم الفيتنامي الكبير فى أوجه . أريك خطط الولايات المتحدة العسكرية وأدخل الثوار الى المدن .

٦ مايو

.. محاولة لضرب اليمن الديموقراطى. حشود عسكرية على حدوده. مشاريع أمريكية اسرائيلية للسيطرة على مداخل البحر الأحمر. استفزازات على الحدود بين الدولتين اليمنيتين .

.. الثوار الفلسطينيون يختطفون طائرة ركاب بلجيكية ويهبطون بها فى مطار اللد. طالبوا بالأفراج عن عدد من زملائهم المعتقلين فى السجون الإسرائيلية. القيمة المعنوية للعملية تتمثل فى الوجود الفلسطينى فى قلب إسرائيل ذاتها .

٢٤ مايو

.. أسقط العدو ٢٠٠ رجلا فوق خال - أروط على مبعدة عشرة أميال شرقى حوف .

٢٥ مايو

.. شنت الطائرات الإنجليزية هجوما على الحدود اليمنية استمر طول اليوم. قصفت أهدافا مدنية : المدرسة والمركز الطبى و مركز مكافحة الأمية ومساكن الأهالى. قتلت خمسة من رجالنا و نساء وأطفالا . أسقطنا طائرتى سترايكماستر . .. القذافى يعرض المساعدة على السلطنة ضدنا.

.. افتتاح مستشفى الشهيد حبكوك فى منطقة الحدود . يتكون من ١٤ عنبرا: عيادتين، ثلاثة كهوف، ثلاث خيم ، أكشاك من الزنك والخشب. تشرف عليه لجنة صحية من الذين تدرّبوا فى اليمن الجنوبي . العيادة صيدلية فى نفس الوقت. يتردد عليه بين ستين وثمانين مريضا من الرجال والنساء والأطفال .

صافحتنا مريضة بالسل فى السبعين تحمل الكلاشينكوف. تشارك فى الحراسة. النزلاء يفترشون الأرض فوق الكنابل والملاءات. قرب المستشفى أقيمت مزرعة خضراوات. يعمل بها القادرون من المرضى. المساعدون الصحيون ينتقلون إلى المناطق السكنية للعلاج والثقيف الصحى . يتولون الإسعافات الأولية ثم تنقل الحالات الحرجة إلى المستشفى . الطبيب الوحيد وليد يبدو عليه الإرهاق. يحمل الكلاشينكوف على ظهره طول الوقت. حافى القدمين مثل مرضاه. انتدبته الجهة الشعبية لتحرير فلسطين. فلسطينى فى الثلاثين. أصيب فى عملية بالأرض المحتلة نتج عنها تشوه وجهه . سألته إذا كان يشعر أن فلسطين تحتاج إليه أكثر منا. قال وهو يلف دخينة تبغ : المعركة واحدة فى كل مكان. المشكلة هنا هى فى درجة الوعى. له هنا عدة شهور. طوف بكثير من القرى . كان يعتمد طول الوقت على المسكنات البسيطة بسبب نقص الأدوية . يعطى للمريض بضعة أقراص ويقول له خذ اثنين منها ثم يصرفه . أغلب المرضى لم يفهموا أن المطلوب هو ابتلاع الدواء فكانوا يربطونه بقطعة قماش فوق المكان الذى يعانى من الألم . الأغرب من هذا أنهم كانوا يشعرون بالتحسن.

..هاجم ثلاثة يابانيين مطار اللد تعبيرا عن التضامن بين القوى الثورية العالمية .

أول يونيو

..وزير الارشاد السودانى يزور أمريكا ويؤكد عودة العلاقات بين البلدين . المليونيير السودانى خليل عثمان يقول: «رأس المال الأجنبى دلوقت بيقبل على الاستثمار فى بلدنا. بعد أربعة أيام سيصل رجال الأعمال من اليابان وأمريكا وبريطانيا علشان يشوفوا المشروعات الممكن يساهموا فى تنفيذها» .

٧ يونيو

.. أصيب ١٢ ضابطا إنجليزيا عندما أطلق مقاتلونا قذيفة مباشرة على ميس الضباط فى صلالة .نقل الجرحى بطائرة خاصة إلى قبرص .

٢٨ يونيو

.. عندما بدأ موسم الأمطار كانت المبادرة فى أيدينا . أجبرنا العدو على إخلاء مركز ثقبية. تمركزوا فى موقع سيمبا على ارتفاع ٤٥٠٠ قدم، على مبعده سبعة كم من الحدود اليمنية . هذا الموقع يتحكم فى الطريق بين الجانبين .

فشلوا في اختراق التلال إلى البحر. أصبحوا أسرى موقعهم . لديهم كتيبة واحدة ستضطر للبقاء طوال الشهور الخمسة التالية. دمر القصف المتواصل من جانبا الممر الجوي الذي كانت تستخدمه طائرات سكاى فان وكاربيو. يعتمدون الآن كلية على إمدادات الهليكوبتر.

.. في معركة استمرت ١٤ ساعة في وادي كوهوت تحت صرفيت، قتل الشيخ محمد أحمد هاشيت خال قابوس .

.. ارتباك في صفوف السلطة : تشكل مجلس للدفاع الوطني يضم وزير الخارجية ، نائب وزير الدفاع الذى هو السلطان ، القائد البريطانى لقوات السلطان ، المدير البريطانى للمخابرات والمستشار البريطانى لشئون الأمن والمستشار الاقتصادى ورئيس البوليس وهو سيلانى يحمل جوازا بريطانيا.

٤ يوليو

.. أعلن الملك حسين عند استقباله لقابوس إنه سيرسل بعثة عسكرية أردنية من الجيش و الطيران إلى السلطنة لمقاتلة الثوار. الشبه بين الاثنين غريب : تقريبا نفس السن والقامة ونفس الدراسة فى انجلترا ونفس التاريخ فى العلاقة بالأب ونفس الارتباط بالأجنبي .

٨ يوليو

.. السادات يتخذ قرارا بإنهاء مهمة المستشارين والخبراء العسكريين السوفيت فى مصر. كشف بذلك عن عدم جديته فى خوض معركة التحرير . اجتماع لمناقشة اقتراح فهد بالاستيلاء على بلدة مرباط. نتائج الاستطلاع : ٤٠ رجلا فى القلعة وبعض رجال الفرق القليلين فى البلدة وثمانية ضباط من القوات الخاصة الأنجليزية ومدفعى عمانى فى حفرة إلى جانب القلعة . القائد الانجليزى اسمه الكابتن مايك كيلي. بمنزله رشاشان براوننج وهاون نصبت فى دشمن من زكائب الرمال. اعترضت على الفكرة على أساس قرارنا السابق بعدم الدخول فى مواجهات نظامية . صاح فى فهد حانقا: نظامية ايه ؟ ستفاجؤهم وهم نيام. نوه بالأهمية السياسية لأن تتم العملية فى ذكرى انقلاب قابوس.

٢٣ يوليو

.. هجوم واسع النطاق على مرباط بقوة من مائة مقاتل يقودها فهد . بدأ فى الخامسة والنصف صباحا.

..احتفظت قواتنا بمرباط لمدة ١٤ ساعة.

..فقدنا سبعين مناضلا في كارثة مرباط. استمعت الى شهادات الناجين. تقدمت جماعة من عشرين رجلا من السلك الذى يحيط بثلاثة جوانب من البلدة. خلفهم مجموعات من عشر إلى ١٢ رجلا مלאؤا السهل . جروا فى خط متباعدين عن بعضهم البعض . رافعين أسلحتهم إلى أكتافهم . فاجأتهم زخات قصيرة حادة من النيران صادرة عن منزل القائد الانجليزى. بلغ رجالنا السلك . شرعوا فى تمزيقه . بعضهم فعل ذلك بأيديه العارية. البعض الآخر ألقى بطانية فوقه وإعتلاه. انفجرت فيهم الدانات ٧, ٦٢ مم المنطلقة بسرعة أكثر من ٢٠٠٠ قدم / ثانية . قذفت بالبعض بعيدا عن السور. اشتبك آخرون بالسلك وجعلوا يتأرجحون مثل الدمى . صرخ فهد فى الناجين ولوح بيديه يحثهم على عبوره . تعرضوا لدفعة نيران جديدة . تمكن البعض من عبور السلك وجروا صوب القلعة على مبعده أربعين ياردة منه، بينما علق به آخرون. مقاتل تدلى فوق السلك مثل دمية من القماش. آخرتعلق به ورأسه إلى أسفل وأطرافه مبسوطة فى كل الاتجاهات كالمصلوب. عبر آخران السلك . سقطا على الفور وساق أحدهما تتأرجح. اندفع رفيقان لإسكات المدفع. بعد مائة ياردة دوت بينهما زخة رشاش. ارتميا فوق الأرض. اندفع أحدهما فى خط متموج نحو حفرة المدفع فقفز فوق جدارها. جرى الباقون نحو القلعة وهم يقذفون بالقنابل . ثم جاءت الطائرات.

.. تخيلت فهد فى بذلته الكاكية وقبعته المدببة وحزام الطلقات حول صدره، منتصبا عند السلك يصرخ ويلوح بذراعيه، وبندقيته مرفوعة أفقيا فوق رأسه. ربما تخيل نفسه مثل أبطال الملصقات الصينية!
.. وليد ومساعدوه يعملون ٢٤ ساعة لعلاج الجرحى.

.. مقاتل فقد ساقيه . طارتا أسفل الركبة مباشرة نتيجة إنفجار. روى لى كيف استشهد رفيق له يدعى مسلم. انسحب فى اتجاه الشاطئ حسب الأوامر.

لحقت به مجموعتان من الجنود الانجليز. خاض في الماء حتى خصره . نادوا عليه ليلقى بندقيته ويستسلم. استدار وأطلق عليهم النار فصرعوه.

.. وزعت قوات العملاء منشورا به صور الأسلحة التي غنمتها. جاء به : «إن القادة الشيوعيون توقعوا سهولة النصر في عملية مرباط الأخيرة . والحقيقة كانت هزيمة للشيوعيين منكرة وعظيمة . لقد هرب الشيوعيون تاركون في يد قوات السلطان المسلحة المنتصرة : تسعة وعشرين قتيلًا واثني عشر أسيرًا وكثير من الأسلحة . ان هذه الصورة ليست كل ما غنمناه ولكنها نموذجًا حيا للأسلحة التي خلفها الشيوعيون وراءهم». تحسن مستوى كتابتهم وإن ظلوا يرتكبون أخطاء نحوية!

.. منشور آخر بعنوان يد الله تحطم الشيوعية يصور قبضة ساذجة موسومة بعلم السلطنة تعتصر جسما بشريا ضئيلا لا تبدو منه غير اليدين في أعلا القبضة ونجمة في أسفلها وتتساقط منه قطرات من الدماء !!
..أخذوا بعض الأسرى إلى صلالة حيث تعرضوا للضرب والتحجير بواسطة الضباط الإنجليز أمام الجمهور .

أغسطس

.. بمبادرة لم تعرض على القيادة ، هاجمت مجموعة من المقاتلين بلدة طاقة. نجحت في احتلالها لمدة أربع ساعات. انسحبت بعد أن استولت من التجار على كميات كبيرة من الأطعمة وعوضتهم نقدا .
.. اتخذنا قرارا حاسما بوضع حد لعمليات الهجوم على نطاق واسع.

صلاة

ديسمبر ١٩٩٢

دق جرس التليفون فوضعت أوراق وردة جانبا وتناولت السماعه .
عرفت صوته على الفور : زيد!

ضحك : كنت تتوقنى ؟

قلت : نعم . من أين تتكلم ؟

قال : من مسقط . اسمع . الى متى ستبقى عندك ؟

قلت : حتى بعد غد .

قال : هل يمكن أن تنتظر يوما آخر ؟ أريد أن أراك .

ترددت . كنت قد بدأت أشعر بالضجر وأتلهف على العودة لا الى مسقط

وانما الى القاهرة .

قلت : يمكنك أن ترانى فى مسقط .

قال : لا . أفضل عندك . سأتصل بك بمجرد وصولى .

وضع السماعه وأعدت سماعتى فى ضيق . كنت قد طلبت من خلف أن

يرتب لى حجز الطائرة وسأضطر الآن الى طلب تأجيله .

مددت يدى الى أوراق وردة لأواصل القراءة وإذا بجرس التليفون يدق من

جديده .

جاءنى صوت سالم :

— ماذا تفعل ؟

قلت : أقرأ . ماذا هناك ؟

قال : رتبت لك موعدا . أيمكنك أن تنزل ؟

قلت : الآن ؟ أنا لم أتعشى بعد .

قال : لا تقلق . ستأكل .

ارتديت ملابسى وأعدت الأوراق الى كيسها . أزحت المقعد المجاور

للفراش ودمست الكيس أسفل السجادة ثم أعدت المقعد الى مكانه .

وجدت سالم ينتظرني في البهو وقادني على الفور الى الخارج حيث كان زوج أخته ينتظر في سيارة مازدا قديمة مركونة على الناحية الأخرى من الطريق ومقدمتها في اتجاه وسط المدينة .

عبرت الطريق خلفه وأنا أتساءل: ايه الحكاية ؟

قال وهو يفتح لي باب المقعد الخلفي : اركب أولاً.

جلس الى جوار قريبه الذي انطلق على الفور.

قال: هل تعرف أن لأخت صديقك ابنة هنا ؟

تجنبت الرد بالاجاب أو النفي ووجهت اليه سؤالاً بدلا منه :

- هل نحن ذاهبون اليها؟

قال : لأ طبعاً. سنقابل شخصاً آخر. واحد من الجبهة كان في السجن .

التفت نحوي وقال: ألم تقابلها عندما ذهبت الى جمعية المرأة؟

لا شيء يخفى هنا.

قلت : قابلت واحدة اسمها وعد لكني لم أعرف صلتها بوردة.

قال : إنها هي . كيف وجدتها؟

- لم أتوقع أن تكون مهووسة دينياً.

- كيف ؟

- تغطي وجهها بنقاب أسود كثيف يخفى حتى عينيها.

- آه . هذا نقاب الأشراف ولا علاقة له بالدين.

مضى فطوم في شارع قابوس الموازي للشاطئ. وأدار الراديو فاستمعنا الى

نشرة أبناء تصدرتها إشارة الى اغتيال أحد قادة الحزب الاشتراكي اليمني في عدن.

علق سالم : أظن هذا هو الحادث الخمسين من نوعه منذ الوحدة بين

الشمال والجنوب.

قال فطوم وهو ينطلق بجوارمحمية للطيور:

- الحمد لله أن العدوى لم تنتقل الينا.

قال سالم مستنكراً: هل نسيت سهيل ؟

تدخلت في فضول : من هو؟

قال : أحد القادة الأوائل للجبهة وتوفي أمس في حادث مرور في نزوى.

حادث مريب . ترك زوجة وسبعة أطفال .

قال فطوم مهونا: حادث واحد .

رد سالم كأنما يستأنف نقاشا سابقا :

- وماذا عن الاعتقالات؟ أبو سكرة الذى تخرج من جامعة كيبف وعاد فى أواخر الصيف الماضى ما زال معتقلا. مسلم بن نوفل أحضره مكبلا من الإمارات وسحبوا منه جواز سفره.

ولماذا لم يعتقلوك أنت أيضا يا عم سالم؟

اعترض فطوم فى حدة: مسلم قبض عليه بسبب ما عليه من ديون.

قال سالم: أية ديون؟ منذ انضمامه الى السلطة سنة ٧٠ وهو يحصل على مبالغ طائلة آخرها ٨٠٠ ألف ريال وقطعة أرض بالإضافة إلى راتب مدير فى الحكومة وألف ريال شهريا من الديوان السلطانى ومواد غذائية من مكتب محافظ ظفار. وأخيرا بدأ يدخل فى النفط فوق مع اليمينين اتفاقية للتنقيب ممثلا لإحدى الشركات.

تحول فطوم الى طريق مترب شبه مهجور وتوقف أمام منزل قديم من طابقين تحيط به حديقة مهملة. كان بابها مفتوحا على مصراعيه فاجتزناه بالسيارة. سعدنا بضع درجات متأكلة وطرق سالم بابا خشيبا . فتحه لنا رجل متوسط الطول عصبى القسماات عارى الرأس . أشار لنا بالدخول وتقدمنا الى قاعة واسعة كالحة الجدران فرشت أرضها بالحصير وتوسطها أريكة وبضعة مقاعد. تبادلنا التحيات والسؤال عن الأهل والصحاب وأحضر صبى مراهق زجاجة عرجى قادمة من الجنوب اليمنى، وطبقا من الزيتون ثم تتابعت الأطباق : كبدة بالشطة وسمك مشوى و جبن أبيض.

قال سالم : أخ مسعود. الأخ المصرى يريد أن يسألك عن وردة.

تحول الى فى حدة قائلا: وردة ماتت.

قلت : متى؟

ظهرت نظرة ساهمة فى عينيه .

قال : استشهدت أثناء معركة مرباط.

تساءلت : مرباط أم طاقة؟

بدا عليه الارتباك. وتطلع ناحية الباب. وفجأة تبدلت ملامحه وبدا عليه

التوتر.

سألنا دون أن يرفع عينيه عن الباب : هل سمعتم ؟

تبادلنا النظرات أنا وسالم .

قال فطوم : ليس هناك أحد .

تحول الينا وما زال ذهنه عالقا بالباب .

سألته : هل تعرف أباها ؟

هز رأسه : لم يكن لها إخوة .

قلت : هل قابلتها ؟

التفت مرة أخرى ناحية الباب وأوماً الينا أن ننصت .

سمعنا صوت نباح كلب و تصلب جسده ثم همس :

- جاءوا .

احتسيت كأسى فى صمت و التقطت حبة زيتون .

تكرر النباح ثم ابتعد . والتفت نحوى مائلا بجسده الى الأمام :

- الحقيقة لها وجهان .

لم أفهم ما يعنيه واستطرد هو :

- سأحكى لك نادرة من نوادر جحا . جاء إليه رجل وأعطاه مصباحا

وطلب عشاء فأكرمه جحا وفى اليوم الثانى أتاه رجلان وقالاه إنهما صديقا صاحب

المصباح وتناولوا العشاء وفى اليوم الثالث أتاه ثلاثة وقالوا له إنهم أصدقاء الرجلين

صديقى صاحب المصباح ويريدون عشاء فأكرمهم كذلك وفى اليوم الرابع جاءه

أربعة وقالوا إنهم أصدقاء الثلاثة أصدقاء الاثنين صديقى صاحب المصباح وطلبوا

عشاء فقدم لهم جحا الماء فقط وقال إن هذا الماء صديق ماء الثلاثة أصدقاء

الرجلين صديقى الرجل الذى أعطاه المصباح . هل فهمت ؟

اعترفت بأنى لم أفهم فقال :

- هذه نادرة عن الكرم الذى اشتهرت به القبائل العربية . لكنها تريك أيضا

ما يتصفون به من جشع وطفيلية . الحقيقة لها وجهان .

ملأ لنفسه كأسا وأضاف :

- قبل أن تظهر الجبهة لم يكن الرجل يخرج من منطقته إلا بعد إبرام

اتفاقيات هدنة مؤقتة مع القبائل التى سيمر عليها . وذهب رجل ليأتى بزوجه من

منزل أهلها فأطال البقاء وانتهت مدة الهدنة ثم نفذ تبغها فخاطر بحياته ودخل قرية له عداوة مع قبائلها فتعرفت عليه امرأة من قبيلته . من حسن حظه أنها لم تشي به فأفلت بحياته.

تطلعت اليه حائرا فابتسم :

- هذه حكاية عن القدر . فقد عاش ليقتل في يوم آخر.

أدركت بعد حكائيتين أخريين أنني لن أحصل منه على شيء فاسترخيت وتركتهم يتبادلون الروايات .

جبال ظفار

١٩٧٥ - ١٩٧٢

أغسطس ٧٢

.. مناقشات مستمرة حول مأساة مرباط . التفكير في تنشيط الجبهة الشمالية لتخفيف الضغط على الجنوب .
 .. قال السادات إن خطة العدوان الإسرائيلي في يونيو ٦٧ عرضت على الرئيس جونسون في حضور مدير المخابرات الأمريكية، وأنه وافق وأعطى مباركته..
 . وصلتنا نظارة طبية خصيصا لفهد. كان الرفاق قد نصحوه بأن يهتم بالقراءة وتثقيف نفسه فاحتج بضعف بصره.

• سبتمبر

.. تصريحات صينية عن مؤامرة لين بياو لاغتيال ماو ثم هروبه وسقوط طائرته في منغوليا .
 ..احتجز الفدائيون الفلسطينيون (أيلول الأسود) سبعة من أفراد البعثة الرياضية الإسرائيلية في ميونيخ. طالبوا بالإفراج عن مئة معتقل فلسطيني في السجون الإسرائيلية. اتبع البوليس الألماني نصيحة الخبراء الإسرائيليين فانهى الأمر بمقتل الفدائيين والرهائن.

٧ سبتمبر

.. مناقشة حادة مع وليد . أبدت عدم ارتياحي لحادث ميونيخ وخطف الطائرات. لم أعرف كيف أصبح افكارى. كنت منزوعة للدماء المراقبة. قلت إنه يتعين الامتناع عن القيام بعمليات يعتبرها البعض سيئة كى لا نخسر الرأى العالمى. انفجر فى : خرايا على الرأى العام العالمى! لقد كان مرتاحا تماما لما يتعرض له الفلسطينيون من موت بطىء فى معسكرات الاعتقال. ماذا فعل هذا الرأى العام العالمى عندما أباد الملك حسين ٣٠ ألف فلسطيني فى عدة أسابيع؟
 توقف النقاش عندما استدعته صرخة من أحد الجرحى .

.. عندما رأني وليد هذا الصباح استأنف نقاش الأمس على الفور. قال لي بهدوء إن الهجوم الفلسطيني نجح في جذب أنظار العالم لمدة ٢٤ ساعة. قلت له إنني تابعت الإذاعات الغربية وتركيزها كان على إدانة العمل الفدائي الفلسطيني ووصفه بالمغامرة والإرهاب. قاطعني: لكن نغمة جديدة ظهرت بعد مصرع الرهائن. أكثر من صحيفة أوروبية قالت إن الناس نسيت كيف قامت دولة إسرائيل وكيف استخدمت أبشع وسائل الإرهاب لتحقيق غاياتها لمدة ٢٥ سنة. بدأت العقلية الأوروبية تتساءل عن الدافع لقيام ثمانية شبان في ربيع العمر بهذا الهجوم الانتحاري. وجدت ثغرة في دفاعه. قلت: ها أنت مهتم بالرأي العام العالمي. فكر قليلا في وجوم ثم قال: معك حق. ثم انفعل من جديد: لقد قتل الإسرائيليون في اليوم التالي في صمت ٢٠٠ فلسطيني بينهم نساء وعجائز وأطفال ولم يتحرك أحد. اتجهنا الى الكوخ الصغير الذي يقيم به. قلت: دعنا من الرأي العام العالمي. هناك نقطة جوهرية. في رأيي ان المقاتل في حرب تحرير شعبية لا يهاجم سوى الأعداء المباشرين للشعب. استنفرت هذه الكلمات عدوانيته فصاح: اسمعي.. أبي مات في خيمة أحقر من هذا الكوخ بينما كان لنا بيت كبيره حديقه من أشجار الزيتون.. هناك ١٨ ألف فلسطيني في سجون إسرائيل. العالم لا يهتم. ماذا يجب ان نفعل؟ خيل الى ان الدموع طفرت من عينيه. وجدت نفسي أمد يدي اليه. تحسست آثار الجراح التي تملأ وجهه. ما حدث بعد ذلك كان أمرا طبيعيا سوى أنه أخذ يبكي في أحضاني. أظن أنني ساعدته على أن يدخلني. لكنه قذف في الحال وضاعت اللحظة. لن يتكررا حدث.

.. غارات انتقامية اسرائيلية على المواقع المدنية في سوريا ولبنان.
.. وفد فيتنامي في الحوف وغرب ظفار. رافقه حسين موسى من مكتب عدن. شارك في المباحثات عامر على عضو اللجنة المركزية واثنان من أعضاء القيادة المحلية هما طلال سعد وعلى الحاج.
.. فهد يرتدى النظارة طول الوقت رغم أنها للقراءة فقط.

.. العدالة الأمريكية: أفرجت السلطات الأمريكية عن الضابط كالي بطل

مذبحة ماى لاي . كان قد حكم عليه فى سبتمبر ٦٩ بالسجن مدى الحياة . التحق بالعمل فى شركة تأمين على الحياة !!

٢٦ سبتمبر

..بدأ الهجوم من الشمال اليمنى على جنوبه بدعم من السعودية.

١٢ اكتوبر

.. اندحار الهجوم على اليمن الجنوبي .

١٧ اكتوبر

.. توفى أمس السلطان سعيد فى فندق دورشيستر بلندن حيث أقام منذ

خلعه.

١٨ اكتوبر

..افتتاح سفارة للولايات المتحدة فى مسقط.

٢١ اكتوبر

..استشهدت خيار مسعود فى مرتفعات ناشب شرق الخط الأحمر فى معركة

قتل وجرح فيها ١٥ من أفراد العدو.

٢٨ اكتوبر

.. دمرت الطائرات مستشفى الشهيد جبكوك.مرت خمسة شهور على إنشائه.

تقرر تحويله الى ثكنات متنقلة.

..التوقيع فى القاهرة على مشروع الوحدة بين اليمنيين . انتهت بذلك

الحرب غير المعلنة التى دارت بينهما طوال ثلاثة أسابيع . عجيبة!!

نوفمبر

.. استقبل كاسترو فى هافانا اثنين من قيادة الجبهة فى رفقة عبد الفتاح

اسماعيل. بيان مشترك من راديو هافانا يدعم نضالنا .

.. هانوى تذيع نص اتفاقية مع الولايات المتحدة . الاتفاقية تدشن الانتصار

على أعتى إمبريالية فى التاريخ . تتعهد الولايات المتحدة باحترام استقلال وسيادة

ووحدة وسلامة أراضى فيتنام وبالانسحاب من أراضيها .

.. أعلن ياسر عرفات أن المقاومة فقدت ٧١ ألف رجل خلال ٩ سنوات

منهم ٣٠ ألف شهيد و١٧ ألفا بسجون اسرائيل و١٣ ألفا مظمهم من النساء

والأطفال فى معتقلاتها و٧ آلاف بسجون الأردن.

.. فقدنا السيطرة الكاملة على مناطق شرق جبل سمبارى .
 .. السلطات البريطانية تعتقل فى مسقط الرفيق مبارك حمد اللامرتد .
 .. حملة اعتقالات لتسعين شخصا. استولت السلطات على كميات من
 الأسلحة. لا أبناء عن يعرب . بين المعتقلين عضوات جمعية المرأة العمانية
 الرسمية فى مسقط : رحيمة القاسمى ، ثبات فليفل ، زعيمة الكندى بالاضافة إلى
 مريم وفاطمة الحشار وغيرهن ..
 .. الملك حسين يعدم ستة فدائيين من أبناء الشعب الفلسطينى
 المحتجزين منذ مجازر سبتمبر الاسود .

... جولدا ماير تشيد بشجاعة الملك حسين وفروسيته .
 .. تعيين خليل عبد الدايم ، رئيس الأركان الأردنى السابق ، سفيرا فى
 مسقط .

يناير ٧٣

.. وزعت السلطة منشورا تنصده صور ثلاثة رفاق وفوق كل صورة رقم :
 الأولى ٥٠٠٠ ريال والثانية ٣٠٠٠ ريال والثالثة ٥٠٠٠ ريال. يقول المنشورانهم
 مطلوبون لعلاقتهم بتنظيم خلايا غير شرعية واستيراد اسلحة صينية من جمهورية
 اليمن الديمقراطية الشعبية وهى الأسلحة التى استولت عليها قوات السلطان
 المسلحة الباسلة فى ٢٣ ديسمبر. تحت ذلك بخط عريض : الشيوعية =
 اضطهاد = وحشية = موت.

.. تعرض الرفيق مبارك اللامرتد ورفاقه (حمد ماجد ومحمد طالب وغيرهم)
 لتعذيب وحشى على يد المخابرات الأردنية والبريطانية . طال التعذيب المعتقلات .
 جرى التشهير بهن ومحاولة تجنيدهن فى صفوف المخابرات .
 .. إنهم يتحدثون فى مصر عن المتغيرات الدولية ليبرروا التنصل من
 التزاماتهم . أليس انتصار فيتنام من هذه المتغيرات ؟ لكنهم حريصون على التقليل
 من شأنه .

.. جولدا ماير تتحدث عن حدود جديدة وأنها لا يمكن أن تنسحب من
 القدس وشرم الشيخ .

.. توقيع الاتفاق على وقف إطلاق النار في فيتنام .

.. أقامت الحكومة شبكة تليفونية في صلالة (٢٥٠ خطا) .

.. أعلن الماجور راى باركرسكوفيلد رئيس الجندرمة الظفارية فى حديث

تليفزيونى: عمان هى آخر مكان فى العالم مازال الانجليزى يلقب فيه بالصاحب (السيد).

٢ فبراير

.. المناطق المحررة تتعرض للقصف . السكان يهربون منها . بعضهم

اضطر الى الحياة فى كهوف بعيدة عن خطوط النيران. كل من قابلته فقد

حيواناته فى القتال الأخير. الكثيرون فقدوا أقاربهم. انتقل عدد متزايد من اللاجئين

إلى الجانب اليمنى من الحدود. بالإضافة إلى ذلك أدى الحصارالاقتصادى إلى

سوء تغذية بالغ نتيجة لقطع الواردات من الشاطئ والحرق المنتظم للمحاصيل.

.. صحيفة هاعولام هازية الإسرائيلية تقول: احتلال ايران للجزر العمانية

أمن استمرار تدفق النفط الايرانى إلى ايلات .

١٥ فبراير

.. وصلتنا من عدن النشرة المركزية للجبهة ٩ يونيو. على صفحتها الأولى

صور المعتقلين فى عمان : يحيى محمد الغسانى، مرشد الشحى، أحمد حميدان،

سيد محمد السليم.

.. ذكر الرفاق العائدون من كوبا أن جيفارا ذهب الى الكونغو فى نوفمبر ٦٥

لتدريب الثوار وفشل فى قيادتهم. اصطدم بمعتقداتهم العجيبة. كانوا يؤمنون بأن

الطائرات البلجيكية لن تؤذيهم اذا ماسكبوا على أجسادهم سائلا مصنوعا من

الأعشاب المنقوعة يسمونه الداوا ورسوموا بعض العلامات القبلىة بالفحم على

وجوههم. تحدثوا ايضا عن اتهام بعض الشيوعيين له بالتهور والاندفاع. وأنه رفض

الاستماع الى نصيحة الحزب الشيوعى البوليفى الذى كان يرى أن الظروف

السياسية فى بلاده غيرناضجة لحرب العصابات. اعتبر جيفارا الحزب متخاذلا فاقد

الثورية. ثم غير قادة الحزب موقفهم وأيدوا حركته متوقعين ان تكون تحت قيادتهم.

لكنه أصرعلى الافراد بالقيادة.

.. كونا لجنة للتحقيق فى ضربة مطرح. اعتذرت عن عضويتها بسبب علاقتى بـعرب. تبين ان محمد بن طالب أحد القادة الرئيسيين للجهة العمانية كان مراقبا قبل أسابيع من حملة الاعتقالات . كان يقيم مع يعرب فى منزل واحد.

• ابريل

.. تسلم رتشارد هيلمز رئيس المخابرات الأمريكية مهام منصبه سفيراً للولايات المتحدة فى طهران.

.. تأكدنا أن يعرب لم يعتقل . لكنه اختفى . هل هو مطارداً؟

١٠ ابريل

.. اغتالت مجموعة اسرائيلية ثلاثة من قادة المقاومة الفلسطينية فى قلب بيروت. تحركت القوة الاسرائيلية بحرية لمدة ساعتين ونصف ثم اختفت فى السفارة الأمريكية .

.. قال شاه ايران لمجلة نيوزويك إنه مسئول عن حماية وحراسة منطقة الخليج العربى التى يوجد بها ٦٠ بالمئة من احتياطي البترول العالمى ، والجوهرية بالنسبة لأمن الغرب. اعتمد ٣ مليارات دولار لشراء الأسلحة .

.. الاحتفال بذكرى إقامة المدرستين . جرى الاحتفال فى مخيم المدرستين داخل حدود اليمن الديمقراطى . هناك الآن ألف طالب وطالبة (الربع إناث). ألقى الرفيق سعيد عسكرى كلمة الجهة القومية اليمنية . طالب الأخ سيد عضو مكتب فتح فى عدن بوحدة الفصائل الفلسطينية . ألقى أمينة محسن كلمة اتحاد نساء اليمن . أكد سعيد دبلان ممثل الجبهة ترابط النضال والمصير بين ثورتى ١٤ أكتوبر و٩ يونيو . فى المساء أغان وأناشيد (يا نجمة أكتوبر الحمراء يا موقد الفاس والمنجل) وفيلمان عن الثورة فى الخليج والثورة الفلسطينية. قدمت الطالبات أغنية باللغة الحميرية تميزت بركة وعذوبة ووقع حزين تتحدث عن محاولة العدو السيطرة على الممر الذى يصل المنطقة الغربية بالمناطق الداخلية: «بالدم سنزوى كل التلال / وكل خطوط المعارك / سنجعله يشق طريقه فى الوديان / والقمم / لنتزع الحياة من العملاء بالعنف» . توافدت جماهير القرى المجاورة على الساحة الرملية الواسعة . أعلام الثورة واليمن الديمقراطى على بوابة الساحة والتلال المحيطة

بها. مجموعات الحراسة فى مواقعها. هتافات: بالروح بالدم الأبى ، نفديك ياخليج العربى، القومية والشعبية ثورة مبادئ فكرية. الجميع حفاة الأقدام ما عداى. أحضر رفيق من عدن مسجلة وضعنا فيها شريط «النانا» وهى الأغنية الشعبية فى ظفار التى تغنى بالحميرية. يضم أيضا مناظرة بين سالم العطار وأحمد جلال يقول فيها الأول ما معناه بالعربية : لا يوجد تهرب من الصراع القائم بيننا وبين الاستعمار. يتابع الثانى: لذلك تهب كل طبقات الشعب وفئاته الوطنية لتناضل ضد الاستعمار. وفى أغنية ثانية مناضل من جيش التحرير يقول لجندى من العدو : ماذا ترى كل صباح ؟.. نحن نتحداك أن ترفع رأسك من المتراس فجيش التحرير لك بالمرصاد .

وأنا أتصفح وجوه الطلبة والطالبات أفكر أنهم سيتأهلون للثانوية العامة قبل نهاية العام القادم . بعد ذلك سيلتحق بعضهم بمعسكرات الثورة أو يواصلون الدراسة فى الخارج بمنح .

٢٥ أبريل

.. وصول قائد حلف الأطلنطى إلى ايران .

.. منشور حكومى بخط يد ركيك تتوسطه نجمة داخلها رسم بدائى لرجل يرفع يديه مستسلما وأخر ملقى إلى جواره على الأرض والعنوان : ان حكومة جلالة السلطان تمنح مكافآت مقابل إحضار قادة الإرهاب الشيوعى أحياء أو أمواتا .

أول مايو

.. احتفلنا بعيد العمال العالمى .

.. الحكومة توزع منشورات تباع كاليانصيب . الواحد بريال سعيدي : ادفع ريالاً واربح خمسة آلاف هى قيمة الثائر. القائد العسكرى قيمته ٤ آلاف ريال والمرشد السياسى ٢٥٠٠ ريال . قلت للرفاق إنى سأطالب بالعودة الى الجيش حيث ثمنى أعلى .

٣ مايو

.. مشاكل فى التمويل. القوافل القادمة من عدن تناقصت إلى ست جمال فى الأسبوع. .. هناك علامات استفهام عديدة بشأن سلوك يعرب قبل حملة الاعتقالات.

١٠ مايو

.. انضم الينا أحد رجال سلاح الطيران السلطاني اليمينيين. الرقيب محمد عامر (٢١ سنة). هاجر من سوقطرة إلى السعودية في ٦٨ وعمل في الدمام ماسحا للأرض في مطعم أميركي لموظفي أرامكو. في ١٩٧٠ أجبر على الانضمام إلى الجيش السعودي وأرسل مع ثمانين سوقطريا إلى قاعدة الشارورة قرب الحدود اليمينية. في بداية ٧١ أرسلت المجموعة السوقطرية إلى تمرير شمال ظفار. كانوا يحصلون على رواتب سعودية بينما يرتدون الملابس العسكرية العمانية. أرانى جوازا عمانيا رقم (٠٠٧٧٩٦) أصدر له ليسافر في العطلات إلى دبي والبحرين. جلب معه مجموعة أوامر موقعة بحروف عربية ركيكة من ضابط إنجليزي يدعى ماكنيل.

١٧ مايو

.. يتكون المستشفى المتنقل الجديد من عدة أكواخ. به أربعون مدنيا من الاقليم الغربي وبعض العسكريين. قلة الأدوية أدت الى سياسة تقوم على علاج عدد قليل من المرضى علاجا سليما بدلا من محاولة توزيع الإمكانيات المحدودة على عدد كبير.

٢١ مايو

.. نيوزويك تقول ان شاه ايران يبنى في بلوخرستان بواسطة مقاولين أمريكيين أكبر قاعدة عسكرية في المحيط الهندي . سيتم البناء خلال سنتين .
.. صدامات بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية .

٢٢ مايو

.. الموند تنشر تصريحها للناطق الرسمي باسمنا قال فيه : اذا استبعدنا الصحراء فنحن نحتل سدس السلطنة. مساحة السلطنة ثلاثة أضعاف مساحة الكويت والبحرين وقطر والامارات وعدد السكان عندنا يبلغ أربعة أضعاف سكان هذه البلاد مجتمعة وعندما تسقط عمان في أيدينا لن يستطيع أحد في الخليج أن يقف في وجهنا .

يونيو

.. شرع العدو في اقامة سلسلة مخافر من المخسيس حتى وادي قيم شمالا تربطها الأسلاك الشائكة والألغام وأجهزة التنصت الالكترونية. ستمكنهم من

مواصلة مطاردتنا خلال موسم المطر ولن نستطيع استخدام غطاء الضباب والمطر لاعادة تموين قواتنا.

.. قررنا الرد بهجوم على صلالة بالصواريخ .

..نتيجة للهجوم أقام العدو مخافر جديدة فى عدامى وحتال وعتبات الشيخ.

أصبح من العسير علينا مهاجمة صلالة .

٢٨ يونيو

.. أسقطت الطائرات الانجليزية منشورا بعنوان تحذير أسفله رسم بدائى لتلال

بين وادى تحيزالى اليمين ووادى تمرين الى اليسار . ومنطقة محددة بمدفع هاون تعلقو رسما بدائيا لمجموعة بيوت بين سهمين كتب فوقها صلالة . أسفل ذلك الكلمات التالية : «تشير الأسهم فى الصورة العليا إلى الطرق الآمنة التى يمكن للمواطنين ومواشيهم أن يسلكوها إذا أرادوا الوصول إلى صلالة . وعلى المواطنين عدم الاقتراب من النقطة الممنوعة الواقعة بين السهمين لأنه يوجد بهذه المنطقة مواقع لمدفعية الهاون المستعدة لإطلاق النار دائما ليلا ونهارا . تذكر هذا التحذير دائما . من أجل سلامتك وسلامة أغنامك وإبلك وأبقارك» .

.. تصريحات غريبة لوزير الخارجية الصينى فى طهران . أعلن تخليه عن

مساندة جميع الحركات التخريبية التى تحاول تعكير السلام فى الخليج !!

.. كونسرتيوم دولى للنفط تقوده سن أويل وإلف كويتيان يحصل على امتياز

تنقيب فى مضيق هرمز .

يوليو

.. القذافى يقول أن الثورة الليبية تمثل اليسارالعالمى الجدى الذى يقف

ضد الرأسمالية وضد الشيوعيين الرجعيين الذين يتمسكون بقوالب جامدة من

القرنين ١٨ و ١٩ .

١٧ يوليو

..الرئيس العراقى البكر يوقع مع عزيز محمد سكرتير الحزب الشيوعى العراقى

ميثاق العمل الوطنى وقواعد العمل فى الجبهة الوطنية والتقدمية . إلى متى ؟

.. ظهر يعرب فى بيروت . سنحاول الحصول على شهادته بالنسبة لاعتقالات

مطرح .

.. تأكدنا من مصرع الشهيد مبارك حمد اللامرتد (٢٥ سنة) من جراء التعذيب الوحشى . رفضت السلطات تسليم جثته لأهله. دفنته مع رفاقه فى مكان سرى ومنعت أهله من استقبال المعزين .

٥ اغسطس

.. على عكس السنة الماضية تمكن العدو من الحفاظ على المراكز التى أقامها على طول حدود الإقليم الغربى عدا طاوى عطار . تمكنوا أيضا من الاستيلاء على كثير من الأسلحة والمستودعات التموينه . ارتفع معدل الاستسلام . بدأت أشعر بالقلق .

.. ناقشنا فى اجتماع للجنة المركزية سلبيات التشكيل العسكرى الحالى حيث تقسم الكتيبة الى سرايا وتوضع كل سرية فى منطقة ثم يوزع أعضاء القيادة على السرايا. تقرر اعتماد تشكيل جديد يضمن تركيز القوات تحت سيطرة قيادة واحدة مباشرة. عارض فهد عندما شعر أنه لن يكون القائد الأعلى فى التشكيل الجديد.

٢٩ اغسطس

.. أدان المؤتمر العاشر للحزب الشيوعى الصينى طغمة لين بياو المعادية للحزب. وصفه بالطماع البرجوازى والمتآمر والمنافق المعادى للثورة والمرتد والخائن للحزب إلى الأبد. طرد أيضا السكرتير الخاص لماو الذى وصف بالكومنتانجى المعادى للحزب الشيوعى والتروتسكى والخائن وعميل العدو والمحرّف .

١١ سبتمبر

.. انقلاب عسكرى دموى فى شيلى ومصرع الليندى .

٦ اكتوبر

.. انهارت أسطورة السوبرمان الاسرائيلى . الساعة الثانية عبرالمصريون خط بارليف . صواريخ سام أسقطت فانتوم . فى البداية رفضنا أن نصدق ثم توقعنا أن يفشل الهجوم المصرى كالعادة . بعد ساعات تأكدنا أن الأمر جد . اللهجة الرصينة للمذيعين المصريين تختلف عن هستريا ٦٧ وتوحى بالثقة .

٧ أغسطس أكتوبر

.. خسرت اسرائيل ٣٠ طائرة و٢٢ دبابة .

٨ اكتوبر

.. تحرير القنطرة . خسائر اسرائيل في ٣ أيام ٨١ طائرة و١٢٨ دبابة ، ١٢٣ أسيرا . استولى المصريون على الضفة الشرقية كاملة . راديو اسرائيل يقول إنها تخوض حربا دفاعية . القوات السورية تتقدم داخل الجولان .

٩ اكتوبر

.. تدمير لواء اسرائيلي مدرع في سيناء . استسلام قائده وتدمير ١٢٠ دبابة .

١١ اكتوبر

.. أمريكا تبدأ في شحن طائراتها بالصواريخ والقنابل لإرسالها إلى اسرائيل . أعلن رئيس اسرائيل أنها حصلت على ٤٨ فانтом جديدة .

١٢ اكتوبر

١٥٠ طيارا أمريكيا من طياري الفانتوم مروا بمطار مدريد في طريقهم إلى اسرائيل .

١٤ اكتوبر

.. القوات المصرية تشن هجوما شاملا على طول الجبهة وتشتبك في معركة مدرعات ضخمة تستمر ١٢ ساعة تدمر خلالها ١٥٠ دبابة . دايان يقول : إننا نقاتل بقلوب كسيرة ولا نعرف إلى متى يستمر هذا . سفير اسرائيل في لندن يدعو إلى وقف إطلاق النار .

١٧ اكتوبر

.. وزراء البترول العرب يقررون خفض الإنتاج فورا بحد أدنى ٥ بالمئة تزداد بنفس النسبة كل شهر إلى أن يتم الجلاء عن الأراضي التي احتلتها اسرائيل عام ٦٧ .

١٩ اكتوبر

.. قوات اسرائيلية تتسلل ليلا عبر البحيرات المرة .

٢٢ اكتوبر

.. السادات يصدر قرارا بوقف اطلاق النار استجابة لقرار مجلس الأمن .

.. سأرأس وفدا الى موسكو لحضور الاحتفال السنوى بذكرى الثورة البلشفية فى ٧ نوفمبر. قال الرفيق أمين اللجنة التنفيذية : نريد أن نريهم أننا مثلهم نقدر المرأة. داعبني الأمل ان نتوقف فى بيروت خلال الطريق كى أرى يعرب وعماد.

٧ نوفمبر

.. مازلنا فى ظفار. تأخرت إجراءات سفرنا.
.. بدأ بث اذاعة الجبهة من المكلا. بين السادسة والثامنة مساء بتوقيت عدن. تبث على موجة طولها ٤٩٢٥٠مترا أى بدذبذبة قدرها ١١٧٧٠ كيلوسايكل / ثانية.

١١ نوفمبر

.. ركبنا طائرة اليوشن من مطار عدن . أحمل جواز سفر يمنيا . أنا واثنان من أعضاء اللجنة التنفيذية . عاملانى برقة واهتمام ثم نسيانى تماما عندما ظهرت المضيفات الروسيات الشقراوات. تسلحت بملابس ثقيلة (معطف صوفى بياقة وكاب من الفرو الصناعى وكوفية طويلة) أخذتها من زوجة أحد الدبلوماسيين. توقفنا ساعتين فى القاهرة. لم نخرج من الطائرة. استقبلنا الرفاق السوفييت فى المطار وأخذونا الى فندق روسيا قرب الميدان الأحمر. معنا مرافق شاب وسيم اسمه بوريس يتكلم اللغة العربية بلهجة سورية.

١٢ نوفمبر

.. الدنيا برد . لكنى لم أر ثلجا كما توقعت . المباني الحديثة فى كالينين بروسبكت. الطوابق ال ٣٢ لجامعة موسكو فوق تلال لينين. منتزه جوركى. قال لنا عمدة العاصمة أمام خريطة كهربائية إن هناك خطة لتطوير موسكو لتكون عام ٢٠٠٠ نموذجا للمدينة الحديثة . يجرى بناء نصف مليون شقة جديدة سيسكنها ٢ مليون من أهالى المدينة. يسكنها حاليا ثمانية ملايين . خطة أخرى تتكلف حوالى ٣٠٠ مليون دولار لمباني مرتبطة بدورة ١٩٨٠ الأولومبية. مترو الأنفاق الهائل. كل محطة تحفة فنية رائعة. يربط أنحاء العاصمة بخطوط طولها مئة ميل. ستتضاعف بحلول عام ألفين. زرنا ضاحية جديدة جنوب المدينة بها بنايات سكنية ترتفع ١٢ طابقا. مجتمعات متكاملة من مدارس وأسواق وساحات رياضية وفندق. سينتقلون خلال سنوات الى بناء عمارات من ١٦ طابقا. فى المساء دخلنا

البولشوى أعظم مسرح فى العالم . شاهدنا باليه بحيرة البجع لتشايكوفسكى . روعة الاحتفاء بالفن والثقافة . بورييس شاب ظريف . يقيم معنا فى نفس الفندق .

١٣ نوفمبر

.. الأطفال هم ملوك الاتحاد السوفيتى . كل شئ متوفر لهم . الرعاية الصحية المجانية والكتب واللعب . يلتحقون باكثر من ألفى دار للحضانة فى موسكو وحدها . ثم ألف مدرسة ابتدائية وثانوية بينها عشرات من المدارس المتخصصة . قال لنا رئيس الإدارة التعليمية إن المناهج تغيرت ويجرى إدخال الرياضيات الحديثة والفيزيا الجديدة . لكن مناهج الماركسية اللينينية لم تتغير . تستمر عشر سنوات من الدراسة . يذهب الطلبة الموهوبون الى مدارس خاصة فى الموسيقى والعلوم والرياضة البدنية وغيرها . فى المدرسة المتخصصة للتربية الرياضية رقم ١ (من ١٧٢ مدرسة رياضية) شاهدت كيف يتم إعداد الأبطال العالميين . فتيات سن ١٢ و١٣ سنة . قالت لى مديرة المدرسة عندما رأت انبهارى : الجمباز نصفه رياضة ونصفه فن . لا بد أن يكون هناك احساس بالجمال ولهذا نعمل دائما بمصاحبة بيانو.. صورة لينين فى كل مكان . فى المكاتب والمدارس والمنتزهات ومحطات المترو . يبدو أحيانا مثل عم عطوف وأحيانا أخرى كأب صارم . ضريحه من الجرانيت الأحمر فى الميدان الأحمر قرب سور الكرملين . طابور طويل من الزوار تقدمنا فى بطء مروراً بنصب الجندى المجهول . شرطى بميكروفون يحافظ على نظام الطابور . تركنا الكاميرات وحقائبنا فى غرفة مخصصة بالمدخل . مسحنا أقدامنا فى قاعدة خشبية . خلع الروس الذين يتقدموننا قبعاتهم وأغطية رؤوسهم . دخلنا الضريح ثم تحركنا بسرعة . دورة الى اليمين ثم الى اليسار . عدة درجات الى أعلى ثم أسفل ثم وجدنا أنفسنا فى الخارج نحاول ان نتذكر الجسد المسجى فى تابوته الزجاجى .. بعد الظهر متحف بوشكين للفنون الجميلة . فى المساء مسرحية كوميدية لم أفهم منها شيئاً . عند العودة ليلاً رأينا زحاما فى الشارع . طابور طويل أمام مكتبة ! سينتظرون حتى تفتح أبوابها فى الصباح ليشتروا طبعة جديدة من كتاب قديم . هناك ٣٥٦٠ مجلة و ٣٠٠ صحيفة تنشر فى موسكو .

١٤ نوفمبر

.. قضينا الصباح فى متحف الثورة فى شارع جوركى . زرنا مقر اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى . استقبلنا مسئول عجوز حدثنا طويلا عن

التاريخ. قال : جيلى يعرف ما هو الجوع . كانت هناك الحرب وبعدها كانت الظروف صعبة جدا . حتى سنة ٥٨ كنت أعيش فى غرفة واحدة مع زوجتى وابنى وأمها وأشارك ٣٠ شخصا فى المطبخ والتواليت والحمام. كان الجميع هكذا. الآن الوضع مختلف . ربما تكون المنازل غير متقنة البناء لكن غالبية الناس الآن لديها شقة لكل عائلة . والكثيرون يمكنون سيارات أيضا. كما أننا نساعد بلدانا كثيرة. مشكلتنا الآن هى إنتاجية العمل فنحن متخلفون عن الولايات المتحدة فى هذا المجال وفى نوعية السلع المنتجة أيضا. بعد المحاضرة الطويلة بدأ عليه التعب . تركنا لزميل له أصغر سنا . شرحت الوضع السياسى والعسكرى فى عمان والخليج. عرضت استراتيجيتنا فى مناوشة العدو وملاحقته بهدف استنزافه وارهاقه. قلت : سيجدون أنهم يبددون موارد طائلة للاحتفاظ بأراض لا تعطيههم ميزة عسكرية فينسحبون. سألنى مبتسما : هل تظنين أنكم ستطردونهم تماما ؟ اجبت إن الفيتناميين يفعلون ذلك الآن . قال : هذا وضع مختلف. وجدت فرصتى أخيرا فقلت : طبعاً . فهم يحصلون منكم على أحدث الأسلحة وخصوصا صواريخ سام المحمولة. هذا هو السلاح الوحيد الذى يمكن الفدائيين من مقاومة الطائرات والهليكوبتر. كما أننا فى حاجة الى شبكة اتصالات حديثة.

١٥ نوفمبر

.. سلسلة لقاءات مع ممثلى اتحاد النقابات، اتحاد النساء، قدامى المحاربين، مجلس السلام، منظمة التضامن الاسيوى الأفريقى، محررى الشؤون العربية فى جريدتى ازفستيا وبرافدا، موسكو نيوز، وكالة نوفوستى للانباء، القسم العربى فى الإذاعة .عندما غادرنا الفندق فى الصباح رأيت مشهدا غريبا. شرطى ينقض على شاب طويل الشعر ويقيد يديه خلف ظهره فى وحشية. استفسرت من بوريس عن الأمر فأشاح بيده قائلا إنه من «الهوليجان». عرفت من رفيق يمنى يدرس فى جامعة لومومبا إن هذا التعبير يطلق على المتشردين والأفاقين والشبان المتأثرين بالموسيقى والزى الغربيين والمعارضين السياسيين.

١٦ نوفمبر

.. صحبنى بوريس الى المستشفى الخاص باللجنة المركزية فى الضواحي . مبنى فخم مزود بأحدث الأجهزة وخديقة هائلة .مناضلون عديدون من أماكن مختلفة فى العالم يعالجون من مختلف العلل . صادقت شيوعيا عجوزا من فنزويلا

مههدا بالعمى. ارتبك عندما حدثته عما سمعت من خلاف بين الشيوعيين وجيفارا. تهرب من التعليق. فحصى طاقم كامل من الأطباء. أجروا عديدا من التحليلات والأشعات. تدخل بوريس لنحصل على النتائج بعد ساعات قليلة. أكدت لى طبية عجوز ذات ملامح صارمة أن صحتى جيدة وأن الاضطرابات والآلام التى أشكو منها تعود الى أسلوب حياتى. نصحتنى بالزواج والإنجاب. قالت إن العمل الثورى لا يتنافى مع تكوين أسرة. أضافت فى حزن: ربما يعوض ذلك إحباطات الحياة. لعلها فقدت عزيزا فى الحرب أو معسكرات الاعتقال الستالينية. فى المساء تعشينا فى مطعم أوزبكستانى. جاريت بوريس فى الشراب. أردت أن أثبت له أنني متحررة. عندما عدنا الى الفندق دعانى إلى غرفته. ابتسمت المناوبة العجوز التى تحتل مقعدا فى نهاية الطرقة فى عطف وتواطؤ. حصل منها على زجاجة فودكا وحبتيين من الطماطم والخيار. قطع الخيار بالطول وقسم الطماطم الى أربعة أجزاء ثم رش عليها الملح. اكتفيت بكأس واحدة بينما كان يجرع من الزجاجة. احتقن وجهه وأخذ يتلعثم. روى لى نكتة عن لينين وكيف أنه استيقظ فى قبره وخرج منه وعندما رأى ما حوله عاد اليه ثانية قائلا: ليس هذا ما كنت أعنيه. لم أرفع عيني عن شفتيه الحسيتين. قال إنه معجب بى ويريد أن يقبلنى. لم أمانع. تمنيت فعلا أن يحتضننى. مال ناحيتى فوق على الأرض. كان ثملا تماما. تركته ممددا على السجاد محتضنا الزجاجة الفارغة. سأزور غدا الطلبة اليمنيين والعمانيين فى جامعة لومومبا.

٢٣ نوفمبر

.. بمجرد وصولى الى المعسكر فى ظفار شعرت كأنى عدت الى بيتى. الغريب أنى هنا فى أقصى الدنيا أكثر اتصالا بالعالم الخارجى عن طريق الراديو مما كنت فى موسكو.

أول ديسمبر

.. تعيين قيس الزواوى صاحب توكيل مرسيديس وزير دولة للشؤون الخارجية. مسقطى من أصل سعودى تعلم فى الهند. .. حصلت الحكومة على نصيب ٢٥ بالمئة فى ب د أو. الحرب تستهلك جانبا كبيرا من ميزانية عمان: ٣٠ مليون ريال (حوالى ثمانين مليون دولار) فى العام الماضى.

.. طوال الأسابيع الماضية عمليات ناجحة في كافة المناطق استهدفت قواعد العدو في صرفيت والممر . نجحنا في تدمير ممر وعدة أبراج مراقبة في قاعدة صلالة الجوية. قاد العملية الأخيرة مناضل صلب يدعى دهميش.

١٣ ديسمبر

.. احتفلنا في المنطقة الوسطى بعودة عدد من الإخوة إلى صفوف الثورة: دامس سالم جعوب، أحمد سهيل سالم، أحمد سهيل شرخ، سالم أحمد مجيد، مسلم أحمد يطيشوت، سالم أحمد مكيعاف البرعمي . كانوا في الفرق الوطنية. فروا من مركز العدو في المعمورة وبحوزتهم لاندروف وأربع آليات وسبعة بنادق أيفن .

.. حددت السلطة سبعة الاف ريال ثمنا لرأسي !

٢١ ديسمبر

.. كيسنجر يلوح بعلمة النصر عند وصوله إلى مكان انعقاد مؤتمر الشرق الأوسط في جنيف.

.. العدو يعمل بنشاط في بناء خط هورنبيم غرب صلالة. يمتد شمالا بطول ٨٥ كيلومترا في محاذاة الخط الأحمر. عبارة عن أسلاك شائكة مكهربة وملغومة ودوريات ليلية.

٣٠ ديسمبر

.. يتتابع وصول القوات الايرانية . وضعت في جزيرة حلانيا الخالية من السكان. حظر على أفرادها الظهور في شوارع صلالة ومسقط . قدرت الدفعات الأولى بثلاثة آلاف ضابط وجندي . عهد اليها باعادة فتح الخط الأحمر، الطريق الاستراتيجي (٧٢ كيلومترا) الذي يربط صلالة بتمريت ويصلها بمسقط. .. أعلننا حالة طوارئ قصوى.

.. نجح خط هورنبيم في وقف هجماتنا على صلالة والمناطق المحيطة بها وفي وقف مرور الأسلحة الثقيلة والذخيرة الى المناطق الشرقية . .. بدأنا تحقيقا حول اتهامات تبادلها رفيقان بشأن التبرعات التي تأتينا من لجان المناصرة في الخارج. تقرر أن نعقد مؤتمرا داخليا في بداية العام الجديد.

٧٠ يناير

.. صوت «الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي» من عدن بين الساعة

٧، ٥٦ والساعة ٧، ٤٥ كل يوم. ضمن البرنامج اليومي الموجه إلى منطقة عُمان والخليج العربي الذي يبدأ الساعة السادسة وينتهي في الثامنة .

..العدد الجديد من ٩ يونيو التي تصدر الآن كل شهرين . به قوائم تبرعات لجان المناصرة في أوروبا وأمريكا وقصيدة لبريشت:

أيها الجنرال ، إن دبابتك قوية ،

تسحق الغابة وتقتل مائة إنسان .

لكن بها خطأ ،

انها تحتاج إلى سائق .

أيها الجنرال ، إن قاذفة قنابلك هائلة ،

تسبق العاصفة وتحمل أكثر من فيل ،

لكن بها خطأ ،

انها تحتاج لمن يصلحها .

أيها الجنرال ، إن الانسان عظيم الفائدة ،

يستطيع أن يطير وأن يقتل ،

لكن به خطأ ،

انه يستطيع أن يفكر.

فبراير

..نجحت القوات الإيرانية في فتح طريق تمريرت . هاجموا في وقت واحد من

صلالة في الجنوب وتمريرت في الشمال .

..أنشأت السلطة محطة كهرباء جديدة قوتها ٨٤٩٧ كلوات وفرت لاهالي

جيجات ومدينة الحق آبار وعيادات ومدارس وحوانيت .

.. قال شواين لاي أمام المؤتمر العاشر للحزب الصيني في أغسطس الماضي

إن لين بياووزير الدفاع السابق استلهم أفكار كونفوشيوس كما فعل ليوشاوتشي

رئيس الجمهورية السابق وسعى مثله إلى إعادة الرأسمالية، لكنه يختلف عنه في أنه

كان يردد دائما أقوال ماوتسى تونج. قال أيضا إن بياومنذ البداية كان متشائما من

مستقبل الثورة...قبل المؤتمر التاسع للحزب كتب بالاشترك مع شن بوه دا

سكرتير ماوتسى تونج تقريرا سياسيا عارضا فيه مواصلة الثورة في ظل دكتاتورية

البروليتاريا وأكد أن المهمة الرئيسية هي تنمية الانتاج . وبذلك كان التقرير صورة

طبق الأصل للسفسطة التحريفية التي دسها ليو شاشي في قرارات المؤتمر الثامن وزعمت أن التناقض الرئيسي في الصين ليس بين البروليتاريا والبرجوازية وإنما بين النظام الاشتراكي المتقدم والقوى المنتجة المتخلفة . اتهمه بأنه هاجم إفراط النضال ضد التحريفية وهاجم اشتراك كوادر الحزب في العمل الجماعي المنتج باعتباره بطالة مقنعة وافترى على ذهاب الشباب والمثقفين إلى المناطق الريفية باعتباره نوعا من الأشغال الشاقة .

مارس

.. زار السلطان إيران . وعند عودته أمر بإنشاء قاعدة جوية تضم ممرا طوله ٤٠٠٠ متر في تمرير تكون جاهزة في نهاية العام مهما كانت التكاليف التي بلغت أكثر من ٥٠ مليون ريالاً أى ١٤٥ مليون دولاراً.

.. تكفى دقيقة من وقت السلطان عقب اجتماعات مجلس الوزراء للترخيص بمشاريع هائلة. أعد عبد الحفيظ سالم رجب وزير المواصلات مشروعاً لتحلية المياه وتوليد الكهرباء يتكلف ٥٧ مليون دولاراً. وفي الدقيقة الثمينة أشار الوزير إلى أن المشروع سيزود حديقة السلطان في السيب بمليون جالون مياه في اليوم وأنه سيفتتح في العيد الوطني القادم الذي يوافق عيد ميلاد السلطان. حصل على الموافقة دون مراجعة أو دراسة. ارتفعت تكلفة المشروع على الفور إلى ٣٠٠ مليون دولار.

٢٧ مارس

.. تستفزني سلاطة لسان المعلق الشعبي في إذاعة صلاة المدعو أبونبيل.

أبريل

.. السادات يقرر تنويع مصادر السلاح. عيب السلاح السوفييتي أنه غير مصحوب بعمولات!!

مايو

.. تم استبدال القوات الإيرانية بعد ثلاثة أشهر. الغرض هو تعميم الخبرة القتالية. لم يثيروا عداة الأهالي لأنهم لا يحتكون بهم . تأتيهم احتياجاتهم من مياه الشرب والوجبات الثلاث من إيران بالطائرة يوميا.

يونيو

.. قصفت الطائرات العراقية ١٤ بلدة و ٢٠٤ قرية في المناطق الكردية .

الضحايا ألف وخمسمائة قتيل. تم اعتقال مجموعة من العسكريين الشيوعيين . لم تمض غير شهر قليلة على اتفاقية الجبهة والحكم الذاتي.

٧ يونيو

.. نستعد لعقد المؤتمر الرابع .

..استشهد الرفيق البطل أحمد مسلم قيعي (٢٦ سنة) في مرتفعات أذ قرضيت بالمرر أثناء معركة استمرت ساعة ونصف ساعة. خسر العدو ٩ من جنوده بين قتيل وجريح . كان الشهيد عائدا لتوه من دورة تدريب في الاتحاد السوفييتي على صواريخ سام . ولد في ظفار لأب من الرعاة . سافر في ٦٤ بحثا عن عمل واستقر في الكويت لمدة ست سنوات وانضم الى الجبهة الشعبية. عاد سنة ٧٠ والتحق على الفور بقوات الثورة.

١٣ يونيو

.. انقلاب عسكري في اليمن الشمالي. المقدم ابراهيم الحمدي يستولى على السلطة. حركة برجوازية عسكرية ضد تحكّم الإقطاع والقبلية وضد عقلية القرون الوسطى التي لم تتغير بعد قيام الجمهورية. كانت للحمدي في الماضي علاقة بتنظيم «القوميون العرب» .

.. أخذنا الحنين وطفغ علينا الذكريات والكآبة. نفذنا من الهضاب والقمم والوديان. انتهينا من الغابات. انبسط أمامنا الأفق الواسع الرحب. استنشقنا نسيم الشمال النقي. توزعت مجموعتنا على ديار المواطنين لتأخذ قسطا من الراحة قبل الاجتماع . جاء نصيبنا أنا ودهميش وعوض في كوخ عجوز وحيد. أشعلنا النار لتدفأ ونجفف ملابسنا. قدم لنا العجوز لبنا محلوبا في قربة. ثم ناولني قدرا معدنية قائلا : إغليه . عندك النار. سكبت الحليب في القدر ووضعت على النار. هل قال ذلك عن اقتناع باهمية الغلي أم مجاملة لنا؟ في كلتا الحالتين نكون قد حققنا شيئا. قال إنه قادم لتوه من المدينة. سأله عن أخبارها. قال إنه عجوز ولا توجد عنده أى أخبار. سأله عوض عما اذا كان لديه تبغ. أشار الى ركن قائلا إن به قليلا من التمباك. تناول عوض العلبه وسحق قطعة من التمباك. ناوله العجوز غليونه الكبير المصنوع من الطين. عبأ الغليون ووضع فيه قطعة من الجمر. تبادلاه عدة مرات في صمت. دهميش لا يدخن . يتابع ما يجري في صمت . يتطلع نحوى كثيرا. يتضرج وجهه مثل الصبية اذا التقت عيوننا. هناك شئ في عينيه يثير في الحرج . بعد قليل قال

العجوز مشيرا الى أسلحتنا : هذا الكلاشن الذى فى أيديكم يأولادى أمسكوا به جيدا واحذروا أن تنزلوا به إلى المدينة . إذا عجزتم عن حمله فى الثورة اتركوه هنا فى الريف. هذا السلاح لم يخلق للذين تحت. لقد رأيته مع أنذال كانوا معكم هنا من قبل. سألناه عما شاهد أيضا فى المدينة . قال: أنا عجوز ولا أدخل فى السياسة. ليس لى أهل ولا مال هنا .. على الرغم من أنى لا أسمع فأنا أرى وأعرف كل شئ. ما يجرى هنا وما يجرى هناك .. أوصيكم لا تسلكوا مسلك الأنذال .. الشعب كله معكم... اصمدوا. عندما هممنا بالانصراف ودعنا قائلا : الله ينصركم.

.. دهميش ظفارى صميم من مرباط. من بيت كثير. يصغرنى بخمس سنوات. هرب الى الكويت وعمره ١٨ سنة . اشتغل عاملا فى شركة النفط بالخافجى . كان هناك آلاف من العمانيين ولا حديث لهم إلا تردى الوضع فى بلدهم . تكونت منهم مجموعة للدراسة والتثقف. كانوا يقرأون بنهم كل ماتقع عليه أيديهم من كتب ومجلات. ثم تعرفوا بالدكتور الخطيب وجماعته من القوميين العرب. كان يتردد عليهم أو يذهبون اليه فى عيادته . قال لهم إن مهمة الظفارين هى إشعال حريق العنف الثورى فى جنوب الجزيرة وإنه وجماعته كفلاء بشمالها. بعد سلسلة من اللقاءات تم تجنيدهم للعمل المسلح . حمل رسائل لأشخاص فى البحرين وقطر ودبى وبعدها جاء إلى ظفار وقام بتجنيد أخيه وعدد من أقاربه. أخوه كان يقاتل فى المنطقة الشرقية ثم نزل الى صلالة . سألته عن تفاصيل حياته فى الكويت وعن تجاربه النسائية. ضحك هازأ رأسه بالنفى . لا أعتقد أنه برئ الى هذا الحد .

.. انعقد الاجتماع الموسع للقيادات المحلية والمركزية فى المعسكر المؤقت للكتيبة التاسعة. قال الرفيق رافع إن الثورة تملك ملاكات عسكرية تمرست من خلال الممارسة العملية ولديها بعض المعلومات العامة حول الحرب التقليدية حصلت عليها من عملها السابق داخل الجيوش المرتزقة فى الخليج. إلا أن فهم القوانين العامة للحرب التقليدية محدود. وغياب هذا الفهم يجعلنا غير قادرين على رسم خطة عسكرية صحيحة لمواجهة خطط العدو وتكتيكاته. والحل هو إرسال مجموعة من كوادرن الأساسية المجربة للدراسة العسكرية الأكاديمية فى الخارج . اعترض فهد باننا أرسلنا فعلا العديد من

المجموعات الى الاتحاد السوفيتى . قال رافع إن كل هذه المجموعات كانت تتدرب على الأسلحة . ما نريده هو كادر من الدارسين فى الكلية العسكرية يتخرجون ضباطا. أيد دهميش هذا الاقتراح بقوة.

بوليو

.. أراد التلفزيون البريطانى أن يصور تلاميذ مدارس السلطان فطلب منهم أن يغنوا وإذا بهم يرددون نشيد الجبهة: دقت ساعة التحرير !!
.. منحت الكويت خمسة ملايين دولار لليمن الديموقراطى. طرد قابوس القائم بالأعمال الكويتى .
.. انتقد البرلمان الكويتى المساعدة العسكرية الإيرانية لقابوس . اعتبرها أحد المتحدثين تهديدا للعالم العربى كله .

.. عقدنا المؤتمر الرابع للجبهة فى بلدة الحوطة اليمنية التى تبعد سبعين كيلومترا شمال عدن. لم يتمكن عدد من أعضاء اللجنة المركزية من الحضور. اثنان منهما اختفيا تماما وفى الغالب انضموا الى السلطة. ثلاثة محتجزون فى مسقطيين هارب ومعتقل. لم يحضر يعرب. لعله خشى إثارة أمراةقتالات مطرح. استعرضنا تقريرا عن عدد الفارين إلى الجانب الحكومى وأخرعن نقص الإمدادات وانقطاع الاتصالات. ثالث عن معاناة الجماهير بعد إغلاق قطاعات كبيرة من الحدود مع اليمن الديموقراطى نتيجة المعارك والقصف والألغام. عجزت جماعات بدوية كثيرة عن الوصول إلى مراعيها الطبيعية فى الأراضى اليمنية . توقفت واردات السردين المجفف كعلف للماشية خلال فصل الجفاف مما أدى إلى نفوق أعداد كبيرة منها. اضطر الجباليون لأن يأكلوا حبوب البذار بعد تعذر الحصول على الحبوب من السهل الساحلى.

.. ذكر التقرير العسكرى أن قوات العدو متفوقة فى الطيران والمدفعية وسرعة التحرك والإمدادات فى كل المناطق وكل الظروف بما فى ذلك فترة الأمطار. أما نحن فلم يتم تركيز القوات الذى تقرر منذ سنة إلا من الناحية الشكلية بسبب التنافس بين القادة العسكرين. أشار التقرير الى ضعف التخطيط العسكرى ونقص الأعتدة والذخيرة . ندد بالأسلوب القتالى فطابعه العام هو القصف المدفعى الذى لا يؤثر كثيرا بسبب نوع المدافع ونقص الخبرة والذخائر. أقر الوثيقة التى وضعتها الكتبية التاسعة. دعا الى تركيز القوة فى ثلاث كتائب تكون غالبيتها فى خط

عسكري رئيسى يمتد من المنطقة الغربية الى غرب الممرع بقاء مجموعات صغيرة متنقلة تشن حرب عصابات على المراكز الحكومية. الهدف هو الاحتفاظ بالمنطقة الغربية ومركزها الرئيسى رخيوت كقاعدة ثابتة للثورة محرمة على العدو.

.. ثارت مناقشات طويلة حول الاستراتيجية السياسية السليمة . أكد رافع استحالة تحقيق انتصار عسكري. دعا الى التركيز على العمل السياسى وتجنب الاصطدام المباشر بقوات السلطان. عارضه فهد بشدة بتأييد من الظفاريين وأحمد سعيد سيلمان الأمين العام السابق . يخشون أن يؤدي ذلك إلى التخلي عن المقاتلين المعزولين فى الجبال. تبادل الطرفان الاتهامات. صدرت تلميحات عن تصرفات مالية غير سليمة. تصاعد الخلاف عندما ذكر الأمين العام أن القذافى وافق على فتح مكتب تمثيلى لنا فى ليبيا بعد أن تم إقناعه بأن الجبهة ليست ماركسية فى الأساس. أبدى استعداده لتقديم المساعدات المالية. قال الأمين العام إننا فى أشد الحاجة الى هذه المساعدات بالنظر الى الصعوبات الاقتصادية التى تعانيها عدن والضغوط التى تتعرض لها . (اشترطت أبوظبى لمساعدتها ان تقلل من مسانبتها لنا). اقترح إسقاط عبارة «تحرير الخليج العربى» من اسم الجبهة وبرنامجهما. فاز الاقتراح بأغلبية ضئيلة. كنت بين المؤيدين. لم يشترك دهميش فى المناقشات وإن تابعها باهتمام. انتظر حتى رفعت يدي مؤيدة ففعل مثلى . أظن أنه يؤيدنى أنا!

.. استفسرت من الرفيق عوض عن رجال فرقته . لم يغادرها سوى عدد قليل. فقدت ستة مقاتلين فى معارك مختلفة. قال إنه قلق بشأن عبد الله وسويد. الأول شديد الانطواء لا يتحدث عمليا مع أحد غير سويد. الاثنان متلازمان طول الوقت حتى أثناء النوم. ألمح الى وجود ما أسماه علاقة غير طبيعية بينهما. قال إن انهيار المقاتل يبدأ إعادة بالانطواء والاكتئاب. استعدت ملامح عبد الله الوداعة المستكنة وذكرورة سويد الطاغية . هل هو انهيار فعلا: ذعر من الموت والهزيمة يدفع كل منهما الى أحضان الآخر؟ يتلوه فرارا واستسلام ؟ أم تحقيق طبيعى لمشاعر طبيعية تبحث عن متنفس لها؟ يتمخض عن قدرة أكثر على المقاومة والاستمرار؟ هل يفقد الإنسان ثورته عندما يستجيب لأسمى وأروع غريزة لديه؟ قارنت بين شراسة فهد الذى لم تعرف عنه أية علاقة بامرأة أو رجل وبين وداعة رافع الذى ترافقه زنبارية سوداء منذ اصابة أمينة . من منهما أكثر ثورية ؟ من منهما أكثر فائدة للثورة ؟

.. أقمنا حفلة سمر فى ختام المؤتمر. اقترح عوض رقصة ظفارية تسمى الربوبة. كونا مجموعتين متقابلتين. صفق الباقون ودقوا على الأوانى. تحرك الصفان الواحد تجاه الآخر. مر كل واحد من صف بين اثنين فى الصف المقابل. استدرنا وكررنا الحركة. ارتفع صوت عوض بشعر جمعان :

بعدت ياصولى ... قرب حمران بشوية

تعبت ما معى قدرة ... م السير والגיע

مسا قلبى نتحول .. الى الديرة الشرقية

لعمامى وصهورى .. كل واحد جنبه

بدلا من الفرخ ساد الوجوم . لم يكن الشعر مناسباً. واضح أن المعنويات

منخفضة .

أغسطس

.. اتفق نميرى مع قابوس على تزويده بخبراء سودانيين فى مكافحة

الشيوعية!!

.. حصل لورد بزويك رئيس ايروسبيس البريطانية خلال زيارته لمسقط على

عقد توريد بطاريات راير لصوصايرخ الدفاع الجوى و١٢ طائرة جاجوار من أحدث طراز

بالإضافة إلى شبكة اتصال وإنذار مبكر .

سبتمبر

.. انقلاب عسكرى فى اثيوبيا بعد حركة جماهيرية واسعة. عزل الامبراطور

هيلا سلاسى بعد حكم دام ٤٤ سنة .

أول أكتوبر

.. تقرر إعادة فتح الجبهة الشمالية. ما زال يعرب فى عدن.

.. أعلن الرئيس سالم ربيع على فى العيد السابع للاستقلال أن اليمن

الديموقراطى يسعى لإقامة علاقات دبلوماسية مع الإمارات وقطر والبحرين. قال فى

خطابه: «ماهى امكانياتنا المادية ؟ ماذا خلف لنا الاستعمار من منشآت اقتصادية

زراعية أو صناعية حتى نوفر منها المبالغ من أجل التنمية الاقتصادية؟...».

٢٩ أكتوبر

.. ضربة جديدة لنا فى الشمال. اعترضت الشرطة سيارة لاندروفر عند حاجز

قرب بلدة الحزم. جرى تبادل لإطلاق النار أسفر عن مصرع أحمد على زاهر

المياحي عضو اللجنة التنفيذية. أصيب الرفيقان سعيد المرزوقي عضو القيادة المركزية وسرحان بجراح عميقة وتمكنا رغم ذلك من الهرب . عثرت عليهما السلطات فى اليوم التالى فى حالة اغماء. تبين أن السيارة تحتوى على أسلحة وكمية ضخمة من النقود. بينت التحقيقات أن الجبهة نجحت فى التغلغل داخل الجهاز الحكومى للسلطنة.

.. جرحت الرفيقة نبيلة سعيد (٢٠ سنة) فى فخها فى عملية قرب الحدود اليمنية. نقلت هى وزوجها إلى الميليشيا.

نوفمبر

.. السلطان يعلن فى احتفالات العيد الوطنى إدخال التليفزيون الملون.
.. أعادت الحكومة احتلال الجبل. انشأت فرقة «أبو بكر الصديق» فى كفتاويت.

.. المجلس العسكرى الحاكم فى أثيوبيا يعلن تبنى الاشتراكية .
.. ثوار فيتنام يقربون من سايجون.

ديسمبر

.. نجحت الحكومة فى إقامة مواقع فرق فى زيك، أيوم، بورج، كشعات، أشينهيد.

.. بدأت العمليات الايرانية الرئيسية فى المنطقة الغربية. ركزنا قواتنا فى رخيوت. تكونت لجنة قيادية للبلدة من فهد، عوض، أنا. انهماك الاثنان على الفور فى توزيع مدافع الهاون فى الأماكن الاستراتيجية . أتولى العمل السياسى والدعائى.
.. بلغ عدد المنضمين للحكومة أكثر من ٧٠٠ مقاتل.

.. كنت وسط درس سياسى للسكان فى مسجد البلدة عندما سمعت دهميش ينادينى بانفعال . اسرعت اليه . قال وهو يسبقنى جريا الى مقر القيادة : أسرعى . فهد يريد إعدام ثلاثة رفاق. شبان صغار. صحت : أين عوض ؟ قال وهو يسبقنى : فى الجبل. جريت الى المقر. وجدت فهد واقفا أمام ثلاثة مراهقين ربطت أيديهم خلف ظهورهم بالحبال . كان يوجه اليهم السباب ويصق على وجوههم. شعرت أنه فى أقصى حالات التوتر والانفعال. عيناه محتقنتان. سيطرت على مشاعرى. سألت وأنا ألهث من أثر الجرى : حصل ايه ؟ . نظر الى لحظة مستهجننا

تدخلى ثم قال : هؤلاء الكلاب يريدون الهرب. سأجعلهم عظة لكل الخونة والمنهارين. نظرت اليهم . يرتعدون من الذعر. لا يزيد عمر الواحد منهم عن ١٦ سنة. واحد منهم لم ينبت له شارب بعد. لا بد أنى التقيت بهم من قبل فى مدارس الثورة . ربما أكون قد تحدثت معهم . قلت إن هناك قرارا سابقا من اللجنة المركزية بعدم إصدار حكم بالإعدام الا بعد عرض الأمر عليها. قال : نحن فى ظروف استثنائية . البلد مهددة بالسقوط وأنت تقولين لجنة مركزية ؟ هؤلاء الكلاب سيبيعوننا للعدو بحفنة سردين عفن. قلت : القرار واضح. رأيت من ملامح وجهه أنه متشبث بموقفه. قلت : على الأقل ننتظر عوض وناقش الأمر. قال : لا أعرف أين هو. وليس لدى وقت. قلت : نحن مناضلون ولسنا جزائرين . هؤلاء كل جريمتهم أنهم استسلموا للخوف. قال : أنا أتحمل المسؤولية. قلت : ليس فى أمر يمس الحياة. قال : لن يجرؤ أحد على منعى. قلت : أنا سأمنعك. دهشت أنا نفسى من لهجتى ومن الحركة التى قمت بها. وضعت يدى على الكلاشينكوف وأنزلته من فوق كنفى. تطلع الى غير مصدق. ثم نظر الى سلاحه الملقى على الأرض. سمعنا صوتا فالتفتنا الى الباب . كان دهميش قد أعد سلاحه للإطلاق . نقل فهد بصره بيننا ثم تناول سلاحه وغادر المكان . التقطت أنفاسى . كنت أرتعش . أمرت دهميش أن يفك وثاق الشبان. كانوا مذهولين . خاطبتهم بصوت هادىء : الثورة ليست نزهة. هناك لحظات يبرز فيها معدن الرجال. نحن نمر الآن بفترة عسيرة . لكن النصر محتوم. اذا أردتم تركنا لن أعترض . فقط تعدوننى بألا تنضموا الى العدو ولا تتصلوا به أو تزودوه بأى معلومات. قال أكبرهم سنا فيما يبدو : لن نتخلى يا رفيقة . أنا أنقد نفسى على ضعفى. انضم اليه زميلاه فى أجمل نقد ذاتى سمعته فى حياتى. صافحتهم فى قوة . أمرتهم بأن يلتحقوا بوحدتهم فى الحال. قلت لدهميش : لماذا اعتقدت أننى سأقف ضد الإعدام ؟. هربت عيناه من مواجهتى . قال : لأنك وردة. ربما كانت لهجته هى التى جعلت الدم يندفع الى وجهى كأنى عذراء تسمع كلمة غزل. قلت فى ارتباك : لولا وجودك معى ما أمكنتنى أن أفعل شيئا. خطوت نحوه وقبلته فى فمه.

.. الشبان الثلاثة من قبيلة الشحرة. أبناء هذه القبيلة مشهورون بالجبن وضعف الشخصية. يستسلمون بسهولة لأعدائهم أو يفرون أمامهم دون مقاومة . لا

يدافعون حتى عن أنفسهم: قال لى عوض أن مشكلتهم الأساسية هي الفرع من رؤية
الدماء ولهذا السبب لا يمكن أن يسفكوا دم انسان . هل يدمغهم هذا بالجبن؟
.. قررت أن أشركهم في احتفالات رأس السنة .

أول يناير ٧٥

.. نجح احتفالنا بالعام الجديد. قدمنا رقصة عُمانية. كوننا دائرة واسعة
توسطها رفيق يجيد الغناء. تحركنا : خطوة بالقدم اليسرى إلى الخلف ثم دورة
كاملة بالجسم وانحناء بسيطة إلى الأمام ثم التصفيق بالكف أربع مرات متتالية.
كنا نرد على المغنى بعبارة «يا عين سهرتيني» . ثم جاء دور الشبان الثلاثة. دخلوا
الحلقة وقد تقمص اثنان منهما شخصيتى نمر وغراب. ومع الغناء دار الصراع بين
الطرفين. انتهى بانتصار الخير على الشر والعقل البشرى على قوة الحيوان الوحشى.

.. قابوس يزور الولايات المتحدة . ينوى شراء قاذفات صواريخ ثمنها مليون
ونصف مليون دولار. الأمريكان يطلبون حق الهبوط فى القاعدة البريطانية فى
مصرية.

.. يتجنب دهميش الانفراد بى. لكنه يلاحقنى بنظراته . تشعرنى هذه
النظرات بالدفء. يحمر وجهه كالعدارى إذا التقت عيوننا صدفة.

٣ يناير

.. نجح الرفيق سعيد المرزوقى فى تسريب القصيدة التالية من سجنه:

أنت شيوعى

أنت كافر

أنت ملحد

سنحرقك

سنعدمك

لنتتهى وتستريح

وتنتهى القضية

هيهات ..

لن تنتهى القضية .

.. الساعة الخامسة صباحاً أيقظتنا طلقات الرشاشات دوشكا . اندفعت طائرتان إيرانيتان من البر وأطلقت صواريخها على مبعده كيلومترين شرقاً. تصايح الجميع. لجأوا الى الكهوف. أصبح الأهالي خبراء في تحديد أنواع الطائرات من كثرة الغارات اليومية : هذه استطلاعية والأخرى ناقلة والثالثة قاذفة. جريت الى مقر القيادة . لا أحد. فهدو عوض يشرفان على إطلاق مدافعنا وتغيير أماكنها باستمرار. دهميش معهما. صرخت فيمن كان حولي: بين دخان الطائرة وانفجار الصاروخ عشر ثوان. تكفى لكى تلتصقوا بأقرب صخرة. بدأ قصف مدافع الهاون. صحت من جديد: ١٧ ثانية بين دوى إطلاق الهاون وانفجاره. القنابل تتساقط بالعشرات. لوسقطت رخيوت ضاعت المنطقة المحررة . بل ضاع كل شيء. الطائرات تقترب على علو منخفض. نحتمى بالجدران . يسقط جدار على أربعة مقاتلين احتموا خلفه. أصابت قذيفة علم المستشفى المتنقل. جريت وسط القنابل المتساقطة. صراخ الاطفال وعويل النساء. صيحة: إنزال. صحت بأعلى صوتي : أطلقوا النار على أى شكل غريب. توقف القصف . جثت تحت الأنقاض. امرأة ميتة على شجرة . طفل فى الثالثة من عمره ينادى أمه. الجرحى يزحفون نحو المستشفى. نادانى صوت باسمى . أحد الشبان الثلاثة الذين أنقذتهم من الإعدام يئن من جرح فى بطنه . بكاء وعويل. الإنزال سحابة من المظلات ثم سحابة من الرجال ثم سحابة من دخان البنادق والرشاشات ثم أكوام من الجثث. .. أصدرنا الأمر بإخلاء البلدة والانسحاب نحو الحدود اليمينية .

صلاة

١٩٩٢

كان ثمة شيء محير في الجزء الجديد من يوميات وردة . لم يكن لدى شك في أنها الكاتبة فهو نفس الخط الذي طالعتني في الكراسات السابقة : الكلمات الكبيرة الحجم بالحروف الواضحة التي تنطق بالجرأة والتحدى، العبارات المقتضبة، الدقة في نقل المشاهدات والسماعيات، التمحيص الصارم لسلوكياتها وعالمها الداخلي، المتابعة الواعية لما يجري في العالم من تطورات، التساؤلات المستمرة حول كل شيء. ومع ذلك خالجنى شعور بأن شيئاً ما ينقصها.

أغلقت الكراسة ودققت النظر في غلافها المهترئ ثم عدت أقلب الصفحات. رغم غياب الترقيم لم يبد أن شيئاً اقتطع منها أو أضيف إليها فقد كان الانتقال من صفحة الى أخرى سلساً ومنطقياً ومتفقاً مع التواريخ المثبتة في بداية كل فقرة . كما أن دبوس الوسط كان في مكانه وليست حوله أية علامة تشير الى أن أحدا عبث به أو حاول انتزاعه من مكانه.

أعدت قراءة بعض الفقرات وتوقفت عند السطور الأخيرة ثم استعرضت في رأسى الأجزاء السابقة . وأخيراً أودعتها مخبأً السجادة وغادرت الغرفة. بحثت عن مواطنى المصرى فوجدت أنه يؤدي صلاة الجمعة في إحدى غرف الطابق الأول. انتظرته في البهوحتى جاء فلجأت اليه:

- هل تعرف أبو عامر ؟

ضحك : الغميرى ؟ من هنا لا يعرفه . إنه من شيوخ الأفخاذ . وأغلب بقايات صلاة وصيدلياتها ملكه .

قلت : هل يمكن أن تحصل لى على رقم تليفونه؟

- غالى والطلب رخيص.

مضى الى الاستقبال وفتش في أحد الأدراج ثم نقب في بعض الدفاتر و عاد الى بالرقم . تذكرت زكريا الذى حذرني من سعر المكالمة التليفونية لكن لم يكن هناك مفر من التهور.

رد على صوت ذو لكمة غريبة : بيت الغميرى .
قدمت نفسى فطلب منى صاحب الصوت الانتظار. مضى وقت طويل
حسبته بالريالات ثم جاءنى صوت فخم عميق القرار:
- معك أبو عامر.

ذكرته بأننا التقينا فى مخيم أبى عبدالله وأنه وعد بمقابلتى .
قال على الفور : أهلا بك وسهلا فى كل وقت . هل أنت حر الليلة ؟
لم أتمكن من إخفاء اللفهة فى صوتى : نعم.
قال : إذن سأبعث اليك بسيارة فى الساعة مساء . يناسبك الموعد ؟
قلت : عظيم.

كنت أعرف أن سالم مع أخته واستبعدت مقدم خلف فى يوم العطلة
الأسبوعية ومع ذلك تجنبت المطعم واستطعت أن أحصل من خدمة الغرف على
طبق من الاساجيتى بصلصة الطماطم والجبن ويضع سلطات.

استرحت قليلا بعد الغداء ثم استحمت وغمرت بطلب القهوة . وقضيت
الوقت بين الشرفة والتليفزيون الى أن دق التليفون فى الساعة السابعة.
وجدت فى انتظارى سائقا هنديا أو باكستانيا أو بنجلادشيا ، فلم أتمكن
بعد من التمييز بين الجنسيات الثلاث ربما لأنهم فى الحقيقة عنصر واحد .
انطلقنا الى مرباط وفى هذه المرة تمهلنا فى الجزء القديم من البلدة حيث يسكن
صيادو السمك ورجال الفرق الوطنية. ومررنا بوضع بيوت مهجورة تركها أصحابها
إلى منازل حديثة متواضعة بنيت بشكل عشوائى وبرزت من سطوحها المزاريب
المتعددة شاهدة على ما تفعله الأمطار.

توقفنا أمام منزل قديم من طابقين محاط بسور حجرى مرتفع به بوابة
حديدية تزينها كتابة قرآنية. انفرج باب صغير الى جانبها عن هدى اقتادنى فى
صمت عبر ردهة مبلطة بالسيراميك الى باب آخر مفتوح على باحة غير مسقوفة.
اجتازناها وولجت قاعة واسعة عبقث برائحة زكية وتكدست بها الفوتيات الضخمة
فوق سجاجيد سميكة. وتصدرها جهاز تليفزيون كبير الحجم داخل قطعة أثاث
خاصة به يعلوه جهاز فيديو.

جلست فى إحدى الفوتيات أمام مائدة صغيرة مذهبة الحواف تحمل صينية
مدورة عليها ابريقان من العصائر أحدهما لجوز الهند والآخر للبرتقال ، وأطبق

عديدة لسلطة الفاكهة والموز والفافاى والفسق والبومبون والفطائر والبسكويت والكعك .

أقبل على أبو عامر بعد لحظات فاحتضننى وقبل كتفى الأيمن ثم اتخذ المقعد المواجه لمستندا بذراعه اليسرى إلى المسند ومسلطا على عيني النسرة .
علقت على الرائحة فأبدى دهشته :

- ألم تشم خشب العود من قبل؟ إنه بخور نادر . قطعة صغيرة فى حجم الليمونة يمكن أن يصل ثمنها الى مائة ريال .

هززت رأسى متعجبا فمائة ريال تعنى ثلاثمائة دولار بسعر ما قبل حرب الخليج أو ٨٠٠ جنيه مصرى أى راتب شهر لموظف محترم .

أشاح بيده فى غير مبالاة: هذا لا شىء . فى قصر سيدى السلطان يحرقون كميات هائلة منه كل يوم .

دخل الهندى الذى استقبلنى وصب لى كوبا من عصير جوز الهند . شربت جانبا من الكوب ثم وضعته جانبا .

قال : جرب هذه الفطائر .

قلت إنى لست جائعا .

أطرق برأسه ولاحظت خاتما ذهبيا كبيرا فى بنصر يده اليسرى التى طوقتها ساعة ذهبية كبيرة الحجم .

استجمعت شجاعتى وقلت :

- أمس زرت مركز التأهيل النسوى والتقيت بابنة أخيك .

قال وهو يجمع ثوبه تحت فخذيه ويعتدل فى جلسته :

- سمعت .

كنت حائرا بشأن الأسلوب المناسب لطلب رؤيتها . وأغنانى هو عن المحاولة .

نهض واقفا وهو يقول :

- سأدعوها لتنضم إلينا .

غادر الغرفة فجلت ببصرى فى أنحائها . كانت لها نافذة تشرف على الباحة التى تتوسط المنزل ولا يوجد بها منفذ يطل على الشارع . ولمحت عدة مجلدات فى خزانة مجاورة للتليفزيون فنهضت ومضيت إليها . تصفحت العناوين: تاريخ

البوسعيدين لابن زريق، البداية والنهاية لابن كثير ، والموسوعة العتيدة التي تخبرك بالسبب في تسمية ابنك زيد أو على .

عدت إلى مقعدى واضجعت فيه ورفعت عينيّ الى السقف المرتفع الذى توسطته مروحة كهربائية. كانت هناك كتابة بماء الذهب حول السقف ميزت فيها آية قرآنية. وهبطت عيني إلى صورة قديمة للسلطان فى مقبل شبابه تختلف تماما عن صورته الحالية . فقد بدا شابا نحيفا قصير القامة عديم الثقة بالنفس يتسم فى خجل .

عاد أبو عامر بعد قليل واستقر فى مجلسه وجمع ثوبه تحت ساقه التى ثناها أسفله ومد يده إلى أصابع قدمه العارية.

قال : ابنة أخى تعتذر لأنها متعبة .

نظر إلى فى دهاء فأخفيت خيبة أملى .

قال : لم تشرب العصير . لعلك تود شيئا آخر؟

لم ينتظر إجابتى وقال : سأصلى أولا .

أحضر له الهندى سجادة الصلاة وفرشها فى ركن القاعة بزاوية تواجه القبلة وتجعله قادرا على رؤيتى بطرف عينه. هكذا تجمدت فى مكاني حتى انتهى من الركعات الأربع وختم الصلاة بالسلام الموجه الى ملاكى الكتفين.

التقط الخادم الهندى السجادة وطواها ثم خرج وعاد يحمل صينية فوقها زجاجة ويسكى وإناء ثلج .

قال : نشرب كأسين قبل أن نتعشى .

قلت : لا أريد أن أثقل عليك .

قال وهو يصب كأسين ويناولنى أحدهما:

- إننا لا نلتقى بأحد من مصر الشقيقة كل يوم . حدثنى عنها. لقد زرتها مرة واحدة منذ ثلاثين عاما .

قلت : لقد تغيرت كثيرا.

قال : نحن أيضا تغيرنا.

لم أفهم هل يشير الى تقدمنا أنا وهو فى السن أم الى أوضاع بلاده فاخترت تعليقا دبلوماسيا:

-التغيرات واضحة فى كل مجال .

- قل لى . هل جريت لحم الضبيع ؟

فوجئت بالسؤال ولعل بعض التقزز بدا على فضحك وأشار إلى بأصبعه :

- أنت منهم إذن .

قلت : من هم ؟

- بعض سكان الجبال عندنا يحرمون قتل الضبيع لأنهم يعتقدون أنه فرس

الساحر ومن يعتدى عليه يصاب بنوع من القصاص . والبعض الآخر يؤمن بأن الضبيعة هي فرسة النبی وأنه عاقبها مرة بضربها على رجليها الخلفيتين فالتوتا وبعد ذلك أصبح لحمها حلالا . صدقنى أنه شهى جدا . وله فوائد جمّة : فمن يشكو من ألم فى ظهره عليه أن يأكل من لحم ظهر الضبيع والذى يشكو من ألم فى القدم اليمنى عليه أن يأكل من لحم القدم اليمنى وهكذا .

قلت : كان لدى أبى نفس الاعتقاد . لا بالنسبة للضبباع وإنما بالنسبة

لحكاية الأجزاء المتماثلة . عندما بلغ سنى الحالية كان يحرص على أكل بيض الغنم .

ضحك وصب لى كأسا ثانية.

أحضرت الهندى تنورا مشتعلا وضعه على الأرض بالقرب من قدمى أبى عامر .

ثم غادر الغرفة وعاد بمائدة صغيرة تحمل صينية بهاعدة لفافات من الورق المفضض وإناء زجاجيا كبيرا به مادة سوداء لينة . وضع المائدة أمام أبى عامر مباشرة وجلس على الأرض بينها بين التنور .

- لا تخف . أعفيناك من أكل الضبباع . سنأكل أكلة ظفارية معتبرة .

شمرعن ساعديه وفك غلاف إحدى اللفافات كاشفا عن كومة من أوراق

الموز . واحتوت اللفافة الثانية على قطع من اللحم المتبّل . تناول قطعة وأزال ماعلق بها من بصل ثم لفها بعدة طبقات من أوراق الموز . ومد إصبعه إلى الإناء فغمسه فى المادة السوداء ودهن بها أوراق الموز . كرر هذه العملية عدة مرات حتى أصبحت قطعة اللحم المغلفة جسما غليظا أسود اللون ثم ناولها للهندي الذى وضعها فى النار .

أشار إلى المادة السوداء قائلا : هذا الطين يتصلب فى النار فينضج اللحم

داخله .

تناول قطعة جديدة من اللحم وشرع فى تغليفها بأوراق الموز وهو يتكلم :

- هذه المنطقة لم تكن شيئاً أيام السلطان السابق . كانت لقبيلتنا أراض واسعة لكننا كنا نجد صعوبة فى الحياة . ذهب أخى الى الكويت وعند عودته انضم الى الثوار وانضمت اليه .

غلف القطعة بالطين فى عناية وناولها للهندي الذى وضعها فى النار.

- فى صيف ٧٠ جاء سيدى قابوس إلى السلطة وبدأت عملية البناء. نزل شباب كثير من الجبهة الى صلالة وبعد أن تأكدت الحكومة من حسن نواياهم سلمتهم وظائف فى المؤسسات الجديدة . وبدأنا نجنى ثمرات التغيير فابناؤنا يذهبون للمدارس فى مراكز الجبل وابلنا ومواشينا يصلها الماء بعد أن كنا نسير عدة كيلومترات حتى نصل إليه ، والمؤن تصلنا ونتسلم مخصصات من الكساء تقينا الحر والبرد. وبدأت مطالبنا التى كنا نحاول تحقيقها من خلال الكفاح المسلح تجاب . فماذا تبقى أمامنا ؟

انتهى من دهن القطعة الأخيرة فاعطاها للهندي الذى وضعها فى التنور ثم ثبت فوقه الغطاء الفخارى ورفع الصينية وما تبقى بها من أوراق الموز والطين وحملها الى الخارج. عاد بصينية أخرى تحوى إناء الأرز المحتوم وطبقين وأدوات مائدة لاثنين وضعها فوق المائدة الصغيرة . اقتعد الأرض تحت أقدام أبو عامر وتحول إلى تمثال جامد ثبتت عيناه على التنور المغطى.

رأى أنظر إلى الهندي فقال : أسمىناه طاغور على اسم الشاعر العظيم فهو يتمتع بالحكمة. لا يفتح فمه أبداً.

أعدته الى الموضوع : لكن الثورة استمرت مدة بعد ذلك .
ملاً لنفسه كأساً وصب لى :

- هؤلاء كانوا نفراً قليلاً من الشيوعيين أوأهم اليمن الجنوبي . ظلوا يرفعون شعارات العنف الثورى والمجتمع اللابقي وحكم البروليتاريا . الناس هنا قوم بسطاء لا يفهمون إلا ما يحسونه ويلمسونه .

سكت لحظة وهو يتأملنى بتركيز ثم وضع يده على صدره عند القلب
تماماً :

- أما أنا فما فى القلب يظل فى القلب . فكرت فى مغزى العبارة الأخيرة . وجرع هو كأسه ثم التفت إلى الهندي وأوماً برأسه. كشف هذاغطاء التنور وكانت النار قد همدت وبرد الجمر. مد الهندي

أصابه والتقط إحدى القطع بسرعة وكسر الطين المتحجر حولها ثم ألقى بها في الصينية.

قلت : فى نهاية الخمسينيات تعرفت فى القاهرة بمجموعة من الطلاب العمانيين كانت أم وعد بينهم . هى وأخوها . كان اسمها شهلا وكنا ننادى أخيها باسم يعرب .

طل يحدق فى محتويات التنور دون أن يعلق .

استطردت : ماذا جرى لهما ؟

تناول قطعة اللحم وأزال أوراق الموزالتي تغلفها ووضعها فى أحد الطبقين ثم قدمه إلى دون أن ينظر ناحيتى . تناولت الطبق وأمسكت اللحم بأصابعى ثم أسقطته على الفور من فرط سخوته .

استغرق فى نزع أوراق الموز عن قطعة ثانية ثم قال :

- هناك الكثيرون الذين فقدوا فى الحرب وضاعت آثارهم . لا أعرف ماذا حدث لوردة . فهذا هو الأسم الذى اشتهرت به . كنت تعرفه ؟ أنا نفسى لم أقابلها مطلقا . أما أخى فقد ركب رأسه وظل مع الجبهة إلى النهاية .

- استشهد ؟

- فى الغالب . اختفى معها .

- وخال وعد .. يعرب ؟

- لا أعرفه .

- لم تسمع عنه ؟

تردد لحظة ثم قال :

- وردة أصلا من الباطنة فى الشمال ثم نزع أهلها إلى صنعاء . وعندما جاءت إلى ظفار كنا نقاتل فى منطقتين مختلفتين فلم نلتق . ثم تركت أنا الجبهة وافتقرت عن أخى ولم أراه بعد ذلك أبدا .

أمسك بإصبع اللحم ووضع فى فمه وحذوت حذوه . كان اللحم طريا شهيا طيب المذاق .

انهمكنا فى الأكل وهو يحدثنى عن طفولته والحياة فى مخيمات الجبل . وأحضر لنا الهنذى الحلوى لكنى اكتفيت بكوب من الشاى الأخضر . وعندما فرغت من احتسائه تطلعت إلى ساعتى فوجدتها تقترب من الحادية عشر .

قلت : الوقت تأخر ويجب أن أرحل .

قال دون أن يتحرك من مكانه :

- ستقضى الليلة عندنا . الوقت تأخر فعلا والسائق نزل صلالة وسيقضى

الليلة هناك . سيعود فى الصباح ويأخذك إلى فندقك .

قلت : ليس هذا ضروريا . يمكننى أن آخذ تاكسى .

- ليس فى هذا الوقت .

- ألا يمكن أن نستدعى واحدا بالتليفون ؟

قال : لم يدخل عندنا هذا النظام بعد .

داخلنى قلق مبهم فأصررت على الانصراف .

قلت وأنا أنهض : لا أريد أن أسبب الإزعاج .

نهض بدوره وهو يقول : عندنا غرف كافية وكل ما تحتاج اليه .

قادنى من ذراعى إلى الخارج والهندى من خلفنا . قال ونحن نجتاز الباحة :

- قبل عصر التكييف والمراوح كنا نفتش الأرض هنا بالليل .

توقف أمام غرفة مغلقة ففتح بابها ومد يده فأشعل النور الكهربائى ثم استدار

وأشار الى باب مجاور :

- هذا هو الحمام . إذا احتجت إلى شىء نادى على طاغور . تصبح على خير .

انتظر حتى ولجت الغرفة ثم انصرف والهندى فى أعقابها . أغلقت الباب

ووضعت حقيبة يدى بجواره على الأرض وأجلت النظر حولى . كانت الغرفة

متوسطة الحجم يشغل طرفها القصى فراش مثل الذى رأيته بين معروضات جمعية

المرأة ، يرتفع عن الأرض بحوالى متر ونصف متر ويعلوه لحاف سميك بألوان

مشرقة وملاءة من نفس النسق اللونى مطوية برقة بالغة وبجوارها دشداشة بيضاء

مكوية ومطوية .

خلعت حذائى وجوربى عند الباب بجوار خف من القماش وصندوق

مزخرف كبير الحجم استقر فوقه دورق مياه وكوب . خطوت نحو مقعد متحرك

من الجلد بمسندين من النوع الدوار الذى يوجد فى مكاتب الشركات الأجنبية .

جلست وأسندت مرفقى ثم حركته فى نصف دائرة وأنا أتفحص الغرفة .

كانت الأرض مغطاة بموكيت بنى اللون وبجوار الجدران أقيمت وسائد

بصورة عمودية . ورصت بعض الملابس فى فتحة خلفها فى الجدار تعلوها فتحة

أخرى على شكل مصباح زيتي ضمت أواني خزفية موحدة النقوش. وكانت هناك فتحة مماثلة فوق الفراش صفت داخلها أكواب زجاجية مذهبة. وبين الفتحات علقت أكثر من عشرين صورة تايوانية لحيوانات وطيور في إطارات صغيرة . وتدلّت من مسمار بارز عباءة بنية اللون لمس طرفها جهاز تكييف مغلق.

نهضت واقفا وخلصت قميصي وبنطلوني وعلقتهما فوق العباءة ثم ارتديت الدشداشة . انتعلت الخف وفتحت الباب وخرجت الى الممر المطل على الباحة.

كان المنزل غارقا في ظلام لم تنجح في تبديده إضاءة خافتة صادرة عن مصباح كهربائي صغير فوق باب الحمام . وكان بوسعي أن أتبين جانبا من الطابق العلوى الذى يدور به سياج خشبي . وقفت أنصت لكن السكون كان شاملا.

دفعت باب الحمام ودخلت. وكأني انتقلت من قرن الى آخر. فقد كان مجهزا بكل الأدوات الحديثة من السيراميك الى صندوق طرد المياه و السخان الكهربائي. اغتسلت واستخدمت منشفة نظيفة وردية اللون وعدت الى غرفتي. أردت أن أغلق الباب بإحكام فاستعصى على. كان له رتاج خشبي بلسان عريض ميزت منه جزءا ثابتا به عدد من الثقوب وآخر منزلقا به أصابع خشبية متحركة مطابقة لها. وكان ثمة عصا منحنية بها أصابع خشبية بارزة تشبه المفتاح.

عجزت عن استخدام المفتاح وإغلاق الرتاج فتركته موصدا دون قفل. أخذت أدوية المعدة و الضغط التى أحملها معى دائما وابتلعتها بقليل من مياه الدورق ثم أطفأت النور وانتظرت حتى ألفت عيناي الظلام. تقدمت من الفراش وثبتت ركبتى واعتليتته بحذر خوفا من تمزق العضلات الذى تعرضت له عدة مرات فى الآونة الأخيرة. تمددت وأغلقت عيني ثم فتحتهما من جديد. كنت قلقا بشأن الباب المفتوح وكان فى مجال رؤيتى فثبتت عيني عليه وعلى الشعاع الخفيف الذى تسرب من بين مصراعيه. بدأت أسمع أصواتا غامضة فحبست أنفاسى حتى ميزت نباح كلاب فى الخارج وطققة أخشاب وهسيسا غامضا. قدرت بعد لحظة أنها أصوات الليل العادية فى أى منزل قديم. ولا بد أنى غفوت إذ تنبهت على حركة خفيفة عند الباب. ورأيت مصراعه ينفرج فى بطاء بالغ. وظهر فى ضوء الممر جسم غامض انفلت داخلا.

ربما كانت الرائحة هى التى نبهتنى وعلى أية حال فقد أنبأنى لاشعورى بهوية الزائر قبل أن يشع نور المصباح الكهربائي فجأة . ثم تركز اهتمامى على

الكيفية التي أغلقت بها وعد الباب متعجبا من بساطتها. فلم تستخدم المفتاح وإنما حركت الجزء المنزلق من القفل فسقطت الأصابع المتحركة فى ثقب الجزء الثابت.

اعتدلت جالسا واستدرت مدليا ساقى وأنا أسوى الدشداشة لأعطى فخذي. وواجهتني على بعد ثلاث خطوات بعينين ناريتين جامحتين. كانت سافرة الوجه عارية الرأس، ينساب شعرها فوق رداء حريرى ملون بنقوش صينية يبلغ قدميها الحافيتين .

خاطبتنى فى حدة :

- ماذا جاء بك ؟

وجدت لسانى أخيرا فقلت :

- لأراك.

- لماذا ؟ ألم تحصل على اليوميات من الطبيب ؟

- أخذتها. جئت من أجل البقية.

وضعت يدها اليمنى فى وسطها متحدية.

- ما ذا تعنى ؟

- ما زال هناك جزء آخر.

رفعت يدها إلى عنقها وأخذت تعبت بفتحة رداؤها فى عصبية .

- من قال لك ؟

- المنطق. ما قرأته حتى الآن لا يجيب على أسئلة كثيرة. ثم إنك لم

ترددى فى إعطائى اليوميات . لماذا؟ لأن وردة أوصت بذلك فى يومياتها . لكن

ما قرأته منها حتى الآن لا يشير الى ذلك بكلمة . إذن لا بد أن تكون هناك بقية.

امتدت أصابعها الى الزر الأعلى من الرداء وأخرجته من عروته دون أن ترفع

عينها عن وجهى. استقرت عيناي على أصابعها وهى تنتقل إلى الزر التالى .

وعندما فكته انحسر الثوب عن صدر عارلا يستره شئ. بسطت ذراعيها جانبا فتجلى

نهداها فى كامل بهائهما.

قالت : كانت أجمل منى ؟

- من هى ؟

قالت : وردة.

كيف يمكن الرد وأنا لم أر من وردة غير وجهها ؟

- ألا تتذكرينها؟

خطت نحوى دون أن ترفع عينيهما عن وجهى أو تغطى نهديها المشرئين اللذين انتفخت حلمتاهما.

- لم أرها. لا هى ولا أبى.

لمس ثوبها ركبتى ومدت يدها فجذبت يديّ فى عنف ووضعتهما فوق نهديها.

- قل لى.

لم أقل شيئا لا لأنه لم يكن لدى ما أقوله وإنما لأن الفرصة لم تتح لى .
ففى لحظة كالحلم كانت قد تخلصت من الرداء وتجلت بكل عريها دون ساترثم دفعتنى على ظهرى واستقرت فوقى. كانت هناك ملاءة داكنة اللون مثبتة فى السقف تحجب منظر قضبانه الخشبية، لكن وجهها حجب كل شىء.
أحاطتنى بذراعيها وأخذتنى بين فخذيها ومضت ترجنى وقنعت بأن أبقى معتقلا دون أن أفكر فى اقتحامها مستسلما لهددهتها كطفل متخففا من الدفاعات التى قضيت عمري فى بنائها لأثبت ماذا ؟ محلقا على مبعدة ملايين السنين الضوئية من هنا والآن. و شرعت أتأوه مدركا أنى لم ألتذ الى هذه الدرجة من قبل وواعيا بأن أبتعد عنها فى اللحظة المناسبة.

هل كنت أضاجع وردة ؟ أم أضاجع نفسى ؟

ظلت فوقى تتأملنى بتركيز. وشعرت بضغط رديها الثقيلين فأنزلتها برفق الى جوارى واستدرت أواجهها متغاضيا عن آلام الرقبة :

- أى بارفان هذا ؟

ابتسمت فى بهجة طفولية وهى تقلد لهجة الأفلام المصرية:

- بارفان ايه ياأستاذ؟ دا زيت للشعر. غالى جدا. خشب صندل مطحون

ومسك وزعفران مع زيت ورد .

بالإضافة الى عبير فواح لا يضارعه عطر آخر فى الوجود.

مررت بيدي على جسدها استكشفت طياته وبعد لحظة همست فى أذنها:

- ما هو الاسم بلغة الجبل ؟

دفنت رأسها فى صدرى بخجل : حب .

أهناك تعبير أكثر دقة ورقة ؟

أبدت دهشتي لأنها غير مختونة فضحكت قائلة :

- حظ.

واصلت أصابعي رحلتها ورأسها مدفون في صدري ورائحتها تحف بي
وتسكرنى الى أن انتفضت مرة أخيرة وأزاحت يدي.

- هل ستعود إلى مصر ؟

- نعم .

- حدثني عنها . هل تشاهدون التماسيح في النيل ؟

- ونركبها أيضا.

- خذنى معك . أنا أموت هنا كل يوم .

- كيف ؟ عمك رجل معقول . أوحى لى أنه ما زال على مبادئ الجبهة.

ولم يجد بأسا فى أن يدعوك للجلوس معنا.

ضحكت ساخرة :

- لا يوجد من هو أكثر منه رجعية. إنه لا يسمح لبناته بالخروج من المنزل.

ومنعنى من مواصلة تعليمى بالجامعة الجديدة فى مسقط . أنا التى انتزعت حق

العمل فى جمعية المرأة يومين فى الأسبوع . وافق كى يكسب ودى ويحصل على

اليوميات . وعدا ذلك بقى فى البيت بجوار زوجته . هناك فى الطابق الأعلى قاعة

طولها ٣٥ متر مفروشة بالسجاد ومحاطة بالوسائد . هل تعرف كم عددها ؟ أنا

أحصيتها فى لحظات الملل : ٦٥ وسادة . تغلق النوافذ ويضاء النور الكهربائى فى

عزالنهار . كل يوم تجلس بها زوجة عمى فى فستان واسع طويل من القטיפه

محلّى بورود ذهبية صغيرة وفصوص من الفضة يستغرق تطريزها باليد شهرا كاملا .

وضعت يدي على فمها اذ خيل لى أنى سمعت صوتا بالخارج . أنصت

برهة وعندما لم أسمع غير دقات قلبى قفزت الى الأرض واقتربت من الباب ووقفت

عنده أنصت .

كان هناك حفيف ما فى الخارج بالتأكد . التفت ناحيتها فوجدتها قد

توارت تحت اللحاف . توقف الحفيف و عادت الأصوات المألوفة . مددت يدي

فأطفأت النور ودقت النظر فى شعاع الضوء الخفيف القادم من الخارج . ظل ثابتا

دون أن يعترضه شىء .

عدت الى الفراش واندستت الى جوارها. استدرت على جانبي الأيمن ووضعت يدي تحت رأسها واحتضنتها بالذراع الأخرى. انكمشت في حضني وألصقت جبهها المبتل بفخذي وهمست:

- لعلها القطة.

- أو عمك؟

فكرت ثم قالت :

- لا أعتقد . انه ينام في جناح بعيد.

ضممتها إلى وقبلت رأسها.

كأنما أضمت ابنة لى.

- كنت أحكى لك عن المجلس اليومى. تدعو زوجة عمى بناتها فيجئن

جميعا فى نفس لباسها. مطلوب أن ييقين هكذا طوال اليوم مهذبات مؤدبات ثم

يرقدن فى أى مكان. تصيح فيهن : الكنادر. فيخلعن أحذيتهن. لكنها لا تتركهن

فلا بد ان تؤنبنهن : يا عيب الشوم. يتربعن على الأرض. هل لاحظت أن قدمى ليستا

مشوهتين ؟ جميع الأقدام هنا مشوهة نتيجة التربع على الأرض . ثم تقود السمر

ونحن نقدم اليها الفاكهة أوالمربطات والمكسرات . كلما قدمنا لها شيئا قالت إنها

صائمة لأننا فى يوم ١٣ أو ١٤ أو ١٥ من رجب أو شعبان أو يوم اثنين

أو خميس...هل رأيت التليفزيون والفيديو ؟ نحن لا نشاهد إلا صلاة الجمعة

والبرامج الدينية. تعرف ما هى تسليتنا الوحيدة؟ عندما تمرض واحدة ويتعسر شفاؤها

يأتون بعرافة بدينة تتكلم من بطنها. تقول إنها حامل منذ عدة سنوات وإن الجنين

هو الذى يتكلم . يتجمعن فى غرفة مظلمة امتلأت بدخان البخور وتجلس المريضة

وسطهن ويبدأن فى هز رؤوسهن وهن يرددن ألغازا وطلاسم حتى تدوخ المسكينة

وتهذى بكلام غير مفهوم وتتلوى على الأرض .

اعتدلت على ظهرها ودفعت ساقها اليسرى بين ساقى ثم قالت :

- احكىلى عنها .

حكيت لها كيف تعرفت بوردة . طلبت منى أن أصفها ففعلت . وبعد

لحظات اكتشفت أنى لا أعرف عنها حقا شيئا ذا بال .

سألتنى : هل كنت تحبها ؟

قلت بعد تردد : أظن ذلك .

جاء دورها فى التردد:

- هل..هل نمت معها؟

أجبت بالنفى.

شعرت بها تهز ساقتها فى عصبية .

- تعرف أنى كنت أكرهها الى أن قرأت يومياتها؟ تصورتها امرأة بلا قيم

ولا شعور بالمسئولية. كنت أعتقد أنها تخلت عنى .

سألها عن يعرب فقالت :

- لم أره ولم يأت الى هنا أبدا وإن كنت أعتقد أن عمى على اتصال به.

أظن أنه فى مسقط.

- واليوميات؟

- وقعت فى يدى بالصدفة . منذ سنة . جاء بها واحد من البدو وأعطائها

لطاغور الذى أحضرها لى وأخفيت بها بعد أن انتزعت منه وعدا ألا يقول لعمى . لكن

عمى عرف . ربما منه أو من البدوى . طلبها منى وفى البداية أنكرت . كنت أريد

الاحتفاظ بها لنفسى . ثم ضغط على فأعطيته جزءا وأخفيت الباقي . لكنه شك فى

الأمر ومن لحظتها وهو يراقبنى بدقة ويفتش حاجياتى باستمرار . لكننى كنت أشطر

منه.

- ولماذا حجبت عنى هذا الجزء ؟

- السبب الأول هو ما جاء به حول ظروف ولادتى . أبى وأمى لم يتزوجا

رسميا . كثيرون تزوجوا وقتها على قانون الجبهة أى أمام مسئول سياسى . حتى

هذالم تفعله . وبعد انتهاء الثورة تم توثيق زيجات الجبهة لتكسب الشرعية . وتمكن

عمى بنفوذه من إدراجى فى هذه العملية . لكننى ما زلت أشعر بالحرَج . كثيرا ما

يصمنى بأنى ابنة حرام .

- والسبب الثانى ؟

- السبب الثانى أنى أريد استخدام هذا الجزء للحصول على حريتى . أشعر

أن به شيئا يتحرقون لمعرفته . لا أعلم ما هو . ربما استطعت إجبار عمى على

إرسالى للتعليم فى بيروت أو مصر أو لندن .

- من هم ؟

- لا أعرف. حاولوا معي بشتى الوسائل . لم يتركوا ثقب ابرة دون أن يفتشوه .

تخيلات وأوهام؟ هستريا؟

- قال لى شخص فى مسقط انك ترفضين تسليم هذا الجزء لأحد غيرى فكيف عرف؟

- صديقة لى أخوها فى الجبهة. قالت إنهم قرأوا الأجزاء الأولى ويريدون الجزء الأخير. قلت لها إنى لن أسلمها إلا لك أو لواحد لبنانى. صرت أنت محور حياتى لفترة طويلة. كنت واثقة من مجيئك.

تجمدنا فجأة فقد تكرر الصوت الغامض . أزاحت ذراعى واللحاف وهى تقول : يجب أن أذهب الآن .

قفزت الى الأرض فى خفة واستدرت أتابع حركتها فى الظلام وهى تبحث عن رداها حتى وجدته. عبثت لحظة بطياته ثم التفتت نحوى وطوحت بيدها. استقرت الكراسى الصغيرة على صدرى فالتقطتها بينما ارتدت ثوبها وسوت شعرها ثم اقتربت منى وانحنت فوقى فقبلتنى .

قلت : كيف سأعيدها اليك ؟

قالت : لا تقلق . عندى صورة منها .

هبطت من الفراش ورافقتها حتى الباب . عبثت قليلا بالمرتاج وأظنها أدخلت فيه المفتاح وفى النهاية سحبت المزلاج.

همست : سأشعل النور لأكتب لك تليفونى فى مسقط وعنوانى فى مصر.

- لا . هات قلم . يمكننى أن أكتب فى الظلام .

تذكرت أنى وضعت حقيبة يدى بجوار الباب فالتقطتها وبحثت داخلها حتى وجدت قلمامن الحبر الجاف . ناولتها القلم فسجلت التليفون والعنوان فوق راحة يدها ثم جذبت المصراع وتسللت خارجه.

أوصدت الباب خلفها فى رفق ووقفت أتنصت. وعندما لم أسمع صوتا غير عادى أضأت النور وتفحصت الرتاج. حركت المزلاج حتى انزلقت أصابعه فى الثقوب الثابتة وتأكدت من إحكام الغلق . ثم مضيت الى المقعد الدوار وأنا أقلب صفحات الكراسى الصغيرة ذات الغلاف الأسود وأتأمل الخط المتحدى المألوف.

الربع الخالى

١٩٧٥

٧ يناير

.. نسير ونسير . الحقائق على الظهور وفوق الإبل . الكلاشينكوف فى الكتف . الترانزستور رفيق لا يقدر بثمن . الهضاب الشاسعة تلونها الخضرة والزهور . طيور الجنة صائدة الذباب بألوانها البنية الحمراء والسوداء والخيوط البيضاء الطويلة على ذبولها . الطرق الجبلية غير المطروقة بها علامات عبارة عن أكوام من الأحجار فى جانب . آثار قبيلة كانت تنصب خيامها على السفوح . انتقلت منذ شهر الى أسفل الجبل وجمعت ماشيتها فى حظائر كبيرة . هل هبطت هربا من القصف ام استعدادا لموسم الأمطار؟ يا رفاق .. يا رفاق . التفتنا نبحث عن مصدر الصوت . صبى فى العاشرة يحمل إناء نحاسيا بين يديه يمدده لنا لنشرب الحليب الطازج . تأمل ملايسنا وأسلحتنا باهتمام . سألتنى فى انفعال : وردة ؟ احتضننى وقبلنى فى خدى . قال بزهو : اشربى . الحليب مغلى . عندما ابتعدنا رفع أصابعه فى خجل بعلامة النصر . لم يضع إذن كل شئ . فلن ينسى هذه اللحظة . ماذا لو عرف أننا ننسحب ؟ عند العين نشرب ونغتسل . أزيز الطائرات . يتفرق الموجودون بين الجدوع العالية للوبيا . عيون الماء هدف دائم لقصف الطيران المعادى . بعد الغارة يعود الجميع لذبح الماشية المصابة قبل أن تنفق . كالعادة اشترينا كمية من هذه اللحم لمساعدة أصحابها والتخفيف عن خسارتهم . امرأة عجوز تغطى رأسها بريقة من المعدن داخل قماش خفيف أحمر . حلقة من الذهب فى أنفها . قدمت لنا الطماطم . أصرت أن نأخذها وهى تضحك فى ود . إلى متى سيستمر هذا التعاطف؟

٨ يناير

.. شاه ايران فى القاهرة . دبر له السادات استقبالا حافلا . لم يرتفع صوت معارض . وهبة ٧ يناير انطفأت على الفور . المصريون هكذا : يصبرون طويلا ثم

ينفجرون في فورة حماس سرعان ما تنطفئ . ويعود كل شئ الى ما كان عليه . ترى ماذا يفعل رشدى ؟

١١ يناير

.. نجحت القوات الحكومية غرب خط هورنبيم فى الاستيلاء على مقر قيادة وكمية كبيرة من الأسلحة والذخيرة.

.. قضينا الليلة فى مغارة زوج من المقاتلين محاطين بقطيع من الأولاد . لم أتمكن من النوم . ظل أحد الأطفال يتقلب ويسعل ساعات طويلة . فى الصباح ألفينا عينيه ملتهييتين بحمى السل . لجان المناصرة فى أوروبا تجمع الأدوية والأموال والأدوات الطبية والجراحية . هل يمكن الآن أن تصل الى هنا ؟

١٥ يناير

.. القذافى يتحدث عن كتاب أخضر سيسهم به فى إقرار نظرية متكاملة للعمل الثورى العربى .

.. أنباء عن خط دفاعى مكهرب جديد يقيمه الإيرانيون غرب خط هورنبيم وفى موازاته . أطلقوا عليه اسم دامافاند . يمتد من رخيوت فى اتجاه الشمال . الهدف منه حصرنا فى منطقة الحدود اليمنية .
.. التقدير المبدئى لضحايا رخيوت قرابة الألف قتيل .

٢٠ يناير

.. استضافنا أحمد مسلم . من رجال الميليشيا وله ابن من المقاتلين . أشعلت زوجته نارا فى الداخل لإعداد الأرز لأن ذلك فى الخارج يمثل خطرا شديدا . فمن البحر تلتقط السفن الايرانية أضال ضوء وتنقله إلى الطائرات التى تغير مع مطلع اليوم الجديد . فى أحد الأركان صناديق الذخيرة الروسية الخضراء . فوق الأرض شبكات من البلاستيك ومصباح عاصفة .

.. انتقلنا الى كهف كبير تجمع به قرابة ثمانين امرأة وطفل . الرجال فى مكان ما يقاتلون . أنصتنا للبلاغات العسكرية للجبهة من إذاعة صوت الثورة التى تغير نقطة إرسالها يوميا . شرحت لهم التطورات الأخيرة . أعقبنى سعيد زينان المسقول الاقليمى للميليشيا . أبلغهم قرارات المجلس الشعبى بشأن الإعاشة والكهوف المختارة للتخبة وكيفية إخفاء المزروعات عن الطائرات . فى النهاية هتف : عاشت حرب التحرير الشعبىة والنضال من أجل الديموقراطية . رد الجالسون وأنا معهم :

عاش. عاش نضال الشعب العربي في فلسطين. عاش. تسقط الامبريالية والرجعية. تسقط. تسقط الصهيونية. تسقط. يسقط الخدم والمرتزة. يسقط. عشت طويلا أيها الشعب و الحياة الطويلة لك أيها الشعب!. كيف ؟ لو كانت الشعارات تتحقق بسهولة ! تفرق الجميع بسرعة دون أسئلة أو استفسارات . التجمعات الآن إذا طالت تصبح خطرة . صواريخ . قذائف مدفعية . قنابل وألغام . كل أسلحة الدمار عدا النابالم، فهل هو قادم ؟

٢٤ يناير

.. واصلنا السير حتى المساء . قادنا أحد الرفاق إلى كهف قريب لتعشى لدى أسرة. دخلناه على أربع لأن ارتفاع المدخل لا يتجاوز نصف المتر. جلسنا نشرب الشاي الأحمر. نيران الموقد تبعث فينا الدفء بانتظار العشاء . حضر الجيران للترحيب وشاركونا الأكل وأكواب الشاي والحليب . قرصات الناموس . أعدوا لي مكانا مريحا . غلبني النوم بسهولة.

٢٨ يناير

.. نهبط نحو السهل الساحلي . الكوفيات تحميننا من النسيم الرطب الذي يهب من البحر. لا يخلو بيت أو كهف هنا من بعض المقاتلين يرتاحون بضع ساعات . غارات جوية طول اليوم يتخللها قصف مدفعي وقصف بحري ابتداء من المساء .

أول فبراير

.. الحوف. اللاجئون العمانيون يعيشون في الكهوف المحيطة بالبلدة . حصيرة على الأرض وعدة حقائب أو صناديق للأشياء الشخصية . ترموس وأحيانا راديو ترانزستور. نتجمع في المساء للإنصات إلى إذاعة الجبهة من عدن التي تستمر ٤٥ دقيقة. يتعين المشي أحيانا عدة ساعات للوصول إلى مصدر ماء للإنسان والحيوان. أقيم مع أسرة من ١١ شخصا كانت تعيش داخل ظفار مملوكة ٢٥ جملا و ٥٠ من الماعز. قتلهم القصف البريطاني ودمر قريتهم . سأبدأ من الغد في إعادة تنظيم القوات والأهالي المنسحبين. فهد في المكلا ينتظر طائرة الى عدن ليعالج من إصابة خطيرة في العمود الفقري. دهميش في الغيضة . يعرب إما في عدن أو ذهب الى بيروت.

.. فى المعسكر الذى يحمل اسم الشهيد بخيت بن حيجلا. أربعون رجلا يقودهم على. ينامون فى كهف ضخم يتسع لـ ١٢٠ إنسانا. الذخيرة والأسلحة ويضع غلب من التونة. على نائير بسبب اختفاء بعض المعليات. نظر إلى وقال : ما زال بينا برجوازيون صغارا! فوق قماش رقيق قطع من لحم الإبل تجف فى الشمس. الجمل ذبح فى الصباح. يتم التهام القطع الممتازة : الأقدام والكبد والقلب والأوراك. يؤكل لحمه مسلوقا مع أرز مطبوخ بسمن هولندى. جريناه مرة فى القاهرة وكرهت رائحته القوية التى تتسلل إلى الأيدي والملابس. الآن لا أعبأ. نحن محظوظون. الجمل مقطوع وموزع باقتصاد يسمح بإطعام الجميع لمدة يومين. الأرز حمّرتة صلصة الطماطم. بعد ذلك إطفاء كافة النيران. فقط أطراف السحاير المتوهجة .

.. تحدثت عن الموقف العسكرى وضربت مثلا من مسيرة ماو. عندما حوصر جيشه الأحمر سنة ١٩٣٤، لم يجد مفرا من الانسحاب فتراجع مع مائة ألف من أتباعه إلى الشمال. ساروا مسافة عشرة الاف كم واجهوا خلالها الجوع والعطش والمعارك والأمراض. انتهت المسيرة الطويلة بعد سنة وقد تبقى من رجاله خمسة الاف فقط. وبعد ١٤ سنة حقق النصر التام وأسس الصين الشعبية. وأنا أتحدث بدت لى الأرقام غريبة: ١٥ سنة أخرى؟ مائة ألف يبقى منهم خمسة الاف؟ عددنا كله لا يبلغ هذه الآلاف الخمسة نزل منهم أكثر من ألف وخمسمائة إلى صلالة. ثم أين نذهب؟ الشمال هو الربع الخالى. اليمن الجنوبى بلد آخر. العدو فى الشرق والبحر من ورائنا. فضلت مثال كاسترو. دخل هافانا بعد ثلاث سنوات من فشل ثورته الأولى.

.. أهم شئ الآن هورفع الروح المعنوية للمقاتلين. لا بد من مواصلة العمليات العسكرية داخل ظفار.

.. توفيت أم كلثوم. خسارة كبيرة. عبرت عن عصرها بكل ما فيه من جوانب. من تطريب إقطاعى الى أناشيد ثورية. لعبت دورا هاما فى تعبئة المقاومة بعدها ٦٧.

.. وضعنا نظاما صارما للتدريب العسكرى .

.. وفد عسكري أردني برئاسة زيد بن شاكر رئيس الأركان في مسقط.
 .. أقنعت الرفاق بأن أقود هجوما على الموقع البريطاني الإيراني في صرفيت.

.. نهضنا في الفجر . تجمعا حول إناء الشاي فوق نار الحطب . تناولنا بالتناوب أكواب البلاستيك والألومنيوم . قمت بتوزيع الكمية الضئيلة المتوفرة من أكياس التتن وعلب الكبريت. كنا نوزعها في السابق بواقع كيس وعلبة كبريت كل صباح. يصنعون سجائرهم اللف . تركت عشرة رفاق بالمعسكر بقيادة علي . سيتناوب بعضهم الحراسة بينما يطوف البعض الآخر على المدنيين القلائل في المنطقة للتوعية وتعليم الأبجدية والتأكد من الأمان. عندما غادرنا المعسكر غنيا: « جيش تحرير الشعب هو أطفال الشعب ». أحد المقاتلين حمل على ظهره مدفع هاون ٨٢ ، صناعة سوفيتية . حمل آخر الحامل . توزعت القذائف على الباقين . لم يعد هناك لاندروفر أو نصف نقل تيوتا أو قوافل الجمال . الطابور يتسلق نحو الهضبة . اثنا عشر مقاتلا يقفرون من صخرة إلى صخرة في خفة وبراعة الماعز . مرت بنا سيارة عسكرية كبيرة بها عشرات المواطنين في طريقهم لزيارة أبنائهم في المدارس والمعسكرات عبر الحدود . السائق يلتقط المواطنين في الطريق . أكوام السردين على الساحل . ننتظر قاربا يقلنا إلى نقطة قريبة من صرفيت . لم يعد من الممكن الوصول بغير البحر . نتأمل السماء باستمرار . نرهف السمع لأزيز الطائرات . ينتظر معنا عدد من النساء والشيوخ والأطفال يحملون السلال والأكياس . لا أستطيع أن أفهم ما في عيونهم . هل يحملوننا مسؤولية المشقة التي يعانونها ؟ نمشي خطوات في المياه لنصل الى القارب . أكثر من أربعين شخصا يحملهم القارب القديم . القاعدة تبعد عشرة كيلومترات عن الحدود . مساحة هائلة مربعة يحتلها ٨٠٠ جندي إيراني ويضع عشرات من الانجليز . تحميها أربع بطاريات مدفعية مسنودة بالهليكوبترات . من هذه القلعة المحمية يتم القصف المنتظم والأعمى للأهداف المدنية والعسكرية في غرب ظفار . قام الرفاق بتركيب الهاون فوق حافة نتوء مجوف في الصخر . وزعنا أنفسنا بحيث نشرف على الموقع من عدة جهات . كان بوعارف بجانبى ومعه اللاسلكى والمنظار . سيتولى توجيه

قذائف المدفعية. ناولنى المنظار. شاهدت تحصينات الموقع . دشم عسكرية من الحجارة والأسمنت لا يبين شىء من خلفها. بدأت العملية بقذيفة آر بي جى مباشرة فى أكبر الدشم ثم اختلطت النيران من الرشاشات المختلفة . ظل العدو يتلقى القذائف دون رد . كان بو عارف يشعر بالنشوة كلما أعطى إشارة صائبة . يجد متعة فى التحدث باللاسلكى مع موقع الهاون. بعد إطلاق قذائف الهاون الـ ١٦ استلقينا تحت سفح عمودى لصخرة . وزع مسالم علينا محتويات صندوق من البلح المضغوط . بعد نصف ساعة ظهرت طائرتا ستراكمبايستر وألقنا بقذائفهما . ظللنا فى مواقعنا والطائرات تروح وتجى فوقنا بينما جلس حسين فى العراء فوق كومة من الحجارة مرتديا قميصا أحمر. رفض الانضمام الينا تحت الصخرة . قال إن الطائرة لا ترى الأشياء الثابتة . عندى شك أنى السبب فى هذا الاستعراض من جانبه . لا يستطيع أن يحول عينيه عن صدرى . بعد رحيل الطائرات بدأنا رحلة العودة . تناثرت القذائف حولنا . بدأت القاعدة ترد علينا . أعددت تقريرى فى رأسى : قصفنا القاعدة لمدة ساعة . الهدف هو إرهاب العدو وإجباره على إخلائها كما حدث فى ثقيب منذ عامين . هذه المرة أتساءل : من يرهق من ؟

١٧ فبراير

.. أهدت الأردن لقابوس ٣١ طائرة هوكرهنتر .

٢٠ فبراير

.. دخلت القوات الحكومية لأول مرة منطقة وادى ريشم بعد مقاومة خفيفة.

.. تصاعد القتال بين الحركة الوطنية الاريترية والنظام الانثيوبى الجديد . المجلس العسكرى يطلب من أمريكا إمداده بالسلاح لمواجهة متطلبات القتال . من يقع فى فخ قمع المطالب المشروعة للشعوب والقوميات لا بد أن ينتهى به الأمر فى أحضان الامبريالية.

٢٢ فبراير

.. الغيضة داخل اليمن ب ١٠٠ كم . على الطريق الترابى سارية تحمل علم اليمن الديموقراطى. جنود يمنيون . منطقة المدارس . استقبلنا المدير وبعض المقاتلين /المدرسين . المدير القديم الذى نظم مظاهرة الأطفال ضد الامبريالية السوفييتية استشهد منذ فترة . تلاميذ المدرسة الابتدائية يقفون فى سبعة صفوف

والكراريس تحت سواعدهم . بعضهم مشى ٥٠٠ كم حتى وصل الى هنا . فجأة تركوا الكراريس تقع على الرمل وتفرقوا . أسرع المدرسون والبالغون من التلاميذ الى الآليات المنصوبة حول المدرسة . جاجوار إيرانية تطير على ارتفاع منخفض للغاية . الفناء تغطي بالأطفال الذين انطرحوا أرضا . كان من الممكن أن تحدث مذبحة لكن الطائرة لم تقصف . أتردد الطيار عندما رأى الأطفال ؟ أم أنه فى طلعة استكشافية ؟

.. أقمت مع أسرة عرجون أحد أعضاء المجلس الشعبى اليمنى .
.. دهميش فى مهمة على الحدود ويعود غدا . لم أراه منذ سقوط رخيوت . اشتقت إليه .

٢٣ فبراير

.. فى الغيضة ثلاثون اسرة تجتمع لتزرع سويا عدة مئات من الهكتارات . يتم اقتسام الناتج حسب الحاجة . لاشئ يخضع لقواعد التجارة : اكتفاء ذاتى اقتصادى تام . يتولى رجال الميليشيا تقديم الارشادات الزراعية وتوفير الأدوات اللازمة . قال لى أحد مسئولى التعاونية : مشكلتنا الآن هى الأمان . العدو يقصف حقولنا أثناء البذار والحصاد بقنابل حارقة .

٢٤ فبراير

.. عاد دهميش ظهر الأمس . سألته اذا كان استوحشنى . ابتسم فى خجل . لا يعبر عن مشاعره بحرية . استحمت وغسلت شعرى بالشامبو . أعطتنى زوجة عرجون قليلا من الطيب وهى تبتسم فى تواطؤ . دهنت جسدى . أقرضتنى بلوزة بيضاء بكمين قصيرين وجوية ملونة وصندلا . تعشى دهميش معنا ثم صحبته الى الخارج . تمشينا فى الطرقات المتربة المظلمة . طاردتنا الكلاب . حكيت له مغامرتى فى صرفيت . تحدث عن محاولات تجميع المنسحبين على الحدود . ناقشنا الاحتمالات . أصبحنا خارج البلدة . توقفنا بجوار بستان صغير بلا سياج . التفت اليه وسألته : ألا تريد ان تقبلنى ؟ بهت . شعت عيناه السوداوان بضوء غامض . كشف عن قلة خبرة بالتقبيل . ترك شفتيه فوق فمى فقط . التهمتتهما التهاما . امتصصت لسانه وأعطيته لسانى . احتضننى . تعثرنا وسقطنا فوق العشب . عندما أردت أن أركب فوقه أصر على أن يجعلنى تحته . شل حركتى بساعديه . نفرت من القيد . قاومته لحظة ثم استرخيت . وجدت متعة فى أن أكون امرأة ، رقيقة وخاضعة

ومتلقية. لكنى كنت قادرة على أن اعتقله بين ساقى فى قوة تمنعه من الحركة. ساعدته على ان يدخلنى بعد محاولات مرتبكة كشفت لى نقص خبرته ودفعت بى الى الذوبان. وضع يده على فمى ليكنتم تأوهاتى .

أول مارس

.. عمليات جديدة للعدو فى المناطق المركزية والشرقية . لم نعد قادرين على مواجهة الحكومة شرقى خط هورن بيم. القوات الحكومية تتمتع الآن بحرية تامة فى الحركة.

.. وافقنى دهميش على أن الوضع أكثر من حرج وربما ميئوس منه .

١٠ مارس

.. ضربة قاصمة : الاتفاق الإيراني العراقى .

.. تحدثت مع بعض الرفاق عن الوضع . قلت ان حرب العصابات حرب شعبية أى حرب الجماهير. ادعاء القيام بها دون تأييد الأهالى يؤدى الى كارثة محققة . العصابات هى طليعة الشعب المقاتلة المتمركزة فى مكان معين والمستعدة للقيام بسلسلة من العمليات الحربية بهدف استراتيجى ممكن هو الاستيلاء على السلطة . لكنها يجب أن تكون مؤيدة طول الوقت من جماهير الفلاحين والعمال فى المنطقة. أضفت أن جيفارا أشار فى كتاب منهج لحرب العصابات سنة ٦٣ الى أن العصابات ليست الصيغة الوحيدة لانتزاع السلطة فى كل أمريكا وإنما واحدة من الصيغ الممكنة للكفاح. أيدنى محمد أحمد عضو اللجنة المركزية بطريقة غير مباشرة . قال : الصراع العسكرى محدود بظفار. فى بقية عمان تخوض الجبهة معركة سياسية. الشعب العماني باكملة ليس مستعدا للكفاح ضد قابوس نتيجة الإصلاحات . هناك أيضا تناقص التأييد العالمى.

رد سعيد مسعود بحدة : لقد قلنا دائما إننا يجب ألا نعتمد على أحد. تساءلت: هل تكفى بطولة وتضحيات المقاتلين ؟ إنها ليست فيتنام اخرى. أضفت : علينا أن نفهم مطالب الجماهير ونبلورها ونقود من خلف وليس من أمام فإذا غيرت الجماهير رأيا لسبب ما يجب الانصياع لها. عارضنى سعيد مسعود : علينا أن نقود من أمام ولا نكون ذليلين وإذا غيرت الجماهير رأيا يجب ألا نكف عن محاولة توعيتها بخطئها. لا بد أن نظل دائما متقدمين عن الجماهير بخطوة. انفعل

وصاح : ماذا نفعل بالمقاتلين الموجودين فى الجبل ؟ هل تطالبين الاستسلام ؟ قلت إنى اطلب تقديرا موضوعيا للوضع ومواصلة الكفاح بالشكل المناسب. قال إنه مفاجأ بموقفى.

١٥ مارس

.. وصل يعرب من عدن. أحضر لى تفاحا وسفن أب وشامبو للشعر. قال إن سلعا كثيرة تدخل من اليمن الشمالى مع الانفتاح فى العلاقات مع دول الخليج . علم أن العقيد القذافى سيتولى تمرير الصواريخ السوفيتية إلينا. أحضر معه العدد الجديد من مجلة ٩ يونيو . بها نص الرسالة التى بعث بها القذافى الى قابوس. تضمنت سطورا طريفة : «... واستغربنا يا أخى كيف تسمح لنفسك وكرامة شعبك وشرف أمتك أن تحمق إلى درجة السماح لجيوش أجنبية نظامية باحتلال مسقط أولا ثم ظفار ثانيا . إننا نهيب بك لآخر مرة أن تطلب سحب الجيوش الأجنبية فوراً واذا رفضت طلبك فبلغنا برفضها لنقاتلها معك جنباً إلى جنب وإذا لم تفعل فننذرك بحرب قد تكون أنت فيها فى صف الأجنب الغزاة ونحن فى صف شعبنا العربى هناك.... أرجو أن تعود إلى رشك ..والى حظيرة أمتك قبل أن تجد نفسك مذموماً مدحوراً . إننا ننذرك ونعطف عليك فى نفس الوقت، ننذرك لأنك أتيت شيئاً فرياً ونعطف عليك لأن مصيرك سيكون مصير البعير الأجرى وما كنا نتمنى لك هذا ولا ذاك» .

.. سألته عن اعتقالات مطرح. ثارفى وجهى . وجه الى السباب. قال إنه لم يتوقع هذا منى أنا بالذات. هل أتصور أنه خان رفاقه وسلمهم الى السلطة؟ هدأت روعه . قال إنه ربما أهمل بعض الشئ فى احتياطات الأمان . لكن هذا هو كل شئ.

١٦ مارس

.. حال يعرب تذكرنى بأيام القاهرة عندما عاد من مسقط بمعنويات منخفضة . تحدث عن الوضع فى عدن . هناك صراع مكتوم بين اليمين واليسار داخل الجبهة. شوكة اليمين تقوى بسبب المصاعب الاقتصادية . رغم إلغاء الاتحاد السوفيتى لديونه (٥٠ مليون دولار فى يوليو ٧٤) ورغم المعونة التى تقدمها كوبا. يتطلع كثيرون فى السلطة إلى أموال البترول. البعض يعتبر كفاحنا فى ظفار عقبة فى سبيل ذلك .

.. وزعت السلطنة منشورا به اسمى ومكافأة عشرة آلاف ريال لمن يأتي بى حية أو ميتة. قلت ليعرب : ارتفع ثمنى ثلاثة آلاف ريال. تأمل المنشور طويلا. قال: لم يحددوا لرأسى ريالا واحدا . يبدو أنى بغير قيمة عندهم. شعرت بعدم الارتياح . كأنما ضايقه أن تكون لى كل هذه الأهمية .

١٨ مارس

.. يعرب لا يستريح لدهميش. يعامله بجفاء. لم أحدثه بشئ عن علاقتنا . لكنه لا بد لاحظ أن هناك شيئا بيننا. تذكرت موقفه من شهاب.

٢٥ مارس

.. اغتيال الملك فيصل . لا أستبعد يد الموساد أو المخابرات الأمريكية فى الأمر. هل لأنهم فقدوا السيطرة عليه عندما ركبته فكرة تحرير القدس؟ .. بلغت عائدات البترول العربى فى العام الماضى أربعين ألف مليون دولار وضعت فى مصارف أوروبا وأمريكا واليابان .

٢٦ مارس

.. أقامت السلطنة مراكز جديدة غرب خط دامافاند . هناك الآن خط من هذه المراكز بين صرفيت والبحر تربطها أسلاك شائكة . مما أدى إلى إغلاق غرب ظفار فى وجهنا تماما.

.. عددنا يتناقص . كل يوم نكتشف اختفاء أحد المقاتلين . .. أعددت تقريرا طالبت فيه بإعلان وقف العمل العسكرى والتركيز على العمل السياسى.

٣ ابريل

.. أصدرنا بلاغا عسكريا هذا نصه : «بتاريخ ٢ أبريل ٧٥ انفجر لغم أرضى فى سيارة عسكرية من نوع بيدفورد على متنها حوالى ٢٠ جنديا أردنيا فى الطريق من صلالة إلى الخط الأحمر على الشريط الساحلى على مسافة ٨ كم من صلالة وذلك فى تمام الساعة الثامنة صباحا» .. ابتهج دهميش وارتفعت معنوياته. لم أشأ إحياطه . لا أظن ما حدث عملية جديدة . فى الغالب لغم قديم .

٥ ابريل

.. المناقشات مستمرة حول تقريرى. هناك تردد كبير بين زملاء اللجنة التنفيذية. لا يستطيعون اتخاذ قرار. هل ينتظرون رأى الرفاق العدنيين؟

..توصلنا الى حل وسط. هو إعادة بناء الحركة فى الشمال على أساس العمل السياسى . سنتولى أنا ودهميش ويعرب المسئولية.

..ملاحظات على الوضع فى عمان : انتقلت السيطرة التامة على أموال الدولة من يد السلطان إلى أوليجاركية من رجال الأعمال . برزت مجموعات رئيسية من رجال الإدارة العليا استبعدت المستشارين الأوروبيين من كل مكان عدا الجيش : * أعضاء الأسرة الحاكمة الذين حصلوا على أهم المناصب بصرف النظر عن مؤهلاتهم . * كبار الموظفين التقليديين من أسرة بوسعيد كالولاء والسكرتيريين ذوى الخبرة . * أعضاء المؤسسة القبلية . * التجار العمانيون العرب . استبعد من السلطة : * الزنباريون بسبب عجز الكثير منهم عن معرفة اللغة العربية بالإضافة إلى لغتهم الأصلية السواحلية والانجليزية والشك فى ولائهم السياسى حيث تعلم بعضهم فى تنزانيا . * البلوشيون بسبب وضعهم التقليدى كمواطنين من الدرجة الثانية وندرة المتعلمين بين صفوفهم . * العمانيون من أصل هندى (خوجة وهندوس) الذين يشكلون العمود الفقرى التجارى للبلاد . أتاح لهم ثراؤهم تعليم أطفالهم فى الخارج لكن الدين والعرق وقفا فى طريقهم . هذه هى الفئات التى سنبداً منها . .. أشعر بالقلق والرغبة . المرحلة القادمة مختلفة وربما أكثر خطورة .

٦ ابريل

.. كان فوقى . كنت قد شرحت له مواعيد الأمان لكنه لم يستوعبها أبدا . ترك لى الأمر . سألتنى لاهثا : هل أنت آمنة ؟ عدت على أصابعى : اليوم الثالث عشر . أخطر يوم . البويضة تتحرق شوقا للنزول . فى أوج حيويتها واستعدادها للالتقاط . كنت على وشك أن أقول هذا . فجأة أمسكت لسانى . التقطت أنفاسى فى قوة . لم لا . لقد حان الوقت . قلت وأنا أبتسم فى الظلام : نعم آمنة . وأحطته بذراعى .

٧ ابريل

..يقول يعرب ان الطريق الساحلى مستبعد . بالمثل الطريق البرى الذى يمتد من صلالة الى نزوى ثم مسقط والذى استعملته عند مجيئى لأول مرة . الاثنان تحت سيطرة الحكومة والقبائل الموالية لها . لم يبق إلا عبور الصحراء . أحضر خارطة قديمة للجزيرة العربية . تحتل الصحراء الجنوبية زهاء نصف مساحتها . تمتد لمسافة ألف وخمسمائة كم من حدود اليمن فى الغرب إلى سفوح جبال عمان فى الشرق وثمانمائة كم من الساحل الجنوبى إلى الخليج العربى وحدود نجد فى الشمال .

الجزء الأكبر صحراء داخل صحراء هي الربع الخالي . لم يعبرها أحد سوى بعض المستشرقين الانجليز . برترام توماس في ١٩٣٠ من الجنوب الى الشمال ثم جون فيليب في نفس السنة من الشمال الى الجنوب . وأخيرا نيسجر في ١٩٤٦ و١٩٤٩ ، في رأى يعرب انه الطريق الأمثل أمامنا .

قال دهميش إن التفكير في عبور الربع الخالي هو الجنون بعينه . اقترح ان نذهب الى عدن ومنها بالطائرة الى بيروت ثم ندخل عمان عن طريق الإمارات . تراءت لى شوارع بيروت وشعرت بالحنين . توقعت أن يرحب يعرب بالفكرة لكنه فاجأني بمعارضة حادة لها . قال إن الأمر لم يعد كما كان فى الستينيات . كل أجهزة الأمن فى الخليج الآن تعرف بأمرنا ولديها صورنا . حتى العراقيين لا يمكن الاطمئنان اليهم بعد اتفاهم مع الشاه .

٨ ابريل

.. احتددت على دهميش . سألته ماذا ينتظر ؟ أن نتسلل الى ظفار ونقوم بعلميات صغيرة بائسة مثل عملية صرفيت ؟ نطلق عدة قذائف أو صواريخ ثم نجرى ؟ هذا إذا تصورنا إمكانية التسلل نفسها . أو نبقى هنا نأكل ونشرب ونقوم بتدريبات فى انتظار اليوم الموعود ؟ نلقى المحاضرات بينما عددنا يتناقص والصعوبات تتزايد ؟ أم نذهب الى عدن لنعمل فى مكتب نوزع نشرات وبلاغات عن عمليات وهمية ؟ لقد وهبنا حياتنا لقضية ظفار وعمان وعلينا أن نواصل بالشكل المناسب .

.. أقر المؤتمر السادس للجبهة القومية فى عدن نظامها الداخلى . تنص المادة السابعة عشر منه على احترام حقوق المرأة . تم الاتفاق على تكوين الحزب الواحد من التنظيم السياسى للجبهة والحزب الشيوعى وحزب الطليعة (البعثى) . اعتبر المؤتمران الدعوة الحالية لوحدة اليمينين تمثل انتكاسا للثورة لأنها تغفل اختلاف المراحل . لو تحققت الآن ستؤدى الى تغليب أوضاع الشمال .

٩ ابريل

.. عدنا الى مشروع الربع الخالى . شرح لنا يعرب أن الرحلة ستستغرق بين ثلاثة شهور وأربعة فى أحسن الأحوال . هناك طريقان : الأول عبر جبال القرا شمال صلالة ثم نتجه يمينا إزاء حافة الربع الخالى حتى ندخل السعودية فى وادى موقشين المجاور لأرض جدة الحراسيس ثم رملة الغافة . لا بد من دخول السعودية لتجنب

الرمال المتحركة. ثم ندور حول عروق الشبية والسبخات. وعند واحة ليوا نعود الى الشرق وندخل عمان تحت نزوى . الطريق الثانى من حضرموت الى منوخ ويعبر مسافة ٦٠٠ كيلومترا تقريبا داخل الربع الخالى بلا ماء . قطعها نيسجر فى ١٦ يوما . بعدها نصبح فى السعودية فنتجه شمالا ثم يمينا حتى أبوظبى .

واضح أن يعرب درس المشروع جيدا . دهميش ما زال مترددا . يقول إن الصحراء ليست سهلة . المياه الآسنة المرة . الرياح المحملة بالرمال . البرد القارس . القيظ الملتهب . الوهج الذى يعمى الأبصار فى أرض لا ظل فيها ولا غيوم . ثم العزلة والمفاجآت .

.. هناك دائما مشاكل وتحالفات بين القبائل . وعداء تاريخى بين الرواشد والدروع . كل القبائل بين حضرموت وعمان تنتمى الى احدى الفئتين المتصارعتين . بعض القبائل تستضيف الغريب لثلاثة أيام ثم تضمن له يوما اضافيا من الأمان . لكن هناك دائما حاجة الى ربيع أو مرافق من إحدى القبائل يكفل الحماية للمسافرين معه . المشكلة هى فى العثور على من يقبل مرافقتنا فى هذه الظروف . ثم إننا نحتاج الى دليل خبير بأودية ودروب جبال القمرو القرا .

١٠ أبريل

.. وافق دهميش أخيرا على عبور الربع الخالى . اتفقنا على استبعاد طريق حضرموت - منوخ لأنه يضعنا فى يد السلطات السعودية التى لن ترحمنا . لم يبق إلا طريق موقشين . صحيح أننا سنخترق الأراضى السعودية لكن ذلك سيجرى فى مناطق غير مأهولة . وعلى العموم أقل ضررا .

.. يجب أن أتذكر . إما أن أصبح رجلا بشعرى القصير وأرتدى الفوطة بدلا من البنطلون الكاكى أو أتحوّل الى امرأة بدوية ترتدى قناعا من القماش الأسود به فتحتين للعينين . قررت ان أكون الشخصيتين .

.. يعرب لا يستقر فى مكان . دائم التجوال . يختفى أحيانا اليوم بطوله .

١١ أبريل

.. تبينا أننا أغفلنا شيئا هاما . المفروض أننا سننطلق من شيصر على حافة الربع الخالى ونقطع مائة وخمسين كم حتى موقشين . هذا الطريق مواز لطريق صلالة - مسقط البرى ويبعد عنه بحوالى ثلاثين كيلومترا . صحيح أن المنطقة بعيدة عن العمليات العسكرية الا أن الطريق كله أصبح تحت سيطرة الحكومة ولا

يستبعد أن تكون به دوريات . كما أن موقشين نفسها تقع عليه ولا بد أن يكون بها موقع حكومي . لم يبد على يعرب أنه فوجئ بهذا الأكتشاف . أجمعنا أنا ودهميش على عدم المغامرة باجتيازه على عكس يعرب . قال إنه يوفر علينا السير في الربع الخالي مسافة مائة وخمسين كيلومترا . أصر على موقفه فلم نجد مفرا من الإذعان . .. بدأنا استعداداتنا .

١٤ أبريل

.. هاجمت أمس ميليشيا الكتائب اللبنانية في بيروت باصا يقل عددا من الفلسطينيين واللبنانيين . قتل في الهجوم ٢٩ راكب أغلبهم من الأطفال . .. لدينا الآن مائتا رطل من الطحين وكمية كافية من الأرز وقليل من الذرة والسمن والقهوة والشاي والسكر والمعلبات (تونة، ماكريل، خضراوات، عصائر كمبوت) . هذه الكمية يجب أن تكفي مجموعة من خمسة أشخاص لمدة شهرين على الأقل .

.. يحتاج الفرد لربع جالون من الماء في اليوم بين شرب وطهى . لا بد أن يكون معنا في المرحلة الأولى ما يكفي لمدة شهر على الأقل .

١٧ أبريل

.. اتفقتنا مع اثنين من الرفاق من بيت كثير . كانا معي أثناء الانسحاب من رخيوت . سيرافقانا حتى شيصر ثم يعودان الى الغيضة بعد أن يزورا قريتيهما . لم نصارحهما بوجهتنا الحقيقية . قلنا إننا ذاهبون الى المنطقة الشرقية لتنظيم المقاومة . تمكنت من تدبير رشاشات جديدة ما زالت في لفافاتها . تفقدتها ثم أعدت لفها في الورق المشحم الذي يحفظها من الرطوبة .

١٨ أبريل

.. سألته ماذا يفعل عندما لا تكون معه امرأة . قال لاشئ . قلت إن هذا مستحيل . أصر على إجابته . أبديت عدم اقتناعي . تحداني : وانت ؟ قلت : يمكنني أن أقول لك . أنا لا أخجل من شئ طبيعي . قلت له فاحمر وجهه .

٢٠ أبريل

.. اذاعة بيروت الساعة ٥ مساء : الملك حسين يقول إنه تفقد في صلالة قواته التي تقوم بحراسة الطريق إلى تمريرت . .. أكملنا استعداداتنا . خيمتان صغيرتان . ذخيرة احتياطية . بطاطين .

كوفيات ثقيلة . بطاريات للراديو. كراسة فارغة. كتب لينين وماو. رواية الفولاذ سقيناها لاوستروفسكى. الهزيمة لفادييف.الدون الهادئ لشولوخوف. صندوق أدوية صغير. حلتان للطبخ. خمس قرب ماء. حبل طويل. كرة خيطان. دزينة كبريت. مطواة. مصباح ببطارية . كمية من الريالات السعيدية فى كيس خيش.

٢٢ أبريل

.. السادات فى طهران . الساعة الخامسة والربع تعليق لإذاعة القاهرة يقول : «موقف ايران موقف مشرف من القضية العربية منذ ٦٧ ، وكان لها خط عربى واضح من اسرائيلو دور مشرف فى حرب اكتوبر» . ياللعار ! نسوا كيف هرع الشاه لنجدة اسرائيل بالنفط فى الأيام الأولى للحرب. السادات يسيل لعبابه فى حضرة الملوك والأباطرة .

.. دهميش فى قرية مجاورة . يبحث عن نياق جيدة نشترها أو نستأجرها. المفروض أن نستأجر الجمال من أهالى قرا ثم نستبدلها كلما اجتزنا واديا الى آخر لأن كل واد يملكه بطن مختلف من القبيلة.

٢٥ أبريل

.. استأجرنا خمس نياق من قبيلة المهرة . سنستبدلها فى حبروت. اقترحت أن نبدأ السير فى الحال كى لا يعوقنا موسم الأمطار. قال دهميش إننا سنكون ساعتها بموازاة السفوح الشمالية وقرىبا من حافة الربع الخالى. وتكون القبائل فى الكهوف والحركة محدودة. تخليت عن البنطلون الكاكى. تخلصت من السوتيان ولففت قطعة من القماش حول صدرى وضغطتها بقوة لكى تخفى بروزه. وضعت معوزا كبيرا حول وسطى فغطانى حتى القدمين. ابتسم دهميش فى خبث عندما اقتعدت الأرض وانحسر طرف المعوز كاشفا فخذى.

٢٦ أبريل

.. أشعر بالدوار والغثيان .أعتقد أنى حامل .

أول مايو

.. استولت جبهة التحرير الفيتنامية على سايجون . أصبح النصر النهائى على الامبريالية الأمريكية على الأبواب .

.. أعددت كيسا من الجلد يتسع لدفاتر يومياتى .ثبت قميصى عند الخصر بزئار جلدى بحيث صنعت جييا وضعت فيه الكيس . حملنا أسلحتنا. معى أيضا

مكاروف ٩ ملم. تضم خزانته ثمانى طلقات. فائدته قاصرة على الأهداف القريبة المحدودة العدد. انطلقنا فى الفجر على أقدامنا الحافية خلف الجمال. سرنا ثلاث ساعات. النباتات الشوكية تلقى خيوطا من الظلال على الصخور. الجمال لا تسير دائما فى خط مستقيم وإنما تنحرف فى اتجاه موطنها. لا بد من توجيهها بالعصا. ناقتى مطيعة لكن خطواتها قصيرة. اخشوشنت الأرض فأمسك كل واحد بمقود ناقته. ربطت ناقتى فى ذيل ناقة دهميش. اشتدت الحرارة فارتقى الجميع نياقهم . فضلت أنا المشى . فى المساء توقفنا بجوار عين ماء صغيرة. طرحنا الأمتعة بين الأشواك والحجارة . أطلقنا النياق لترعى . اشتركتنا فى إعداد الأرز. شربنا الشاي بعد العشاء. نصبنا خيمة واحدة لى . فضل الرجال النوم فى العراء. قررنا أن نقتصد فى تشغيل الراديو ونقصر الاستماع على الأخبار. رتبنا نوبات الحراسة. لجأت الى دفترى.

٣ مايو

.. يعرب غارق فى التفكير. لا يتكلم كعادته.
.. أتحرق شوقا الى جسد دهميش. لكننا اتفقنا على أن نحرض على المظاهر أمام الرفيقين ويعرب.

٤ مايو

.. حبروت . عائلات كثيرة من المهرة تسقى نياقها من الآبار الضحلة بالقرب من بستان النخيل . النساء فى هذا الجزء غير محجبات ويرتدين أثوابا زرقاء قاتمة . تضع واحدة خاتما فضيا فى أنفها . أكل الأطفال معنا . قضينا المساء فى تنظيف أسلحتنا.
.. انضممت أمس الى دهميش فى نوبة حراسته . قضيت الوقت كله جالسة فى حضنه.

٦ مايو

.. استبدلنا الجمال . وجدنا صعوبة فى الحصول على ناقة احتياطية لتحل مكان أى ناقة تتعرض لحادث . يمكن أن نذبحها عند الضرورة ونأكلها. وجدنا ناقة سوداء اللون . اشتريناها بثمان بخص. القوم هنا لا يحبون اللون الأسود. الأفارقة مساكين حقا. الناقة صغيرة السن ذات خطوات طويلة جدا وحبلى فى شهرها الرابع. تلد بعد ثمانية شهور أخرى .

.. قلت لدهميش إنى أعتقد أنى حامل . أنبنى . كان يجب أن نحتاط .
قلت إنى لن أتمكن من التخلص منه فى الصحراء . كنت اختيره . بهت وصاح بى :
هل جنتت ؟ . احتضننى وقبلنى . سألد فى نزوى أو الجبل الأخضر أو مسقط .
سكون هناك بعد شهرين أو ثلاثة على الأكثر .

٧ مايو

.. ألح على أن أعتلى ناقتى . يبدى نحوى رقة شديدة . أناخها لى . ثم
خفض رأس ناقته واعتلاها . ركع فوق السرج جالسا على بطن قدميه وسلاحه تحت
ذراعه فى موازاة الأرض . لم أتمكن من تقليد هذه الطريقة التى تعتمد على التوازن .

٩ مايو

.. صعدنا من حبروت إلى منبسط حصوى . عدد من أبناء قبيلة المهرة
يسقون الجمال . امرأة منهم صبغت وجهها باللون الأخضر . أخرى رسمت
خطوطا زرقاء وخضراء على أنفها وذقنها . الهضاب فقدت خضرتها وكشف الجبل
عن وجهه المتجهم .
.. لم أذكر شيئا عن الحمل ليعرب . ساورنى شعور بأنى يجب ألا أفعل .

١٠ مايو

.. اعترضتنا جماعة من بيت جداد . طلبوا منا مالا ليسمحوا لنا بالمرور .
رفضنا . قررنا أن نعود مسافة قصيرة ثم نسلك الطريق المحاذى للحدود . سنتجنب
بذلك اختراق جبال القمر . سنعبّر الحدود عند سفوحها الشمالية .

١٢ مايو

.. يسير الرفيقان فى المقدمة يتبعهما يعرب . يحرص على الانفراد بنفسه .
يتيح لنا هذا الترتيب أن نكون أنا ودهميش متجاورين . لا نكف عن الحديث .
وجدت نفسى قادرة على التعبير عن أفكار كنت أتهرب من صياغتها فى
كلمات أو البوح بها لأحد . قلت له : كنا نقول دائما إن القوتين المحركتين للثورة
هما العمال والفلاحون . لم نسأل أنفسنا أبدا أين هم العمال معتبرين أننا الطليعة
ووجودنا نحن كاف .

١٣ مايو

.. حكيت له عن شهاب ومروان . كنت أرقب ملامح وجهه . أثارتنى الغيرة
التي بدت عليه .

..مررنا بعدة نياق ترعاها امرأة عجوز مع صبي صغير . سألتها قليلا من الحليب فهتفت بالصبي: أسرع . أسرع . احضرنى السنتين . أهلا أهلا بالضيوف . قدمت لنا طاسة حليب تغطى سطحها بالرمال البنى . جلسنا القرفصاء الواحد بعد الآخر . نفخنا الرغوة جانبا وشرينا . سألتنا عن وجهتنا . اجبتنا اجابة غامضة مشيرين الى الجبال . قالت بحماس : الله ينصركم . هل تدرك هويتنا ؟ منذ سنة فقط كنا سنقول لها إننا من الثورة . أصرت أن تصب لنا حليبيا فى قربة صغيرة وقالت إننا نستطيع مزج القليل منه كل يوم مع مياه الشرب لتحسين طعمها . اكتشفنا أن إحدى قربنا ترشح فصببت بها قليلا من الحليب لوقف تسرب المياه .

.. اتجهنا يمينا نحو الشرق مقتفين أثر بعض الأودية التى تتخلل الهضاب . .. سألتنى يعرب عما أكتب بالضبط كل ليلة . قلت له إنى أحرص على تدوين يوميات الثورة . وإنى تعودت على كتابة يومياتى من أيام بيروت . قال : هل تذكرين كل شئ؟ قلت : بقدر الامكان . فكر برهة ثم قال : هل تذكرين الأشخاص بأسمائهم ؟. قلت إن أغلب الاسماء مستعارة . تساءل عما اذا لم تكن هناك خطورة فى ذلك . لم أجهه . كثيرا ما داعبنى هذا الخاطر وتجاهلته .

.. قال لى اليوم : ستتزوج بمجرد وصولنا الى العمران . قلت : بدأت تفكر مثل البرجوازيين . نحن متزوجان فعلا ولا نحتاج الى ورقة تثبت ذلك . قال إننا مقبلون على مرحلة مختلفة تتطلب الحياة طبقا للقواعد القديمة . علينا أن نفكر فى الجنين . ابتسم ابتسامته الماكرة التى أحبها . قال : المفروض حسب تقاليد بيت كثير ألا يكون الزواج فى شهر صفر وأن يقوم أبوك بالإنفاق على الزفاف والإعداد له . رددت عليه انه حسب هذه التقاليد نفسها يجب عليه أن يقدم مهرا يذهب نصفه لأبى والنصف الآخر ليعرب .

.. شعرت بالغثيان فى الصباح . لاحظت أن حلمتى صدرى ملتهبتان وأن فخذى منتفخان .

..عبرنا وادى غودون بعد أسبوعين من مغادرة حبروت. استرحنا ظهرا على مقربة من بستان نخيل تقطفه قبائل بيت كثير في شهر سبتمبر. مر بنا عدد منهم مسلحون بالبنادق الانجليزية ٣٠٣ منهم اثنان يحملان رشاشين روسيين. زعيمهم عجوز قصير القامة بعينين براقيتين وذقن تتدلى منها بضع شعيرات بيضاء. ممتلىء حيوية ويتحرك بخفة. من بيت موسان. تعرفوا على عائلة دهميش. انزويت داخل الخيمة وأعطيتهم ظهري. لم يبدو أى فضول. سمعت دهميش يخبرهم بأننا ذاهبون الى المنطقة الشرقية. قالوا إن المعارك هدأت بها. تجنبوا أن يكشفوا عن موقفهم من الصراع لكن هذا فى حد ذاته كان يعنى أنهم فى جانب السلطان. كان موعد صلاة المغرب قد أزف فتوضأوا وصلوا. كل واحد فى مكانه بعد أن وضع سلاحه أمامه. قرأوا سورة الفاتحة التى لا تعرف أغلب القبائل غيرها. يكتفون بصلاة الفجر والمغرب ويهملون باقى الصلوات. يصلون وهم يتلفتون حولهم بالطبع كى لا يفاجؤهم الأعداء من القبائل الأخرى. واصلوا السير بعد الصلاة مباشرة. عندما امتطوا نياقهم تعمد زعيمهم أن يلتفت نحوى متفحصا. شعرت بالقلق.

..انتقلنا شمالا ببطء متبعين وادى غودون وهو واحد من خمسة مجارى نهريه جافة تنحدر من جبال القرا. كانت كتل الصخور المتساقطة من الجرف تملأ الجانبين فاضطررنا للسير بصعوبة فى قعر المجرى.

..قضينا الليلة لدى عائلة أحد الرفاق من بيت كثير تقيم أسفل شجرتين دون خيام. ذبحوا لنا عذرة رغم تواضع إمكاناتهم. الزوجة مكشوفة الوجه نحيفة جدا تسعل باستمرار. ممتلكاتهم: بضعة قدور وطاسة ماء وبعض القرب وكمية من سمك السردين منثورة على قميص ممزق وبعض الخرق. كيس من جلد الماعز ملئ الى منتصفه بالطحين. سألتهم عن الربع الخالى. تطلعوا الى فى استغراب. قال الرفيق: تعنين الرمال؟. سألته: هل صحيح أنها خالية من البشر تماما؟. قال إن ابن عمه سافر فيها مرة أربعين يوما دون أن يشاهد أحدا. سألته إذا كان من الممكن عبورها. قال ممكن ولكن لا بد من وجود ربيع. احتد دهميش على فيما

بعد . قال إن الأخبار تنتقل في الصحراء بسرعة البرق. كلما التقى أعرابي بآخر كان السؤال الأول عن الأخبار والإجابة تشمل أى شئ والجميع ينصتون بانتباه ليعرفوا ماذا يجرى وأى القبائل تحركت من أماكنها وفى أى اتجاه.

٢٧ مايو

.. غادرنا الرفيقان على مشارف شيصر. خيمنا بعيدا عن طريق القوافل. عندما تأكدت من رحيلهما استبدلت ملابسى . تحولت الى بدوية فى رداء أسود سابغ. وضعت على وجهى قناعا أسود من الجلد لا تبدو منه غير العينين . انزويت فى خيمتى. مضى يعرب ودهميش يستكشfan القرية . هناك كهف يحتوى على تماثيل قديمة على شكل طيور. آثار حصن حجرى قديم. لا بد من تحويل هذا المكان بعد النصرالى متحف . هناك أيضا بئر ماء نقى على عمق ١٥ قدما بين الصخور. حمل كل منا قربة وذهبنا لمئتها. الرجال والنساء يسحبون الحبال معا وهم يغنون. يفرغون الدلو الملىء فى حوض جلدى كبيرفتندافع النياق اليه. صفوف من القرب المليئة بالماء. عندما جاء دورنا كانت البئر قد جفت فانتقلنا الى أخرى على مقربة . تبادلنا الحديث فى اقتضاب مع الأهالى . فاجأونا بسؤال عن بقية جماعتنا. قالوا إنهم كانوا يتوقعوننا. مرت بهم جماعة بيت موسان التى التقيناها عندما عبرنا وادى غودون . حدثهم زعيمها عنا. قال لهم إننا أربعة رجال وامرأة. لم ينطل عليه تنكرى إذن . قلنا للأهالى إن رفيقينا تخلفا لمرضهما. سألنا عن الاتجاه الذى مضت فيه جماعة بيت موسان. قالوا إنهم اتجهوا الى موقشين. لم أسترح لهذه المعلومات.

.. أعربت عن رأى بضرورة تغيير طريقنا. قلت إن اهتمام جماعة بيت موسان بأمرنا مريب. قال يعرب إنها عادة القبائل. قلت إننا لن نخسر شيئا إذا أتخذنا الحيطه. عاد الى حجة المئة وخمسين كيلومترا التى يوفرها طريق موقشين. كررت الإشارة الى خطر الداوريات الحكومية . انضم دهميش الى رأى. اضطر يعرب الى الموافقة . قلت إننا لن نتمكن من إخفاء عزمنا على عبور الصحراء. لكننا نستطيع تضليل من يفكر فى مطاردتنا. سنديع أننا ذاهبون الى موقشين ثم نغير طريقنا بمجرد خروجنا من شيصر.

.. بعد العشاء أعلنت أنى سأنام مع دهميش فى خيمة واحدة . لم يد على يعرب أنه فوجئ . لكنه لم يكن سعيدا. رتبنا مواعيد الحراسة. اشتركنا أنا ودهميش

فى نوبتينا . عندما رقدنا عرى بطنى وأغرقها فى القبل . استسلمت للنوم ورأسى على صدره أشم رائحة عرقه النفاذة .

٢٨ مايو

.. ذهب دهميش يبحث عن ربيع . لزم يعرب الصمت واستغرق فى التفكير . هل هو غاضب منى ؟ هل أحدثنا أصواتا بالليل ؟ .. عاد دهميش قبل الغروب يائسا . لا أحد يرغب فى عبور الرمال كما يسمونها . جماعات كثيرة ضلت طريقها فيها وهلكت . عددنا أيضا قليل ويمكن أن نقع وسط معارك بين القبائل أو نتعرض للاعتداء .

٢٩ مايو

.. اختفى يعرب طول اليوم . دهميش ما زال يبحث عن نياق وأدلاء . نحتاج الى أكثر من مرافق لدافع الأمان والدفاع .

٣١ مايو

.. أحضر يعرب دليلين : شابا فى الثامنة عشرة من عمره يدعى ابن نجم . شعر رأسه طويل وشفته مكنترتان وأسنانه ناصعة البياض . يحمل بندقية انجليزية . الثانى خشعت أكبر منه فى السن والحجم . لم تعجبني نظرات عينيه التى تحوم طول الوقت حول حاجياتنا . معه كلاشينكوف . سألته من أين حصل عليه . ضحك ولم يجب . ازداد نفورى منه . اتفقنا على أن نكمل استعداداتنا فى الغد وننطلق بعده .

أول يونيو

.. عوضنا النقص فى إمداداتنا . معنا من الماء ما يكفى لعشرين يوما إذا خصصنا ربع جالون فى اليوم للطهى والقهوة والشاى بالإضافة الى ربع آخر لكل واحد من أجل الشرب . هناك كمية أخرى ستبخر أو ترشح . قررنا أن نعتمد على الرمال فى غسيل أيدينا أو تنظيف أجسامنا . سقينا النياق لأخر مرة . شرب كل جمل بين عشرة واثنى عشر جالونا من الماء . كلما توقفت الناقة عن الشرب نحك بين ساقىها الخلفيتين وتحدث اليها مشجعين . عشرون يوما بلا ماء هو أقصى ما يمكن أن يتحملة الجمل بشرط توفر المراعى . وإلا فيومين أو ثلاثة . معنا أيضا صندوق تمر . انضم إلينا مرافقانا بناقتيهما وحاجياتهما البسيطة .

.. استيقظنا في الفجر . صباح قارس . رياح باردة تهب من الشمال الشرقي .
 ستمحي آثار أقدامنا إذا استمرت . أكلنا بقايا الطعام المتبقى من أمس . شربنا الشاي
 والقهوة المرة . بدأ تحميل النياق . ثارت وعلا رغاؤها . هل تشعر بأنها مقبلة على
 رحلة خطيرة؟ كممننا أفواهاها بلا فائدة . شد خشعت ناقته من عقالها إلى أسفل
 قائلا : خر.. خر. ناخت على ركبتيها . ربط ساقها بنهاية عقالها لمنعها من
 النهوض أثناء التحميل . حددنا الاتجاه على البوصلة . هتف : توكلنا على الله .
 انطلقنا في اتجاه الصحراء . رددت نشيد دقت ساعة التحرير . انضم اليّ دهميش . فجأة
 ارتفع صوت مرافقينا بأغنية قبلية قديمة : « القبائل تهدر بالصوت العالى » . أعدتنا
 الى أرض الواقع .

.. توقف خشعت بعد ساعة أمام كومة من الأحجار على يمين الطريق .
 أشار جهة اليمين وقال إنه الطريق المؤدى الى موقشين . أبلغناه بأننا لن نأخذه
 وسنتجه شمالا في خط مستقيم . كنت قلقة بشأن رد فعله فربما رفض لأننا لم
 نتفق معه على ذلك في البداية . دهشت لأنه لم يعترض . مشينا حوالي سبع ساعات .
 الأرض منبسطة وسهلة . حططنا الرحال عند الغروب بجوار بعض الأعشاب . نصبنا
 الخيام وأشعلنا نارا . أنخنا النياق حولها . غرف خشعت رطلا من الدقيق أضاف اليه
 كميات قليلة من الماء ثم عجنها إلى أن أصبحت سميكة . قسم العجين إلى كتل
 متساوية رققها بيديه ثم وضعها على مفرش . تولى ابن نجم إشعال النار . استعان
 بطرف من كوفيته . صنع من بعض الجمرات موقدا متوهجا وضع عليه أقراص
 العجين . قلبها مرتين ثم دفنها في الرمل تحت الجمر ووضع الرمل والحجر فوقها .
 راقبنا الفقاقيع تخرج من طبقة الرمل والرماد إلى أن نضجت الأقراص . رفعها
 ونظفها من الرمال ووضعها جانبا لتبرد . كان طعمها كمشارة الخشب . بعد الأكل
 كان دورى فى تنظيف الأواني . دعكتها جيدا بالرمال . ثم جلسنا حول النار . شربنا
 الشاي . استخرج خشعت تبغه من كيس جلدى صغير يحمله تحت قميصه . حشاه
 فى غليون حجرى ثم أشعله . سحب نفسين ثم قدمه إلى زميله . أنزلت سرج ناقتى
 وأنا أتأمل موضع قدمى فى حذر خوفا من أن أدوس على عقرب أو أفعى من ذوات
 القرون . حملته الى خيمتى وبسطته فوق الرمال . استخدمت الخرج وسادة .

وضعت حزام الذخيرة تحته .والرشاش الى جانبي . حفرت مكانا فى ركن الخيمة القريب يتسع لكيس دفاترى حتى الصباح.

٣ يونيو

.. ظل الرجال أمس يتحدثون ساعات طويلة وهم جلوس حول النار . مع ذلك سمعتهم فى الفجر وأنا شبه نائمة ينقلون النياق من مكان رقودها وهى ترغى . استيقظت تماما عندما بدأ أحدهم يطحن البن فى هاون نحاسى . ثم ارتفع صوت أحدهم بالأذان . أخرجت رأسى من الكيس فلمحت خشعت يتوضأ . قفزت من مرقدى عندما رأيته يغسل وجهه ويديه وقدميه بالمياه التى عانينا فى ملئها وحملها . سألته لماذا لا يتيمم بالرمال كما هى العادة . قال من الأفضل أن نصلى على أن نشرب . بذلت مجهودا للسيطرة على غضبى .

.. مشينا على أقدامنا ساعتين . شعرت بالتعب فشددت رأس الناقة الى أسفل ووضعت قدمى على رقبتهما . ارتفعت الى السرج . لم أتمكن من تقليدهم بفتح رجلى على السرج أو الركوع فوqe . لذلك كنت أشعر طول الوقت بطرف السرج يخز فخذى . بعد مسيرة قصيرة شاهدنا رمال الربع الخالى ممتدة أمامنا كحائط وردى . توقفنا مبهوتين نحدق فى المشهد فى رهبة . بدأنا السير فى بطاء . الرمال الناعمة عسيرة على الجمال بعكس السطح الصلب الممتلىء بالحصى الذى كنا نسير عليه حتى الآن . عند العصر نصبنا خيامنا بجوار بعض أشجار الغاف : شجرة كثيفة الأغصان عميقة الجذور . تبعثرت النياق ترعى . فجأة صاح واحد محذرا . لمحنا مجموعة من البدو تقترب منا بسرعة فوق نياقهم . بنادقهم فى وضع الاستعداد . التقطنا أسلحتنا وانبطحنا أرضا . صاح خشعت أنهم ليسوا من دهم أو سر بسبب سروجهم ولا من العوامر بسبب ثيابهم . نهض واقفا وتقدم منهم ببطاء ويده على زناد بندقيته . فجأة أرخى بندقيته بينما أسرع اليه واحد منهم . تعانقا . نهضنا واقفين ونحن نتنفس الصعداء . رحبنا بهم وقدمنا اليهم القهوة . قالوا إنهم بحثوا عنا فى الطريق الى موقشين . سمعوا فى شيصر أننا ذاهبون فى هذا الاتجاه . تبادلت النظرات مع دهميش . يريدون سفاد جملهم . كان الجمل متهيجا يجلد نفسه بذيله ويصر على أسنانه وينفخ من فمه فقاعات كبيرة ذات لون وردى ثم يمتصها مفرغرا . قدمنا اليهم ناقة صغيرة السن . أناخوها على الأرض وفرشحوها .

ركع أحدهم بجوارها ليساعد الجمل . الجمل لا يستطيع العثور على المكان الصحيح بمفرده .

.. سألتني دهميش بالليل عندما انضم لي في فراشي : أتعرفين الفرق بين الإنسان والجمل؟ . قلت: التفكير. قال إن الجمل يفكر أيضا. انقلب فوقى ثم أضاف هامسا: الفرق هو أن الانسان يعرف طريقه ولا يحتاج الى مساعدة. ابتسمت في الظلام وأنا أتذكر المرة الأولى.

٤ يونيو

.. شرح لي ابن نجم في الصباح كيف يتم التعرف على القبيلة التي ينتمى اليها الغريب في الصحراء : طريقة شد حزام الرصاص ، وضع الكوفية (مدلاة على الصدر أو ملفوفة حول الرأس) ، قراب البندقية، النقوش التي تزين السرج، طريقة المشى والكلام . كان يقوم بتحميل النياق. وكان شعره الطويل ينسدل على عينيه فيدفعه الى الوراء بيديه . استقرت عيناي على صدره العارى . أبعدتهما بصعوبة. لمحني دهميش . رأى شيئا ما في عينيّ أغضبه. خاصمني .

.. لففنا أنفسنا بالعباءات وتلثمنا بالكوفيات بحيث لم يعد يظهر من وجوهنا سوى العيون. الملابس الاضافية تمنع العرق من التبخر فتشكل طبقة باردة من الهواء بين الجسم والملابس .

.. أتأمل التغيرات التي تحدث لجسدى . معجزة الحياة واستمرار النوع. .. ليس هناك أروع من مشهد الصحراء ساعة الغروب عندما تكسوها الشمس بغلالة وردية.

٥ يونيو

.. عندما هجعنا بالأمس كان دهميش ما زال غاضبا. أعطاني ظهره. داعبته. استدار نحوى واحتضننى في عنف . شعرت في عناقه بشئ من الغضب . لماذا يفترض الرجل أن مشاعر المرأة يجب أن تقتصر عليه وحده دون غيره؟ اذا أعجبني جسد رجل أو شئ ما فيه فليس معنى هذا أنى وقعت فى غرامه أو أريد ان أنام معه. وحتى لو داعبني الخاطر. المعنى الوحيد هو أن جسدى وعواطفى حية ومتوقدة ومتوهجة . أنى أحيا. لا بد من إعادة تثقيف دهميش فى هذا المجال ..استمتعنا جيدا ببعضنا البعض . تمنيت لو كانت هناك بحيرة قريبة لأغطس فيها. . أليس ابن

نجم هو السبب بشكل ما فى درجة المتعة التى حصلنا عليها؟ أماننا وقت كاف نستكشف فيه كل المسارب اللذيذة الخفية لأحاسيسنا ورغباتنا ومتعتنا .

.. التقاط الإذاعات صعب بعض الشئ . نبأجيد لرفاقتنا فى عدن : إعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية. نبأ آخر يبعث على الأسى : تكوين لجنة مصرية أمريكية لتنمية الاستثمار فى مصر تضم روكفلر ، رئيس بنك فيرست ناشيونال ، رئيس موبيل أويل ، رئيس يونيون كاربيد ، فؤاد سلطان ، زكى هاشم ، عادل جزارين وغيرهم .

.. تحدثنا عن شخصية ستالين و عبادة الفرد . أبدى يعرب إعجابه بـستالين . قال إنه استطاع أن يقود بلاده فى فترة صعبة وواجه الغزو الألماني ووضع أساس البناء الاشتراكي . قلت إن جرائمه لا تغتفر فقد قضى على مئات الكوادر الحزبية والعسكرية المخلصة وزرع الخوف فى نفوس أبناء الشعب . وهو المسئول عن قرارات المؤتمر التاسع للحزب السوفييتى الذى اعتبر أن إعلان موقف مخالف لمواقف القيادة يعتبر سلوكا انقساميا . اعترض دهميش على كلامى قائلاً : ماذا يحدث لو أعلن فهد مثلاً على الملأ معارضته لقرار مركزى بالدخول فى معركة أو الانسحاب منها ؟. قلت إن هذه لحظات خاصة تخضع لمنطق العسكرية وهو منطق استبدادى مطلق بحكم الضرورة وغير انساني . فكرت أن الموضوع أعمق من ذلك وله علاقة بالفلسفة . هل يمكن أن يحتكر أحد الحقيقة المطلقة ؟ المادية الجدلية تقول لا . العلم أيضا. لكن كيف يمكن اقناع مقاتل بأن يعرض صدره للموت إذا كانت القضية التى يحارب من أجلها ملتبسة أو تحتل وجهتى نظر؟ وهل الموت فى سبيل القضية أمراً ضروريا ؟

٦ يونيو

.. صادفنا بئرا صغيرة مطمورة . قضينا ساعتين فى تطهيرها . الماء تتصاعد منه رائحة الكبريت الكريهة . عندما ذقتها بصقتها فى الحال . رفضت النياق الشرب منها . كمنناها وصببنا الماء فى أفواهاها بالقوة . كنت أتلهف على الاغتسال لأزبل لزوج العرق . ملأنا قربة وحملناها بعيدا . بسط بطانية بين ذراعيه ليحجبنى عن الأنظار . عندما أصبحت عارية أدار وجهه بعيدا فى خجل .

.. سقط منى الكيس الذى احتفظ فيه بدفاترى . انحنيت واستعدته . عندما

اعتدلت لمحت خشعت يرقبني في تركيز. لم استرح لنظرة عينيه. اقترح على يعرب ان أعهد اليه بدفتر يومياتي كل ليلة . ربما ظن خشعت ان الكيس به مال وحاول الاستيلاء عليه. قلت إني أعرف كيف أعني بنفسى ويومياتي.

٧ يونيو

.. قبيل الظهر لمحنا عاصفة ترابية تقترب منا من الجانب الأيمن . ثم تكشفت عن جماعة من البدو الراكبين يتجهون نحونا بسرعة. وضعنا أيدينا على أسلحتنا. أطلق خشعت طلقتين فى الهواء. لوحوا بكوفياتهم وقفز أحدهم من فوق ناقته وقذف رملا فى الهواء فاطمأننا. أوقفوا نياقهم على مبعده وأناخوها بعصيتهم. اقتربوا منا وهم يصيحون بالسلام. رددنا السلام. تبادلوا التحيات بلمس الأنوف. تقدم خشعت ودهميش منهم . أعددت لهم اناء كبيرا من القهوة . وضع دهميش صحنا من التمر أمامهم . بعد أن شربوا وأكلوا التمر قدمنا لهم القهوة مرة أخرى . ثم بدأ تبادل الأخبار: الزيجات والطلاقات والمواليد والوفيات . ثم سألونا عن سعر الطحين فى صلالة. هل كانوا يستشفون هويتنا ؟ كانوا يجلسون دون حركة وعيونهم السوداء اليقظة تدور فى كل اتجاه تسجل كل شىء. قالوا إنهم فى طريقهم الى شيفر دون أن يذكروا شيئا عما جاء بهم الى هذا المكان. مضوا فى الطريق الذى جئنا منه. تابعناهم بنظراتنا حتى اختفوا . قال دهميش إن أحدهم كان يتطلع نحوى طول الوقت وإنه ليس من هذه الأنحاء. استدل بشكل قدميه. أقدام البدو لم تتعود صعود الجبال وتميل إلى التقوس من كثرة الركوب بينما الأقدام المائلة للخلف هى أقدام سكان المرتفعات الجبلية . كما أن البدو يمشون منتصبى القامة بخطى قصيرة . لكن صاحبنا كان يمشى مثل الجبالين بخطى طويلة منحنيا الى الوراء.

٨ يونيو

.. أضعنا اليوم عدة ساعات فى البحث عن صيد . نريد أن نحتفل غدا بمرور عشر سنوات على اندلاع الثورة . اصطاد الربيع غزالا بمساعدة دهميش . شويانا نصفه . وضعنا الباقي فوق سطح خيمتنا لحمايته من الرمل. طها ابن نجم أرزا.

.. لم نجد اللحم عندما استيقظنا فى الصباح . دلت آثار الأقدام على أن ثعلبا سرقه فحزنا. تتبع خشعت آثار الثعلب حتى وجد المكان الذى دُفن فيه ما تبقى من اللحم . نظفناه من الرمال وسلقناه .

.. تذكرت شجرة اللبان التى زرعتها فى أول معسكر لنا وسط ظفار منذ عشر سنوات. ستبدأ الآن فى الإدراج . قلت لدهميش إنها رمز نجاحنا. ما خرجنا من أجله يتحقق جزء منه الآن. فهل خرجنا من أجل أنفسنا ؟ أم من أجل تحقيق حياة أفضل للجماهير؟ نحن منتصرون وسواصل الكفاح بالوسائل المتاحة. داعبني بأن هناك شجرلا يعطى وإذا أعطى فبكميات ضئيلة ونوعية أقل جودة وهو الشجر الذكر الذى يقوم بعملية اللقاح ويسمونه التيس.

.. نجحنا فى التقاط إرسال من عدن . أذاعوا عدة كلمات بهذه المناسبة من أبو اياد، جورج حبش، نايف حواتمة، أحمد جبريل، الحزب الشيوعى اللبنانى، الجيش الأرمنى السرى، الجبهة الشعبية فى البحرين وارىترى والأهواز (عربستان)، منظمة فدائى الشعب الإيرانية، جبهة تحرير بلوجستان الغربية، منظمة مجاهدى الشعب الإيرانية، شعب الساقية الحمراء ووادى الذهب، الحزب الشيوعى الكوبى، لجان التضامن الأفروآسيوى، لجان المناصرة فى أوروبا وكندا وأمريكا وغيرها. سعدت عندما قرأوا رسالة من ميشيل كامل باسم الحزب الشيوعى المصرى بعنوان «النهج الثورى فى المنطقة يكتسب قوة متعاظمة والطبقة العاملة تنتزع استقلاليتها وتحقق نهضة عارمة والطاقات الكامنة للحركة الثورية العربية تنبئ بتحولات جذرية».

.. دارت بيننا مناقشة طويلة بدأها يعرب . قال إن ماركس تنبأ باندلاع الثورة البروليتارية من أكثر البلدان تقدما فى النظام الرأسمالى . ثم ابتدع لينين عشية اندلاع ثورة اكتوبر مقولة انطلاق الثورة من أضعف الحلقات ليبرر انطلاق الثورة من أطراف النظام الرأسمالى مثل روسيا المتخلفة اقتصاديا. تساءل عما إذا كانت التجارب قد أثبتت صحة هذا الرأى . قلت إن تروتسكى ساند عملية حرق المراحل وأكد أن البلد المتخلف ليس عليه بالضرورة أن يتبع نظاما متسلسلا كالذى سارت عليه البلدان الأكثر تقدما. بوسعنا أن يتبنى الأشياء الجاهزة وأن يقفز بذلك عددا

من المراحل الوسطية. أعربت عن شكى فى هذه المقولة. تذكرت عشرات المواقف التى بدت فيها صعوبة تقبل المجتمع القبلى الظفارى لأفكار الثورة. ضربت مثلامن واقع الخليج . فقد بدأنا نسمع عن مشروعات عمرانية ضخمة من أموال النفط بنظام تسليم المفتاح . تساءلت عن الآثار السلبية لمجتمع الخيمة عندما ينتقل فجأة الى مبنى عصرى لم يشيده بنفسه أى لم يأت من خلال تطور طبيعى لحياته.

١٠ يونيو

.. توقفنا لنطعم الجمال من نبات يابس يسمى زهرة . قال خشعت إن قليلا من المطر سيحول هذا النبات الجاف فى خلال شهر الى الخضرة ويغضى سيقانه بالزهور . لا تموت هذه النباتات بسهولة فجزورها طويلة جدا . فكرت أن الثورات أيضا كذلك .

.. الراديو لا يعمل . هل عبث به أحد ؟ هل تم تخريبه عن عمد ؟

١١ يونيو

.. قال خشعت إنه اجتاز الصحراء منذ سنتين . وصف عروق الشيبة الهائلة فى أقصى الشمال الشرقى بأنها جبال متتابعة من الرمل تليها الرمال المتحركة فى الشرق . إذا استطعنا اجتيازها فإننا نصل بعدقراة شهر من الآن الى واحات ليوا الغنية بالنخيل والتى تمتد مسيرة يومين على ظهور الجمال . أعرب عن قلقه بشأن الجمال . قال إنها فى حالة سيئة . لن تتمكن من اجتياز العروق . سألته إذا كان هناك طريق حول هذه الرمال فقال لا إلا إذا ذهبنا بعيدا فى الغرب عن طريق دكاكة لأن الرمال هناك سهلة . سألته عن المسافة الى دكاكة . أنصت الى حكاية طويلة استغرقت حوالى نصف ساعة عن تجربته فى عبورها . احتوت الحكاية على أسباب سفره والأماكن التى توقف فيها والولاة الذين صادفهم واسم الناقة التى كان يركبها وتاريخها وتاريخ أمها وممن اشتراها وأين هى الآن والسلاح الذى كان يحمله ساعتها و من أين جاء به والطعام الذى كان يأكله وكيف كان يخشى الالتقاء بأحد من قبيلة سعر القوية الملقبة بذئاب الصحراء والذين ينسبون أنفسهم الى النبى ولا يصلون زاعمين أنه أعفاهم من الفرائض . لم نصل أبدا الى المسافة .

.. نتجه شمالا الى رمال غانم . لاحظت أن مرافقينا يتباطآن فى السير . أمس قابلنا بعض العشب فتركا النياق ترعى . تكرر هذا عدة مرات . النتيجة اننا قطعنا

مسيرة ساعة فى يوم كامل . بدأت أشك فى أنهما يتعمدان إطالة أمد الرحلة. هل يخشيان التوغل فى الصحراء أم هناك سبب آخر؟

١٢ يونيو

.. رأيت اليوم مهاة لأول مرة . لم أتصورها أبدا بهذا الجمال . كانت فى حجم غزال سمين ولها قرون طويلة وجسمها أبيض نقى . لكن أجمل ما فيها عينيها . أدركت لماذا تغنى بهما الشعراء القدامى . أراد يعرب أن يصيدها . منعته . لا بد اننا قرييون من أراضي قبيلة الحراسيس . لهم لغتهم الخاصة غير المدونة وأدباء وشعراء . اكتسبهم قابوس الى صفه منذ ثلاث سنوات . اختار أرضهم لتكون محمية مساحتها ١٤ ألف كيلومتر مربع . أعيد توطين حيوان المها المنقرض فيها .

.. قلت لدهميش إنى أتمنى بنتا بعينين مثل عيون المها . قطب حاجبيه ولم يعلق . ظل شاردا مدة طويلة . سألته عندما شرعنا فى إنزال حمولة النياق عما به . لم يجب .

١٣ يونيو

.. أظن أنى أفهم مشاعر دهميش . هو ببساطة يفكر فى الجنين على أنه ولد . ليس من السهل التخلص من ميراث قرون من تميز الذكر .

.. بنت أم ولد ؟ سمعت مرة أن الحامل يمكنها أن تعرف على وجه اليقين . لو كان رأس الجنين فى الجانب الأيسر يكون ولدا ولو كان فى الجانب الأيمن فهو بنت . متى يتكون الرأس داخل الرحم ؟ لا أعرف شيئا تقريبا عن أروع عملية فى الوجود . لم يخطر الأمر على بالى من قبل . لم أتصور نفسى أما . لا بد من الحصول فى أول فرصة على كتب حول الحمل والولادة والرضاعة والتربية .

.. مررنا بآثار غريبة فى الرمال . ارتبت فى أنها آثار أقدم حديثة شوهت الرياح معالمها . قال دهميش إنها آثار جمال فنفى خشعت ذلك بقوة . قال إنها لضبع . بدا يعرب مقتنعا بقول الربيع على العكس منى . قال دهميش إن البدو يعرفون من نظرة واحدة نوع الأثر . عمق أثر خف الجمل يدل على ما إذا كانت محملة وعماء إذا كانت حاملا . من الروث يمكن تحديد المرعى الذى أكلت منه ومتى شربت آخر مرة . بالتالى من أين جاءت والى أين هى ذاهبة . وأين هى الآن . .. أشعر بالقلق .

.. أشرفنا على كئيبان قرميدية اللون ترتفع الى أكثر من مائة متر. اضطررنا للالتفاف حولها لصعوبة تسلقها على النياق . الكئيبان التالية كانت سهلة فصعدتها. فوجئنا بمنحدر شديد عند النزول . ترددت الناقة السوداء وفجأة سقطت على جانبها. أسرعنا إليها. رفعنا عنها حمولتها . قامت بصعوبة على ركبتيها . بدأت تعرج . جهزنا بعض عروق الأغصان الصلبة وقومنا ساقها. جلسنا إلى جوارها نظرد الذباب عنها . قال خشعت إنها لم تعد بذات فائدة ولا يمكن أن نبقى الى جوارها . ذبحناها وقطعنا لحمها شرائح . ثبتنا بضعة عصي في الرمال وعلقنا فوقها شرائح اللحم كى تجف . وضعنا عظام النخاع فى معدتها التى ربطناها بشريط من الجلد ودفناها فى الرمال . أشعلنا النار فوقها .

.. الصحراء مرعبة . يعتقد البدو أن الكئيبان موئل للجان. يتلفت رفيقانا حولهما طول الوقت ويرددان أن الله وحده هو الدائم .

.. كنا نتحدث عن التدخل الإيراني عندما ذكر دهميش أنها المرة الثانية خلال قرنين التى توجد فيها قوات إيرانية على أرضنا . فى الأولى نجح جد قابوس الأكبر فى طردهم . قال يعرب إن قابوس قلق بشأن أهداف الشاه . سألته كيف عرف . قال إن له علاقة بابن عم السلطان الذى يكره الانجليز ويحمل أفكارا تقدمية . وهو مرشح لأن يكون وليا للعهد . وأنه يطمح الى تجنيده لمبادئ الثورة . عندئذ يمكن أن يحل محل قابوس بسهولة . بذلك نحقق أهدافنا بضربة واحدة . استنكرت هذا القول . نحن ضد انقلابات القصور . الثورة عملية تتم من أسفل لا بد أن يشترك فيها الناس ولا يمكن فرضها عليهم وإلا كانت العواقب وخيمة . لم يجادلنى .

.. العناكب منتشرة ويبلغ عرض الواحد منها عشرة سنتيمترات . أرجلها حمراء مكسوة بالشعر وليست مؤذية .

١ .. نبشنا معدة الناقة . وجدنا مزيجا من الدم والدهن عائما بين العظام الفارغة . صبه خشعت فى قربة فارغة . تناولنا الطعام عند الغروب . أكلنا وشبعنا رغم أن اللحم كان كربه الرائحة وقاسيا للغاية .

.. قضيت ساعات طويلة أتخيل مصائر مختلفة لطفلتى . أفكر فى الجنين

دائما بصيغة المؤنث . هل هذه نرجسية منى ؟ هل ستكون مناضلة ثورية مثلى ؟ أم ستكون الحاجة لأمثالى قد تلاشت وحل محلنا المهنيون وأصحاب المهارات ؟ اتفقت مع دهميش على أن أسميها ثائرة وثائر إذا جاءت ولدا .

.. معنويات يعرب فى هبوط . يتحامل على نفسه . يتخلف عنا معظم الوقت . كأنما يبغى العودة ؟ اشتكى من ألم فى بطنه فنصحته خشعت بشرب بول الناقة . يغسل يديه ببولها عندما يهجم بحلبها . يعتقدون أن الناقة يجف حليبها إذا حلبت بيد قدرة أو فى إناء ملوث .

.. حكى لنا خشعت عن قريب له قتلته قبيلة أخرى . حمله أبوه وركب بجثته إلى خيمة القاتل وجد بها صبيا فى الرابعة عشرة . حاول الصبى الفرار لكن الرجل لحق به . وضع الصبى إبهاميه فى فمه علامة الاستسلام . توسل الرأفة دون جدوى . ترجل الرجل واستل خنجره . غرزه بين أضلاع الطفل الذى سقط وهو يصرخ : يا أبى يا أبى . ظل الرجل واقفا فوقه الى أن لفظ أنفاسه .

.. قال خشعت إن النياق منهكة ولا بد من استبدالها . كيف ؟

١٦ يونيو

.. دار بيننا نقاش طويل حول الإصلاح أم الثورة فى تغيير المجتمع ؟ قلت إنه ليس من الضرورى وضع الاثنين فى مقابل بعضهما . الإصلاح يمكن أن يتراكم إلى أن يصل إلى درجة التغيير الجذرى بما يعنى الثورة . لينين كتب عن إمكانية التحول إلى الاشتراكية سلميا ولم يقل إطلاقا حتمية أن تصبح الثورة عملية عنف وصراع دموى . الصراع الدموى فى تاريخ الثورات بدأتها القوى الرجعية . ليس من الضرورى أن تعنى الثورة العنف . (هل أنا الذى أقول ذلك؟) لكن ليس كل الإصلاحيين ثوريين . بعضهم يكتفى بعملية ترقيع ولا يبغى تغييرا جذريا . تطرقنا الى طبيعة التغيير الذى نشده . قال يعرب إنه قطيعة تامة مع الماضى . لا أظن أنه يؤمن حقيقة بذلك . الماضى ليس سيئا كله . لينين قال إن النفى الجدلى لظاهرة ما لا يعنى إلغاءها كلية وإنما تطويرها والأرتقاء بها الى وضعية جديدة تحتفظ بكل ما هو إيجابى فيها .

.. سألتنى دهميش عن طفولتى . لا أتذكر من بيتنا فى عمان سوى سقوط سنة لبنية . ألقى بها أبى فى وجه الشمس قائلا : يا عين الشمس خدى سنة الحمار واعطينى سنة الغزال . أتذكر جيدا بيتنا فى صنعاء . بيت قديم فى حى برجوازي

هادئ تظلمه أشجار السرو. الدور متباعدة لكل منها بستان من الكروم والمشمش واللوز والخوخ والرمان . لا يقطع الهدوء سوى صرير الآبار وعجلاتها وحبالها . في الحديقة بركة مربعة ونافورة أمامها حجرة المفرج أو قاعة الاستراحة . في الطابق الأسفل المظلم يسكن الخدم . الحريم في الطابق الأوسط . الحمام واسع مفروش بالبلاط المربع . فيه حوض وموقد فحم لتسخين الماء . في واجهة البيت فتحات صغيرة تنصرف منها المياه المستعملة إلى بالوعة الشارع . الحجرات مفروشة بالحصير وخالية من الأثاث . هناك رف يتسع لكل الأغراض . النوافذ تتيح للجالسين على الفرش والمساند النظر إلى الخارج . العقود الزجاجية الملونة تعكس ضوءا مبهجا .

١٧ يونيو

.. الماء يوشك على النفاد . قررنا استخدام المياه المرة بعد خلطها بالحليب . خفضنا نصيب كل واحد من الشرب الى النصف . قال خشعت إن الأمطار يمكن أن تسقط في أى وقت . وقد لا تسقط على الاطلاق . لا بد من سقى الجمال كل يومين أو ثلاثة إلا في الأودية . يمكنها أن تبقى اسبوعا دون ماء إذا اتاحت لها فرصة الاستظلال بالشجر . سألته عما اذا كان يعتقد أننا سنعثر على مراعى قال : علم الله . سمعنا عواء ذئب بالليل . الصوت مخيف في هذا الفضاء .

١٨ يونيو

.. هبت نسيمات باردة عبر الصحراء حاملة معها قليلا من الرمال ، النجوم ساطعة جدا . نبشنا بضع جذور جافة وأشعلنا نارا . بعد العشاء كنت لا أزال جائعة . طلبت من دهميش شايا . انهيمكت في تنظيف رشاشى . انشغل يعرب بإعداد عصا جديدة للناقة . أخذ خشعت ينقب بطن قدمه الصلبة بطرف خنجره بحثا عن شوكة . يثرثر طول الوقت . تحدث عن كيفية مداواة جرب الجمال وعن غارات القبائل والفروق فى أسعار الحاجيات بين العهد الحالى وأيام السلطان سعيد . وعن مشروعات آبار البترول فى شرق جدة الحراسيس . شارك دهميش بقصة عن شيخ واحد من بيوت كثير المعروفين أصيب بطعنة خنجر فى بطنه . قال إنه صرخ كالنساء . غضبت من التشبيه وخاصمته . فكرت وأنا أتطلع الى رأسه أنها مليئة بميراث معقد تحتاج معالجته الى مدة طويلة . أول خصام بيننا .

.. نمنا أمس منفصلين . أمكننى أن أتقلب كما أشاء . استغرقت فى نوم عميق . لم يوقظنى صحن البن كالعادة ولا حركة مرافقينا بين النياق . عندما أخرجت رأسى من تحت البطاطين فى الصباح شعرت أن هناك شيئا غير عادى . قفزت واقفة . ناديت على دهميش . قام متثاقلا . لم نجد أثرا ليعرب والمرافقين ونياقهم . لم تكن هناك سوى ناقتينا . اختفى سلاحنا أيضا . أين ذهبوا ؟ الآثار تتجه الى اليمين . الى جدة الحراسيس ؟ هل يعرفون بثرا قريبة أو خرجوا يبحثون عن واحدة ؟ لماذا إذن لم يقولوا أو يتركوا إشارة ما ؟ ولماذا يأخذون السلاح والمؤن ؟ حتى الراديو العاطل ؟ نسوا بعض التمر والشاى وحسب . هل اختطفوا يعرب ؟ لم نجد أية آثار تشير الى عراك أو مقاومة . نبشوا الأركان التى تعودت أن أدفن فيها دفاترى . لا بد أن أحدا منهم رآنى وأنا أفعل . لحسن الحظ أنى وضعتها أمس تحت رأسى بدافع الكسل . هى والمكاروف والخنجر . لم يقتربوا منا خشية إيقاظنا . كان فى وسعهم القضاء علينا . انتظرنا على أمل أن يعودوا . فكرنا أن نتبع آثارهم . لكن على فرض أن الرياح لم تزلها فسنبكون معرضين للضياغ . أخذوا كل القرب عدا قربتى وبها مياه قليلة . هل نسوها أم تعمدوا تركها ؟ لنبقى فى مكاننا حتى يعودوا ؟ لتر واحد من المياه المرة التى يتعين علينا الاكتفاء بها ... حتى متى ؟

.. بقينا فى مكاننا حتى بعد الظهر ثم واصلنا السير . حددنا لكل منا أربع بلحات ونصف كوب من الماء فى اليوم . البلح يضاعف عطشى . عند الغروب نصبنا خيمتنا خلف جبل من الرمل . يحميننا قليلا من الرياح الشمالية الباردة . أشعر بالوحشة التامة مع تراجع ضوء النهار . الصحراء تمتد الى مالانهاية منذرة بالخطر .

.. لانكف عن مناقشة ما حدث . تذكرت عدة مواقف ليعرب . استعدت التفاصيل الخاصة باعتقالات مطرح . معقول ؟ استيقظت شكوك دفينه . عبر دهميش عن اتجاه تفكيرى بطريقته الخاصة . حكى لى قصة بطل أمهرى فى نجد . كان أعداؤه يبحثون عنه فدلهم أخو زوجته على خيمته . نجح فى الفرار إلى مكان مرتفع . قتل عددا منهم بكرات من الرصاص . نفذت ذخيرته فصعدوا اليه . طعن أحدهم بخنجره الذى انكسر . أمسك بزعيمهم من خصره وقفز به من القمة

ليموت الاثنان. عرفت زوجته أن أخواها هو الخائن . بحثت عنه في معسكر الأعداء وقتلته بمسدس .
.. قررنا أن نتناوب الحراسة بالليل .

٢٠ يونيو

.. خلال نوبتي بالليل غفوت . نهضت ناقتي فجأة فاستيقظت . لمست دهميش . انتصب واقفا في حركة واحدة وخنجره في يده . وقفنا ظهرا لظهر . درنا حول أنفسنا مدققين النظر . لم نر شيئا في الظلام . أو نسمع صوتا . هزنا عقال الناقة إلى أن ناخت . استلقينا ثانية . سيطر علينا الخوف والتوتر .

.. عثرنا في الصباح على آثار ذئب بالقرب من خيمتنا . نقطع خمسة كيلومترات في الساعة أما في الرمال كثيرة الكثبان شديدة الانحدار فنقطع كيلومترا واحدا فقط . ربطنا ناقتي في ذيل ناقة دهميش وانضمت اليه فوق ناقته . كثيرا ما تمنيت أن نحب بعضنا فوق ظهر الجمل بايقاع حركته المتمهلة . لم يكن هذا ممكنا في وجود الآخرين . الآن نحن وحدنا في الكون الفسيح وأنا في حضنه فوق الجمل . مع ذلك لا توجد لدى رغبة . عند العصر شعرت بالجوع والغثيان . الكثبان العالية تبدو بالليل أعلى منها بالنهار . القمر يضيء المنحدرات . الظلال في ثناياها حالكة السواد . ماذا سنفعل إذا لم نتمكن من الصعود بناقتينا فوقها ؟ يمكن أن تنهارا في أي لحظة إذا لم نسقها في أقرب وقت . المسافة الباقية أكثر من التي قطعناها حتى الآن . بدأت أرتعش من البرد . تمنيت شرايا ساخنا . خيمنا . أشعلنا نارا صغيرة وتدفأنا عليها . لحسن الحظ أنهم لم يأخذوا الكبريت . ماذا يحدث لو مرض أحدنا أو أصيب بلدغة عقرب أو أي شيء ؟

٢١ يونيو

.. أيقظني دهميش قرب الفجر . نهضت الناقتان وهما ترغيان . أكلنا بعض التمر وتجاهلنا الشاي والقهوة . اتجهنا نحو الكثبان . عندما اقتربنا منها كانت الشمس قد ألهبت الرمال . ارتعشت ناقتي بشدة . رفضت متابعة المسير . شعرت بالدوار . غاصت قدمي حتى الركبتين في الرمل . صعدت بصعوبة وأنا أجرها خلفي . بدأ قلبي يخفق وعطشي يزداد . وجدت صعوبة في الابتلاع . شعرت بانسداد أذني . أحاول إيجاد لعاب أرطب به فمي . أردت أن أستلقي على الرمل . ناداني دهميش . قلت في نفسي : لن نستطيع العودة وليس من مكان نلجأ اليه ولا

يمكن أن أصعد كثيبا آخر من هذه الكثبان المفزعة. لقد انتهينا. لو تهنا غربا وقعنا في يد السعوديين وشرقا في يد الحراسيس. وطول الوقت معرضان للوقوع في شباك قبيلة ما أو حيوان ما. هذا فضلا عن العطش. قال دهميش إننا يمكن أن نفعل مثل البدو. نضع عصي في حنجرة الجمل ونشرب قيئه. وربما صادفنا ناقة تائهة ما زالت تدر لبنا.

.. طول الوقت أشعر أننا مراقبان ؟؟

٢٢ يونيو

.. حلمت أمس بأنى أفتح براد منزلي في بيروت. قفز منه قط متوحش. درت الناقتان أقل من نصف لتر بدلا من اثنتين في العادة. السبب هو الإجهاد وقلة الطعام. كانت الشمس شديدة الحرارة والتهبت الرمال. لم يتأثر باطنا قدمي اللذين تكونت عليهما قشرة شديدة الصلابة. لكن الجلد الناعم على الجانبيين هو الذى كاد يحترق. امتطيت ناقتي.

.. أحاول التغلب على الجوع بالقراءة لكننى أجد نفسى أفكر فى الشاورمة واللبنه والحمص والطعمية والبول المدمس والكباب. أذكريت أبى فى صنعاء. كنت أستيقظ قبل الفجر على نداء المؤذن. عندما تشرق الشمس ينثر الخدم روث البهائم على السلالم والممرات بدلا من نشارة الخشب حتى لا يثور الغبار أثناء الكنس. تنتشر رائحة قوية لكنها غير كريهة إلى أن يتم الكنس بحزم من الأغصان. بعد الإفطار تقوم النساء بأعمال المنزل. ينفضن المفارش. يلمعن الأواني النحاسية بالليمون والرماد. يغسلن الملابس وينشرنها بعد ذلك فى الشرفات وعلى السطح. يقمن بإعداد الطعام فوق فرن فخار تشعله أقراص السباخ. تضع عجوز العجينة على جدران التتور. تتولى أخرى تحضير الشعيرية. ثالثة تسحق الخضرة فوق صخرة. رابعة تهز اللبن فى الجرة لصنع اللبن الرائب. يأكل أبى بمفرده ثم يصعد إلى المفرج. فتجلس النساء مكانه. بعد الظهيرة يخرج الرجال إلى مجالس القات يحملون ربطها وصناديق التنباك تحت أكمامهم. تظهر النساء فى الشوارع وقد تغطين كاملا بملاءات هندية متشابهة ذات ألوان حمراء وزرقاء وخضراء. على الوجه حجاب أسود شفاف تزينه دوائر بيضاء وحمراء فيبدو كراس احدى الحشرات. تشد الأنيقة منهن الملاءة حول جسدها وتسير متهادية فوق أحذية ضخمة ذات كعب منبسط. أو يخلعن الأحذية ويضعنها على رؤوسهن.

.. عند منتصف النهار استرحنا الى جوار كتيب . ظهر بدويان على كتيب بعيد وأخذنا يراقباننا . تراوحت مشاعرنا بين الأمل والخوف . لوح لهما دهميش بيده فاخفيا . سرنا نحوهما . لم نجد لهما أثرا . هل هو سراب؟

٢٣ يونيو

.. استيقظت اليوم متلهفة على الأكل . استلقيت على معدتي وضغطت عليها فشعرت بشيء من الارتياح والدفء . فى بيت صنعاء كان الإفطار يتكون من بيض وزبادى وخبز أو فطير بالعسل والسمن . شعرت بحركة أخرى فى بطني . أمانا سلسلة مشابهة للتي اجتزناها بالأمس لكن قممها أكثر انحدارا . سقنا الجمال المرتعشة المترددة إلى أعلى كتيب . سمعت فجأة أزيزا منخفضا ثم ازداد قوة الى أن بدا كصوت طائرة على ارتفاع منخفض . شدت الناقتان عقاليهما فى خوف . التفتتا الى الخلف . توقف الصوت عندما وصلنا الى أسفل . طمأننى دهميش أن الصوت ينتج عن انزلاق طبقات الرمل بعضها فوق بعض .

.. حتى الآن أراه متماسكا . لكن عندما لجأت الى دفترى سخرمنى . قلت له إن جيفارا كان حريصا على تدوين يومياته حتى اللحظة الأخيرة من حياته . لهذا نعرف ماذا حدث له بالضبط والعناصر التي وشت به ومن قتله . اليوميات هى الطريقة الوحيدة للمحافظة على الوقائع ودراستها واستخلاص الدروس منها . سلاحنا ضد الغدر والهزيمة . قال إنها ستفنى معنا . قلت إننا يجب أن نصونها بأى شكل . من سيحول دون يعرب وإحداث مزيد من الأضرار؟ طلبت منه أن يعدنى بالمحافظة عليها إذا ما حدث لى شيء . قال مقلدا لهجتى : وإذا حدث شيء لنا نحن الاثنين؟. تطلعت حولى فى الصحراء الخالية . قلت إنى سأجد طريقة لإخفائها . خطر رشدى على بالى . يمكنه أن يصنع منها شيئا مفيدا . هو أو عماد . أتمنى ألا تقع فى يد أحد غيرهما .

٢٤ يونيو

.. يوم مغبر كتيب ومثقل بكتل من الغيوم . هل ستسقط الأمطار هنا أم على سفوح الجبال فى ظفار وحدها؟ غطيت وجهى بالكوفية . مشينا إلى جانب الناقتين بمعنويات واهنة . ماذا يحدث لو لم نقابل مراعى؟ لا الجوع ولا العطش يخيفان البدو . يستطيعون البقاء فوق ظهور الجمال سبعة أيام دون ماء أو طعام . ما يخيفهم هو انهيار الجمال نفسها . إذا حدث هذا كان الموت مؤكدا . شعرت أن ناقتينا لن تعيشا ليوم آخر .

صلاة

١٩٩٢

أقلنى السائق الباكستاني أو الهندي فى الصباح. كنت متوترا، عاجزا عن التركيز من قلة النوم، ومن ملاحقة عينيّ أبى عامر لحقيبة يدي وهو يودعنى. ولم أطمئن إلا عندما غادرت السيارة أمام الفندق.

أخذت مفتاحي من الاستقبال ولم أجد غير رسالة من خلف يطلب فيها أن أتصل به. سعدت إلى غرفتي متشوقا إلى الفراش الذى ينتظرني. وجدت عربة النظافة أمام بابها المفتوح وشابا هنديا فى ملابس عمال الفندق داخلها. وعندما شعر بي أسرع يغادر الغرفة وهو يتمتم معتذرا.

أغلقت الباب خلفه وثبته بالسلسلة المعدنية. ألقىت بحقيبة يدي فوق الفراش ونظرت إلى التلفزيون. قهوة أم شاي ؟

لمحت زجاجة بيرة فوق المكتب. بدت مثلجة يلتمع زجاجها وبجوارها كوب وفتاحة. بيرة فى الصباح؟ ولم لا؟ أزلت غطاءها وأنا أنزع حذائي بقدمي ورفعت الزجاجة إلى شفتي. عندما فتحت عيني ألفتيني راقدا فوق الفراش بملابسي وصداع حاد يمزق رأسي.

نهضت بصعوبة وخلعت ملابسى وألقىت بها فوق الأرض. دخلت الحمام ومألت حوض الاستحمام بالمياه الدافئة وغطست فيها. أحسست بشئ من التحسن لكن الصداع ظل كما هو.

غادرت الحمام بعد أن جففت جسدى وطلبت قهوة من خدمة الغرف وكررت الطلب كى لا يأتيني عصير. ولم أكد أنه من ارتداء ملابسى حتى طرق الباب وفتحته لنادل هندي جديد يحمل القهوة التى طلبتها.

تناولت حقيبة يدي ورفعت غطاءها وأخرجت الكيس الذى أحتفظ فيه

بأدويتي . استخرجت حبة بنادول وأعدت الكيس مكانه . وهنا اكتشفت اختفاء الكراسية .

أفرغت محتويات الحقيبة فوق الفراش : قلمين ، علبة مناديل ورقية ، جواز السفر ، مفكرة لأرقام التليفون ، خريطة لعمان وأخرى لظفار وحدها ، برنامج لشركة سياحية ، قطعة من اللبان المتحجر أخذتها من خلف ، ورقة دونت بها بعض الملاحظات ، كيس الأدوية . لكراسية .

انتفضت واقفا وقلبت أغذية الفراش . نظرت تحته وفوق المكتب وفي أدراجه وفوق جهاز التليفزيون وتحته .

جلست على حافة الفراش أستعيد حركاتي منذ دخلت الغرفة . كانت الكراسية في حقيبة يدي الى أن ألقيت بها فوق الفراش . تذكرت الكراسيات الأخرى فأزحت المقعد ورفعت طرف السجادة فلم أجد أثرا لها .

وقفت وسط الغرفة حائرا ووقعت عيناى على المكتب . لم يكن هناك أثر لزجاجة البيرة التى شربتها ولا للكوب الذى كان الى جوارها . بحثت عنهما فى سلة المهملات القريبة وفى تلك الموجودة فى الحمام دون جدوى .
حلم ؟

لكن الفتاحة التى استخدمتها فى فتح الزجاجاة كانت فى مكانها فوق المائدة شاهدة على ما حدث .

نقلت البصر بين النافذة المواربة والباب . كانت السلسلة المعدنية مدلاة بجوار القفل وتذكرت أنى ثبتها بمجرد دخولى . تذكرت أيضا أنى لم أنزعها عندما فتحت الباب للهندي . كانت مدلاة وقتها كما هى الآن .

اشتد صداع رأسى فأخذت حبة بنادول ثانية واستلقيت فوق الفراش وأغمضت عيني .

دق جرس التليفون فلم أتحرك . استمر الرنين فرفعت السماعه . لم يرد أحد .

ألا عيب السيد زيد ؟

بقيت ممددا أحرق فى السقف ثم حانت منى نظرة الى الباب فرأيت ورقة صغيرة مطوية أسفل حافته .

أسرعت الى الباب وفتحته وتطلعت الى الممشى. لم يكن هناك أثر لإنسان
أوحركة. من وضع الورقة لا بد فعل ذلك قبل فترة.
هل هو النادل الجديد؟
أغلقت الباب وتناولت الورقة وبسطتها. كانت بتوقيع زيد.

* * ٢

ألقيت بالكنزة الصوفية فوق كتفى وهبطت الى البهو الشاغر فى الساعة
السادسة. خرجت الى الحديقة واتجهت الى ملعب التنس فى خطوات متمهلة
كأنى أتريض. مررت بحوض السباحة الذى انفردت به أسرة أوروبية تضم عدة
أطفال. كان ملعب التنس خاليا فمضيت بجوار سياجه فى اتجاه الشاطئ ثم
انحرفت الى اليمين وقمت بدورة واسعة لأتجنب شاليه الفنذى.
عشرت على أجمة الأشجار الشوكية فنفذت بين أوراقها وخطوط فى حذر
الى أن وجدت الفتحة المؤدية الى الطريق العام.

لم يكن هناك أحد من المارة بالطبع وبدا الطريق مهجورا. امتدت حدائق
السلطان المسورة أمامى على الناحية الأخرى. تطلعت جهة اليمين حيث يقبع
مدخل الفندق على مبعده مائتى متر. كان متواريا خلف الأشجار التى حجبت عنى
سيارات التاكسى الثلاث المتوقفة أمامه باستمرار كما حجبتنى أيضا عنها.
استدرت يسارا وانطلقت بنفس الخطوات المتمهلة حسب التعليمات.
ظهرت سيارة مرسيدس حديثة الطراز قادمة بسرعة من ناحية المدينة .
لمحت داخلها رجلين يرتديان الملابس الأوروبية . تابعتها ببصرى حتى تلاشت
فى الانحناء المؤدية لمدخل الفندق.

ألقيت نظرة على ساعتى وواصلت السير . سمعت صوت موتور سيارة قادمة
من خلفى. غالبت نفسى كى لا أنظر ورائى واحتفظت بنفس إيقاعى حتى
حاذتنى. وجدتها سيارة أجرة تقل زوجا أوروبيا. ومرت عشر دقائق قبل أن تظهر
سيارة أجرة قادمة من المدينة تقل عدة رجال فى الدشداشات البيضاء. وعندما
قاربونى تطلعوا الىّ فى دهشة واهتمام. بادلتهم النظر وظلوا ينظرون ناحيتى الى أن
ابتعدوا فى اتجاه الفندق.

انتهى السور المقابل بناصية شارع . عبرت الطريق ومضيت على الرصيف الأيمن للشارع العمودي . رأيت سيارة قديمة من طراز فورد مركونة قرب الناصية التالية العمودية على شارع قابوس.

اقتربت من السيارة وأنا أدق النظر الى سائقها . كان عُمانيا بحكم ملابسه وظفاريًا ببشرته السمراء وملامحه الجبلية. تابعني في المرآة المعلقة فوق رأسه وعندما حاذيته تماما مد يده وفتح لى الباب الخلفى دون أن ينبس بكلمة.

كانت الخطوات تخرق كل القواعد. فى العمل السياسى السرى لا يتم لقاء بين غربيين دون ثالث يتولى تعريف أحدهما بالآخر، و فى قصص التجسس والمغامرات يتبادل الغربيان كلمات معينة - ساذجة للغاية- عن الجو أو يحمل أحدهما وردة حمراء فى عروة سترته بينما يحمل الثانى صحيفة مطوية فإذا حاد أحدهما عن النص افترض زيفه. وها أنا أركب سيارة مجهولة دون نص على الإطلاق.

أدار السائق الموتور بمجرد أن أغلقت الباب خلفى وانطلق نحو الناصية. كانت هناك لافتة تعلن ان امتداد الشارع طريق خاص. عبر التقاطع واستدار يسارا فى شارع قابوس. تذكرت موقفا مشابها عرض لى منذ سبع وثلاثين سنة بالضبط. كان الموعد ليلا فى ساحة نائية بأطراف حى العباسية. وعندما وصلت تبينت فى الظلام سيارة فيات سوداء مركونة ومظلمة. وفجأة أضيئت أنوارها واستقر كشافها المبهر على وجهى فأعماني بينما تقدمت منى وتوقفت الى جوارى. وسمعت صوت قائدها الذى أعرفه يحيينى ويناولنى لفافة المنشورات التى سأتولى توزيعها. لم تكن هناك بالطبع حاجة الى كل هذه التصرفات المسرحية وعلى العكس فقد كان من شأنها أن تجذب إلينا الأنظار.

لم يفه سائقى بكلمة وقاد السيارة بسرعة عادية فى الطريق المعهود الموازى للشاطئ. بلغنا محمية الطيور فخلت أننا ذاهبون الى صديق سالم المغرم بالنوادر والحكايات. لكنه انتقل الى طريق رئيسى واتجه يمينا ثم يسارا وبعد قليل بدأ الطريق يصعد الى أعلى وأدركت أننا نتجه الى الجبل.

خاطبته لأول مرة : الى أين ؟

لم يرد ولم يلتفت نحوى و ظل سؤالى معلقا فى الهواء فلزمت الصمت.

أخذ الضوء يتلاشى وروائح الريف تتكاثر . تجاوزنا جزارا زراعيا ومررنا بقرى صغيرة. اضطجعت فى مقعدى وقررت أن أستمتع بالهواء المنعش . وبعد عدة كيلومترات انحرف يمينا فى درب وعر وسقطت أنوار السيارة المبهرة على هضبة شديدة الانحدار. ارتقاها ببطء بعد أن انتقل الى السرعة الأولى . وأقبلنا على منعطف حاد فصنع دورة واسعة لأقصى ما استطاع. تمنيت ان يكون سائقا جيدا وأن يحتفظ بنفس سرعته ولا يقلل منها كى لا نسقط الى الوراء. وصلنا قمة الهضبة فقررت أن أحييه. خاطبته قائلا :

- أحسنت.

للمرة الثانية لم يرد .
أصم أم حكيم؟

أبطأ السير حتى توقفت السيارة . رفع الكابح اليدوى واستند بمرفقيه الى المقود متطلعا أمامه. ثم أطفأ النور المبهر وأوقف المحرك وفتح الباب المجاور له وترجل. ودون أن يوجه ألى كلمة عبر الطريق الى أجمة من الشجيرات واختفى خلفها.

قدرت أنه ربما يتبول ومرت دقائق تحولت الى ربع ساعة ثم نصف دون أن يظهر. فتحت بابى وترجلت ثم درت حول السيارة . كانت المفاتيح فى مكانها أسفل المقود. مددت يدى وضغطت البوق وأنا أتلفت حولى. ضغطته مرة أخرى وتركت يدى فوقه طويلا ثم وقفت أنتظر.

سئمت أخيرا من الانتظار ففتحت الباب وجلست أمام المقود. تأكدت من تحييد عصا السرعة وقبضت بأصابعى على مفتاح المحرك.

تعودت أن أفعل شيئين متزامنين قبل أن أدير المحرك : تحييد عصا السرعة وإضاءة النور الدائرى. لكن النور الدائرى كان مضاء فعلا فحركت ذراع النور المبهر بشكل ألى. سقط الضوء المبهرفوق فضاء غير محدد المعالم على مبعده. أدرت المحرك وحركت الذراع لأرى المسافة الأقرب قبل أن أقوم بتحرير الكابح اليدوى. وكانت هذه الحركة هى التى أنقذت حياتى.

فتحت الباب بيد مرتعشة و غادرت السيارة. وقفت الى جوار الإطار الأمامى أتأمل الهوة السحيقة التى كانت مقدره لى والتى استقرت مقدمة الإطار فوق حافتها.

درت حول السيارة فى حذر ثم ضغطت البوق مرة أخرى. فكرت أن أنادى على السائق واحترت ماذا أقول: هوه. انت . يا ريس ! أو ربما هالو كما فى الافلام الأمريكية.

خطر لى أن أحاول قيادة السيارة الى الخلف ثم تراجعت عن هذه الفكرة. فلا بد أن أخفض الكابح اليدوى أولا وفى هذه الحالة تتعرض السيارة للانزلاق أماما قبل أن أسيطر عليها.

أطفأت كشاف السيارة وأضأت النورالمتقطع ثم أوقفت المحرك. تركت المفاتيح مكانها وأغلقت الباب. تلفت حولى دون أن أتبين أية معالم فى الظلام المخيم. شعرت بلمسة برد خفيفة فالتقطت كنزتى ووضعتها فوق كتفى. أعاننى الوهج المنبعث من ضوء السيارة على اقتفاء أثر السائق الى الأجمة ولم تلبث الشجيرات أن تحولت الى أشجار عالية وتلاشى أى أثر للضوء. تلمست طريقي فى صعوبة بينها وهاجمنى البعوض بوحشية. كانت الروائح منعشة والأشجار متقاربة تكاد أغصانها تتعانق، وتموج بأصوات غامضة عجزت عن التمييز بينها. حاولت أن أتذكر الحيوانات التى ورد ذكرها فى يوميات وردة ثم تذكرت الضبع الذى أراد أبو عامر أن يطعمنى لحمه. أسرعت السير وأنا أتلفت حولى. شعرت بالتعب بعد فترة فاستندت الى جذع شجرة ثم ابتعدت عنها عندما تذكرت الثعبان العظيم. ولم أجرؤ على اقتعاد الأرض المعشوشبة . فكرت فى العودة الى السيارة واكتشفت أنى لن أتمكن من العثور على مكانها . ثم ماذا سأفعل هناك؟ أنام بها حتى الصباح؟ وما يدرينى أنها لن تنزلق بى فى الهوة دون أن أشعر.

قررت أن أواصل السير حتى أصل الى طريق عمومى أوقرية أوأصافد خيمة منعزلة. قابلتنى شبه نلة أو هضبة فارتقيتها. لمحت ضوءا خفيفا على مبعدة فاتجهت نحوه .مضيت من قمة إلى أخرى ومن سهل صغير إلى آخر دون أن تقصر المسافة التى تفصلنى عنه. شعرت بالتعب فتوقفت وتبينت فجأة ان الضوء على يسارى بدلا من أن يكون على يمينى كما كان فى البداية. واكتشفت أنى أمضى من نقطة لأعود إليها ثانية مهما اتجهت يمينا أويسارا بسبب تشابه الأرض والمرفعات والمنحدرات.

شعرت بالعطش وتمنيت أن ألتقى جليبا يعطينى بعض الحليب. ثم فكرت

فى الطعم والأشجار التى يمكن التغذى على أوراقها وتلك التى لا تصلح لذلك بسبب سميتها.

هل مرت وردة من هنا ؟

جرجرت أقدامى بصعوبة نحو هضبة مستوية وشممت رائحة روث حيوانات. أقبلت على عدة بيوت حجرية تكشفت عن حظائر للماشية. كانت خالية فواصلت السير وسط قش بلغ ارتفاعه خصرى أعقبه صف من الأشجار العملاقة. أشرفت على كوخ صغير مهجور فولجته. كانت أرضه وجدرانها عارية بلا أثر للحياة. لا نيران تبعث الدفء أو وجبة دسمة من لحم الماعز أو حتى الجميل. ومع ذلك قررت أن أستريح به قليلا.

قفز جسم ما فى الهواء واصطدم برأسى فتراجعت وكدت أقع. لم أتبين شيئا فى الضوء الخفيف الغامض الذى أحاط بى. شعرت بحركة فى أحد أركان الكوخ فأصخت السمع متوترا. فأر أو حيوان مشابه؟ ماذا لو كان عقريا أو الثعبان العظيم بنفسه؟ هل سيدور حول رقبتى ويفعضنى أم يعضنى ويمضى؟ حاولت أن أتذكر ما أعرفه عن الحشرات والزواحف وكيفية التعامل معها، لكن ذهنى بدا عاجزا تماما عن العمل.

شعرت بالإعياء فاقتعدت الأرض فى الوسط مبتعدا عن الجدران. وجدتنى عرضة لتيارات الهواء فارتديت كنتزى وانتحيت جانبا. تقى الى كوب من الشاى الساخن يتصاعد منه البخار. هاجم البعوض وجهى ويذى فتسللت بمحاولة اصطيداه ووجهت اللطمات الى صدغى ووجهتى دون جدوى. ثم شعرت بالقرصات الحادة تحت ملابسى. براغيث؟ توترت حواسى وبدأت أتتبع التحركات الغامضة فى أنحاء جسمى. ثم حاولت أن أشغل نفسى بأمر آخر ففكرت فى وعد وما جرى لى معها.

دورفى فيلم سينمائى أم بحث عن بابا؟

عندما أيقظتنى أصوات الطيور فى الفجر وجدتنى منكمشا من البرد الى جوار الجدار. تحاملت على نفسى ووقفت. كان كل جزء فى جسمى يؤلمنى وخاصة ظهرى. استقبلتنى طيور بيضاء وملونة عندما غادرت الكوخ. ألفيتنى فوق هضبة مغطاة بالعشب والأدغال الخضراء ولمحت عدة أبقار على مبعده فقررت أن أتجه

نحوها. لكن الضوء المتزايد كشف عن واد عميق يفصلني عنها. تطلعت حولي فلم ألمح أثرا للبحر الذي كان يتجلى لوردة من أى نقطة فى الجبل.

هل مرت من هنا؟

قررت ان أوصل السير ملتزما الأماكن المنحدرة الى أسفل كى أتجنب التوهان. ألقىت نظرة أخيرة حولي ثم بدأت رحلة العودة.

مسقط

ديسمبر ١٩٩٢ - يناير ١٩٩٣

*** ١

- قلت : رجعت ريمة لعادتها القديمة .
 كنت أعلق على ملابس الحجاب التي استقبلتني بها شفيقة.
 لوحت بيدها في ضيق وقالت : أهو ده اللي انت شاطر فيه.
 وضعت حقيبتى بجوار الباب وقلت : ايه الحكاية؟
 قالت : لا حكاية ولا رواية .
 تناهى إلى صوت البيانو . فأومأت ناحية غرفة الأوركستر وقلت:
 - بتهوفن يعمل ؟
 كانت منهمكة فى وضع العشاء على المائدة . تركتها وذهبت إلى الحمام
 فاغتسلت ثم عدت إلى الصلاة.
 قلت : احكيلى .
 قالت : هل سمعت بما حدث لسارة ؟
 - سارة من ؟
 - الخادمة الفلبينية التي قتلت مخدمها ب ٣٤ طلقة عندما حاول
 اغتصابها. كانت المحكمة قد حكمت عليها بالسجن سبع سنوات ودفع مبلغ
 لعائلة المجنى عليه .
 - وتظلم ابنه أمام محكمة أخرى طالبا إعدامها.
 - تمام . المحكمة الجديدة حكمت عليها بالإعدام .
 - على أى أساس ؟
 - قالت إن واقعة الاغتصاب مختلفة.
 - ألم يكن هناك تقرير طبي ؟

- نعم . استبعدته المحكمة الجديدة على أساس أن القتل عمره ٨٥ عاما .

- هل سيعدمونها ؟

- الله أعلم .

توقف صوت الموسيقى وتعالى صوت فتحى ينادى على .

انطلقت إلى الغرفة ودفعت الباب . كان يجلس أمام البيانو .

عزف بضغ ألحان وهو يتطلع إلى كأنما يتلمس رأبى . ثم أزاح يديه بعيدا

وقال :

- لقد قررت اتباع نمط السوناتا كخطة للبناء . طبعاً حضرتك مش فاهم .

السوناتا هى أرقى الأشكال الموسيقية .

أطرت برأسى مؤمناً على المرتبة الرفيعة التى تحتلها السوناتا .

استطرد دون أن يعبأ برد فعلى :

- السيمفونية التى أوّلفها تصويرية . لا علاقة لها بالشكل الكلاسيكى . ولا

حتى بالكلاسيكية الحديثة . لم يكن من الممكن الاقتداء بأمثال سترافنسكى

وشوينبيرج وبارتوك الذين بدلوا النغم الصوتى بصورة كاملة . ولا كان بإمكانى أن

أستخدم النغمات شديدة التنافر . ومع ذلك لجأت فى بعض الفقرات إلى اسلوب

تتعدد فيه النغمات .

شردت أفكر فى وعد وفى نهديها . وانتبهت عندما ساد الصمت بيننا

وتبينت أنه شرد هو الآخر .

أشرت بإصبعى إلى الصالة : ما الذى أعادها إلى الجاهلية ؟

قال : لله فى خلقه شؤون .

مر بأصابعه فوق مفاتيح البيانو بسرعة ثم أضاف :

- أخبرها مديراً الإذاعة أمس أنهم لن يجددوا عقدها .

- لماذا ؟

أجال البصر حوله فى حيرة ثم استقرت عيناه على وجهى . لمحت فيهما

اتهماما فشعرت بانقباض .

استطرد: قيود العمل هنا صارمة ومن الصعب أن تحصل على عمل آخر

بسرعة كما أن فرصه تقلصت بعد حرب الخليج . وأنا مازال أمامى سنة يمكن أن

تمتد الى سنتين . فإما أن تعود وحدها الى مصر أو تبقى معى بدون عمل وكلا الخيارات صعب .

قلت : لماذا ؟

قال : لن يحتمل أى منا الحياة بمفرده . ولوبيقت هنا بدون عمل ستجن . أنت تعرفها . وسأجن أنا أيضا . وهناك أيضا أقساط شاليه الساحل الشمالى وشقة هبة . اغتصب ضحكة لكنى لم أستجب لها .

- وماذا ستفعل ؟

- سألجأ إلى الفندى . وإذا فشل فى مساعدتى سألجأ إلى السلطان نفسه . المشكلة فيما يجب دفعه من ثمن .

٢ * *

لم تكن هناك أخبار بارزة فى الصحيفة العُمانية . ذكر أحد الوزراء أن أول إحصاء للسكان فى تاريخ عمان سيجرى فى نهاية العام وتوقع أن يتجاوز عددهم رقم المليونين ربعهم من الأجانب . وفى أسفل الصفحة وجدت إشارة إلى ال ٤١٥ فلسطينيا الذين أبعدهم اسرائيل قبل تسعة أيام إلى الحدود اللبنانية وقد غطت الثلوج الخيام التى ما زالوا بها . ورفض رئيس الوزراء اللبناني علاج المرضى والجرحى فى مستشفيات لبنان قائلا إن مسئولية علاجهم تقع على اسرائيل . وأعلنت حماس وعرفات التأييد لهذا الموقف وأن المبعدين يجب أن يبقوا فى أماكنهم إلى أن يعودوا إلى وطنهم .

أطل فتحنى برأسه من فرجة الباب وأشار الى أن أنتظره لأنه لم ينته بعد من مشاغله . التفت الى سالم وهو يضع شريطا فى جهاز الفيديو وقال :
- سأريك رقصة عمانية تشبه الزار عندكم . تؤدى فى ساحة القرية للأشخاص الذين أصيبوا بلوثة ويريدون الشفاء .

ضغط زر التشغيل فظهر على شاشة التليفزيون صف من الرجال بجوار بضع نساء جالسات غطين رؤوسهن بطرحات سوداء شفافة . اعتمد أحد الرجال بيديه على طبل طويل يصل إلى منتصف صدره وعلق آخر طبلا أصغر فى رقبته بصورة

عرضية وراح يضربه بالكف من الناحيتين. ودار الطبالان حول الميدان بينما تقدم الرجال من النساء يدعوهن للرقص.

أدار الشريط إلى الأمام مسافة ثم أوقفه:

- هذه رقصة أخرى قد تهلك يلقى فيها الشاعر قصيدة ألفية يبدأ فيها كل مقطع شعري بحرف من حروف الهجاء من الألف حتى الياء.

- من تأليفه ؟

- طبعاً. كل شاعر وشطارته.

ظهرت على الشاشة دائرة كبيرة من رجال رفعوا سيوفاً ذات نصال رفيعة وساروا خلف واحد منهم يحمل سيفه في يده اليمنى. كان يلقى شعره أثناء السير وعند كل وقفة في الإلقاء يهز السيف هزة مستعرضة في رعشة مرعدة بينما يردد تابعوه : «الملك لله يدوم» ممددين حرف الألف في لفظ الجلالة.

لم أتبين لهجة الشاعر فردد لي سالم مايقوله : الألف ألفت الكلام ، الباء بذكرك يا إله ، الثاء ثاروا للصدام ، الجيم عجبة في الزمان ، الخاء خلقهم في البلاد ، الدال دايم كل دار ، الزاء زمانى اليوم عاد ، السين سنوا المرهفات ، الشين شاعت لهم علوم ، الواو وردة لكل زمان.

أوقف الشريط وهو يقول :

- الفندى سيدعوك لسهرة رأس السنة.

قلت : أنت لم تحدثني عنه أبداً.

قال : أنت لم تسأل .

سكت برهة ثم قال :

- هل تذكر تحقيقات الكونجرس الأميركي سنة ٧٧ التي كشفت دور شخصيات مثل الملك حسين في خدمة المخابرات الأمريكية ؟ كانت هناك شركة تكرير للنفط تدعى اشلاند أويل وأقر رئيسها اتكينز أمام الكونجرس بأنها عملت واجهة للمخابرات الأمريكية في عدة بلدان منها إيران. وبعد سقوط الشاه بدأت تبحث عن عقود نفط عربية وظهر في الصورة لبيى يدعى يحي عمر وكندى له علاقات قوية في مسقط والثالث هو صديقنا. والنتيجة عقد شراء نفط عمانى مقداره عشرون ألف برميل يومياً. كان نصيب الليبى من الصفقة ٥ مليون دولار. لك إذن أن تتخيل نصيب صاحبنا.

قلت : عادى.

أخذت أقلب صفحات الجريدة وتوقفت عند صفحة مخصصة للشعر. قرأت في أعلاها حكمة بخط كوفى: ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب.
- الشائعات رشحته أخيرا لرئاسة الوزارة ثم تردد أن ابن عم السلطان هو الذى سيتولاها. لو تحقق هذا سيتم تحجيم الفندى لأن المرشح الجديد صديق شخصى للحارث بن عيشة عدو صاحبنا اللدود.

- من هو؟

- بن عيشة؟ مستشار للسلطان يعمل من وراء ستار.

وضع شريطا جديدا فى الجهاز وقال دون أن يرفع عينيه عنه:

- هل علمت بما حدث بعد مغادرتك صلالة؟

- ماذا حدث؟

- عثروا على جثة فى الجبل لشخص عُمانى من أصول أفريقية.

بذلت جهدا خارقا لكى لا يبدو على وجهى شئ:

- مقتول؟

- الظاهر أنه سقط من ارتفاع كبير. فقد توازنه ربما.

سألت بعد لحظة: هل هناك أخبار عن زكريا؟

أجاب دون أن يرفع رأسه: لا.

قلت: هناك أمور كثيرة لا أفهمها.

ابتسم وكرر كلمتى السابقة:

- عادى.

*** ٣

كانت توقعاتى عن منزل الفندى رغم مظاهر ثرائه مستمدة من كل ما سمعته وشاهدته: موكيت ومروحة فى السقف أو جهاز تكييف، حصرير ملون، كولمان للماء البارد، دلابة القهوة المرة، ترمس الشاي، إناء التمر، جلسة رجالية أو فى أحسن تقدير بمشاركة نسائية محدودة ومحجبة. لهذا لم أكن مستعدا بالمرّة لما واجهنى.

وقفنا أمام بوابة حديدية فى سور حجرى مرتفع. فتح لنا خادم هندى واقتادنا عبر ممشى رصفت أرضيته بالرخام الفاخر يؤدى الى جراج كبير. انتقلنا الى ممشى آخر بجوار حمام سباحة كبير الحجم. توقف الهندى أمام باب سميك من الخشب الثمين وفتحه بالريموت. ولجنا ردهة مزدحمة بمناضد صغيرة أنيقة محملة بالتحف وتشرف عليها ثريات ضخمة. صعدنا الدرج الى الطابق الأول ثم ولجنا قاعة واسعة دارت بها الأرائك الجلدية الوثيرة.

خطوت فوق طبقات سميقة من السجاد وجلست فى مقعد وجلست شفيقة بجوار فتحى فوق الأريكة الملاصقة.

همست وهى تتحسس السجاد بطرف حذاءها :

- تيريزى.

استخرجت نظارتها الطبية الفاخرة التى أحضرتها خصيصا لهذه المناسبة فارتدتها ورفعت عينيها الى الثريا التى تعلقنا مباشرة ثم أضافت بنفس الصوت الهامس:

- تشيكي .

أدارت عينيها فى أنحاء القاعة وبدت على وجهها علامات التقدير والإعجاب. كانت - للحق - تتمتع بذوق رفيع فى الملابس والأثاث والديكور المنزلى والأعمال الفنية من لوحات ومنحوتات وخلافه وتحتفظ بمجموعة قيمة منها بمنزلها فى القاهرة. دقت النظر حولى دون أن يخالجنى الشك فى رقة كل قطعة وفداحة ثمنها. لكنى لم أشاركها الشعور بجمالها . فقد كان هناك الكثير منها.

ظهرت عند المدخل فيليبينية عريضة البنيان تتحرك بثقة المعلمة وقالت بانجليزية ركيكة إن المدام ستنزل بعد دقائق .

كانت الى جوارى خزانة من الخشب الثمين تكدست القطع الفنية داخلها وفوق سطحها. وجدت فرصة لأحدى التمارين التى أقوم بها بين الحين والآخر عندما أشعر بصدا أدوات المهنة. بدأت أتأملها واحدة واحدة و أسعى الى إيجاد الكلمة المناسبة لتسميتها ووصفها. كان من السهل وصف حصان صغير من الذهب أو النحاس (فلم أنجح أبدا فى التمييز بين المعدنين) فى حجم قبضة اليد وصوانى من الفضة وبعض التحف الخزفية ذات النقوش اليابانية أو الصينية. لكنى لم

أتمكن من تحديد هوية المادة أو الأشكال التي صنعت منها قطع صغيرة الحجم استقرت في أمان خلف المصراع الزجاجي المحكم.

أنقذني ظهو المضيف وزوجته من شعور الإحباط. كان يرتدى دشداشة داكنة اللون وكمة من نفس اللون نجحتا في إبراز بياض بشرته. وكانت زوجته سمراء أنيقة في العقد الثالث من عمرها عصرية المظهر والملابس، منتصبه القامة في اعتداد، ترتدى ثوبا أسود جميلا محلي بالورود ينتهي أسفل ركبتها بقليل.

كانت السهرة شبه عائلية إذ اقتصرنا علينا وعلى شقيقة صغرى للزوجة، في حوالي الخامسة والعشرين، ترتدى بنطلون جينز، درست الهندسة وتعمل في شركة أجنبية. ثم انضمت اليها فتاة عراقية أكبر سنا تدعى سعاد ابنة صديق للفندي الذي أوجد لها عملا في شركة النفط. كانت ترتدى ثوبا خفيفا مشجرا بنصف كم يتألف أعلاه من شقين منفصلين ينداح أحدهما فوق الآخر دون زراير أو كباسين محتضنين صدرا ممتلئا.

سألنا خديجة، زوجة الفندي، عما تريد أن نشرب. طلبت شقيقة على الفور عصير البرتقال. تساءلت في تردد عن الخيارات المتاحة. فقالت خديجة :

- كل شيء موجود.

قال زوجها : خذ جين تونيك إذا كنت تريد لونج درينك.

وجهت شقيقة نظرة صارمة الى فتحى فتردد . خففت الى نجدته قائلا :

- خذ كأسا من الويسكى . شقيقة يمكنها أن تقود السيارة.

أوما موافقا وهو يتجنب النظر اليها. وشاركه المضيفان الاختيارينما

انضمت الفتاتان إلى جانب شقيقة.

أحضرت المعلمة الفلبينية مائدة صغيرة عليها صحون الفستق الإيراني والزيتون الأخضر والرؤبيان المسلوق والبذر السورى. ثم مرت علينا بكؤوس الشراب التي أعدتها في الصالة الخارجية.

تناولت كأسى الذى زينته قطعة ليمون معلقة فوق حافته وقلبت محتوياته بعضا بلاستيكية ثم رفعته الى شفتى وأنا أنظر الى شقيقة من فوق حافته شامتا.

شعرت أني مدعو للقيام بقليل من المسامرة فأبدت إعجابى بالمنزل وتركت لصاحبيه أن يشرحا لى مميزاته وكيف أنه يطل على البحر من ناحية وعلى

الجبال من الناحية الأخرى. وعندما استهلكتنا الموضوع عاجلته بسؤال عن الكيفية التي يبدأ بها يومه. وجد متعة في الإجابة: عند الاستيقاظ كأس مياه معدنية مستوردة من عيون ماء سويسرية لتنظيف الكلى ثم تمارين سويدية في حجرة الألعاب مع الأجهزة الضرورية يعقبها الاستلقاء في حمام جوكوزى بفقاغاته الدافئة المعطرة وعشر دقائق في حمام السونا تليها أخرى في حمام البخار، ثم جلسة تدليك خفيفة يعقبها حمام بارد. وأخيرا يرتدى روبا قطنيا ويشرب كاسا من عصيرالبرتقال ثم يسترخى في مقعد الحلاقة لتتولى فيليبينيتان حلاقة لحيته وقص أظافره وتضميخ وجهه بالعطور. أغرته عملية الجرد بأن يستعيد ذكرى البدايات :

- كان أبى صائد سمك من الباطنة. أما أمى فلا أذكرها لأنها ماتت بالسل وأنا طفل . كنا نعيش في كوخ من السعف . يوقظنى أبى فى الفجر لتتناول مزودة التمر وجرة الماء ثم أسير خلفه الى الشاطىء وأعاونه فى دفع الزورق الى البحر. فى الليل نتعشى سمكا مغليا من بقايا صيد الصباح. ثم مرض أبى ولزم بستانه الصغير وعاونته فيه أيضا. كنت أقوم فى الفجر وأذهب الى البستان لأملأ حوضه بالماء مستعينا بثور هزيل.

قاطعته متسائلا: متى إذن كنت تجد الوقت للمدرسة؟

- مدرسة؟ لم يكن فى القرية كلها من يعرف القراءة والكتابة. والأطفال حفاة وشبه عراة. لا طبيب ولا مستشفى. والجميع يموتون صغارا من سوء التغذية والأمراض. أين كنا؟ آه . اضطر أبى الى رهن بستانه لدى أحد التجار بمبلغ مائتى قرش وقبل أن تنقضى المدة مات بالسل. ووجدت صعوبة فى بيع القت والبطيخ والخيار ولم أجد مفرا من بيع البستان فأخذه التاجر بمائة قرش خصم منها ما تبقى من الرهن ومقداره عشرون قرشا. وأخذ القاضى عشرة قروش مقابل كتابة صك نقل الملكية.

فرغت محتويات كأسى فأشرت الى الفلبينية الواقفة عند المدخل أن تحضر لى واحدا ثانيا.

استطرد : كان شبان آخرون قد نجحوا فى التسلل إلى السعودية والكويت . وسمعنا أن بهما مدارس ومستشفيات تعالج الناس مجانا. خرجت ليلا فى حذر دون أن أخبر أحد خوفا من عيون الوالى لأن الحكومة تسجن كل من يفكر فى الهروب من البلاد. وضعت نقودى فى الهيما ن تحت أثوابى. يمت شطر الحدود وفى

مدينة شناص التقيت بصديق يركب حمارا. قال إنه يمكن الحصول على جواز سفر من عجمان أو الفجيرة. قضينا الليلة على مشارف الفجيرة وعند الصباح دخلناها بعد أداء الصلاة. التجأنا إلى أحد المساجد وبعد ثلاثة أيام بعنا حمارينا واشترينا جوازين بمائتي روبية. الجواز مجرد ورقة تحمل شعار إمارة الفجيرة. اشترينا تذكرتي سفر في باخرة قادمة من الهند ومتجهة إلى الكويت ثم البصرة. وصلنا الكويت بعد أسبوع حيث شاهدنا لأول مرة مدينة تعج بالناس والبنائيات وسيارات تقطع الشوارع بسرعة جنونية ويتكلم أهلها لهجة مختلفة لم نفهم منها شيئا. فى الأحمدى سألنا عن مساكن العمانيين واستضافنا واحد منهم .

رفع كأسه وابتسم ثم قال : لا زلت أذكر طعم عصير البرتقال الذى قدمه لنا وشربته لأول مرة فى حياتى . قدم لنا اللحم أيضا وهو ما لم نكن نذوقه فى القرية إلا فى عيد الأضحى . قال لنا إن هناك ستين ألف عمانيا يقومون بالأعمال الحقيرة مثل حفر القبور وكنس الشوارع . والمحظوظون يلتحقون عمالا فى شركة النفط. نادرا ما تجد حضرميا أو مهريا أو فلسطينيا أو مصريا يقوم بهذه الأعمال. هؤلاء متعلمون منهم المهندس والطبيب ويشغلون فى مكاتب الحكومة والشركات ويسكنون فى منازل محترمة وعندهم سيارات.

لحظت أن الفتاتين - خولة، شقيقة المضيقة، وسعاد - تنصتان فى وجوم فاستنتجت أنهما تحفظان قصة المسيرة عن ظهر قلب. وسرعان ما كانتا مشتبكتين فى حديث نسوى مع شقيقة. وخرجت خديجة عن النص اذ تابعت حديث زوجها فى اهتمام رغم ثقى فى أنها سبق أن سمعته أكثر من مرة.

وجد الشاب عملا فى شركة النفط. وانضم إلى مدرسة محو الأمية المسائية فى فصل من أربعين شابا عمانيا، يعلمهم مدرس مصرى صبور يعتقد أنه يؤدى واجبا قوميا . بعد سبع سنوات حصل على الثانوية . تعود خلال ذلك على لبس النعال. لكنه لم يتقبل المعاملة السيئة والمهينة الممثلة فى عبارة ملعونة هى : تكرم عمانى. اتصل بالسفارة العراقية عن طريق معارفه من البعثيين وتمكن من السفر الى بغداد لدراسة العلوم الاقتصادية بجامعةها. وعاد إلى الكويت بعد تخرجه فالتحق بشركة النفط. ثم قام قابوس بالتغيير وطلب من العمانيين فى الخارج العودة للمساهمة فى بناء البلاد فاستجاب .

كان يتحدث ببساطة دون شعور بالحرج مستمتعا بعملية الجرد . ولم يكده ينتهي حتى جاء دور زوجته فأدركت السر في طول صبرها.

- كنت أول طالبة تلتحق بكلية التربية في جامعة السلطان قابوس. ومن صغرى أحب عالم البيزنيس. أبي يملك شركة استيراد فطلبت منه أن أكون معه في الشركة بعد الظهر. وافق على أنها نزوة سنتهي لكن بعد التخرج وضعت قدمي في الشركة . عملت تحت رئاسة مدير انجليزى ثم حللت مكانه. كنت فتاة هادئة جدا لكن نقطة التحول في حياتي كانت بعد عامين من دخولي مجال العمل حيث بدأت أكتشف في نفسي قدرات لم أعهد لها من قبل . نجحت في إدارة مول يقوم على الطريقة الأمريكية وهو استثمار كويتي بخمسة ملايين ريال وأنوى إقامة فندق الي جواره ومستشفى لعلاج الأطفال من مرض السرطان .

أبدت اعجابي بمسيرتها فقالت في اعتزاز:

- المرأة العمانية لها تاريخ حافل في العمل العام . هل تعرف أن امرأة تدعى غالية بنت ناصر حكمت عمان في القرن الخامس عشر الميلادي ؟ ليس هذا فقط بل كانت تقود الجيوش وانتصرت في عدة حروب .

أضاف زوجها: وضع المرأة يتحسن الآن بسرعة . أول أمس أعلن بنك عمان التجارى أنه سيقدم خدمات خاصة للسيدات.

ولابد ان وجهي ظهر عليه تعبير ما لأنه سارع يقول:

- هذه مجرد بداية فنحن نواجه معارضة قوية من الشيوخ والمجتمع القديم. قطعت علينا الحديث طفلة سمراء جميلة في حوالى السادسة من عمرها اقتحمت الغرفة وارتمت في حضن خديجة وشدت ساعدها فى الحاح . سألتها عما تريد فغمغمت بيبضع كلمات فى دلال.

قالت لها : ضعى فى الفيديو كارتون توم وجيرى.

هتفت الطفلة فى سخط:

- ماما . مللته.

- أوكى . ضعى البينك بانثر.

- لا يعجبني .

- عندك سلاحف النينجا.

- لا أحبه.

- إذن العبي بالقطار.

لم تعترض الطفلة على الاقتراح الأخير فنادت أمها على ميليسيا. وحضرت على الفور فتاة فيليبينية مليحة الوجه في حوالى العشرين تتردى بلوزة وبنطلونا من الجينز وحذاء ريبوك. طلبت منها الأم فى رقة بالإنجليزية إحضار القطار. التفتت إلينا و قالت : ميليسيا خادمتى الخاصة . عندنا منذ شهر و بنت ممتازة.

سألت الفندى عن الخادم الفليبينى ذى القرط.

قال وهو يتابع مليسيا بنظراته : طردناه .

شرحت خديجة السبب : فى يوم أجازته عاد بالليل متأخرا ساعة ومخمورا. وضعناه فى الصباح على الطائرة إلى بلاده.

ظهر فى مدخل الغرفة طفل وسيم فى حوالى السنتين من عمره يضع إصبعه فى فمه. تهللت أسارير الفندى وهتف به : بوش. تعال.

استدار الطفل فى حياء واستقر فى أحضان خادمة هندية أوسيريلانكية انحنى لالتقاطه.

قال لى الفندى: جاءنا فى أعقاب تحرير الكويت فأسميناه على اسم الرئيس الأمريكى.

وضعت ميليسيا قطارا كهربائيا على الأرض قرب الباب وركعت على ركبتيها لتقوم بتشغيله . كان ظهرها لنا وحانت منى نظرة الى الفندى فوجدت عينيه مثبتتين على مؤخرتها. نقلت البصر الى زوجته فوجدت عينيها على نفس المكان.

انتهت الفتاة من تشغيل القطار وبدأ يجرى على القضبان وأسفل الجسور وأمام المحطات. استلقت على الأرض الى جوار الطفلة تشاركها اللعب وفجأة اختلست النظر الى سيديها واعتدلت جالسة. وهمت بالنهوض لكن سيدتها أشارت إليها فاقتربت من مقعدها وركعت الى جواره فوق ركبتيها بحيث صار رأسها فى مستوى مسنده.

وضعت خديجة يدها فوق رأس ميليسيا وأخذت تتحسس شعرها وهى تحكى لشقيقة عن زيارتها المتعددة للعاصمة الانجليزية. ورأيت الأخيرة تحدق فيها

بانبهار. لم تكن فكرة التردد على لندن هي التي أثارت انبهار شفيقة وإنما قول خديجة أنها لا تجد في ذلك أى متعة :

- فى الصباح الإفطار ثم طبيب الأسنان من الواحدة حتى السابعة مساء وبعد ذلك أبحث عن مطعم لا أتعرض فيه لمعاكسات أو رذالات فأستقل تاكسى وأمر على كل المطاعم حتى أستقر على واحد يفتح لى أبوابه خصوصيا . وبعد ذلك إلى الشقة وحيدة مع التليفزيون .

أدرك الفنذى السؤال الذى تكوّن على لسان شفيقة فقال :

- أنا أفضل سنغافورة فهى أقرب من لندن بساعتين.

أعلنت المعلمة الفلبينية أن الطعام جاهز فنهضنا. وصدرت عن سعاد آهة وهى تضع يدها على صدرها الذى أو شك أن يقفز من الثوب المنفلت . أسرعت خولة تبحث لها عن دبائس تثبت بها صدر الثوب وانتقلنا الى قاعة مجاورة احتلتها مائدة مستديرة تغطى سطحها بصنوف الطعام من لحوم وأسماك وطيور ومشويات ومحشيات. ملأنا صحنونا وعدنا الى أماكننا وجلسنا نأكل فى صمت ونحن نستمع الى موسيقى غربية خفيفة.

عندما انتهينا كانت الساعة قد أشرفت على منتصف الليل. تبادلنا التهاني والأمنيات بينما يد سعاد لا تفارق صدرها. واقترح الفنذى أن نشرب الشاى فى قاعة أخرى.

تبعناه الى قاعة واسعة تناثرت فى جنباتها الوسائد العريضة الموشاة بالقصب وامتلأت جدرانها بلوحات المستشرقين. واكتملت الصورة بمصطبة فى أقصاها أحاطت بها الستائر الشفافة فبدت أشبه بكهف أو كوشة عرس . أزاح الفنذى الستائر وجلس معتمدا بمرفقه على الوسائد ثانيا ساقه اليسرى الى أعلى. دعانى لأن أجلس الى جواره فاضطجعت معتمدا على مرفقى الاثنين ماذا ساقى أمامى.

جلست شفيقة فى حذر وهى تثنى ساقها بصعوبة. وجاورتها سعاد وهى تجذب خولة فى حجرها. ومالت خولة على شفيقة قائلة :

- لولمست رداءها فى أى مكان ستتكشف حلمة صدرها.

جاءنا الشاى فى صوانى من الفضة. وأدارت خديجة شريطا لبشناق ثم استبدلته بآخر لوردة الجزائرية يضم أغنية «أتونس بيك».

قالت : ياللا يا سعاد.

شرعت تصفق وقلدناها فى حماس. وتدلت سعاد قليلا ثم تحججت بثوبها الذى سيكشف صدرها فعرضت عليها خديجة أن تبدله بأخر ثم أحضرت لها مشبكا معدنيا ولقاعة حريرية لفتها حول وسطها.

استسلمت سعاد أخيرا ونهضت ثم خطت وسط القاعة وما زالت يدها على صدرها وبدأت تهتز مع أغنية وردة وهى تنظر الى الأرض فى خجل. ولم تلبث أن اندمجت فى الرقص وأخذت تهز وسطها ببراعة تامة ونسيت أمر صدرها فأبعدت يدها عنه ولم تكثرث عندما سقط أحد الدبابيس وانحسر الثوب عن أعلى نهديها.

قال لى الفندى وهو ينهض واقفا : تعال معى . أريد أن أريك شيئا.
غادرنا القاعة وصعدنا الدرج إلى الطابق الثالث. ولجنا غرفة مكتب أنيقة ازدانت جدرانها بمجلدات الكتب داخل خزائن مغلقة. وتصدرها جهاز تليفزيون ضخم يحمل جهازا للفيديو.

أشار لى أن أجلس فوق أريكة مقابلة وفتح إحدى الخزائن وتناول منها شريطا وضعه فى الجهاز ثم جلس بالقرب منى وضغط زر الريموت.

لم تكن هناك أية مقدمات أو عناوين. احتلت الشاشة لقطة مهزوزة قليلا لطاولة مستطيلة يجلس ثلاثة أشخاص بالقرب من أحد طرفيها. كان أحدهم قصير القامة، ممتلئ الجسم، أصلع الرأس ، عصبى القسماط. وتحولت الكاميرا الى باب دلف منه رجال آخرون يحملون حقائب يد جلدية توزعوا حول الطاولة. كانت ملامحهم عربية أو شرق أوسطية. وبدا أن شيئا من الألفة يجمع بينهم رغم التوتر الظاهر على وجوههم. ثم دخل القاعة حارس مسلح بمدفع رشاش يحمل حقيبة واتجه الى رأس الطاولة. وتبعه آخر يحمل ترموس شاي. وضع الأول الحقيبة على الأرض قرب المقعد الفارغ الذى يتصدر الطاولة . بينما وضع الثانى ترموس الشاي أمامه. وخطا الأول نحو الباب ثم استدار فجأة رافعا رشاشه الى أعلى وصوبه الى ظهر الرجل الأصلع وأطلق عليه النار من أعلى إلى أسفل. وكان الحارس الثانى قد بدأ يطلق النار من رشاشه بينما انتقلت الكاميرا الى الجالسين الذين هبطوا أسفل الطاولة وهم يسحبون مسدساتهم ويطلقون النار على الحارسين.

انتهى الفيلم فجأة كما بدأ دون أن تتجاوز مدة العرض دقائق معدودة. بقيت

أتطلع الى الشاشة الفارغة فى بلاهة. لقطة من فيلم عن المافيا ؟ تدريب على عملية إرهابية ؟ استعدت مشهد المذبحة وقدرت أنه أقرب الى التمثيل منه الى تسجيل واقعة حقيقية.

سألنى : لم تعرف بعد ؟

هزرت رأسى نفيا.

قال : ألم تسمع عن مذبحة المكتب السياسى ؟

نبشت فى ذاكرتى عبثا فأضاف :

- عدن ٨٦.

تحركت بعض الذكريات التى قُبرت فى عنف.

استطرد: نسيت أوتتناسى ؟ واحد مثقف مثلك يجب ألا تغيب عنه هذه

الصفحة الدموية.

- لكن من الذى قام بالتصوير ؟ كاميرا خفية ؟

ضحك ولم يجب . أغلق الجهاز بالريموت وهب واقفا . استخرج الشريط

وأعاده الى مكانه فى الخزانة وأغلقها بالمفتاح . وجذب مصراعى الخزانة المجاورة

وانتقى ثلاثة مجلدات قدمها الى قائلا :

- اقرأها لتنعش ذاكرتك.

أضاف عندما تناولتها :

- هل عثرت على صديقك ؟

أليس فى هذا البلد أسرار ؟

أجبت بالنفى .

قال وهو يتقدمنى الى الباب :

- يمكننى أن أساعدك. سأعرض عليك صفقة . ما رأيك ؟

التفت الى ووضع يده على ذراعى فتطلعت اليه فى حيرة.

قلت : ليست لدى خبرة بالأعمال التجارية .

ضحك : المسألة لا تحتاج الى خبرة . هناك قاعدة واحدة : خذ وهات.

العقل والقلب أم اليوميات التى لم تعد معى ؟

استدار ناحية الدرج وبدأ يهبط وأنا فى أعقابه . وجدت شفيقة وفتحى يهمان

بالوقوف معربين عن رغبتهما فى الانصراف.

رافقنا صاحبها البيت حتى الباب الخارجى . وقادت شفيقة السيارة فى براعة
عبر الطرقات المهجورة وهى تعلق على السهرة :
- بنات مساكين . تعرف ماذا قالت لى أخت خديجة ؟ سألتنى إذا كنت
أخلع النظارة عندما .. عندما...

عابثتها قائلا : تقصدين عند ممارسة الجنس ؟
- حاذر فى الكلام .. يبدو أنك شربت كثيرا ..
صمتت غاضبة وضاعفت السرعة ثم اضطرت الى الإبطاء عندما أشرنا على
ميدان انتشرت فيه حلقات صغيرة من الهنود .

كنا فى الثانية صباحا . سألت : ايه الحكاية ؟ مظاهرة ؟

- أبدا . انهم يقضون السهرة وقوفا ليقتصدوا الريال الذى سيتكلفه كوب
شاي فى أى مقهى . الواحد منهم يتقاضى خمسين ريالا ويحاول الحياة بالحد
الأدنى ليتمكن من إرسال نفود الى أهله .

أضاف بعد لحظة : مساكين . يعيشون أربعين فى غرفة . ولا يتمتعون بأى
حقوق ولو أقاموا هنا خمسين سنة . وفى أى لحظة يمكن أن يجدوا أنفسهم على
طائرة .

خرجت شفيقة عن صمتها وقالت :

- هل سمعت التصريح الذى أدلى به السفير الهندى فى الإمارات عندما
سُئل عن مشكلة التفاهم بين العرب والهنود؟ قال إنه لا توجد أى مشكلة لأن
أكثرية الشارع - ٦٠ بالمائة - تتكلم الأوردية .

عادت شفيقة بعد قليل الى سهرة الليلة :

- ميليسيا مستغربة وقلقة . حاولت طمأنتها فقلت لها أن المدام تحبها .
تعرف ماذا قالت ؟

كان فتحى مدربا على أسلوب الحوار مع زوجته فجارها قائلا : لا . ماذا
قالت ؟

- سألتنى : ولماذا تحبى المدام ؟ المسكينة تحب ولدا من بلدها وهو هنا
فى مسقط لكن المدام منعتها من رؤيته . قالت لى إنها تحلم باليوم الذى تعود فيه
إلى بلدها . وهى مذهولة من مظاهر الثراء هنا . ذهبت مرة مع اسرة الفندى إلى

عرس في أحد الفنادق تكلف ١٦٠ ألف ريال والمغني وحده أخذ ٣٠ ألف ريال.
ثم سألتني : لو معك فلوس تنفقيها هكذا؟
جاء دوري فسألتها : صحيح .. لو معك فلوس كيف تنفقيها ؟
قالت بلهجة حالمة : أذهب إلى لندن ببطاقة وان وای.

استيقظت فجأة مبلا بالعرق . أضأت مصباح الغرفة من زرقيب وتناولت
كوب ماء من فوق منضدة صغيرة بجواری. ثم نهضت ومضيت إلى النافذة
وأخذت أتأمل الجبال الموحشة الجائمة خلفها . استعدت المشهد الدموي الذي لم
يدم عل الشاشة أكثر من دقائق معدودة لكنه نكأ جراحا نزت عدة سنوات.

عدت الى الأريكة فجلست وتناولت إحدى المجلدات التي أعطانيها
الفندي وعكفت على قراءتها طيلة الأيام الأربعة الماضية. كانت تعكس وجهات
نظر متباينة وتستند الى شهادات متناقضة. ومع ذلك كان من شأنها تحريك
الذكريات الراكدة وإعادة تكوين الخطوط العامة للمشهد المأساوي.

فمنذ البداية عانت عدن من صعوبات اقتصادية جمّة لكن قادتها كانوا ما
زالوا يؤمنون بقدرة نهجهم الثوري على إحداث تغيير جذري في منطقة الخليج
والجزيرة ولهذا ساندوا الجبهات المتعددة وعلى رأسها جبهة ظفار. ولا بد أنهم تلقوا
ضربة قاصمة عندما أعلن السلطان قابوس دحر الثوار في ١١ ديسمبر ٧٥ أمام
خمسين ألف مواطن. وتلا ذلك إعلان العفو العام فاستسلم حوالي ألفين من
الثوار وانتفع الأهالي بـ «مكرمات» السلطان من التليفزيون الملون في الأماكن
العامة الى البومبون الذي ألقته عليهم طائرات سلاح الجو السلطاني . ولم تمض
ثلاثة شهور حتى حدثت المعجزة ووقع السلطان اتفاقية هدنة مع اليمن الجنوبي .
وتردد في هذا الصدد أن السعودية قدمت مساهمة مالية كبرى لعدن ووعدت
بتمويل إنشاء مصفاة للنفط بها.

والواقع أن عدن كانت في أمس الحاجة للمساعدة وهو الأمر الذي عزز
داخلها التناقض المألوف بين الدولة والثورة . وخطا النظام مسافة بعيدة عن الأيام

الحافلة قبل ثلاث سنوات عندما اجتاحتها حمى التأميمات لحوانيت الفواكه والخضار والأسماك واللحوم، وسارت الجماهير تهتف: «يا سالمين لا تنسى / باقى الدكاكين والتاكسى». لكن شعبية الرئيس سالمين لم تتأثر بالصعوبات وهى التى استندت الى بساطته وحرصه على التواجد مع الناس وحل مشاكلها وخبرته الطويلة فى التحكيم بين القبائل وضيقة البيروقراطية وغرامه بالالتفاف حولها بقرارات مباشرة. ومن ناحية أخرى أدى ذلك الى تعزيز سلطانه وإثارة حفيظة القادة الآخرين وتوجساتهم، فتكتلوا فى سبتمبر ٧٦ ونجحوا فى إقناع أغلبية اللجنة المركزية باتخاذ قرارات تحد من سلطانه، لكنها لم تكن كافية لانتزاع فتيل الصراع.

فى الصيف التالى عاد على عنتر من موسكو بعد أن اجتاز دورة عسكرية أكاديمية (وكان قد تعلم مبادئ القراءة والكتابة حديثا) ليجد الخلافات على أشدها بين سالمين وغالبية أعضاء المكتب السياسى بما فيهم على ناصر ومجموعته بزعامه عبد الفتاح اسماعيل. وبادر هؤلاء بترشيح على عنتر لمنصب وزير الدفاع فاعترض سالمين بشدة خوفا من أن يصبح الجيش فى يد خصومه. وكان على عنتر معروفا بالسذاجة والعصابية. وتردد أن سالمين قال فى حضوره: على عنتر مجنون ومثل تشومبى وسيعمل بلبله. وتردد أيضا أن على عنتر - الذى كان يحب سالمين ومسحورا بشخصه - رد عليه قائلا: «أنا أو أنت فى البلد».

استمر الصراع بين الجانبين وفسره كثير من المراقبين بأنه صراع فكرى تارة بين القوى الموالية للسوفييت بزعامه عبد الفتاح إسماعيل (الذى كان يعتبر نفسه منظرا ويحيط نفسه بهالة لينينية) وبين القوى الموالية للصين بزعامه سالمين (الذى لم يكن يخفى إعجابه بالنموذج الصينى) وتارة أخرى بين الثوريين وبين الذين يسعون للارتقاء فى أحضان الرجعية العربية. لكن الأحداث أثبتت خطأ كل هذه التفسيرات. فالسياسة الخارجية لم تكن أبدا محل خلاف حقيقى.

وبالمثل كان الموقف من قضية الوجودة اليمينية التى كانت مطلب كل اليمينيين فى الشمال والجنوب. فقد رأت قيادة عدن التريث فى أمرها كى لا تتم لصالح القوى الرجعية فى الشمال. لكن الانقلاب الذى قام به المقدم الحمدي فى يونيو ٧٤ أفرز معطيات جديدة. إذ كان الحمدي متنورا معاديا للإقطاع والقبلية

كما كانت تربطه بسالمين علاقة قديمة منذ الخلايا الأولى لتنظيمات القوميين العرب. ووجد الاثنان فى الوحدة بين الشطرين حلا لمشاكلهما : فمن شأنها أن تعزز موقف الأول ضد غلاة الرجعيين والقبائل المدعومة من السعودية وتدعم موقف الثانى فى مواجهة خصومه.

تعددت تصريحات الرئيسين بشأن الوحدة وبدا تحقيقها أمرا قريب المنال مما أثار قلق عواصم كثيرة فى الجزيرة وخارجها وخاصة بعد تصريح للحمدي عن ضرورة تأمين البحر الأحمر وإبعاده عن سيطرة القوى الاستعمارية والرجعية . وبلغ القلق أوجه عندما قرر زيارة عدن فى ١١ أكتوبر ٧٧ ليعلن عن خطوات جديدة فى طريق الوحدة . وهى زيارة لم يقدر لها أن تتم .

فى العاشر من أكتوبر ٧٧ دعاه نائبه العقيد الغشمى الى منزله . وعندما وصل الحمدي فى سيارته الخاصة الفولكس فاجن التى قادها بنفسه فوجئ بأخيه مقتولا ولم يلبث ان لحق به . وقيل فيما بعد إن الزيارة كانت تروحية اشتملت على لقاء بفتاتين فرنسييتين عثر على جثتيهما . وتردد أيضا أن اغتيال الحمدي تم فى حضور الملحق العسكري لأحد البلدان العربية المجاورة فضلا عن قائد أحد الألوية اليمنية الذى صار شخصية مرموقة فيما بعد. وقع ذلك قبل شهر من الزيارة المشثومة التى قام بها أنور السادات الى القدس وقلبت كثيرا من الموازين وغطت أنباؤها على كل حدث آخر. هكذا انزوى الحادث الدموى وتولى العقيد الغشمى رئاسة اليمن الشمالى فى هدوء. ولم تمض شهور قليلة حتى كان وزير الدفاع الأمريكى يتفق فى السعودية على تزويد اليمن الشمالى بدبابات أمريكية و نفقات ف - ٥ مع خبراء أمريكيين بمبلغ ٣٠٠ مليون دولار تدفعها المملكة .

وفى ٢١ يونيو ٧٨ اتصل سالمين بالغشمى وقال له إنه سيعيد إليه بعد ثلاثة أيام عددا من شيوخ القبائل المختطفين على متن طائرة خاصة يرافقهم مندوب سيرعرض عليه وثائق هامة .

وفى يوم ٢٤ يونيو وصلت الطائرة التى تقل شيوخ القبائل ومندوب الرئيس اليمنى الجنوبى الذى حمل حقيبة خاصة أصر على أن يسلمها بيده للرئيس الغشمى . اقتيد المندوب إلى مقر الرئيس حيث سلمه الحقيبة . وعندما هم الأخير بفتحها انفجرت فيه وأودت بحياة الاثنين.

اتهمت صنعاء على الفور سالمين بأنه وراء الأغبتيال بدافع الإنتقام لمقتل صديقه. وردت حكومة عدن على لسان رئيسها على ناصر محمد بشجب الاغبتيال.

وفى اليوم التالى ذهب فضل الله محسن عضو المكتب السياسى (وشقيق زوجة عبد الفتاح اسماعيل) مع اثنين من رفاقه إلى صالح مصلح وزير الداخلية لإقناعه بتحديد موقف ضد سالمين . جرى اللقاء فى جو شديد التوتر وكل طرف يرقب حركة يد الآخر حتى لا تصل إلى المسدس قبله. وقال له فضل الله : لن أخرج من هنا أنت أونحن أحياء قبل الاتفاق على موقف. وحاول صالح أن يفدى سالمين بحياته فقال إنه هو الذى قتل الغشمى من أجل تحقيق الوحدة اليمنية. وإنه انتقى واحدا من قدامى الفدائيين (مهدى الذى عرف باسم الحاج تفارشى أى رفيق بالروسية بسبب الدورة الدراسية التى قام بها فى الاتحاد السوفيتى) وعهد اليه بالحقيبة المملوغة بعد ان أفنعه بالاستشهاد من أجل الهدف النبيل. وأقيم للفدائي حفل خاص تم تصويره بالفيديو تقديرا لصلابته وتفانيه.

توجه فضل الله محسن على الفور الى قصر الرئاسة بصحبة على عنتر ومطيع وعرضوا على سالمين الاستقالة حقنا للدماء. ونجحوا فى إقناعه بعد أن تعهدوا له بأن يتم خروجه من السلطة والبلاد بشكل مشرف. واجتمعت اللجنة المركزية لتعيد تشكيل مجلس الرئاسة ليضم على ناصر محمد رئيسا مع عبد الفتاح إسماعيل ومحمد صالح مطيع وعلى عنتر وعلى باذيب (ممثل الشيوعيين). وأصدرت اللجنة قرارا بتجريد الرئيس سالمين من كافة مناصبه الحزبية والرسمية وتكليف على عنتر وصالح مصلح وصالح مطيع بوداعه فى المطار.

وفيما بعد قيل إن على صالح عباد (مقبل)، الذى دبر مع سالمين انتفاضة ٦٨ ضد قحطان الشعبى، غادر الاجتماع واتصل بسالمين وأبلغه أن الفرصة مواتية لضرب اللجنة المركزية والتخلص من كافة خصومه دفعة واحدة . كما قيل من ناحية أخرى إن ضابطا فى الحرس الرئاسى يدعى أم زربة غضب لقرار تجريد سالمين فأشعل الصدام الدموى بمبادرة فردية منه.

ففى أعقاب انتهاء اجتماع اللجنة المركزية انصرف الجميع إلى بيوتهم وتوجه عبد الفتاح إسماعيل وعلى ناصر وصالح مصلح وعلى عنتر ومحمد صالح

مطيع وفضل الله محسن إلى منزل على ناصر للاحتفال بالانتصار على سالمين. فلم تكن تنحيته بالأمر السهل كما أنها قدمت حلا للمشكلة مع الشمال التي فجرها اغتيال الغشمى .

وبينما هم يتبادلون الأنخاب أطلقت النيران والمدافع فى الساعة الثانية من فجر ٢٦ فأصدروا أوامره للطيّران والبحرية بضرب قصر الرئاسة واستمر القصف حتى السادسة مساء عندما أخذت كل مقاومة وحوصر القصر. وجرى توجيه نداء إلى الرئيس بالميكروفون بالاستسلام فخرج معه عضو فى المكتب السياسى وآخر من اللجنة المركزية ونقل الثلاثة إلى مقر المكتب السياسى حيث حوكموا بسرعة وأعدموا معا. وأعلنت اللجنة المركزية فى بيان للشعب نبأ احباط محاولة انقلابية قام بها سالمين . واختتمت البيان بالشعار التقليدى : «عاشت القيادة الجماعية ولتسقط وإلى الأبد النزعة الفردية» . أما صالح مصلح فلم يحاكم أو يتعرض للمسائلة. ووضع بقية أنصار سالم ربيع فى السجن وعلى رأسهم على صالح عباد (مقبل) الذى بقى خمس سنوات وراء القضبان.

تلا ذلك انعقاد المؤتمر التأسيسى الأول للحزب الاشتراكى اليمنى الذى قرر بإقتراح من على ناصر محمد أن يتولى أمينه العام عبد الفتاح إسماعيل رئاسة الدولة، من أجل تعزيز سلطة الحزب، على الطريقة السوفييتية. وتشكل مكتب سياسى من عبد الفتاح إسماعيل، على ناصر محمد، محمد صالح مطيع، صالح مصلح، على سالم البيض، محسن، وآخرين . أما رئاسة الوزارة فقد عهد بها إلى على ناصر. ودحضا لما تردد عن الخلافات الأيديولوجية بشأن السياسة الخارجية أقر المؤتمر التعايش السلمى مع الدول الخليجية . وخرج على ناصر محمد فى وضع الرجل الثانى فى الدولة .

لكن الصراع لم ينته فقد شهدت الشهور التالية استعدادات محمومة من كافة الأطراف، المحلية والخارجى، لجولة جديدة ، استخدمت فيها كافة الوسائل من الذهب إلى العصبية القبلية والمناطقية . ودارت المواجهة الأولى حول جهاز المخابرات العسكرية : هل يتبع وزارة الدفاع (على عنتر) أم أمن الدولة (محسن) ؟ ويبدو أن على ناصر أفهم على عنتر أن محسن يعمل من أجل السيطرة على الجيش بايعاز من عبد الفتاح إسماعيل، وأبلغه أنه يقف إلى جانبه كما أبلغ محسن بأنه

يؤيده ويقف إلى جانبه . وحلت الأزمة بتشكيل لجنة لأمن الدولة تتبع رئيس الوزراء على ناصر الذي أصبح له نتيجة ذلك وجود مباشر داخل الجيش .

ترددت من جديد الشائعات حول الصراع الدائر واضطر عبد الفتاح إسماعيل لأن يعلن في مارس ١٩٨٠ : «إن قرارنا تتخذ دائما بشكل جماعي . والذين ينتظرون جولة صراع قادمة على السلطة في عدن سيطول انتظارهم» .

لكن الانتظار لم يطل ، وكان عبد الفتاح اسماعيل نفسه هو ضحية الجولة الجديدة .

فقد نجح على ناصر في إقناعه بأن عددا من قادة الحزب لم يعودوا مؤهلين لتحمل أعباء مهام المرحلة القادمة مثل علي عنتر وصالح مصلح ، اللذين وصفهما بأنهما قتلة متوحشين . وفي نفس الوقت كان يردد أمامهما أن عبد الفتاح رجل مثقف ومنظر وشاعر وأديب يعيش في برج عاجي ولا يصلح كرجل دولة أو زعيم حزب وأنه محاط بالمثقفين والأدباء وينظر إلى قادة الحزب القدامى على أنهم متوحشون .

وفي مطلع شهر أبريل أبلغ على ناصر عبد الفتاح اسماعيل بأن هناك تكتلا في المكتب السياسي يهدف إلى إبعاده - أي اسماعيل - وإحلاله هو مكانه لكنه ، أي على ناصر ، لا يشرفه أن يتحمل المسؤولية من بعده ولهذا قرأ أن يستقيل . وتبين عبد الفتاح من ذلك أن أحدا لم يعد يقف الى صفه في المكتب السياسي فقرر الاستقالة وطلب من على ناصر أن يحل محله .

وفي ٢٠ أبريل ١٩٨٠ عقدت اللجنة المركزية اجتماعا منع عبد الفتاح اسماعيل قسرا من حضوره . وفي جو من الإرهاب والتلويح باستخدام العنف قاده على عنتر تقرر قبول استقالة عبد الفتاح إسماعيل لأسباب صحية من منصبه الأمين العام للحزب ورئيس الدولة . وعهد بالمنصبين إلى على ناصر محمد إلى جانب رئاسة الوزراء . واستحدث منصب جديد لعبد الفتاح ، على الطريقة العراقية ، هو رئيس الحزب . وفي احتفال خاص قلده على ناصر وسام ثورة ١٤ أكتوبر . وعلى الطريقة العراقية أيضا شيع في إجلال إلى المطارومنه إلى المنفى في موسكو . وأصبح الرجل الثاني في الحزب هو محمد صالح مطيع وزير الخارجية المثقف ، الدبلوماسي ، وأحد أبرز الفدائيين في حرب التحرير ، الذي تحمس لتنحية سالمين ثم عبد الفتاح .

حصل على ناصر محمد أخييرا على السلطة الكاملة لكنه لم يشعر بالاطمئنان لوجود محمد صالح مطيع إلى جواره فأبلغ المكتب السياسي بعد أربعة شهور بوجود مؤامرة بينه ودولة إجنبية لإحداث انقلاب فتم اعتقاله بالرغم من دفاع على عنتر عنه.

لكن قدامى القادة من أعضاء المكتب السياسي ظلوا شوكة في الحلق. وسعى على ناصر إلى التخلص منهم فدعا إلى مؤتمر استثنائي للحزب بعد شهرين . وعمل بدهاء على أن تأتي انتخابات المندوبين للمؤتمر من أنصاره. وعندما انعقد المؤتمر قال لأعضاء المكتب السياسي إن نتائج إنتخابات المندوبين عبرت عن رأى القاعدة وكشفت عن تراجع الثقة فيهم وإن الجماهير لم تعد تطمئن لهم. وطلب الكلمة عبد العزيز عبد الولي الذي عرف بمثاليته وطيبته وسداجته فقال : «سيادة الأمين العام أنا شخصيا أتخلى عن عضوية المكتب السياسي وأقترح أن نعطي نحن القدامى الفرصة لوجوه جديدة». أقر الآخرون الإقتراح وتشكل مكتب جديد ليس به من القدامى سوى على ناصر وعلى عنتر.

لم تشفع مبادرة عبد العزيز عبد الولي له . فلدى تفتيش مسافر إلى دمشق عثر على رسالة منه إلى صديقه السفير العدني في سوريا قال فيها إن بين أعضاء المكتب السياسي الجديد من تعتبر البصقة في وجوههم خسارة. وقرر المكتب السياسي على الفور عزله من منصبه الوزاري وإبعاده إلى برلين الشرقية ليتابع دراساته الأكاديمية العليا حيث مات مسمما في ١٩٨٣ .

ولم تمض سبعة شهور حتى حل دور على سالم البيض. فقد وجهت إليه تهمة انتهاك قانون الأسرة الذي يجرم تعدد الزوجات. وأبعد عن اللجنة المركزية والحكومة التي كان يشغل فيها منصب نائب لرئيس الوزراء.

وفي الشهر التالي ، انتهازا لفرصة وجود على عنتر في الهند ، أعدم محمد صالح مطيع دون محاكمة . وثار على عنتر عند عودته وبدأ يهاجم محاولة انفراد على ناصر بالسلطة وتحدث أمام عدد من الضباط عن الحاجة إلى إجراء حركة تصحيحية تعيد إلى القيادة الجماعية معناها.

بلغت الأنباء على ناصر فعمل على إبعاد على عنتر عن الجيش فتم تعيينه (على طريقة الرفس إلى أعلى) نائبا لرئيس الوزراء و وزيرا لشئون الحكم المحلي

وأُسند الدفاع لصالح مصلح قاسم الذي عرف عنه الانضباط الشديد ورفض حل الخلافات خارج الأطر الشرعية والحرص على القيام بدور حمامة سلام بين التيارات والأطراف المتنازعة.

ثم وقع ما دفع بالأمر الى المواجهة. إذ قبض على حسين قماطة القائد العام السابق لقوات الميليشيا وعضو اللجنة المركزية للحزب ووجهت إليه عدة تهم لم تنتشر. وقبل أن يحاكم قتل داخل سجنه. وشعر خصوم على ناصر بالخطر فبدأوا يتجمعون ويتصلون بعبد الفتاح اسماعيل في موسكو. ورد على ناصر بمحاولة استمالة على عنتر فعمل على تعيينه نائبا لرئيس الدولة كما عين على سالم البيض وزيرا للإدارة المحلية دون اعتبار لقانون الأسرة.

تكونت تحالفات وتوازنات جديدة استخدمت فيها الانتماءات القبلية والمناطقية بل والأغلبية الأيديولوجية إذ وجهت إلى على ناصر نفس الاتهامات التي سبق توجيهها لسالمين بشأن سياسة المهادنة للأنظمة الخليجية. وكانت هناك مؤشرات تشجع هذه الاتهامات إذ ظهرت في الأسواق سلع بتمويل سعودي على رأسها التفاح الأمريكي وسفن أب (تماما كما حدث في مصر في بداية الانفتاح) وأصدر على ناصر أمرا بمنع تفتيش الحقائق القادمة من الشمال فانهمرت الأجهزة الكهربائية والتلفزيونات بل وحقائب النقود. وفي خريف ١٩٨٣ هرع على عنتر الى موسكو لينتقد نفسه أمام عبد الفتاح إسماعيل وتبعه صالح مصلح في العام التالي . وأراد على ناصر أن يقطع عليهما الطريق فطار هو أيضا الى موسكو وعرض على عبد الفتاح اسماعيل العودة، في محاولة لإقامة تحالف معه .

أسفرت هذه الاتصالات عن قرار للمكتب السياسي في فبراير ١٩٨٥ بعودة عبد الفتاح إسماعيل إلى منصب متواضع في سكرتارية اللجنة المركزية وبضم أعضاء جدد للمكتب السياسي يجعل لخصوم الرئيس على ناصر أغلبية. وانتخب حيدر أبو بكر العطاس (من أنصار عبد الفتاح) لرئاسة الوزارة بدلا من على ناصر الذي شغلها لمدة ١٤ سنة متواصلة وأعلنت استقالته كي يتفرغ لقيادة الحزب والدولة.

لم تنجح هذه الترتيبات في إزالة التوتر السائد بين الغرماء . وعقدت جلسات حوار مطولة، شارك في بعضها جورج حبش ونايف حواتمة، استعدادا لانتخابات المؤتمر العام للحزب، أقرت اقتراحا من على ناصر بمركزة عملية الانتخابات

ووضع ضوابط لها على الطريقة السوفيتية بالاتفاق المسبق على الأسماء وعدم السماح بسقوط أى منها حتى ولو اعترضت الغالبية .

جرت انتخابات مندوبى المؤتمر كما هو مقرربطريقة توفيقية وصورية سمحت لطرفى الصراع بترتيب النتائج كل لصالحه . وكانت النتيجة النهائية هى تعميق الصراع بدلا من حله أو تخفيفه. ولاح شبح المواجهة الحاسمة فى الأفق. وتوافدت وفود الأحزاب الشيوعية واليسارية العربية للتوسط. وشاركت فى هذه المحاولات السفارة السوفيتية التى لزمت الحياد التام بين الجانبين .

وفى ٩ يناير ١٩٨٦ اجتمع المكتب السياسى ليناقدش اقتراحا من أنصار عبد الفتاح باسناد الدائرة التنظيمية له بحيث يصبح الشخص الثانى فى الحزب ولم يتم التوصل إلى اتفاق فأرجئ الاجتماع إلى الساعة العاشرة من صباح الإثنين ١٣ يناير.

توافد أعضاء المكتب السياسى على مقر اللجنة المركزية فى الموعد المحدد . وعندما وصل على سالم البيض وجد فى القاعة عبد الفتاح إسماعيل وعلى عنتر وصالح مصيلح وسالم صالح وعلى شايح هادى، أى جميع الأعضاء المناوئين للرئيس على ناصر (عدا حيدر العطاس الذى كان فى الهند) دون أحد من أنصاره. ولم ينتبه الحضور الى مغزى الأمر لأنهم شاهدوا لدى وصولهم الى ساحة المبنى سيارة على ناصر وأفراد حراسته كما أن سكرتيرته أبلغتهم بوجوده وأنه سينضم اليهم بعد الانتهاء من اجتماع هام.

بعد قليل دخل القاعة حسان، أحد حراس على ناصر، وهو يحمل حقيبة الأمين العام حيث وضعها على الأرض قرب المقعد المخصص له. ثم استدار ووجه مدفعه الرشاش إلى ظهر على عنتر وأطلق عليه النار من أعلى إلى أسفل. هبط أعضاء المكتب السياسى الآخرون على الفور تحت الطاولة بعد أن سحب كل واحد منهم مسدسه وأخذوا يطلقون النار على حسان وعلى حارس آخر كان قد دخل القاعة ليضع ترموس شاي أمام مقعد على ناصر وشارك فى إطلاق النار على الحاضرين.

إلتجأ الأعضاء الأحياء وهم عبد الفتاح إسماعيل وعلى سالم البيض وسالم صالح إلى غرفة خلفية ومزقوا ستائر نافذتها ثم عقدوها على صورة حبل ودلوا إلى أحد حراس عبد الفتاح وحصلوا منه على رشاشين .

خلال ذلك تمت تصفية الجزء الأغلب من أفراد حراسات أعضاء المكتب السياسى فى ساحة المبني بشكل جماعى . وفى نفس الوقت كانت تجرى مذبحه جماعية أخرى بنفس الطريقة فى إجتماعات عقدت على كافة المستويات الحزبية والعسكرية وخاصة فى وزارات الدفاع والداخلية وأمن الدولة بزعم بحث احتمال وقوع عدوان إسرائيلى على عدن. وتمركزت القوات الموالية لعلى ناصر فى مفارق الطرق وسيطرت على العاصمة وأخذت تعتقل وتقتل غير الموالين . وقامت قطع البحرية والمدفعية بقصف منازل البارزين منهم ودكت بيت عبد الفتاح اسماعيل.

انعدت السيطرة على عدن للقوات الموالية للرئيس على ناصر، فشرع فى المرحلة الثانية من خطته. لف أحد ذراعيه بضماد طبي ليبدو كأنه أصيب فى تبادل لإطلاق النار، واستقل سيارته إلى محافظته أبين بينما أذيع فى الثالثة بعد الظهر بيان باسم المكتب السياسى أعلن إحباط محاولة انقلابية إستهدفت اغتيال الرئيس والانقلاب ضد الشرعية الحزبية والدستورية التى يمثلها. كما أعلن أنه قدتم تنفيذ حكم الإعدام فى كل من عبد الفتاح إسماعيل، على عنتر، على سالم البيض، على شايح هادى .

وفيما بعد ذكر على سالم البيض أن عبد الفتاح إسماعيل هرب فى مدرعة من مقراللجنة المركزية واحترق داخلها عندما تعرضت للقصف . أما هوقد استقل مدرعة أخرى وتركها بعد أن سارت به ثلاثين مترا وظل متخفيا فى نفس المنطقة مساء الإثنين ويوم الثلاثاء حتى فجر الأربعاء يجرى الإتصالات الهاتفية برفاقه ويوجه عمليات المقاومة ! فبينما انحازت أغلب القطع البحرية إلى جانب على ناصر، انضمت المدرعات إلى خصومه. وفى مرحلة من المراحل أصبح القتال يدور بشكل رئيسى بين الدبابات التى نجحت فى دخول عدن وبين القطع البحرية المرابطة فى عرض البحر.

استمر القتال تسعة أيام سقط خلالها وفقا للإحصاءات الرسمية ٤٣٣٠ قتيلًا وقدرت الخسائر المادية ب ٦ ، ٣٩ مليون دينار، وأسفر عن فقدان على ناصر للسيطرة على العاصمة. وعندما أيقن بالهزيمة فر إلى صنعاء بصحبة على صالح عباد (مقبل) ومنها إلى أثيوبيا.

وما إن استتب الأمر لمن بقى على قيد الحياة من خصومه الأيديولوجيين
بزعامة على سالم البيض حتى أعلنوا التزامهم بنفس السياسة الخارجية التي سار عليها
كل من على ناصر وسالم ربيع من قبل. فأكد البلاغ الصحفى الصادر عن
رئاسة الدولة «...حرص بلادنا على مواصلة جهودها لتعزيز علاقاتها مع جارتها
السعودية على أساس مبادئ الأخوة وحسن الجوار والإحترام المتبادل وعدم
التدخل... وكذلك تعزيز علاقاتها الأخوية مع سلطنة عمان على أساس اتفاق
المبادئ الموقع عليه من قبل الحكومتين...».

*** ٥

عاد فتحي من المركز قبل الظهر ليصحبني الى المستشفى السلطاني بعد
أن اشتدت آلام ظهري وحالت بينى وبين النوم طول الليل . تعاون هو وجوهر على
مساعدتى فى الانتقال من المصعد الى السيارة وربط حزام الأمان .

قال ونحن نخرج الى شارع قابوس :

- قابلت الفندى فى الصباح وكلمته فى موضوع شفيقة . قال لى إن الأمر
خرج من يده. عبارة غريبة. أليس كذلك ؟

تجاهلت ملاحظته وقلت : وماذا ستفعل الآن ؟

قال فى وجوم : سألجأ الى السلطان.

كان المستشفى فى مبنى حديث رحب مكتظ بالمرضى الذين يبدو
عليهم العناء وتوحى ملابسهم وقسماتهم ونظراتهم المتوجسة بأنهم قدموا من
أماكن نائية. مشيت بحرص عبر قاعات تكدست بها أحدث الأجهزة وأقلنا المصعد
الى الطابق الثالث. استقبلنى طبيب مالا ييزى بدا ضيقا بى ولم تتمكن من التفاهم
بالانجليزية التى يتكلمها كل منا بلهجة مختلفة. طلب منى أن أتعرى ثم فحصنى
فى عجلة وأحالنى لعمل أشعة. وعدت بها اليه فألقى عليها نظرة سريعة وكتب لى
أقراص فولتارين وعدة جلسات من العلاج الطبيعى. طلبت منه أن يشرح لى حالتى
فتمتم بيضع كلمات لم أفهم منها شيئاً واحتد على عندما نبهته الى أنه أخطأ فى
كتابة اسمى.

صحبني فتحتني الى جناح العلاج الطبيعي وتركني ليري أحد معارفه. جلست في ممر قصير أنتظر دورى وتسليت بقراءة صحيفة اليوم. لم يكن بها جديد: مذابح عرقية بين الهندوس والمسلمين فى الهند ، وبين الصرب والبوسنيين فى يوغوسلافيا، ومازال الفلسطينيون المبعدون فى موقعهم على الحدود اللبنانية. وكانت هناك إشارة الى تقرير أمام الجامعة العربية بشأن ١٢ ألف طفل فلسطينى أصيبوا بالإعاقة على يد القوات الاسرائيلية ، بينهم ٦٠٠٠ طفل تقل أعمارهم عن ١٦ سنة فقدوا أطرافهم وحواسهم من جراء الرصاص المطاطى وقنابل الغاز وبعضهم أصيبوا داخل أرحام أمهاتهم.

قلبت الصفحات فاستوقفنى إعلان احتل مساحة بارزة :

«دانهيل تقدم يوناتيد بيت، حفلة عارمة من الرقص والموسيقى، ببيسى بالتعاون مع فندق الفلج، الساعة الثامنة والنصف مساء ببركة السباحة المطرب والراقص العالمى الشهير شيامك دافار، التذاكر فى بيتزا هت ومركز التزلج على الجليد وأماكن أخرى».

سمعت نداء على اسمى بلهجة أجنبية وظهرت فى مدخل إحدى الغرف طيبة هندية . كانت سمراء متوسطة القامة والعمر والجمال ذات وجه مستدير تزينه النقطة الحمراء التقليدية فى منتصف الجبهة. لكن قسماته خلت من الحيوية وأنبأتنى بأن صاحبته فى المكان الذى أعرفه جيدا. وعندما تبينت جنسيتى تجلت فى عينيها ومضة اهتمام سرعان ما خبت .

قادتني الى قمره صغيرة محاطة بالستائر ومددتني فوق وسادة من الجلد أوصلتها بأحد الأجهزة وتركتني . وسرعان ما بدأت استمتع بانتشار الحرارة فى أنحاء ظهري.

لمحت من فرجة فى الستائر الحائط الملاصق لمكتبها. كانت تتوسطه صورة حديثة للسلطان ثبتت تحتها بالدبابيس عدة رسومات طفولية لأشجار وبيوت وسيارات . اقتربت منى بعد دقائق وعدلت فى صمامات الجهاز. سألتها عن الرسومات المعلقة فأشرق وجهها وقالت إنها لطفلتها. وعلمت أن الطفلة فى عامها الثانى بالمدرسة الابتدائية فى بومباى. تجنبت المزيد من الأسئلة كى لا أنكأ جراحا نطقت بها عيناها .

أرادت أن تعطيني موعدا لجلسة ثانية في بداية الأسبوع القادم فقلت لها إنى
سأسافر خلال أيام. نصحتنى بأن أقضى الوقت من الآن وحتى سفرى راقدا فوق
سطح صلب وان أوصل العلاج الطبيعى فى أقرب وقت.

أهديتها قلما للحبر الجاف نقشت عليه رموز فرعونية فأخذته فى فرح
الأطفال. طلبت منى أن أكتب لها عنوانى فى مصر. وكتبت لى عنوانها فى كل
من مسقط وبومباى.

صرفنا الدواء مجانا وعدنا الى المنزل فبسط لى فتحى بطانية مطوية فوق
السجادة وتمددت على ظهرى. وضع الى جوارى عدة كتب وصحيفة اليوم وأراد
أن يعد لى غداء فرفضت قائلا إنى سأنتظر عودة شفيقة . أحضر لى جهاز راديو
وعاد الى عمله.

كانت الفكرة أن يبقى رأسى على نفس المستوى مع بقية ظهرى وبالتالي
لم أستخدم وسادة . وبدت القراءة صعبة فى هذا الوضع فأدرت الراديو. تنقلت بين
المحطات الى أن عثرت على برنامج من أغانى عبد الوهاب القديمة .

إذا كانت البيرة ومضاعفاتها من محظورات شفيقة فإن موسيقى وأغانى عبد
الوهاب هى محظورات زوجها الوحيدة . فبعد الوهاب - فى رأى فتحى - هو الذى
خرّب الموسيقى العربية وحولها الى مسخ مقطوع النسب مستعينا بأفضل أنغام
الموسيقى الغربية، الكلاسيكية والخفيفة. أما أنا فكنت فى مراهقتى قد توحدت مع
بكائياته التى اشتهر بها فى الأربعينيات والخمسينيات وتغنت بالشكوى من النسيان
والهجران حينما واستعذابهما حينما آخر. وعندما تقدم بى العمر والنضج هجرتها الى
أغانيه الأولى التى تتميز بعذوبة الكلمات والألحان وبساطتهما فضلا عن عنفوان
الصوت ونقاوته. وأعطانى غياب فتحى فرصة الاستمتاع بساعة منها بدأت بأجيبها
الى قلبى وهى أغانى فيلم «الوردة البيضاء».

عادت شفيقة من الإذاعة عند العصر. ناديت عليها فأطلت على برأسها
المحجب. وعندما رأتنى مستلقيا على الأرض سألتنى عما فعلت فى المستشفى.

قلت : طلبوا منى الرقاد هكذا لمدة شهر.

بدت عليها البغته فضحكت . قلت :

- اطمأنى . سأسافر فى موعدى .

أعددت خمسة ريات عمانية ضريبة المغادرة وودعت فتحى. وضعت حقيبتى فى جهاز الكشف الأمنى وعبرت البوابة الألكترونية ثم استعدت حقيبة اليد وتلفت حولى بحثا عن طريقة لنقل الحقيبة الأخرى. أغنانى ضابط الجمرى عن الجهد إذ دفعها جانبا ورفعها الى منضدة مستطيلة ثم عكف على تفتيش محتوياتها بدقة متناهية. أبدى نفس العناية بحقيبة يدي. وأولى اهتماما خاصا لما بها من أوراق. ثم قادنى الى قمرة خشبية فأجرى يديه فوق صدرى وظهري وبين فخذى.

أفرج عنى أخيرا فسرت خلف عامل أسوى حمل حقيبتى ووضعها فوق الميزان. قدمت بطاقتى ثم اتجهت الى مكتب الجوازات واتخذت مكانى فى طاور متعدد الجنسيات. جاء دورى سريعا فأعطيت جوازى لضابط تصفحه فى دقة ثم غادر مقعده دون أن يخاطبنى واختفى.

شعرت بالأنظار تتجه ناحيتى فتشاغلت بتقليب صحيفة هندية تركها أحد المسافرين فوق مقعد. كان هناك مربع خاص بأبناء عمان تضمن تصريحاً لوزير الخارجية بأنه على استعداد لدعم أى عمل يهدف إلى انهاء المقاطعة الاقتصادية العربية لإسرائيل. وكان هناك نبأ عن مداوات بين عمان وبريطانيا بشأن صفقة أسلحة قيمتها ٢٢٧ مليون دولار ووصفتها الصحيفة بأنها دفعة هامة للصناعات العسكرية البريطانية وتنقذ وظائف ١٨٠٠ بريطانى .

وعلى صفحة كاملة نشرت الصحيفة حلقة من مذكرات الجنرال بيتربيلير، الذى قاد القوات البريطانية خلال حرب الخليج ، صدرتها بموجز للمراحل الهامة فى حياته.

كان تاريخه حافلا بحق فقد كان دائما فى المكان المناسب فى الوقت المناسب : قناة السويس والأردن فى ٥٦ ، جبل عمان الأخضر فى ٥٩ ، عدن فى ٦٤ ، ظفار من ٦٩ حتى ٧٤ ، السودان فى ٧٧ وعندما تقاعد بعد حرب الخليج تفرغ لادارة شركة لتوظيف الأموال . لا للآثار!!

عاد ضابط الجوازات وخاطبنى فى تحفظ طالبا منى أن أتبعه. علقت حقيبة يدي فى كتفى وسرت خلفه فى ممر هادئ مضاء بمصاييح الفلورسنت

الطويلة على الجانبين . توقف أمام باب لا يحمل أية لافتة وطرقه فى رفق . ثم أدار مقبضه ودفعه الى الداخل وتنحى لى جانبا.

كانت الغرفة صغيرة يتصدرها مكتب معدنى أمامه مقعدان متقابلان وتضيؤها أنوار قوية من مربع زجاجى فى منتصف السقف. وكانت الجدران عارية إلا من واجهة جهاز تكييف وصورتين لسultan البلاد، واحدة فى إطار مستقل وأخرى فى نتيجة حائط فاخرة. لم تكن بها خزانة للملفات أو دلالة ما على هوية شاغلها ووظيفته. كانت غرفة بلا هوية مثل غرف التحقيق أو تلك المخصصة لزيارة السجناء.

أغلق الضابط الباب خلفى وانصرف ووقفت أتطلع الى الرجل الجالس خلف المكتب منهمكا فى تصفح جوازى. كان يرتدى دسداشة بيضاء ويغطفى رأسه بمصرة من نفس اللون وعينيه بنظارة داكنة تكاد تكون سوداء. لكنى عرفته من حاجبيه وشاربه الناصعى البياض.

أشار لى بالجلوس دون أن يرفع رأسه عن الجواز. وضعت حقيبة يدى على الأرض وجلست فى حرص خوفا من آلام الظهر. لمحت مقبض خنجر بارزا من نطاق موشى بالقصب حول خصره. وشعرت أن عينيه مسلطتان على وجهى رغم تظاهره بفحص الجواز.

ألقى بالجواز فوق سطح المكتب الى جوار جهاز أسود صغير للاستدعاء. ورفع يده الى نظارته فخلعها ووضعها الى جوار الجهاز.

كانت دقات قلبى قد بدأت تتسارع منذ اللحظة التى دخلت فيها إذ اجتاحتنى الهواجس والتوقعات . لكنها كادت تتوقف تماما الآن. ودوى طنين جهاز التكييف عاليا فى أذنى .

تصورا!

اختفت الحركات الهوجاء والمارلبورو والكتب وحل محلها الخنجر والمصرة وحجر أحمر اللون فى خاتم ثقيل من الذهب .

كنت عاجزا عن الكلام وصبر على هو لحظة ثم ابتسم ابتسامة خفيفة :

- لم تتوقعنى ؟

لم أحر جوابا فاستطرد:

- سمعت أنك تبحث عنى.

كانت هناك غضون كثيرة حول عينيه ونظرة باردة حاسبة فيهما. استطرد
عندما لزمت الصمت :

- أربعة وثلاثون عاما منذ آخر لقاء بيننا ؟ عمر، أليس كذلك ؟ لم تتغير
كثيرا.

وجدت لساني أخيرا : وأنت صرت الحارث بن عيشة.

تراجع الى الوراء وبسط راحتيه فوق سطح المكتب :

- الحارث أحد أجدادى . كان شيخ قبيلة. وعيشة هو اسم والدتى . لعلك

لا تعرف أن البدو...

قاطعته : أعرف . قرأت موسوعة السلطان .

انفجر فى الضحك وشعرت أنه متوتر مثلى.

قلت : لكن لماذا ؟

قال بنبرة تهكم خفيفة :

- عملية تصحيح ! متطلبات مرحلة جديدة.

كان يبدو واثقا من نفسه.

استطرد: قل لى . لماذا كنت تبحث عنى ؟

قلت : كنت أريد أن أعرف ما حدث لك ول ... وردة .

- وعرفت الآن ؟ أنت قرأت يومياتها.

استجمعت نفسى وقلت : ما زالت هناك بضعة أمور غامضة.

تراجع بجسده كله الى الوراء : آه .. مثل ؟

اجتاحتنى موجة غضب مفاجئة :

- مثل ماذا حدث لها بالضبط ولماذا تخليت عنها فى الصحراء.

تأملنى فى إمعان ثم قال فى ببطء :

- ماذا تعتقد أنت ؟

- إما أنك خفت على نفسك أو أنك ذهبت تستكشف الطريق فتهت . أنا

أستبعد ذلك إذ كان من الممكن أن تخطرهما بنيتك. الاحتمال الأغلب أن الأمر

كله كان مدبرا منذ البداية.

ضاق عيناه لكنه لم يعلق .

استطردت : متى بدأت علاقتك بالسلطة ؟ عندما قبض عليك أول مرة فى مطرح ؟

لم يجب .

واصلت دون أن أعبأ : كنت عازما على التخلص منها. وفى اللحظة الأخيرة ترددت. ربما أشفقت عليها أو اكتشفت أنها حامل أو كنت أكثر دهاء . قررت أن تتركها فى الصحراء للذئاب والقبائل.

قال بهدوء قاتل : أنت تتحدث عن أختى.

- أعرف أنك كنت تحبها . ربما أكثر مما يجب. ومع ذلك أو بسبب ذلك تركتها. ولا بد أن إحدى القبائل أوتها هى ودهميش الى أن وضعت ابنتها. أسمتها وعد بدلا من ثائرة كما كانت تنوى. لتحميها أولتذكر القبيلة بتعهد انتزعتهم بأن يسلموا الطفلة الى أهل أبيها. لا أعرف طبعاً ما حدث بعد ذلك. ربما وقع لهما حادث فى الصحراء أو توصلت اليهما السلطة. الأغلب أن القبيلة نفسها تخلت عنهما واحتفظت بالطفلة. ثم وفوا بوعدهم بعد قليل وسلموها لعمها الذى تكتم على الأمر كله. ما رأيك ؟

- لا بأس . أكمل .

- المهم أنك قمت بدورك . وكان يمكن أن يمضى كل شئ على مايرام لولا أن ظهرت اليوميات. عثر عليها أحد أو أراد ابناء القبيلة استغلالها لمكسب ما. كان لا بد أن تعرف ما جاء بها بشأنك.

جذب درج المكتب واستخرج الكراسى الأخيرة ذات الغلاف الأسود. رفعها

فى الهواء ولوح بها فى وجهى :

- الجميع كانوا يسعون خلفها . أصحابك مثلا وهم منقسمون كالعادة ويتسابق كل قسم لاستغلالها ضد الآخر. أصحابى أيضا . .. أنت قابلت الفندى. ثم هناك الشيوخ والمطوعون . هناك أيضا جيراننا وجيران جيراننا . تعرف لماذا ؟ هل صدقت أن الرغبة فى معرفة مصير ورده هى السبب ؟

انحنى نحوى : أنا هو السبب .

قلت : لماذا الآن ؟

سيطر على أعصابه واستعاد هدوئه.

استطردت : ألآن صديقك ابن عم السلطان سيصبح رئيسا للوزارة ؟ لا أعتقد.

كانت النظرة التي تجلت فى عينيه هى التى أعانتنى على الفهم . قلت فى بظء : أنت تعد لشئ أكبر من هذا.

حانت منه نظرة خاطفة الى جهاز الاستدعاء. وتأكد لى أن للجهاز وظيفة أخرى. كما تأكدت أن السهم ملك قصده.

وفجأة أمسك بالكراسة بيديه الاثنتين وأخذ يمزقها الى قطع صغيرة. واستقرت عيوننا على القصاصات وهى تتكوم فوق سطح المكتب فى خليط من اللونين الأبيض والأسود.

قال : لم يعد بوسع أحد استغلالها.

قلت : إلا إذا كانت هناك صورة منها .

تجمدت يده فوق قطع الورق و دقق النظر الى عينيّ :

- لا توجد معك ورقة واحدة منها. التفتيش كان كاملا. كما أنك لم تقترب من أى جهاز للتصوير من لحظة وصولك الى السلطنة .

مال على المكتب وهو يتأملنى متفحصا :

- أين ؟

- مع وعد.

ثار فجأة : القحبة.

قلت : هى لا تريد غير شئ واحد .

- ما هو ؟

- أن تدخل الجامعة . هنا أو فى الخارج.

- وأنت ؟

- زوجة ابن عمى.

- مالها ؟

- يريدون إنهاء عقدها. لا بد أنك تعرف. لا تريد أكثر من سنتين آخرين

حتى ينتهى زوجها من عمله.

أخذ يدق بإصبعه على سطح المكتب دون أن يرفع عينيه عن وجهى :

- سنتان إذن. ولا كلمة منك.

أطرقت برأسي.

سنتان وحسب. ثم نرى.

تطلعت الى جواز سفرى فاتجه اليه ببصره وتأمله برهة ثم مد يده فالتقطه
وقدمه الى . تناولت الجواز وجذبت حقيبتى ونهضت واقفا.
ثم استدرت وغادرت الغرفة .

تذييل

في مطلع عام ١٩٩٠ أعلن على سالم البيض باسم قيادة جمهورية اليمن الجنوبي رد الاعتبار لسالم ربيع (سالمين). وفي ٢٢ مايو ١٩٩٠ توحد اليمنان وصار على سالم البيض نائبا للرئيس إلى جوار رئاسته للحزب الاشتراكي اليمني . وبعد سلسلة من الاغتيالات لقيادة الحزب إتهم فيها عناصر من الشمال ، اعتصم على سالم البيض بمقره في عدن ورفض الذهاب إلى صنعاء . وتطورت الأمور إلى اشتباكات مسلحة بين الجانبين في ٢٧ أبريل ١٩٩٤ تحولت إلى حرب حقيقية. وأعلنت عدن في ٢١ مايو ٩٤ ، إعادة تشكيل جمهورية اليمن الديموقراطية. استمرت الحرب شهرين وانتهت بانتصار الشمال وقدر عدد الضحايا بعشرة آلاف قتيل كما قدرت الخسائر ب ١١ مليار دولار. والتجأ البيض إلى سلطنة عمان ومازال بها حتى الآن. أما على ناصر محمد فيقيم في دمشق. وتولى على صالح عباد(مقبل) رئاسة الحزب الاشتراكي اليمني. وفي عام ١٩٩٩ نسبت الكاتبة الفرنسية M. Tabachnik في كتابها , (Les Circles de L' enfer Flammarion) إلى أسامة بن لادن ، السعودي من أصل يمني ، أنه اعترف بمسئوليته عن اغتيال ١٥٨ من كوادر الحزب الاشتراكي اليمني في عدن بين عامي ٩٠ و ٩٤ .

مايو ٢٠٠٠

شكر واجب

للأصدقاء العُمانيين الذين فتحوا لى قلوبهم قبل بيوتهم وفتحوا لى قسما من حضارتهم العريقة ،
ولمن لم ييخلوا بمعلوماتهم :
مارك بلاس Mark Pellas ورفاقه الفرنسيين الذين ناصروا قضايا الشعوب العربية وحافظوا على تراث نضالها،
جار الله عمر، عضو المكتب السياسى للحزب الاشتراكى اليمنى،
حيدر ابراهيم، مدير مركز الدراسات السودانية بالقاهرة،
هانيا سرور التى أتاحت لى فرصة مشاهدة فيلمها «دقت ساعة التحرير»،
فواز طرابلسى الذى وضع مقالاته ومسودات كتبه رهن تصرفى،
أمين رضوان، على محسن، حسين موسى، صلاح زكى مراد، حسناء مكداشى،
ابراهيم فرغلى، فريال غزول، وليد قزحية، نبيل درويش،
ولمن لم ييخلوا بالعون:
محي الدين اللباد، صلاح حزين، أحمد القصير، Ann Harlow، وائل عبد الفتاح.
وكالعادة كان لملاحظات ليلى عويس ونادية محمد الجندى على المخطوطة الفضل فى اكتشاف التناقضات واجراء الصقل الضرورى.
الشكر أيضا لأسرة دار المستقبل العربى بالقاهرة، ولعبد المنعم سعودى الذى راجع الأخطاء اللغوية وبوأ الهمة عرشها الصحيح !!